

سلسلہ آبحاث کتابیہ ۱۱

سلسلہ
تفسیر

۳

الانجيل
بکتاب
القديس
لوقا



دار بيليا للنشر

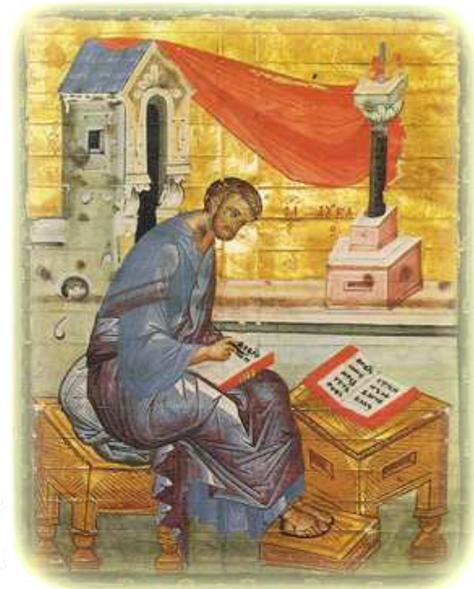
الموصل ۲۰۱۲

تأليف: هيك كوزان
تصريب: الأب بيوس عفاص

لوقا الانجيلي
منمنمة بيزنطية
في مخطوطة من القرن ١٢
المكتبة الوطنية - اثينا



لوقا البشير
منمنمة روسية
في مخطوطة من القرن ١٤



الانجيل
بحسب
القديس
لوقا

سلسلة تفاسير

صدرت بالفرنسية عن الخدمة البيبليّة "انجيل وحياة"، بقلم اختصاصيين في الكتاب المقدس. وتصدر، مترجمة بالعربية، عن دار بيبليا للنشر ضمن سلسلة "أبحاث كتابية"، وبمعدل كتابين في السنة.

ظهر منها:

- | | |
|---|--|
| ٢٠٠٨/ تعريب: الأب بيوس عفاص/ (صدر عام ١٩٩١) | ١. الانجيل بحسب القديس متي |
| ٢٠٠٩/ تعريب: الأب بيوس عفاص/ (صدر عام ١٩٩٢) | ٤. الانجيل بحسب القديس يوحنا |
| ٢٠١٠/ تعريب: م. جرجس القس موسى/ (صدر عام ١٩٩٦) | ٦. رسائل القديس بولس/ ج١: ١ و٢ قورنثس |
| ٢٠١٠/ تعريب: الأخت باسمة الخوري/ (صدر عام ١٩٩٦) | ٧. رسائل القديس بولس/ ج٢: روما وغلاطية |
| ٢٠١١/ تعريب: الأب البير ابونا/ (صدر عام ١٩٩٧) | ٨. رسائل القديس بولس/ ج٣: الرسائل التسع الأخرى |
| ٢٠١١/ تعريب: الأب فادي مسلم/ (صدر عام ١٩٩٧) | ٩. الرسائل الأخيرة (عبرانيين والرسائل العامة) |
| ٢٠١٢/ تعريب: الأب بولس الفغالي/ (صدر عام ١٩٩١) | ٢. الانجيل بحسب القديس مرقس |
| ٢٠١٢/ تعريب: الأب بيوس عفاص/ (صدر عام ١٩٩٢) | ٣. الانجيل بحسب القديس لوقا |

سيظهر تبعاً:

- | | |
|---|--------------------|
| ٢٠١٣/ تعريب: الأب ايوب شهوان/ اوائل (صدر عام ١٩٩٤) | ٥. سفر اعمال الرسل |
| ٢٠١٣/ تعريب: م. جرجس القس موسى/ خريف (صدر عام ١٩٩٥) | ١٠. سفر الرؤيا |

Collection "Commentaires"

Hugues Cousin
L'Évangile de LUC
Commentaire pastoral
Bayard Editions/ Centurion
France - Canada ١٩٩٣

عنوان الكتاب بالفرنسية

e-mail: bibliamosul@yahoo.com

دار بيبليا للنشر / كنيسة مار توما - الموصل (العراق)

تطلب كافة منشورات دار بيبليا في العراق: كنيسة مار توما - الموصل

- مكتبة جامعة الروح القدس - الكسليك وفي لبنان:
- المكتبة البولسية - جونيه
- مكتبة دير مار اشعيا - برمانا

الانجيل بمسب القديس لوقا

تفسير راعي

سلسلة تفاسير

(٣)

تأليف: **حبيك كوزان**

تعرية: **الاب بيوس عفاص**

اصدارات

مركز الدراسات الكتابية

الموصل - العراق

٢٠١٢

... وكان التفسير الذي يتناول انجيل لوقا قد أُرجم، لأن القراء كانوا قد تلقوا عام ٢٠٠٦ كتاباً بعنوان "لوقا - الأعمال/وعد التاريخ" ظهر في سلسلة أبحاث كتابية برقم ٨، وكان قد غطى مؤلف لوقا ذا الجزئين، وبمستوى رفيع من التحليل والتفسير. وجاء دوره في سلسلة تفاسير ليحتل ترتيبه الثالث فيها ويحمل الرقم ٢١ في سلسلة "أبحاث" بعد الانجيل بحسب متى (٢٠٠٨/١٣) والانجيل بحسب يوحنا (٢٠٠٩/١٥) والانجيل بحسب مرقس (٢٠١٢/٢٠) ومعه تكون الاناجيل الاربعة قد شملها التفسير، فصلاً بعد فصل، واية تلو أخرى! وسيتاح لدار بيبيليا أن تجعل الكتب الاربعة مجتمعة وبسعر مدعوم (١٠٠٠٠.١د. فقط) لمن فاتهم اقتناؤها عند ظهورها!

ان ميزة سلسلة "تفاسير" هي انها تقدم عرضاً للنصوص مذيلاً بتفسير راغوي يعتمد الدراسات العلمية دون ان يبقى رهينها، متجاوزاً التحليلات العويصة، إلى طرح يجعل القارئ يستذوق ما خلفته اقلام الانجيليين من شهادات حية عكست ايمان الجماعات المسيحية التي توجهوا إليها باناجيلهم، وتخطب ايمان مسيحي القرن الحادي والعشرين المدعويين، هم ايضاً، إلى تأوين كلمات يسوع، مما يجعلهم يختبرون العيش في حضرة القائم من بين الاموات والشهادة له في العالم...

وفي هذا الجزء الثالث من سلسلة "تفاسير" نجدنا برفقة دليل واي دليل! لوقا الانجيلي الثالث الذي كتب انجيلاً هو بشري للمساكين والمهمشين والمستضعفين الذين وضعوا كل ثقتهم في من هو وحده خلاصهم؛ اولئك الذين رأوا في يسوع منخلصاً ومحرراً، فأحبوه وتعلقوا به وتبعوه، ولم يعد بوسعهم ان يستغنوا عنه البتة. فالى هؤلاء وإلى كل الذين يبحثون عن الخلاص من عبودياتهم، كتب لوقا بترتيب، مؤكداً، من خلال توفيلس (حبيب الله)، انه يتمنى عليه ان "يتيقن صحة ما تلقاه من تعليم"، فيمنح كل ولانه ويصبح تلميذاً يلحق بالمعلم مهما كلفه ذلك من ثمن! وان ما يثير الاهتمام بهذا الكاتب الملهم، هو انه ألحق انجيله بجزء ثان روى فيه مسيرة الكنيسة، كنيسة يلمها الروح ويسندها لتكون شاهدة في العالم للمسيح الحي؛ انه سفر اعمال الرسل الذي كان ينبغي الا يفصل عن جزئه الاول، وهو تجسيد لرسالة يسوع وامتداد لها - انه الجزء الخامس من "السلسلة" الذي نتطلع إلى ظهوره ليكتمل مؤلف لوقا.

اما دليلنا إلى الانجيل الثالث، فهو هيك كوزان البيبلي الكاثوليكي الفرنسي الذي أدار سلسلة "تفاسير" التي تغطي بعشرة اجزاء تفسير العهد الجديد برمته - وقد بقي لنا منها جزءان يظهران في غضون العام القادم، باذن الله.

وفيما تزف دار بيبيليا للنشر هذا الكتاب في غمرة احتفال مركز الدراسات الكتابية ببوبيله الفضي، تتمنى على القراء أن يسعوا إلى توسيع رقعة انتشاره - مع سائر اجزاء "السلسلة" - بحيث يتاح لكلمة الله ان "تواصل جريها" وتفعل فعلها في متلقيها.

الترتيب الابدجي لاسفار الكتاب المقدس

اعتمدنا المختصرات لمراجع الاسفار المقدسة، وفقاً لطبعة دار المشرق. واليكم قائمة بها:

الاجبار	أح	العدد	عد
سفر الاخبار الاول	أخ ١	سفر عزرا	عز
سفر الاخبار الثاني	أخ ٢	عوبديا	عو
ارميا	ار	الرسالة الى غلاطية	غل
استير	اس	الرسالة الى فيلمون	ف
اشعيا	اش	الرسالة الى اهل فيليبي	فل
الرسالة الى اهل افسس	اف	سفر القضاة	قض
ايوب	أي	الرسالة الاولى الى اهل قورنتس	١ قور
سفر باروك	با	الرسالة الثانية الى اهل قورنتس	٢ قور
رسالة القديس بطرس الاولى	١ بط	الرسالة الى اهل قولسي	قول
رسالة القديس بطرس الثاني	٢ بط	الانجيل كما رواه لوقا	لو
تثنية الاشرع	تث	الانجيل كما رواه متى	متى
الرسالة الاولى الى اهل تسالونيقي	١ تس	الامثال	مثل
الرسالة الثانية الى اهل تسالونيقي	٢ تس	الانجيل كما رواه مرقس	مر
التكوين	تك	المراثي	مرا
الجامعة	جا	المزامير	مز
حبقوق	حب	سفر المكابيين الاول	١ مك
حجاي	حج	سفر المكابيين الثاني	٢ مك
حزقيال	حز	سفر الملوك الاول	١ مل
سفر الحكمة	حك	سفر الملوك الثاني	٢ مل
الخروج	خر	ملاخي	ملا
دانيال	دا	ميخا	مي
سفر راعوث	را	سفر نحemia	نح
اعمال الرسل	رسل	نحوم	نحو
الرسالة الى اهل رومة	روم	تشيد الاناشيد	نش
الرؤيا	رؤ	هوشع	هو
زكريا	زك	سفر يشوع	يش
يشوع بن سيراخ	سي	رسالة القديس يعقوب	يع
صفنيا	صف	الانجيل كما رواه يوحنا	يو
سفر صموئيل الاول	١ صم	رسالة القديس يوحنا الاولى	١ يو
سفر صموئيل الثاني	٢ صم	رسالة القديس يوحنا الثانية	٢ يو
طوبيا	طو	رسالة القديس يوحنا الثالثة	٣ يو
الرسالة الى طيطس	طي	يونيل	يوء
الرسالة الاولى الى تيموثاوس	١ طيم	يونان	يون
الرسالة الثانية الى تيموثاوس	٢ طيم	يهوديت	يه
عاموس	عا	رسالة القديس يهوذا	يهو
الرسالة الى العبرانيين	عب		

عزيزي لوقا "الطيب الحبيب"!

يأخذ عليّ بعضهم اني احبك اكثر من سواك من الانجيليين! انها فرصة لي لأقول لماذا أحبك، وهل لحبي لك من مبرر، سيما وانك مع زملائك الانجيليين الآخرين لم تشاءوا سوى ان ترسموا ملامح يسوع الناصري وتكشفوا عن عمق سره لننجراً وراءكم في اتباعه والسير في اثره مهما كلف الثمن!

لقد وجهت كتابك الأول، وألحقته بأخر هو امتداد له، بل هو جزؤه الثاني، إلى تئوفيلس (حبيب الله)، وكأنك تخاطب كل مؤمن يريد ان يكون مشمولاً بحب الله، حب نجيب إليه يجب على قدر طاقتنا! ولكم اعتبرت نفسي معنيا بهذا الاسم، وكأني انا تئوفيلس، اسمعك تقول انك تكتب الامور لكي أتيقن من "صحة ما تلقيت من تعليم" وسيحملني يقيني إلى ان أعطي ولأني كله لهذه البشرية، واتجدد لها كلياً، واحملها بدوري شاهداً ورسولاً للحى بين الاموات، حتى وإن تطلب الأمر ان اصبح شهيداً -ولم يعط لي سوى ان اكون معترفاً!

عزيزي لوقا، انجيلي المخلص!

بدايتي معك كانت وانا بعد في سنتي الاخيرة في معهد مار يوحنا الحبيب، حين طلب مني ان اترجم احد الكرايس الانجيلية في سلسلة "كلام الله" التي كان يديرها الآباء الدومينيكيون منذ خمسينات القرن الماضي، ولم أعد اذكر ان كنت انا الذي اخترت ام أسند إلى كراس "لوقا، انجيلي المخلص" الذي انكبت على تعريبه في صيف ١٩٦٢ اثر رسامتي الكهنوتية، ولم يظهر إلا في اواخر عام ١٩٦٤، حاملاً الرقم ١١ في السلسلة -وكنت قد انجزت الرقم ٥ من السلسلة ذاتها بعنوان "الكتاب المقدس والانجيل"، وقد ظهر قبيل الرسامة!

لا اخفي بأن مفتتح انجيلك سحرني منذ البداية، وانا اقرأ مقدمة تشبه مقدمة فلافيوس يوسيفس وسائر مؤرخي وادباء زمانك. لقد وجهت كتابك إلى الشريف تئوفيلس -ولم اكن ادري آنذاك ان تئوفيلس قد يكون ذلك "القراش" الذي يعهد بالعمل الى "كتاف" ويتكفل بادوات الكتابة ومصروفها... ولكنه يمثل، على كل حال، المهتمين من الوثنية الذين توجهت إليهم، مواصلاً معهم تعليمك -ولعل اجمل ما في مقدمتك هو انك طمأنت تئوفيلس وايانا انك بحثت وتقصيت الاحداث من منابعا الاصيله، وشئت ان تكتبها "مرتبة"، أي انك سعيت بكل طاقتك على ان تجعل منها "رواية متتابعة"، وقد جعلتنا نقرأها وكأننا نقرأ قصة شيقة دفعة واحدة، ولا يسعنا ان نتوقف عن قراءتها لحظة! انها قصة تأخذ بمجامع القلب وتحمل قارئها على ان يمنح كل حبه لهذا المعلم الذي لا يسع المرء إلا ان يمشي وراءه... حتى الصليب، وهو الطريق إلى

المجد. ألم تضع على لسان "بطلك" هذه الكلمات الموجهة إلى تلميذي
عاموس: "اما كان يجب على المسيح أن يعاني تلك الآلام فيدخل في
مجده؟! وستبقى الانجيلي الامثل لقراءتك سيرة يسوع الناصري المصلوب
في ضوء الاسفار المقدسة: فلقد قلتها حين كتبت ان يسوع "بدأ من موسى
وجميع الانبياء يفسر لهما ما في جميع الكتب ما يختص به"، وقلتها بلسان
يسوع ذاته للاحد عشر في الترائي بعد القيامة: "ذلك كلامي الذي قلتة إذ
كنت معكم، وهو انه يجب ان يتم كل ما كتب في شأني، في سريعة موسى
وكتب الانبياء والمزامير".

وماذا اقول عن "فرادتك" في نقل الروايات والامثال والاحاديث...
ولا سيما في سرد روايات الآلام والقيامة... لقد انفردت بمقاطع لا تنسى،
وكلها محملة بالتعليم والمغزى، من مثل السامري إلى مثل الابن الضال،
ومثل الفريسي والعشار والغني ولعازر، ومن العظة في السهل إلى اللقاء
بالرص العشرة وزكا العشار، وإلى رواية تلميذي عاموس الرائعة! ولعل
احمل ما في طرحك عن شخص يسوع انك اوجزت الايمان المسيحي الذي
استنار بالاسفار المقدسة حين كتبت، في فصلك الاخير، وقد تناولت فيه
قيامه الرب عبر نهار طويل امتد على ٣٦ ساعة: "كتب ان المسيح يتألم
ويقوم من بين الاموات في اليوم الثالث، وتعلن باسمه التوبة وغفران
الخطايا لجميع الامم، ابتداءً من اورشليم...". وإليك يعود الفضل في
التركيز على أهمية "الشهادة" في إعلان بشرى الانجيل: فلقد وضعتها، أولاً،
على لسان يسوع في نهاية الفصل ٢٤: "وانتم شهود على هذه الامور"،
ووضعتها على لسانه، مرة أخرى، في فاتحة جزئك الثاني الذي سمي بحق
"الانجيل الخامس" او كتاب الروح القدس، وهو الذي سيمكن التلاميذ من
الشهادة للقائم من بين الاموات: "ستنالون قوة بحلول الروح القدس عليكم
فتكونون لي شهوداً في اورشليم وكل اليهودية والسامرة وإلى اقاصي الأرض".



اما قصتي مع هذا الكتاب الذي اذفه إلى القراء، فهي اني اخترت
ترجمته للقري التي تشدني إلى لوقا الذي طالما درست أنجيله لطلبة
الدراسات الكتابية على مدى تسع دورات متتالية، والالفة التي تربطني
مع مؤلفه هيك كوزان الذي طالما تردد اسمه في "ملفات الكتاب المقدس"...
فكان اني أنجزت ترجمته خلال ٣ اشهر من عام ٢٠١١، ودفعته للتنضيد
إلى السيدة هدى الدهين التي كانت سعيدة بانجازه قبيل نهاية عام ٢٠١١،
وظل ينتظر دوره لأنكب على تصحيحه وتنقيحه وإخراجه ليظهر في
خريف ٢٠١٢. ولا اخفي الفائدة التي جنيتها من ترجمته، ومنيتي، أنا
ايضا، ان يستفيد منه القراء ويدركوا العمق الذي ينطوي على انجيل
لوقا وعلى الدقة التي اتسمت بها رواياته وامثاله وتعاليمه، وهي تستحق
ان نمناها كل الثقة وكل الولاء، سيما وان هدفه كان، كما رسمه
لتئوفيلس: "لكي نتيقن صحة ما تلقيناه من تعليم". أليس هو الهدف
العميق من كل انجيل، وانجيل لوقا بنوع خاص؟

الأب ييوس عفاص

الموصل في ١٧ حزيران ٢٠١٢
سنة البويعال الكهنوتي الذهبي

من اجل اكتشاف لوقا

ليس هناك سوى انجيل واحد: بشرى يسوع الفريدة التي تعلن أن الله محبة. فبالنسبة الى المسيحي، كل شيء ينتج عن هذه البشرية الفريدة والسعيدة: معنى الوجود، والاخوة الشاملة، وحق الفقير في الاحترام، والعفو عن الاهدانات، والمخرج المرجو - والوحيد - للألم والموت.

كيف بلغتنا هذه البشرية؟ عبر شهادات. وهنا، من الممكن ان نتحدث بالجمع عن كلمة "انجيل". نحن بازاء اربعة اناجيل. لا بمعنى انجيل متى وانجيل مرقس وانجيل لوقا وانجيل يوحنا، وانما انجيل يسوع المسيح بحسب متى، مرقس، لوقا، يوحنا. وهنا نجدنا بازاء الانجيل بحسب لوقا - وقد يكون هو ذلك "الطبيب الحبيب" - رفيق الرسول بولس.

هوذا لوقا، في مقدمته، يوضح موقفه جيدا من انجيل يسوع المسيح. انه تلقاه، وسبق له ان "بشّر" بالانجيل. وها هو بدوره، يود ان "يبشّر" به رجالا ونساء جاءوا، على مثاله، من العالم الوثني.

لوقا هو، اذن، اخونا في الايمان. وهو ايضا على مثالنا، لم يعرف المسيح، وانما اكتشفه عبر شهود. لقد قرأ الكتابات الاولى التي كانت قد بدأت بالانتشار بين الجماعات المسيحية حين باشر بتأليف كتابه. وان احدى الفوائد من تفسير هيك كوزان تكمن في انه اطلعنا على مصادر لوقا وعلى الطريقة التي تعامل معها.

انها مصادر عرف الانجيلي كيف يستخدمها بفن. والعمل الفني يقع دوما في نقطة الالتقاء بين التأثيرات الخارجية والكفاءة الشخصية. وكان لوقا فنا. فهو، مع امانته لمصادره التي غالبا ما كان يتبعها عن كثب، إلا انه يخلف فيها بصماته: ادراكه للايمان، ورهافة احساسه، وعمق تعلقه.

وهكذا، شيئا فشيئا، انجحت من مقارنته ليسوع ملامح وجه خاص به. لا شك ان يسوع لوقا هو ذاته يسوع سائر الاناجيل، ولكنه مع ذلك مختلف. ذلك ان لوقا، عبر اغفالات متعمدة، ولمسات شخصية جدا، كما عبر انتقاعات لروايات وامثال انفراد بها، بحيث رسم، بصفته كاتباً قديراً، لوحة ليسوع لا تنسى.

فبفضل لوقا وحده عرفنا، على سبيل المثال، الخاطئة التي عُفِر لها (٧: ٣٦-٥٠)، ومثل السامري الصالح (١٠: ٣٠-٣٧)؛ كما عرفنا، بفضل الفصل ١٥ الذي لا نظير له، امثال الدرهم المفقود، والابن الذي ترك وعاد؛ وكذلك مثل الغني ولعازر المسكين (١٦: ١٩-٣١)؛ ورواية زكا العشار (١٩: ١-١٠) وللص الصالح (٢٣: ٣٩-٤٣)، واخيرا رواية تلميذي عماوس (٢٤: ١٣-٣٥) -وتلك تحفة ادبية اهتمت رامبرانت وموريك وعددا كبيرا من الفنانين. ولا شك انه ليس من الصدفة ان يكون لوقا قد قام بهذه الخيارات. انها تخدم مخططة الذي يسعى هيك كوزان الى ابرازه بوضوح على مدى تفسيره.

واتوقف عند سمتين:

عرض الانجيل على الجميع. وبنوع خاص لكل البعيدين: الخطأة، السامريين، العشارين، بينما يحرم انفسهم منه، وبشكل سرّي، اولئك الذين كان ينبغي ان يتلقوه اولاً. وهو مفتوح ايضا لكل اولئك الهامشين في زمانه: الفقراء، المرضى، ذوي العلل، الصغار (الذين لا قيمة لهم)، النساء (اللواتي لا يُذكرن). وفي هذا الصدد، لا يسعنا الا ان نبتسم (او نحتج) بوجه اولئك الذين يروّجون البرهان بان يسوع تركهنّ على الهامش. في حين نرى لوقا يضعهن في مكان جيد، حين شدّد على مكاتهن بين اتباع يسوع (٨: ١-٣)، قبل ان يعطيهنّ المكان الاول: اولاء اللواتي رافقن يسوع في آلامه، فاصبحن من ثم الاوليات في الشهادة لقيامته.

تقديم وجه جديد لله. كتب دانتى قائلاً ان لوقا هو "مسجّل لطف المسيح"، كونه ذاك الكاتب الذي عكس رحمة المسيح. وهي تلك الرحمة التي تكلمت بشكل جلي في الكلمات التي وجهها ابو "الابن الضال" الى ابنه البكر للحدّ من حسده: "يا بنيّ، انت معي دائماً ابداً، وجميع ما هو لي فهو لك، ولكن قد وجب ان نتنعم ونفرح، لان اخاك هذا كان ميتاً فعاش، وكان ضالاً فوجد!". هل يا ترى كُتب عن الله ما هو اكثر جدة واكثر وقعا؟ ولوقا لم يتتدع هذا الاب الذي يهرع لاستقبال ابنه "المائت والعائد الى الحياة" وقد حبس مشاعره الحرجة حين ضمّه الى صدره. لقد كان يسوع وحده قادرا ان يتكر هذا المثل الذي يحو، وبشكل نهائي، صورة القدرة اللامتناهية وصورة الغضب والانتقام المتداولة بشأن آلهة كل الديانات -وحتى المسيحية احياناً.

فيسوع وحده فعل ذلك، لانه وحده العارف من هو الله. تلك هي الجدة الكبرى في انجيل يسوع المسيح، وقد سلّط عليها لوقا اضواء مشعة: ذلك ان الله هو غير ما قيل لنا عنه دوما. انه ذاك "المتنازل"، اكثر منه ذاك "المتعالي"، على حد تعبير كريستيان بوبان، الذي وضعه عنواناً لكتابه الرائع. فنحن بصدده اله قريب جدا، جاء بيننا ليضمنا بين ذراعيه. ألا يكون لوقا قد اهتدى لدى سماعه، عبر شاهد عيان، هذا المثل الذي خرج من اعماق كيان يسوع، فمنحه الرغبة في ان يكتب، بدوره، انجيلا يبرز فيه مكانة يسوع؟ مكانة هي في القمة! وانجيل هو بمثابة المفتاح لمفهومه عن اله يسوع.

وهكذا ايضا لم يخترع لوقا شخص زكا، رئيس العشارين الاثرياء، ذاك الذي لم يخش ان يصبح اضحوكه كي يرى يسوع: ان يرى يسوع، كي يسمعه بشكل افضل. ان يسمعه ويصغي اليه. ان يصغي اليه ويحبه للأبد. ولم يخترع هذا اللص الصالح الذي اصبح صليبه منبرا يعلن منه ان موت يسوع ليس آخر فعل في حياته: انه سيعود في بماء ملكه.

كما لم يخترع مشهد تلميذي عماوس اللذين كان قلبهما متقدما، بينما كانت اعينهما مضطربة من الحزن، فلم يعرفا ربهما القائم من بين الاموات.

هكذا، اذن، لم يخترع لوقا تلك الروائع عن الله. بل تلقاها من التقليد. الا ان فضله الفريد يكمن في انه قبلها وتأمل بها في قلبه بصفته فنا مهتديا، واضفى عليها صيغة ادبية لا تُنسى. فلوقا سعى الى تلطيف وجه الله من دون ان يجعله باهتا البتة: فلقد كان، على سبيل المثال، الوحيد الذي اوضح بان بوسع التلميذ ان يبلغ الى التخلي عن زوجته ليتبع يسوع! ولم تكن له كلمات اقل قسوة في الكشف عن خطر المال. انه يجعلنا نرى الله "بقلب حساس"؛ كما يخلق فينا الشوق الى ان نحبه، وحتى ان نحبه بعد ان نكون قد نسيناه. وبكلمة، يُفهم من كلامي، بانه لو طُلب مني ان اختار واحدا من بين الاناجيل، لاخترت الانجيل الذي ألفه لوقا غداة اهتدائه. انه غني بتلك "الجواهر الغالية الثمن" التي قال عنها يسوع بان الانسان، ما ان وجد احداها، يبيع كل شي ويشتريها.

وهوذا هيك كوزان يصبح هنا اخانا المستير كي يساعدنا على اكتشافها وتقييمها.

جان بويه

مفطط الانجيل لوقا

مفتسح (١ : ١-٤)

النجيل طفولة يسوع (١ : ٥-٢ : ٥٢)

- البشرى بمولد يوحنا ويسوع (١ : ٥-٥٦)
- ولادتان وختانتان وظهورات يوحنا ويسوع (١ : ٥٧-٢ : ٥٢)

بداية الانجيل

- كرازة يوحنا (٣ : ١-٢٠)
- يسوع ابن الله (٣ : ٢١-٤ : ١٣)

رسالة يسوع في الجليل

١. بشرى الملكوت في الناصرة وكفرناحوم (٤ : ١٤-٥ : ١٦)
٢. صراعات اولى مع الفريسيين (٥ : ١٧-٦ : ١١)
٣. العظة في السهل (٦ : ١٢-٤٩)
٤. التعرف على يسوع النبي (٧)
٥. تلقي كلمة الله (٨ : ١-٢١)
٦. يسوع، بمعجزاته، يدعو الى الايمان الذي يخلص (٨ : ٢٢-٥٦)
٧. "من انا؟" (٩ : ١-٥٠)

الرحلة باتجاه اورشليم (٩ : ٥١-١٩ : ٢٨)

١. المرحلة الاولى (٩ : ٥١-١٣ : ٢١)
٢. المرحلة الثانية (١٣ : ٢٢-١٧ : ١٠)
٣. المرحلة الثالثة (١٧ : ١١-١٩ : ٢٨)

في اورشليم، تعليم، الآلام والقيامة (١٩ : ٢٩-٢٤ : ٥٣)

١. التعليم في الهيكل (١٩ : ٢٩-٢١ : ٣٨)
٢. الآلام (٢٢-٢٣)
٣. القيامة (٢٤)

لوقا ومؤلفه

أرجو الانتباه!

انجيل لوقا ليس سوى الجزء الاول من المؤلف اللوقاوي! إذ ان سفر اعمال الرسل يؤلف الجزء الثاني، وكلاهما لا ينفصلان. الا ان التقليد المسيحي عمد مبكرا جدا الى التمييز بين الانجيل واعمال الرسل، فأدرج للاسف انجيل يوحنا بعد انجيل لوقا مباشرة، وهكذا حطم وحدة الكتاب. وان بوسع نظرة الى فهرس للكتاب المقدس ان تضللنا، إذ تنسينا بان هدف لوقا هو ان يقدم لنا عرضا متتاليا (٣: ٤)، يكشف لنا فيه كيف ان البشرى السارة بدأت في الجليل، بعد المعمودية التي نادى بها يوحنا (رسل ١٠ : ٣٧)، لتنتقل الى اقاصي الارض (رسل ١ : ٨). ولوقا، حين دبّج الجزئين -وهما بحجم متساو!- انما فكر في مواصلة الاسفار الكتابية السالفة^(١).

المؤلف، الكتاب، وتاريخه

ليس المؤلف تلميذا ليسوع الناصري، ولا ينتمي الى الجيل الرسولي الاول: زمانه ليس زمان شهود عيان اصبحوا خداما للكلمة. انه من الجيل التالي، في وقت اخذت تنتشر كتابات تنقل كلمات يسوع وحركاته (راجع لو ١ : ١-٤). ليس هو من اصل فلسطيني، وانما قد يكون سورياً من انطاكيا، سامي الاصل دون ان يكون يهوديا، تربى في حضارة هيلينية. ويرجح ف. بوفون، من جهته، انه يوناني من مقدونية. انه مسيحي آتٍ من الوثنية وينتمي الى طبقة اجتماعية رفيعة.

هل ينبغي ان نرى في لوقا ذاك الطبيب الحبيب الذي تكلم عنه الرسول بولس (قول ٤ : ١٤)؟ ام نرى فيه معاونا من معاوي بولس (ف ٢٤؛ راجع ٢ طيم ٤ : ١١) الذي يكون قد ادرج مذكرات رحلاته في سفر الاعمال (راجع رسل ١٦ : ١٠-١٧)؛

الخ...؟) هذا ما يؤكده التقليد الكنسي منذ نهاية القرن الثاني (ايريناوس من ليون، قانون ميراتورى). وان قراءة نبهة لانجيل لوقا واعمال الرسل (لوقا-الاعمال)^(٢) تقود الى موقف اكثر تحفظا. فاذا كان قد تردد على بولس -وذلك ليس مؤكدا- فان تردده عليه كان لوقت قصير، إذ ان سفر الاعمال لا يعكس معرفة واسعة بشأن حياة بولس وفكره ونتاجه: في كل الاحوال، انه يجهد رسائل بولس. وكنيسة لوقا التي نجهد مكاتها ليست كنيسة بولسية، حتى وان اندرجت في سياق الكنائس البولسية. ولن نخطئ اذا ما رأينا في لوقا، لا راعيا محليا، وانما مبشرا يمارس اشعاعه انطلاقا من مركز للرسالة.

من المرجح ان مؤلفه يرقى الى الاعوام ٨٠-٩٠؛ وان فترة زمنية تفصل بين الجزئين. اما في ما يتعلق باللغة والاسلوب، فلقد كتب احد الاختصاصيين: "لما كان لوقا يمتحن الكتابة، فهو يحرص على استخدام المفردة المناسبة". "انه يضحى قدر المستطاع بالنتائج وباساليب الاقناع المألوفة في الخطابة، كي يلتحق باسلوب الكتب التاريخية في الكتاب المقدس، ويبرهن بالتالي على التواصل بين السبعينية (الكتاب المقدس باليونانية) وبين مؤلفه". "وان فن التأليف وامتلاك اللغة والاسلوب في كتابي لوقا يبرهنان على قدرة حقيقية على الابتكار، سواء على الصعيد الادبي ام على الصعيد اللاهوتي". (ف. بوفون)^(٣).

من اليسير اكتشاف المفصل الكبرى في عمل لوقا. وبالمقابل، يبدو من الصعب وضع مخطط في داخل القسمين الكبيرين: رسالة يسوع في الجليل (٤ : ١٤-٩ : ٥٠) والرحلة باتجاه اورشليم (٩ : ٥١-١٩ : ٢٨). ذلك ان لوقا، على حد تعبير ف. بوفون "يستخدم مقاطع متتالية، بمثابة اسلوب ادبي: فهو يكتب التاريخ بشكل احتفالي، من خلال قصص". والمخطط المعروض ادناه لا يدعي انه يستعيد مخطط لوقا؛ وانما هو فقط دليل للقراءة. فالنسبة الى كاتب من مثل لوقا، توضح بنية مؤلفه الصلة بين العناصر المختلفة، اكثر مما تفصل بينها - كما هي الحال في كل مخطط كلاسيكي.

مصادر لوقا

سأتبع النظرية التي اراها تعكس، بالشكل الاكثر بساطة، العلاقات المعقدة بين اناجيلنا. لقد عرف لوقا انجيل مرقس واستخدمه. ولو حظ بحق ان لوقا، حين كتب انجيله، فلكي لا يضطر قراءه على قراءة مرقس (راجع لو ١ : ١-٤)؛ ولكنه، بالاضافة الى ذلك،

استقى من مجموعة اقوال ليسوع - ندعوها هنا "مصدر الاقوال" Q (من Quelle الالمانية التي تعني النبع او المصدر "م") . وهذا المصدر الذي نشأ اولاً في فلسطين، ومن ثم نقل الى اليونانية، يرجح انه كتب في حدود الاعوام ٦٠-٧٠؛ وانجيل متى عرف ايضا هذا المصدر، وبصيغة مغايرة الى حد ما. وبالتالي، هناك روايات عدة وعدد كبير من الامثال بلغت لوقا من مصدر خاص به. فلوفا، سواء تبع نص مرقس او نص "المصدر م"، الا انه عرف ولا شك قراءة شفوية تختلف قليلاً عن الرواية المدونة وعن القول او المثل المدون.

ومثل هذا الافتراض يتيح للقارئ ان يميز بسرعة معقولة السمات اللوقاوية الخاصة بالمؤلف.

التفسير الذي بين ايديكم

انسجاماً مع مشروع سلسلة "تفاسير"، يقدم هذا الكتاب تفسيراً راعويًا لانجيل لوقا. وخلافاً للعمل الذي حققته في كتاب "النبي المقتول"^(٤)، فلقد ضربت صفحا - باستثناء حالتين او ثلاث- عن كل ما يتعلق بالمرحلة الاولى: ما قاله يسوع وفعله في حياته التبشيرية، في السنوات ٢٨-٣٠ للميلاد. وكذلك الحال مع المرحلة الثانية -التقاليد الكنسية عن يسوع والتي كانت في حوزة لوقا- قلما لحت اليها. ولم اقم بمقارنة ازنائية بين مرقس ولوقا الا على سبيل النموذج، ولا سيما في روايات الآلام. فلقد رغبت ان اقرأ الجزء الاول من المؤلف اللوقاوي في حد ذاته ولذاته، كما قدمته لنا الكنيسة -لانه، اي الانجيل، هو، بالنسبة لنا، كلمة الله، وليس اعادة بناء المصادر او الاحداث، وهو عمل افتراضي دوماً. وحين تعمدت تجنب المقارنة بين الازائين، فذلك يحمل للقارئ حسنة: يكتسب التفسير، في رأيي، مزيداً من الوضوح.

"حين نقوم بالإنارة، فتلك عملية انحياز!" قالها مؤخرًا احد مصممي الانارة، وتقوم مهنته في تنظيم الانارة العامة في مدننا. ولوقا، حين سلط الضوء على يسوع، فلقد اتخذ منه موقفاً، اي انه انحاز! وحين اسعى أنا الى انارة النص اللوقاوي، فانما انحاز اليه، انا ايضا. تلك هي مغامرة الايمان.

اعبر عن شكري الى ماري-لويز لانكلييه التي ترجمت لي مقالا لا غنى عنه، كان ارسله لي مشكورا فيتوريو فيزكو؛ والى فيليب كريزون^(٥) وجان-بيير ليمونون^(٦) وجان بويو الذين قرأوا مسودة الكتاب واقتروا تحسينات عليها.

-
- (١) يطيب لنا ان نشير إلى كتاب صدر في سلسلة "ابحاث كتابية" بعنوان "لوقا - الاعمال/وعد التاريخ"، رقم ٨/ من تأليف دونالد يوثيل وتعريب الاب البير ابونا - ببيليا للنشر/ الموصل ٢٠٠٦ (العرب)
- (٢) نستخدم هذه العبارة (لوقا - الاعمال)، على مدى هذا الكتاب للاشارة الى ان مؤلف لوقا الكامل هو كتاب الانجيل وسفر اعمال الرسل.
- (٣) في الببيليوغرافيا اشار هيك كوزان إلى ان هذا المؤلف أصدر عام ١٩٩١ جزءاً أولاً من ٥١٦ ص غطت الفصول ١:١-٩:٥٠ وهو ماض لإصدار جزئين آخرين لا شك انهما صدرا الآن، وقال فيها انها نموذج في التفسير (العرب).
- (٤) كتاب للمؤلف صدر عام ١٩٩٥ هو قراءة في روايات الآلام.
- (٥) كثيرا ما يتردد اسم فيليب كريزون في "ملفات الكتاب المقدس" وقد كان مديرا في الخدمة الببيلية "انجيل وحياة" بباريس (العرب).
- (٦) جان بيير ليمونون هو مؤلف الجزء الثاني من "رسائل القديس بولس" في سلسلة "تفاسير": الرسائلتان إلى روما وغلاطية - دار ببيليا للنشر/ الموصل ٢٠١٠ (العرب).

مفتاح

(لو ١ : ١ - ٤)

- ١ لَمَّا أَنْ أَخَذَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يُدَوِّنُونَ رِوَايَةَ الْأُمُورِ الَّتِي تَمَّتْ عِنْدَنَا،
 ٢ كَمَا نَقَلَهَا إِلَيْنَا الَّذِينَ كَانُوا مِنْذُ الْبَدْءِ شُهُودَ عِيَانٍ لِلْكَلِمَةِ، ثُمَّ صَارُوا عَامِلِينَ هَا،
 ٣ رَأَيْتُ أَنَا أَيْضًا، وَقَدْ تَقَصَّيْتُهَا جَمِيعًا مِنْ أَصُولِهَا، أَنْ أَكْتُبَهَا لَكَ مُرْتَبَةً يَا تَاوْفِيلُسُ الْمُكْرَمُ،
 ٤ لِتَتَيَقَّنَ صِحَّةَ مَا تَلَقَّيْتَ مِنْ تَعْلِيمِ.

في هذا المفتاح، يستخدم لوقا نثرًا بيونانية رفيعة - وهذه الآيات الأولى لم تكن في الأصل سوى جملة كبيرة واحدة - ومفردات نجد مثلًا في طروحات هيلينية من ذلك الزمن، وبشأن قضايا مختلفة. وهكذا يبرهن بوضوح بان كتابه هو مؤلف يتعلق بشؤون راهنة، ومُعدّ لمعاصريه من اليهود، وقد استخدم فيه أساليب أدبية من شأنها أن تسممهم؛ بفضله ارتقى التقليد الإنجيلي إلى منزلة العمل الأدبي.

ويضع لوقا نفسه، منذ البداية، في خط أسلافه الذين ألفوا رواية مكتوبة للاحداث؛ أما المواصفات التي يأمل، هو ذاته، أن يتضمنها مؤلفه (معلومات دقيقة عن كل الأمور منذ البدايات، كي يجعل من كتابه عرضًا متواصلًا)، فهي، في نظره، مفقودة لديهم - وهذا ما يبرر مشروعه. أنه يلمح في الأقل إلى مصدرين سوف يستقي لوقا منهما: إنجيل مرقس الذي لا يروي بالتحديد، لا ولادة يسوع ولا الترائيات الفصحية؛ ومستودع لأقوال المعلم (المصدر م/ راجع المقدمة) لم تكن تحتوي على آية رواية.

كان هؤلاء السابقون قد استقوا من التقليد - وهي مفردة من أصل رابيني تعني التناقل الشفهي للإنجيل عبر شهود رسميين. وهؤلاء الشهود تعبير وضعهم: أنهم منذ البدء - وسيرينا لو ٣ : ٢٣ أن هذه الكلمة تعني بداية رسالة يسوع وليس ولادته - كانوا شهود عيان لأعمال يسوع وتعاليمه (ذلك هو مضمون الجزء الأول)، ومن ثم أصبحوا خدامًا للكلمة (الجزء الثاني: أعمال الرسل). وسيطلق لوقا هذا المستوى المزوج حين يروي

اختيار متباً ليكون من الاثني عشر: هذا الشاهد الجديد دُ أخذ من بين الذين تبعوا يسوع، منذ عمادته على يد يوحنا الى اليوم الذي رُفع فيه (رسل ١: ٢١-٢٢). الا ان لوقا هنا لم يُسمَّ يسوع؛ انه يؤثر التمرکز في مستوى اكثر اتساعاً: فالموضوع يدور حول احداث اجراها الله من خلال رسالة يسوع، كما من خلال الشهادة الرسولية.

وهكذا يصف لوقا، عبر السمات الاربع المذكورة اعلاه (معلومات دقيقة عن كل الامور منذ البدايات، من اجل كتابة رواية متواصلة)، ما يقوم عليه مشروعه. لقد كان حريصاً على الاصغاء بدقة الى التقليد الكنسي لكتابة قصة مرتبة. وليس المقصود من هذه الاشارة الاخيرة، اولاً، ترتيباً زمنياً؛ وانما تدلل بالاحرى على ان المؤلف يُبهر الطريقة التي يقود الله بها، حدثاً بعد حدث، مخططة الخلاصي في التاريخ. ومما لا ريب فيه، هو ان لوقا همّاً تاريخياً؛ غير اننا، إذ نعرف مؤلفات المؤرخين اليونان واللاتين المعاصرين له، يترتب علينا تحاشي إسقاط المفهوم العصري للبحث التاريخي على المشروع اللوقاوي.

كل ما كتبه لوقا اهداه الى تاوفيلس المكرم، وهو مهتد من اصل وثني كانت له مكانه هامة في الادارة الرومانية. اما الهدف الذي يسعى اليه لوقا -اقناع المتعلم بقوة التعليم الذي تلقاه- فيكشف عن خطة كنسية واضحة.

والمفتتح هو بلغة يونانية لافتة. والمفارقة تتجلى واضحة مع "انجيل الطفولة" الذي سيليه. فلكي يدلل لوقا بان الاحداث المعاصرة التي يرويها توصل التاريخ المقدس، نراه يستخدم ريشة اخرى، مقتدياً بأسلوب الترجمة اليونانية للكتاب المقدس والمسماة "السبعينية". (يكفي ان نتخيل لحظة الكاتب جان لاکوتير يقلد بوسوييه للحديث عن طفولة ديغول!). هناك اقتداءات في الاسلوب مليئة بالمعاني! ولكي نفهم لوقا، علينا ان نعلم ايضا بانه، في العالم الهيليني في زمانه، لم تكن هناك مصداقية الا للامور "القديمة"، بينما تحوم الشكوك حول مصداقية الامور "الجديدة". وهناك ما هو اعظم: لقد قدّمت الترجمة السبعينية للانجيلي، بالاكثر، المفردات وطرق التفكير التي مكنته من التعبير عن الحدث، يسوع المسيح.

انجيل طفولة يسوع

(لو ١: ٥-٢: ٥٢)

يتعلق "انجيل الطفولة" في الواقع بطفلين وليس بواحد؛ ولكنه في الوقت ذاته، يقتصر على البشارة بولادتهما بحدوث هاتين الولادتين، وما يتبعهما على الفور (ختانة في اليوم الثامن، وحتى تقدمته الى الهيكل في يوم الاربعين). اما طفولتهما وفتوتهما، فستكونان موضوع موجزات قصيرة (لو ١: ٨٠؛ ٢: ٤٠)، مع التأكيد على نموّهما؛ الا ان هناك استثناء: رواية عن يسوع في الثانية عشرة من عمره، تلاها موجز جديد بشأن تقدّمه في الحكمة والقامة... (٢: ٥٢).

والمجموع يتألف من سبعة مشاهد، مبنية كلها على نمط واحد: الزمن، المكان، دخول الشخصوس الى المسرح، حوار او نشيد يوحى من خلاهما دور يوحنا او يسوع في تاريخ الخلاص، وبالتالي خروج الشخص او الشخصوس. هناك بعض المشاهد تتنادى: ملاك يبشر زكريا بمولد يوحنا، ومن ثم يبشر مريم بمولد يسوع. ونقرأ من ثم، وبشكل متتال، رواية هاتين الولادتين والختانتين اللتين تليهما. ويبدو مشهد التقدمة الى الهيكل وكأنه، لاول وهلة، يخرج عن هذا التوازي؛ ولكنه في الواقع يصبح الفرصة لتحلي يسوع -وهو مشهد تم، بالنسبة الى يوحنا، ابان الختانة. فلوفا يقدم لنا، اذن، في موازاة، مدار يوحنا ومدار يسوع، فيما يتيح مشهد الزيارة اللقاء بين الامين والطفلين المزمعين ان يولدا، ويحقق بالتالي التقاء المدارين. واللوحة الوحيدة التي تبقى معزولة تماما هي صعود يسوع الى الهيكل في عمر الثانية عشرة.

أ. البشارة بالولادتين

١. بشارة زكريا (لو ١: ٥-٢٥) ٢. بشارة مريم (لو ١: ٢٦-٣٨)

٣. زيارة مريم لاليصابات (لو ١: ٣٩-٥٦)

نشيد مريم

ب. الولادتان، الخائنان وتجلي الطفلين

٤. ولادة وختانة وتجلي يوحنا

٥. ولادة وختانة يسوع

نشيد الملائكة (لو ٢: ١-٢١)

٦. تجلي يسوع في الهيكل

نشيد سمعان (لو ٢: ٢٢-٤٠)

نشيد زكريا

٧. يسوع في الهيكل في الثانية عشرة (لو ٢: ٤١-٥٢)

يجب ملاحظة المعطيات الطبوغرافية (ما يتعلق بالمكانة). فمسار يوحنا يبدأ في هيكل اورشليم حيث تلقى ابوه البشرى وهو يمارس الخدمة؛ وبعد ان كبر في جبل اليهودية (١: ٣٩، ٦٥)، ذهب للعيش في البرية (١: ٨٠). وعلى العكس؛ فان مسار يسوع، وقد بدأ بشكل وضيع، في مدينة مغمورة من الجليل (١: ٢٦)، ومرّ بمدينة داود، ليقوده، على دفعتين، الى الهيكل (٢: ٢٧، ٤٦).

اما الاشارات الزمنية، فهي عديدة ودقيقة الى حد كبير. واذا استثنينا رواية الآلام والقيامة، قلما نجد لوقا سخيا يمثل هذه المعطيات في مواضع اخرى من انجيله (راجع مع ذلك لو ٣: ١-٢). وهذه الاشارات تجعل الاحداث ذات صلة بالتاريخ المدني الذي ينتمي اليه الملك هيرودس (١: ٥) والامبراطور اوغسطس والحاكم قيرينيوس (١: ٢)؛ كما انها تربط المشاهد ببعضها وتضع الطفلين في علاقة، احدهما بالآخر: فالجبل بيسوع يتم ستة اشهر من بعد الجبل بيوحنا (١: ٢٦). وهناك اشارات زمنية اخرى تتعلق بالتمسك بشريعة موسى: فالختانة تجري بعد ثمانية ايام (١: ٥٩؛ ٢: ٢١) وطهور الام (٢: ٢٢) يتم اربعين يوما بعد ولادة الصبي (٢: ١٢-٤). ومن النافل ان نوضح بان تسعة اشهر تفصل بين البشارة إلى مريم عن الميلاد. ويصبح المجموع ٤٩٠ يوما؛ وهذا يعني ان ٧٠ اسبوعا تمضي بين بشرى الملاك جبرائيل إلى زكريا وبين تقدمه يسوع الى الهيكل. وسيترتب علينا ان نعود مجددا الى هذا الرقم.

بخلاف الفصلين الاولين من انجيل متى، لا يبيّن لوقا نصه حول مراجع واضحة من الاسفار المقدسة؛ ولا نكاد نجد سوى مرجع واحد في ٢: ٢٣-٢٤. ومع ذلك، فان العهد القديم مائل دوما في خلفية الفصلين الاولين. واذا توجب علينا اليوم ان نقوم ببحث لاكتشاف المراجع الضمنية، فلقد كانت هذه المراجع واضحة بالنسبة الى يهود او الى مسيحيين من القرن الاول الذين كانوا يعرفون، عن ظهر قلبهم، فصولا كاملة من الكتاب

ماذا يعني الاستشهاد بمرجع...

في رسالة لمدام دي سيفيني (Madame de Sévigné) الى ابنتها، حكّت زيارتها الى احد النبلاء، اثر انزعاجها من بناته (٢٣ ايار ١٦٧١)، بهذه العبارات: "وجدت الفتاتين الصغيرتين مقبتي الحاحب، والحزن على سيمائهن، مع نيرة شرسة. فقلت: لا بد ان هاتين الفتاتين هما لصديقنا. فلتهرب منهما. مع ان موائدنا ليست موائد خفيفة. فاني لم اجد قط نظير هذه الماكولات، ولا اطيب من هذا المنزل".

يصعب، على ما يبدو، ان نفهم رسالة المركيزة، الا اذا استنارت بقصة من لافونتين (La Fontaine) في "النسر والبوم" التي ظهرت لثلاث سنوات خلت:

"ولح النسر المغامرة [...]"

هناك مسوخ صغيرة في غاية القبح

مقنطة، مع امارات الحزن، ونيرة شرسة.

فقال النسر: هؤلاء الصغار ليسوا لصديقنا؛ فلنطحنها

وما هي سوى نصف خطوة،

ولم تعد مائدته خفيفة" (٥: ١٨)

وهكذا، ففي حضارة يعرف الناس فيها النصوص عن ظهر القلب، يصبح المرجع الضمني طريقة مألوفة للتعبير. وهو يتيح بشكل خاص "ان يقول المرء بألفاظ مستورة ما لا يجروء على ان يقوله بعبارات مباشرة: وهكذا، فان ابنتي المركيز لافاردان (Lavardin)، في نظر مدام سيفيني، بالرغم من انه اكثر المضيفين سخاء، هما مسوخ صغيرة في غاية القبح" (ر. لورنتان).

ان الفصلين ٢-١ من لوقا يلمحان غالبا الى نصوص من العهد القديم: فما يحدث، يعبر عنه بكلمات من الماضي. فكما في المثل اعلاه، ليس المرجع الضمني طريقة حيادية في التعبير، انها توحى بافكار لا تفسح عنها. الا ان المفسرين يختلفون بشأن مدى التلميحات. اليكم مثلين: حين يؤكد الملاك بان قدرة العلي تظل مريم (لو ١: ٣٥)، ألا يلمح الى سفر الخروج ٤٠: ٣٥؟ واذا كان الامر كذلك، فمعناه ان مريم اصيحت شبيهة بخيمة الموعد، اي المكان الذي يحضر فيه الرب، بشكل فاعل، لشعبه في البرية. ولكن اليس الاخرى ان نقراً، في الآيات ٢٨-٣٣ من انجيل لوقا، تلميحات الى نبوة صفنيا ٣: ١٤-١٧، ونرى بالتالي، في مريم ابنة صهيون، رمزاً لمسيحانية اسرائيل؟

...وماذا عن "القراءة النموذجية"

ان كلمة "نموذج" (type) تعني باليونانية الطبعة التي تركها الخطوة على الرمل الرطب، والبصمة التي يخلفها الختم على شمع طري، ومن هنا جاء معنى "الشكل"، "النموذج"، "الصورة"، كما حين نتكلم اليوم عن نقد ضرب لصورة فيصر او لكتابة... فالقراءة "النموذجية" (typologique) تتخذ شخوصا او مؤسسات من العهد القديم، وترى فيهم صورة او ملامح مسبقة لشخص من الرواية الانجيلية، وبالاخص ما يتعلق بالمسيح.

"انه يعكس بالتمام ملامح جدته!" هذا ما يقال احيانا عن حفيد، فمن يعرف الجدة ("النموذج") بوسعه ان يستشف شيئاً من الوجه او الطباع التي سيجملها هذا الحفيد بعد خمسين عاما. ومع ذلك، فان هذا الحفيد الصغير سيبقى مختلفاً عن جدته! وفي هذه الحالة، فان "النموذج" -وهو هنا الجدة- ينير ما سيكون في المستقبل "تحقيق" ذاك النموذج. الا ان

العكس صحيح ايضا. فالمرأة، التي ستقترن، بعد وفاة الجدة، بهذا الصبي الذي اصبح بالغا، سيكون بوسعها ان تتخيل ماذا كانت عليه الجدة... وهكذا الحال مع لوقا: فما قاله سفر التكوين عن ابينا ابراهيم ينير شخص زكريا، والد يوحنا المعمدان، وما يقوله الكتاب المقدس عن اسحق او عن ايليا النبي، فانما يطلعنا شيئا عن يسوع. ولكن حين يتحدث بولس عن المسيح، بصفته آدم الثاني او الاخير، ذلك ان معرفة يسوع تتيح لنا ان نكون فكرة عن آدم الاول!

و فوق ذلك، تتضمن القراءة النموذجية المسيحية سمة فريدة: فان شخوص العهد القديم هم بمثابة الطبعة التي تخلقها الخطوة التي تأتي بعدهم. ونفهم من ذلك ان يسوع الذي يحقق "النموذج" هو الشخص الرئيس، انه الحقيقة التي يبدو نموذج العهد القديم بمثابة ظل لها.

المقدس. لذا سترتب علينا ان نبحت عن المراجع الرئيسة ونكشف عما كان لوقا يريد ان يفهمنا اياه عبر هذه الطريقة.

بشارة زكريا بيوحنا المعمدان (١: ٥- ٢٥)

- ٥ كان في أيام هيرودس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا من فرقة أبيسا، له امرأة من بنات هارون اسمها أليصابات،
- ٦ وكان كلاهما باراً عند الله، تابعا جميع وصايا الرب وأحكامه، ولا لوم عليه.
- ٧ ولم يكن لهما ولد لأن أليصابات كانت عاقراً، وقد طعنا كلاهما في السن.
- ٨ وبينما زكريا يقوم بالخدمة الكهنوتية أمام الله في دور فريته،
- ٩ أُلقيت القرعة جرياً على سنة الكهنوت، فأصابته ليدخل مقدس الرب ويحرق البخور.
- ١٠ وكانت جماعة الشعب كلها تُصلي في خارجه عند إحراق البخور.
- ١١ فترأى له ملاك الرب قائماً عن يمين مذبح البخور.
- ١٢ فأضطرب زكريا حين رآه واستولى عليه الخوف.
- ١٣ فقال له الملاك: ((لا تخف، يا زكريا، فقد سمع دُعَاؤُكَ وستلد لك امرأتك أليصابات ابناً فسّمه يوحنا.
- ١٤ وستلقى فرحاً وابتهاجاً، ويفرح بمولده أناس كثيرون.
- ١٥ لأنه سيكون عظيماً أمام الرب، ولن يشرب خمراً ولا مسكراً، ويمتلئ من الروح القدس وهو في بطن أمه،
- ١٦ ويرد كثيراً من بني إسرائيل إلى الرب إلههم
- ١٧ ويسير أمامه وفيه روح إيلياً وقوته، ليعطف بقلوب الآباء على الأبناء، ويهدي العصاة إلى حكمة الأبرار، فيعد للرب شعباً متأهباً)).

- ١٨ فَقَالَ زَكَرِيَّا لِلْمَلَائِكَةِ: ((بِمَ أَعْرِفُ هَذَا وَأَنَا شَيْخٌ كَبِيرٌ، وَامْرَأَتِي طَاعِنَةٌ فِي السِّنِّ؟))
- ١٩ فَجَابَهُ الْمَلَائِكَةُ: ((أَنَا جِبْرَائِيلُ الْقَائِمُ لَدَى اللَّهِ، أُرْسِلْتُ إِلَيْكَ لِأُكَلِّمَكَ وَأُبَشِّرَكَ بِهَذِهِ الْأُمُورِ
- ٢٠ وَسَتَظَلُّ صَامِتًا، فَلَا تَسْتَطِيعُ الْكَلَامَ إِلَى يَوْمٍ يَحْدُثُ ذَلِكَ، لِأَنَّكَ لَمْ تُؤْمِنْ بِأَقْوَامِي وَهِيَ سَتَيْتُمْ فِي أَوَانِهَا)) .
- ٢١ وَكَانَ الشَّعْبُ يَنْتَظِرُ زَكَرِيَّا، مُتَعَجِّبًا مِنْ إِبْطَائِهِ فِي الْمَقْدِسِ،
- ٢٢ فَلَمَّا خَرَجَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ، فَعَرَفُوا أَنَّهُ رَأَى رُؤْيَا فِي الْمَقْدِسِ، وَكَانَ يُخَاطِبُهُمْ بِالْإِشَارَةِ، وَبَقِيَ أَحْرَسًا .
- ٢٣ فَلَمَّا انْقَضَتْ أَيَّامُ خِدْمَتِهِ انصَرَفَ إِلَى بَيْتِهِ .
- ٢٤ وَبَعْدَ تِلْكَ الْأَيَّامِ حَمَلَتْ امْرَأَتُهُ أَلْيَصَابَاتَ، فَكَتَمَتْ أَمْرَهَا خَمْسَةَ أَشْهُرٍ وَكَانَتْ تَقُولُ فِي نَفْسِهَا:
- ٢٥ ((هَذَا مَا صَنَعَ الرَّبُّ إِلَيَّ يَوْمَ نَظَرَ إِلَيَّ لِئُزِيلَ عَنِّي الْعَارَ بَيْنَ النَّاسِ)) .

اختار لوقا ان يبدأ مؤلفه بوضع الكاهن زكريا على المسرح في الهيكل . لقد كان بوسعه ان يبدأ، على سبيل المثال، بمشهد لمريم تظهر فيه وهي تصلي مع نساء الناصرة، ويشدد من ثم على ان خالتها الیصابات (راجع ١: ٣٦) كانت عجوزا وعاقرا... الا انه، وبشكل مقصود، يسلط الضوء على اورشليم وهيكلها، وعلى انتظار شعب برمته. ماذا يريد ان يقول؟

هناك اوجه عديدة من المشهد تعيدنا الى الماضي، الى روايات من العهد القديم تحكي قصص بشارات بولادات تبدو مستحيلة: ظهور ملاك الرب، الخوف البشري ازاء تجل الهي، الرسالة السماوية التي يرافقها اعتراض او طلب علامة، واخيرا اليقين الذي ترافقه علامة من ان كل شيء سيجري كما قيل. وان مثل هذا النموذج الادي نجده مسبقا لدى الحبل باسماعيل (تك ١٦: ٧-١٣)، واسحق (تك ١٧-١٨) وشمشون (قض ١٣)؛ وها هو الآن يعاد استخدامه في المشهد التالي، لدى بشارة مريم. لنلاحظ باننا في روايات "العهد القديم"، كما في البشارتين بحسب لوقا، بصدد حوارات يتخذ فيها العنصر المركزي صيغة الوحي. وبخلاف ما يحدث حين يستولي فن الايقونة على هذه النصوص، نرى ان الجانب المرئي هو في مستواه الضروري الاقصى: انه بمثابة الاسناد للرسالة حسب.

وبالاضافة الى ذلك، تلمح الرواية بوضوح الى ابراهيم وزوجته سارة: يضاف التقدم في العمر الى العقر (تك ١٦-١٧). فعلى مثال ابراهيم (تك ١٥: ٨)، طلب الكاهن الشيخ علامة: "كيف اعلم؟". ولماذا اعتبر الملاك ان زكريا، بطرحه السؤال عينه الذي

طرحه "ابو المؤمنين"، قد دلل على عدم ايمانه؟ فلأنه، بالتحديد، يعرف مسبقا، عبر الاسفار المقدسة، بان الشيخوخة والعقر ليسا عقبتين بوجه الله الذي سبق ان اعطى اولادا للآباء. وتجدر الملاحظة ايضا الى ان هناك رجلا بارا، لا لوم عليه، منذ بداية الرواية، نقصه الايمان؛ ونستشف ان هذا سيتكرر على مدى الرواية...

حينئذ يظهر ملاك الرب: جبرائيل. وهذا الاسم يكشف لذكريا عن مهمة الرسول السماوي الحاسمة. هو اقل اهمية من ميخائيل، وقد ورد اسمه فقط في العهد القديم، في دا ٨-٩، الا ان له في الواقع "اختصاصاً": فلقد فسّر لدانيال نبؤة ارميا المتعلقة بنجاة اسرائيل في غضون ٧٠ اسبوعا من السنين (ار ٢٥: ١١-١٤، واليه يلحم دا ٩: ٢). انه الملاك الذي يعطي العلامة على الازمنة المسيحانية؛ وينبئ بان الخلاص الحاسم الذي انتظره اسرائيل سوف يتم. اما موضوع "اتمام" المواعيد الالهية، فهو من الاهمية بمكان حتى ان كلمة (او فعل) "اتم" وردت سبع مرات في لو ١-٢. وفي ١: ١، ٢٠، وبشكل واضح جدا، ولكن ايضا في آيات قد لا تدعنا الترجمة نستشفها، يجري الكلام عن زكريا بشأن ايام تمت (٢٣: ١)، وعن وقت حان او عن ايام حانت كان يترتب على اليصابات وعلى مريم ان تضعها (١: ٥٧؛ ٢: ٦)؛ كما عن ايام حانت للختانة، وعن ايام حانت للظهور (٢: ٢١، ٢٢). ليست نبؤة الـ ٧٠ اسبوعا من السنين تتحقق في غضون ٤٩٠ يوما، وهي الـ ٧٠ اسبوعا التي تفصل بين المشهد الحالي ومشهد تقدمه يسوع الى الهيكل؟

نحن بازاء اتمام الخلاص الذي يتوق اليه كل الشعب الذي كان منتظرا في الخارج؛ فعلى المدى القصير، كان الشعب ينتظر ان يخرج الكاهن ويمنحه البركة الالهية (سي ٥٠: ٢٠؛ راجع عد ٦: ٢٤-٢٦)؛ شعب كان يصلي - كما سيفعل يسوع قبل كل الاوقات الحاسمة التي ستروى في تنمة السفر. الا ان الكاهن الذي اصبح ابكم، لم يعد بوسعه ان يعطي البركة. اما الشعب، فاذا كان يجهل اسم الملاك ومضمون رسالته الموجهة الى زكريا، غير انه يعلم بالمقابل، وبشكل مضاعف، بان وحيها قد جرى: الى جانب علامة الصمت، تضاف اشارات الكاهن.

فمن اجل هذا الشعب اعطى الله ابنا لزوجين من سبط كهنوتي كانا عاجزين عن انجاب طفل. ولقد اختار له ابا من بين اعضاء صغار الكهنة الفلاحين - بخلاف الاسر الاورشليمية التي تملك زمام الكهنوت الرفيع - الذين لم يكونوا يصعدون الى الهيكل الا خمسة عشر يوما في السنة. اما المبادرة الالهية، فهي تدرج عبر اسم الطفل: يوحنا (يوحانان) ومعناه "الرب يتحنن" - ولا يعطي لوقا لقرائه معنى اسمه. ولكنها حاضرة ايضا عبر القرعة التي عينت زكريا لتقدمة البخور (راجع القرعة التي اجرى لاختيار متيا كي

يتخذ مكانه بين الاثني عشر في رسل (٢٦:١). وهكذا تمت البشارة ببوحنا في المقدس، في غمرة الاحتفال الليتورجي.

والرسول السماوي يحدد وضع يوحنا تجاه الله، كما تجاه العديد من بني اسرائيل. سيكون عظيماً، كما سيكون "نذيراً"، اي انسانا مكرسا لله من اجل خدمة العبادة، وبالتالي خاضعا لقواعد دقيقة - الامتناع عن الخمر (انظر عد ٦: ١+). ذلك هو وضع الولد المرتقب وفق وعد قطعته حنة العاقر التي كانت على وشك ان تلد صموئيل النبي (اصم ١: ١١). واذا كان يوحنا ممتلئا من الروح القدس، وهو في بطن امه، ومن ثم مكرّسا، فلكي يعيد الشعب الى الله، اي الى قداسته بالذات؛ ولن يتم ذلك بممارسة العبادة. ذلك ان يوحنا يندرج بشكل واضح في خط ايليا النبوي؛ ورسالته تكمن في ان يكون نبي الاهتداء، يُعيد شعبا بوسعه ان يلتقي الله. وفي الآيتين ١٦-١٧ يعبر الملاك عن ذلك بالعودة الى سفر ملاحي ٣: ١، ٢٣-٢٤، وهو قول نبوي كان حاسما في التقليد السابق للوقا (راجع مر ١: ٢) لوصف يوحنا المعمدان: فالساعة الاخيرة، الساعة الاسكاتولوجية، قد اتت، وهوذا الله يبعث نبيه، سابقا، كي يصلح بين الاهل والاولاد ويدعو كل واحد الى ان يلتفت (يهتدي) نحو الرب الآتي.

في هذه الرسالة الموصوفة بالبشرى السارة في الآية ١٩، يحذر الملاك كثيرا من ان يتكلم بوضوح عن المسيح؛ وهوذا زكريا يتلقى الخبر بان ابنه سيكون النبي السابق لله ذاته، الا انه يجهل كيف ستجري الامور. ويخيم الصمت بشأن يسوع بشكل مطلق. وفي تنمة الرواية (٧: ٢٧)، فيما يكيّف يسوع المرجع من ملاحي ٣: ١، يطلعننا بان يوحنا هو سابقه، وانه هو ذاته بالتالي الرب... اما الآن، فنحن لسنا سوى في الفصل الاول!

من بعد اعتراض الكاهن، هوذا الملاك جبرائيل يعطي علامة تعاقب على عدم ايمانه: ويجد زكريا نفسه ابكم لفترة مؤقتة، حتى يعترف بمصداقية الرسالة السماوية، حين يعطي لابنه الاسم الموحي. وجواب الكاهن النهائي لا يمكنه ان يكون سوى صمت مفروض عليه. انه يترك المقدس، وفي غضون بضعة ايام يعود الى مسكنه في جبل اليهودية (آ ٣٩). وبعد عودته يتحقق الوعد؛ وكما هي الحال بالنسبة الى سائر الروايات البيبيلية بشأن الولادة العجيبة، يرفع الله العقر عن البصابات وتصبح حاملا من زوجها. اما صمت البصابات التي تختفي عن الانظار، فهو ذو اهمية للمقطعين التاليين.

حبل مستحيل ...

تنتمي ولادة يوحنا المعمدان الى موضوع مألوف في الكتاب المقدس وقديم جدا: ولادات عجيبة. فمنذ ولادة اسحق (تك ١٨: ١٥-٢١: ٣)، ويعقوب وعيسو (تك ٢٥: ٢١)، ويوسف وبنيامين (راجع تك ٢٩: ٣١-٣٠: ٢٤)، وشمشون (قض ١٣: ٢-٢٤) وصموئيل (اصم ١)، يجري الحديث عن عقر الام، وفوق ذلك، تبدو الام قد هرمت وشاخت (تك ١٨: ١٣-١٢). وحينذاك يرفع الله عن المرأة عقرها، ويكون بمقدورها ان تحبل بطفل من زوجها. فالنص يتحدث عن الاولاد وليس عن سارة ورفقة وراحيل وزوجة منوح وحنة واليسابات. ونجد هنا ولا شك المبدأ الاساسي الذي بموجبه يكون الله دوما في اساس الحياة (انظر تطبيقا لذلك في تك ٢٩: ٣١). الا ان الكتاب المقدس يحمل ايضا تأكيدا من مستوى آخر: اذا كان الاشخاص المخلصين الذين يحتاج اسرائيل اليهم قد أفرزوا الى حد ما من الشعب وخرجوا منه، غير انهم ايضا، وبشكل اكثر عمقا، عطايا الله لشعبه.

... وحبل بتولي

اما الحبل البتولي، فهو غير معروف في العهد القديم ويثير سؤالين: ما المقصود به؟ وماذا يعني؟

نبوة اشعيا الشهيرة ٧: ١٤ تشير بوضوح، في الترجمة اليونانية او السبعينية -وقد اوردها متى ١: ٢٢، وهي ملتصقة بـ لو ١: ٣١- إلى العذراء التي ستحمل وستلد ابنا. ولكن كلمة "عذراء" بالتحديد، في السبعينية، بوسعها ان تعني شابة اغتصبت للحال (تك ٣٤: ٣) او تعني مدنا ومناطق: اورشليم، العذراء، ابنة صهيون (اش ٣٧: ٢٢)، العذراء، ابنة يهوذا التي تبكي بنيتها وتندب كيف خانها محبّوها (مرا ١: ١٥-١٦). فالترجم اليوناني لنص اش ٧: ١٤ لم يكن يعتقد، اذن، انه يبتعد عن النص العبري الذي كان قد وضع على المسرح امرأة شابة، سواء كانت متزوجة ام لا، ولكنها لم تصبح اما.

فاذا كانت النصوص الرايبينية لا تجهل الفكرة التي بموجبها تكون العذراء هي المرأة التي لم تكن لها علاقة جنسية، غير انها تقدم ايضا استخداما آخر: العذراء هي المرأة التي لم تعرف الحيض بعد. لقد كان رابي اليعازر بن هيرقانوس (حوالي عام ٩٠-١٣٠) يعلم هكذا: "اسمي عذراء تلك التي لم تر الدم قط، حتى وان كانت متزوجة وكان لها اولاد، والى ان تكون قد رأت الظهر الاول لدم الحيض" (توسفتا، نيدا ١: ٦). فالشابة التي زوجت وهي غير بالغة، بوسعها ان تصبح حاملا مع اول تلقيح للبيض، وقبل بدء الحيض لديها.

ان مثل هذا التصور -وهو سمة في اليهودية الفلسطينية- ليس، من دون اي ريب، تصور لوقا. فهو، باستخدامه كلمة "عذراء"، اراد ان يشير الى غياب العلاقات الجنسية، طالما ان مريم قالت: كيف يكون هذا ولا اعرف رجلا؟ (٣٤: ١). وبالإضافة الى ذلك، يروي لوقا امومتين، الواحدة تلو الاخرى، وهما مستحيلتان على المستوى البشري: ففي منطلق لوقا ٢١، تصبح بتولية مريم امرا اكثر سموا بالمقارنة مع عقر اليسابات العجوز.

وهكذا يبدو الحبل البتولي حالة قصوى من حالات الولادات العجيبة. انه، قبل كل شيء، موضوع كريستولوجي (يتعلق بلاهوت المسيح). فهو يعلن ان يسوع هو هبة الأب العظمى، إذ ليس البشر هم الذين يمنحون انفسهم المخلص الذي يحتاجونه. فيسوع، بشر ولد من مريم، الفتاة التي من جنسنا، ولكنه مع ذلك ليس ثمرة تاريخ بشري؛ وانما هو ثمرة العمل الالهي، وهو ابن الله.

بشارة مريم بيسوع (٢٦:١-٣٨)

- ٢٦ وفي الشهر السادس، أرسل الله الملاك جبرائيل إلى مدينة في الجليل اسمها الناصرة،
 ٢٧ إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف، واسم العذراء مريم.
 ٢٨ فدخل إليها فقال: ((إفرحي، آيتها الممتلئة نعمة، الرب معك)) .
 ٢٩ فدخلها لهذا الكلام اضطراباً شديداً وسألت نفسها ما معنى هذا السلام.
 ٣٠ فقال لها الملاك: ((لا تخافي يا مريم، فقد نلت حظوة عند الله.
 ٣١ فستحملين وتلدن ابناً فسميه يسوع.
 ٣٢ سيكون عظيماً وابن العلي يدعى، ويؤليه الرب الإله عرش أبيه داود،
 ٣٣ ويملك على بيت يعقوب أبداً الدهر، ولن يكون لملكه نهاية))
 ٣٤ فقالت مريم للملاك: ((كيف يكون هذا ولا أعرف رجلاً؟))
 ٣٥ فأجابها الملاك: ((إن الروح القدس سيترل عليك وقدره العلي تظللك، لذلك يكون
 المولود قدوساً وابن الله يدعى.
 ٣٦ وها إن نسيبتك أليصابات قد حبلت هي أيضاً بابن في شيخوختها، وهذا هو الشهر
 السادس لتلك التي كانت تدعى عاقراً.
 ٣٧ فما من شيء يعجز الله)) .
 ٣٨ فقالت مريم: ((أنا أمة الرب فليكن لي بحسب قولك)) .
 وانصرف الملاك من عندها.

تبدو بشارة مريم موازية للبشارة الى زكريا ولم يستوح لوقا هذا الاسلوب من الكتاب المقدس -وهو غير معروف فيه- وانما من الادب الهيليني. فالكتاب اليوناني بلوتارك كان قد نشر سيراً موازية تشكل ٢٣ زوجاً من روايات السيرة؛ وفي كل سيرتين، يضع في الميزان يونانيا الى جانب روماني، لكي يبين بانه بالرغم من عظمة الروماني، يبدو اليوناني اعظم منه بقليل... والاسلوب الادبي الذي تبناه لوقا يحملنا للحال على البحث عن الفروقات اكثر منها عن التشابهات، بهدف تبيان اي من الاثنين اعظم من الاخر. وسيسمح لنا الجدول ادناه بصدد البشارتين، بملاحظة المسافة الموجودة بين يسوع ويوحنا.

لا يجري المشهد دون شك في الاطار الرائع للهيكل، وانما، بكل بساطة، في مدينة من الجليل، وفي منزل خاص. ومع ذلك، كان على الرسول السماوي، هذه المرة،

ان ينتقل ويدخل عند مريم (آ ٢٨) ثم يخرج (آ ٣٨). اما أن توجه البشرى الى الام العتيدة وليس الى الاب، فتلك مفارقة! ولكنها لا تحمل في حد ذاتها كسفا خاصا: هناك نماذج من العهد القديم تضع المرأة اولا على المسرح. الا ان ما يبدو ذا معنى كبير، هي بتولية مريم. فاليصابات، بعبطية من الله، تحبل بابن من زوجها؛ اما مريم، فقد كانت **مخطوبة** (مهيأة للزواج)، ولم تبدأ بعد حياتها المشتركة مع يوسف، وسوف تحبل من دون علاقة. وهكذا، فيما بدت ولادة يوحنا مدهشة، تبدو ولادة يسوع اكثر دهشة.

وتعكس بتولية مريم ايضا فرقا كبيرا في جدول البشارتين. فالمرأة الشابة تعترض على الرسالة السماوية بطرح سؤال شبيه بسؤال الكاهن: "**كيف يكون هذا ولا اعرف رجلا؟**". الا ان الملاك، هذه المرة، لن يرى فيه قلة إيمان قط؛ انه يجيب الى السؤال دون ان يلوم، ويعطي مريم علامة هي على العكس من العلامة التي تلقاها زكريا، ولا تعتبر بالتالي عقابا: نسبيتك حبلى. ذلك ان مريم هي بازاء وضع جديد جذريا في الكتاب المقدس الذي لم يورد حبلًا دون علاقة جنسية، في حين كان زوج اليصابات يعرف جيدا قصة ابراهيم الشبيهة جدا بقصته. وهكذا نرى ان البشارتين المتوازيتين تختلفان هنا، وان الصمت المفروض على الكاهن يقابله قبول هادئ من لدن امة الرب التي تخضع للكلمة، ومن ثم، تتحقق الكلمة. وستسمى مريم من جديد **خادمة** في ١: ٤٨ - وهي مفردة يستخدمها لوقا في امكنة اخرى للدلالة الى اعضاء الكنيسة (رسل ٢: ١٨؛ ٤: ٢٩؛ ١٦: ١٧).

والتحية التي وجهها الملاك الى مريم (آ ٢٨) تعتبر لفتة "اعظم" لا مثيل لها في البشارة الى زكريا. "**السلام عليك، ايها الممتلئة نعمة! الرب معك!**" فالله يشمل الشابة بعنايته حين يختارها لتكون أمًا للمسيح - وهذا ما لم تعرفه بعد. اما صيغة "الرب معك"، فقد وجهها ملاك الرب حين ظهر لجدعون (قض ٦: ١٢): ذلك ان الله يؤمن حمايته لذلك الذي يدعوه الى مهمة ما. ومن هنا، جاء اضطراب مريم في الآية التالية، وراحت تتساءل عن الامر. وحين سيتكلم المرسل عن ولادة ابن الله (آ ٣٥)، فحينئذ فقط ستعرف مريم انما **ام الرب** (راجع ١: ٤٣). وهكذا ستتخذ صيغة التحية، وبشكل مسبق، اطارا مختلفا جدا للقارئ.

اما اسم الملاك، فقد تلقاه القارئ منذ البداية: **جبرائيل**، كما في المشهد السابق. وان ارسال الملاك الى زوجة رجل من بيت داود يوحي باكتمال الوعد المسيحي؛ الا ان مريم تجهل هوية المرسل - وهذا ما يشدد بالاكثر على الايمان الذي تمنحه لكلماته.

والرسالة السماوية التي تتعلق بالطفل المزمع ان يولد هي على مرحلتين، يفصلهما سؤال مريم. **فالمرحلة الاولى (٣٠١-٣٣)** تصف مهمة يسوع (سيكون عظيما وسيملك)، مستقبة مما يقوله العهد القديم في المسيح الداودي. وهذه الولادة تتم نبؤتين هامتين، بالنسبة الى كنيسة لوقا كما الى كنيسة متى. الاولى هي نبؤة اش ٧: ١٤ (آ ٣١). وكما ورد في النص العبري لهذه الآية، هي الأم التي تعطي الاسم للطفل: يسوع، "الرب يخلص"؛ ولا يعطي لوقا ترجمتها لقرائه، وانما يضيفي على الطفل لقب **المخلص** في ٢: ١١. اما النبؤة الثانية فهي قول نبوي لناثان يعلن الله من خلاله: "وهو يكون لي ابنا... وعرشك يكون راسخا للابد" (٢صم ٧: ١٤، ١٦)؛ لذا فالطفل المولود سيكون، في الوقت ذاته، ابن داود وابن العلي (آ ٣٢). الا ان الحبل البتولي يأتي ليحمل تصحيحا: سيكون يسوع ابن داود ويحصل على الملك، ولكن ليس من يوسف، وهو ذاته من بيت داود (آ ٢٧)، وانما بعبطية مجانية من الله.

ومريم تعترض بسبب وضعها الحاضر ابان البشارة وتطرح السؤال حول الكيفية. وهنا تأتي **المرحلة الثانية** من الرسالة (آ ٣٥-٣٧) لتنير اولا الحبل البتولي، ومن ثم تعطي الجواب الذي يعكس كريستولوجيا اكثر عمقا (آ ٣٥). فيسوع لن يكون فقط ابن العلي الذي يعطيه سلطة داود الملكية: يدعى ابن الله، لانه سيولد بقدرة الله الكلية عبر عمل الروح القدس. سيكون ابن الله لانه، إذ يتخذ اصوله من الروح القدس، سيكون قدوسا، اي مفرزا لله. وهذه الكريستولوجيا تضع فرقا اساسيا بين الولدين اللذين حُبل بهما بشكل عجيب. فيوحنا سيصبح السابق، ويسوع يصبح المسيح الداودي. وهناك ما هو اكثر: فيما كان حلول الروح على يوحنا قد جعل منه، وهو في بطن امه، نبيا فريدا من نوعه (راجع ٧: ٢٦)، سيجعل هذا الروح عينه من يسوع كائنا جديدا بشكل جذري عبر الرباط الذي يشده الى الله.

وتقدم الرسالة السماوية من ثم (آ ٣٦-٣٧) علامة على قدرة الله: ذلك ان حبل اليصابات بيوحنا يرجع بنا الى ما قاله الكتاب بصدد حبل سارة باسحق (تك ١٨: ١٤). وكما كان ذكر الشهر السادس (آ ٢٦، ٣٦)، وهكذا سيمكّن كلام الملاك من ربط دورة يوحنا بدورة يسوع: فالصابات هي نسيبة مريم. والمعلومة التي تلتقتها مريم هي وحي سماوي، طالما ان اليصابات ما زالت تخفي حبلها (١: ٢٤).

جدول البشارتين

يسوع			يوحنا
٢٧-٢٦ آ		تقديم اهل الطفلين	٧-٥ آ
	غير متزوجين	لا ينتظرون طفلا	عقر
٢٨ آ	-----	في اطار العبادة	١٠-٨ آ
٢٨ آ		ظهور الملاك	١١ آ
	٢٨ آ	تحية الملاك	-----
٢٩ آ		اضطراب المرء	١٢ آ
٣٣-٣٠ آ		الرسالة السماوية	١٧-١٣ آ
	٣٠ آ	دعوة الى عدم الخوف	١٣ آ
	٣١ آ	امرأة تحبل بابن	١٣ آ
	٣١ آ	الاسم الذي يعطى له	١٣ آ
	-----	سبب فرح لكثيرين	١٤ آ
	٣٣-٣٢ آ	دور الطفل	١٧-١٥ آ
٣٤ آ		اعتراض المرء	١٨ آ
٣٧-٣٥ آ		جواب الملاك	٢٠-١٩ آ
	٣٥ آ	كشف	١٩ آ
	٣٧-٣٦ آ	واعطاء علامة	٢٠ آ
٣٨ آ	قبول	زكريا - مريم	صمت مفروض
-----		دهشة الشعب	٢٢-٢١ آ
٣٨ آ	الملاك	خروج	زكريا
-----		اتمام الوعد	٢٥-٢٤ آ

الزيارة (٣٩:١-٥٦)

٣٩ وفي تلك الأيام قامت مريم فمضت مسرعة إلى الجبل إلى مدينة في يهوذا.

٤٠ ودخلت بيت زكريا، فسلمت على أليصابات.

٤١ فلما سمعت أليصابات سلام مريم، ارتكض الجنين في بطنها، وامتألت من الروح القدس،

- ٤٢ فَهَتَمَتْ بِأَعْلَى صَوْتِهَا: ((مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ ! وَمُبَارَكَةٌ ثَمَرَةٌ بِطَنِكَ !
- ٤٣ مِنْ أَيْنَ لِي أَنْ تَأْتِيَنِي أُمُّ رَبِّي؟
- ٤٤ فَمَا إِنْ وَقَعَ صَوْتُ سَلَامِكَ فِي أُذُنِي حَتَّى ارْتَكَضَ الْجَنِينُ ابْتِهَاجًا فِي بَطْنِي
- ٤٥ فَطَوْبِي لِمَنْ آمَنَتْ: فَسَيَتِمُّ مَا بَلَغَهَا مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ)).
- ٤٦ فَقَالَتْ مَرْيَمُ:
- ((تَعْظُمُ الرَّبُّ نَفْسِي
- ٤٧ وَتَبْتَهِجُ رُوحِي بِاللَّهِ مُخَلِّصِي
- ٤٨ لِأَنَّهُ نَظَرَ إِلَى أُمَّتِهِ الْوَضِيعَةِ. سَوْفَ تُهَنِّئُنِي بَعْدَ الْيَوْمِ جَمِيعُ الْأَجْيَالِ
- ٤٩ لِأَنَّ الْقَدِيرَ صَنَعَ إِلَيَّ أُمُورًا عَظِيمَةً: قُدُّوسٌ اسْمُهُ
- ٥٠ وَرَحْمَتُهُ مِنْ جِيلٍ إِلَى جِيلٍ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَهُ
- ٥١ كَشَفَ عَن شِدَّةٍ سَاعِدِهِ فَشَتَّتَ السُّمُوكِينَ فِي قُلُوبِهِمْ.
- ٥٢ حَطَّ الْأَقْوِيَاءَ عَنِ الْعُرُوشِ وَرَفَعَ الْوَضِعَاءَ.
- ٥٣ أَشْبَعَ الْجِيَاعَ مِنَ الْخَيْرَاتِ وَالْأَغْنِيَاءَ صَرَفَهُمْ فَارِغِينَ
- ٥٤ نَصَرَ عَبْدَهُ إِسْرَائِيلَ ذَاكِرًا، كَمَا قَالَ لِآبَائِنَا،
- ٥٥ رَحْمَتَهُ لِإِبْرَاهِيمَ وَنَسْلَهُ لِلْأَبَدِ)).
- ٥٦ وَأَقَامَتْ مَرْيَمُ عِنْدَ أَلْيَصَابَاتَ نَحْوَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ،
- ثُمَّ عَادَتْ إِلَى بَيْتِهَا.

لا غرابة ألا يكون لهذا المشهد ما يوازيه: وكان من نتيجة ذلك ربط الشركة بين دورة يوحنا ودورة يسوع. وان لقاء المرأتين الحاملين مكن من التقارب الفريد بين الطفلين المزمعين ان يولدا! وبالفعل، في البنية اللوقاوية، سيُلقي السابق في السجن قبل ان يأتي المسيح يسوع ليتلقى العماد (٢:٣-٢١).

ويظهر موضوع الرحلة، للمرة الاولى، في مؤلف يتنقل فيه الاشخاص بكثرة: ذلك ان الكلمة بدأت تشق طريقها، وجريها (بسرعة) سيذهب بها الى اقصى الحد، الى روما، وهي رمز لأقاصي الارض المسكونة (رسل ٨:١؛ ٢٨:٣٠-٣١). كما ان احتياج الروح النبوي في الیصابات هو اشارة الى ان الله يعمل؛ الا ان هذا التدخل الالهي بحاجة الى جعل الاشخاص يتواصلون ويفكرون؛ وهنا، كما في رسل ١٠، عبر لقاء بطرس مع قرنيليوس، يبدو اللقاء بين الاشخاص بمثابة كلمة.

ودور الشخصوص، ليس فيه، في الواقع، اي اثر للسلبية. فمريم التي تلقت التحية الملائكية، تنقلها بدورها؛ وهذا يحدث انطلاقة في مجرى الاحداث. وحين يدوي السلام في اذن اليصابات، هوذا الطفل المزمع ان يولد يرتجّ في بطنها فرحا. وهذا الطفل، وقد امتلأ من الروح القدس، كما كان الملاك قد اعلن من قبل (١: ١٥)، يستبق رؤية فجر الازمنة الجديدة، ويتنبأ، عبر ارتكاضه وليس عبر كلمات، معترفا، وفرح، بحضور ذاك الذي كان منتظرا في آخر الازمنة. واليصابات، وقد امتلأت من الروح النبوي، اصبحت قادرة ان تفكّ، بشكل تام، معنى ما يجري في احشائها؛ فهي لا تكتفي بالاعتراف بان مريم وثمره ما تحمله هما موضوع بركة الهية، وانما تقر ايضا بان نسيتها هي ام الرب؛ وهكذا عبّرت اليصابات بشفتيها ما اكده طفلها بارتكاضه من الفرح: فابن مريم هو المسيح الرب الذي سبق ان اعلن عنه المزمور ١: ١١٠ (وقد ورد في لو ٢٠: ٤١-٤٤ وفي رسل ٢: ٣٤-٣٦).

ان صرخة اليصابات الكبرى هي قبل كل شيء كريستولوجية: ما يقال في الام يأتي من عظمة الابن. واذا كانت مريم حاملة المسيح، فستكون بالتالي المباركة بين كل النساء. والحبل البتولي في حد ذاته يُنبر الطفل وليس الام - كما يُبينه جيدا "انجيل الطفولة" في متى ١-٢. غير ان لوقا يهتم ايضا بشخص مريم - وفي هذا المضمار يأتي بشيء جديد. فالنطوية التي تتعلق بايمان مريم تجعل مفارقة جذرية بين الشابة وزكريا (آ ٤٥)، وتتيح الآيات ٤٢-٤٥ للوقا ان يجمع في شخصها النطوية المضاعفة المعطاة للامومة وللإيمان، والتي سيميز بينهما في ١١: ٢٧-٢٨. ومريم، بايمانها بتتيمم الاقوال الالهية، تصبح أمّا: كان ايمانها ضروريا لكي تتحقق بالتحديد هذه الاقوال! انما، بشكل نموذجي، تلك التي تصغي الى الكلمة، وهي بالتالي نموذج المؤمن وتُعتبر المسيحية الاولى. فلا يمكن، اذن، التقليل من شأن اسهام لوقا في صلاة الكنيسة وتأملها اللاحق بشأن عذراء الناصرة. وان عبارة "ام الرب"، هي الاخرى، ومن دون منازع، حجر انتظار عليها سيبني لاحقا للقب الاول الذي ستضيفه الكنائس على مريم: تنوتوكوس، ام الله؛ وهكذا الحال مع القسم الثاني من صلاة "السلام عليك يا مريم".

وتتلفظ مريم من ثم باول الاناشيد الاربعة في لو ١-٢. انه نشيد اشبه بموزائيك من نصوص العهد القديم، اعتمدت فيه الترجمة اليونانية السبعينية. فعلى مثال نشيد حنة (اصم ٢: ١-١٠) الذي كان له بمثابة النموذج، يبدو نشيد التسبيح هذا وكأن له علاقة وثيقة واحدة بالسياق: فالآية ٤٨ وحدها تجعل الوصل مع الرواية السابقة، بفضل التلميح الضمني الى البشارة. مع ان نشيد مريم "تعظم نفسي" يحمل المعنى، طالما ان لوقا ادرجه هنا

بشكل مقصود. ودور هذا النشيد يحملنا على التفكير بالدور الذي تلعبه الانغام في الاوبرا: حيث يتوقف العمل مؤقتا، فينير اللحن نفسية الشخص على المسرح او يبرز معنى الحدث.

هيزي مريم، على مثال حنة التي حبلت بشكل عجيب، تبادر الى التعبير عن ما تستشعره (آ ٤٦-٤٧). ويأتي من ثم الدافع الى هذا التسييح: "لانه [لدى البشارة] نظر الى امته الوضيعة... ولان القدير صنع اليّ امورا عظيمة"؛ وهذا الدافع مستمر، في وسطه، عبر تطوية الأمة (آ ٤٨ ب). وتشير مقارنة مع تك ٣٠:١٣ الى ان الاجيال ستهنى مريم بسبب هذا الذي حبلت به، وليس بفضل اي استحقاق شخصي. وفي الوقت ذاته، يُحتمل ان يكون لوقا قد شاء التعبير، من خلال هذه التطوية، عن موقف طبيعي للمسيحي تجاه ام الرب المؤمنة. ومهما يكن من امر هذا حجر الانتظار من اجل التأمّلات اللاحقة بشأن مريم، فانه من الملفت ان الله، منذئذ، باستثناء هذه الجملة المعترضة، اصبح فاعل كل الافعال، فهو يوصف بالتقدير والقدوس والرحوم (آ ٤٨-٥٠).

والآيات ٥١-٥٣ تشكل مقطعا يجسد الانقلاب في الاوضاع والقيم التي تطبع الانتقال من هذا العالم الى العالم الجديد. وان تدخل الله الخلاصي الذي بدأ مع الحبل بابنه المسيح، سيقوم العدل بشكل انتقائي، للمهمشين والمسحوقين. تلك فكرة عزيزة على لوقا، وسوف يتوسع فيها على مدى اطول حين يعرض علينا التطويبات والويلات (لو ٦: ٢٠-٢٦) والتي ستفسر هذا الطرح^(١). لنلاحظ فقط ان البنية اللوقاوية سبقت ان وضعت على لسان مريم مفردات تجذرت في العهد القديم، فاستطاعت ان تدرج مجيء الملكوت في كرازة يسوع.

والخلاصة هي ان التدخل الخلاصي بدأ يحقق الوعد المقطوع للأباء، من اجل نسل ابراهيم (آ ٥٤-٥٥)؛ فلوقا، اذن، وفي آن واحد، يتجنب استباق موضوع دخول الوثنيين، كما يتجنب اضافة لون كريستولوجي على النشيد في ضوء القيامة.

واقامت مريم عند اليصابات نحو ثلاثة اشهر. هذه الفترة من الزمن التي فيها انفصلت مريم عن يوسف، هي، بالنسبة الى لوقا، علامة للقارئ لدعم الحبل البتولي. ولكن، في الوقت ذاته، لا يصح القول ان المسيح كان حاضرا -حتى وان كان من الحشا الامومي- في ولادة السابق! فلقد عادت مريم الى بيتها.

(١) كان س. موراس يشكر الكنكلكة على انها كانت تترنل النشيد باللاتينية كي "تظهر الكنيسة من سم نشيد العذراء!" وابان دكتورية النظام العسكري في الارجنطين، في السبعينات، اقدمت اللجنة الطقسية الاسقفية، وبكل بساطة، الى حذف الآية ٥٢ أ!

ولادة يوحنا المعمدان وختانته وتسميته: (١: ٥٧ - ٨٠)

- ٥٧ وَأَمَّا أَلْيَسَابَاتُ، فَلَمَّا تَمَّ زَمَانُ وِلَادَتِهَا وَضَعَتْ ابْنًا.
- ٥٨ فَسَمِعَ جِيرَانُهَا وَأَقَارِبُهَا بِأَنَّ الرَّبَّ رَحِمَهَا رَحْمَةً عَظِيمَةً، فَفَرِحُوا مَعَهَا.
- ٥٩ وَجَاؤُوا فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ لِيَخْتِنُوا الطِّفْلَ وَأَرَادُوا أَنْ يُسَمُّوهُ زَكَرِيَّا بِاسْمِ أَبِيهِ.
- ٦٠ فَتَكَلَّمَتْ أُمُّهُ وَقَالَتْ: ((لا، بل يُسَمَّى يوحنا))
- ٦١ قَالُوا لَهَا: ((لَيْسَ فِي قَرَابَتِكَ مَنْ يُدْعَى بِهَذَا الْاسْمِ)).
- ٦٢ وَسَأَلُوا أَبَاهُ بِالْإِشَارَةِ مَاذَا يُرِيدُ أَنْ يُسَمَّى،
- ٦٣ فَطَلَبَ لَوْحًا وَكَتَبَ ((اسْمُهُ يوحنا)) فَتَعَجَّبُوا كُلُّهُمْ.
- ٦٤ فَانْفَتَحَ فَمُهُ لَوَقْتِهِ وَانْطَلَقَ لِسَانُهُ فَتَكَلَّمَ وَبَارَكَ اللَّهَ.
- ٦٥ فَاسْتَوَى الْخَوْفُ عَلَى جِيرَانِهِمْ أَجْمَعِينَ، وَتَحَدَّثَ النَّاسُ بِجَمِيعِ هَذِهِ الْأُمُورِ فِي جِبَالِ الْيَهُودِيَّةِ كُلِّهَا
- ٦٦ وَكَانَ كُلُّ مَنْ يَسْمَعُ بِذَلِكَ يَحْفَظُهُ فِي قَلْبِهِ قَائِلًا: ((مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ هَذَا الطِّفْلُ))؟
- فَإِنَّ يَسَدَ الرَّبِّ كَانَتْ مَعَهُ.
- ٦٧ وَامْتِلَأَ أَبُوهُ زَكَرِيَّا مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ فَتَنَبَّأَ قَالُ:
- ٦٨ ((تَبَارَكَ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ لِأَنَّهُ افْتَقَدَ شَعْبَهُ وَافْتَدَاهُ
- ٦٩ فَأَقَامَ لَنَا مُخَلِّصًا قَدِيرًا فِي بَيْتِ عَبْدِهِ دَاوُدَ
- ٧٠ كَمَا قَالَ بِلِسَانِ أَنْبِيَائِهِ الْأَطْهَارِ فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ:
- ٧١ يُخَلِّصُنَا مِنْ أَعْدَائِنَا وَأَيْدِي جَمِيعِ مُبْغِضِينَا
- ٧٢ فَأَظْهَرَ رَحْمَتَهُ لِآبَائِنَا وَذَكَرَ عَهْدَهُ الْمُقَدَّسَ
- ٧٣ ذَاكَ الْقَسَمَ الَّذِي أَقْسَمَهُ لِأَبِينَا إِبْرَاهِيمَ بِأَنْ يُنْعِمَ عَلَيْنَا
- ٧٤ أَنْ نَنْجُوَ مِنْ أَيْدِي أَعْدَائِنَا فَنَعْبُدَهُ غَيْرَ خَائِفِينَ
- ٧٥ بِالتَّقْوَى وَالْبِرِّ وَعَيْنُهُ عَلَيْنَا، طَوَالَ أَيَّامِ حَيَاتِنَا.
- ٧٦ وَأَنْتِ أَيُّهَا الطِّفْلُ سَتُدْعَى نَبِيَّ الْعَلِيِّ لِأَنَّكَ تَسِرُ أَمَامَ الرَّبِّ لِتُعِدَّ طُرُقَهُ
- ٧٧ وَتُعَلِّمَ شَعْبَهُ الْخَلَاصَ بِغُفْرَانِ خَطَايَاهُمْ.
- ٧٨ تِلْكَ رَحْمَةٌ مِنْ حَنَانِ إِلَهِنَا بِهَا افْتَقَدْنَا الشَّارِقُ مِنَ الْعُلَى
- ٧٩ فَقَدْ ظَهَرَ لِلْمُقِيمِينَ فِي الظُّلْمَةِ وَظِلَالِ السَّمُوتِ لِئَسَدَّ خُطَانَا لِسَبِيلِ السَّلَامِ))
- ٨٠ وَكَانَ الطِّفْلُ يَتَرَعَّرُ وَتَشْتَدُّ رُوحُهُ. وَأَقَامَ فِي الْبِرَارِيِّ إِلَى يَوْمِ ظُهُورِ أَمْرِهِ لِإِسْرَائِيلَ.

ثُروى ولادة يوحنا بايجاز (٥٧١-٥٨)، ولكن عبر فعل يحمل معنى لاهوتيا كبيرا: اما **اليصابات**، فلقد **حان وقت ولادتها**؛ فالوعد الالهي سوف يتحقق. وبخلاف مريم التي كانت تعلم، بوحى، ما كان قد بقي خفيا، نجد هنا **الجيران والاقارب** لم يسمعو بالتدخل الالهي الا حين لم يكن بوسع ولادة الطفل ان تخفي مثل هذا التدخل. وانطلق الفرح.

وتتوسع رواية الختانة وحدها، ولكن بشكل مسهب، في موضوع التسمية (٥٩٦-٦٦). ومن البديهي ان اسرة كهنوتية هي في طبيعتها محافظة على التقليد؛ وهذي الام ترفض ان تعطي الطفل اسم ابيه، لا بل تبادر الى تسميته باسم لم يسبق ان اعطي في العشرة: **يوحنا**. وان ما يلفت انتباه لوقا ليس معنى الاسم، وانما موقف اليصابات التي لم تتشاور مع زوجها. وهذه العلامة الاضافية على تدخل الله الذي يقود التاريخ، هي موجهة الى زكريا، كما الى قارئ الانجيل، اللذين يكتشفان معاً الاسم الذي اعطاه الملاك (١٣:١). وتتواصل الرواية من ثم في عين الاتجاه حين تؤكد على ان زكريا لم يسمع ما قالته زوجته. واذا اشاروا اليه كي يعلموا **ماذا يريد ان يُسمى**، فلأنه كان ابكم واصم. والتقت اجابة الاب والام، ومن هنا كانت **الدهشة** لدى كل الحاضرين ازاء هذه العلامة الجديدة على التدخل الالهي. وزكريا، حين كتب: "اسم يوحنا"، فهو انما اطاع الكلام للملاك؛ وللحال يزول البكم والصمم، وفقا لما سبق ان اعلن (٢٠:١). اما الكلمة التي سيلقيها، فهي فعل بركة لله، وتسمى ايضا نبوة (٦٤، ٦٧).

قبلها، كان لوقا قد قام بتوسع ينسجم مع خطه (٦٥-٦٦): استولى **الخوف على الجيران** ازاء هذا التحلي الالهي، حتى ان التحدث عن هذه الاقوال/ الاحداث بين الجيران والاقارب جعلها تبلغ الى **جبال اليهودية كلها**، وبالتالي **تحفظ في القلب**. ونجد الطابع اللوقاوي ايضا في النطق الذي اعيد للكاهن من اجل البركة، وفي مجيء الروح الموجه لأجل النبوة.

وعلى غرار نشيد "تعظم نفسي"، هوذا نشيد "مبارك هو الرب" المشحون من مراجع من العهد القديم، يأتي ليقطع سياق الرواية؛ الا ان ارتباطه بسياق الاحداث، فيبين جدا. فبعد نشيد بركة (٦٨-٧٥) موضوعه **الرب اله اسرائيل**، نجدنا بازاء نبوة تتعلق بالمولود الجديد (٧٦-٧٩) تجيب الى السؤال الذي طرحه الناس في آ ٦٦.

ويبدأ المزمور النبوي على لسان زكريا (٦٨-٧١) بحمد الله على افعال ثلاثة قام بها، وهي **تكمّل النبؤات**: فمع ارسال الملاك جبرائيل، ومع تحقيق بشارته، هوذا الله يبدأ بالتدخل لدى الشعب لانقاذه واقامة ملك داودي -وتؤكد نهاية النشيد، وبشكل

واضح، ان ليس المقصود هو يوحنا. ولهذا الفعل الالهي الذي يلتقي مع القسم لابراهيم، هدف (٧٢١-٧٥): منح الخلاص لشعب اسرائيل كي يتمكن من ان يقدم العبادة الواجبة لذلك الذي هو كائن، وهو يخلص. ومثل هذا التأكيد الموافق لما يُنتظر من كاهن، يلمح الى الكلام الالهي الموجه الى موسى: "تقول لملك مصر: اطلق شعبي لكي يعيد لي في البرية" (خر ٥: ١). ذلك ان النجاة من مصر كان، وبشكل كلاسيكي تماما، صورة للخلاص الذي ينجزه الله في آخر الازمنة؛ وهوذا زكريا يذكر بان عطية الخلاص يرافقها التزام: هو التزام خدمة العبادة، اي السجود.

وتواصل النبوة فتدرج دور يوحنا (آ ٧٦-٧٧)؛ سيكون نبيا وسابقا -وليس ابن الله او مسيحا! انها اكثر دقة مما كان الملاك قد اشار في ١٦: ١-١٧، طالما انها توضح علاقة يوحنا بالخلاص: انه هو الذي سيكشف لشعب الله انه خُلص، داعيا اياه الى تلقي غفران الله. ومع ذلك، لا يقال شيء عن طقس العماد الذي من خلاله سيدعو السابق الى الاهتداء. وتتحول النبوة من ثم نحو الشارق من العلي الذي، بفضل حنان الله، سيفتقد الشعب كي ينيره، ومعه الوثنيين (نبي افعال الآيتين ٧٨-٧٩ في صيغة المستقبل، وفقا للعديد من المخطوطات). وان شروق النور الاسكاتولوجي للمسيح يحقق نبوة اشعيا ٩: ١. وهذا الشروق صورة لمولد المسيح يسوع حيث يبدو يوحنا، بالمقابل، بصفة السابق (آ ٧٦)، بينما نجد ان التلميح عينه الى نبوة ملاخي ٣: ١، في لو ١: ١٧، يجعل منه السابق لحيء الله. وتجدر الاشارة الى ان فعل "زار" او "افتقد" المنسوبة الى الله في آ ٦٨ اصبحت هنا تخص مسيحه. وليس من شك البتة من ان هذا القسم الاخير من النشيد هو من انشاء مسيحي، ونعجب من تحفظ لوقا الذي يدع باب "الاحتمال" مفتوحا حين لا يقدم شرحاً أوفر عن الكريستولوجيا.

ويختتم مجمل المشهد بموجز يشدد على نمو الطفل -وذلك هو اول مثال على اسلوب ادبي يتردد كثيرا في لوقا- الاعمال حيث نقرأ تشديدا بشكل واضح على نمو كلمة الله ونمو الجماعة (رسل ٦: ٧). ولكي يسلط النص الضوء على شخصية يوحنا، وفقا لطريقة "النموذجية"، نجده يستعير مقاطع من العهد القديم تتعلق بطفلين وُلدا بشكل عجيب، شمشون وصموئيل. واخيرا، هناك معلومة هامة: فهذا الطفل من عائلة كهنوتية، لا يعيش في قريته ولا في الهيكل، وانما في بوية اليهودية، المكان الذي فيه ستتوجه اليه كلمة الله (٢: ٣) لتجعل منه نبيا.

ولادة يسوع وختانه وتسميته (٢: ١-٢١)

- ٢ ١ وفي تلك الأيام، صدر أمرٌ عن القيصر أوغسطس بإحصاء جميع أهل المعمور.
- ٢ وجرى هذا الإحصاء الأول إذ كان قيرينوس حاكم سورية.
- ٣ فذهب جميع الناس ليكتب كل واحدٍ في مدينته.
- ٤ وصعد يوسف أيضاً من الجليل من مدينة الناصرة إلى اليهودية إلى مدينة داود التي يُقال لها بيت لحم، فقد كان من بيت داود وعشيرته،
- ٥ ليكتب هو ومريم خطيبته وكانت حاملاً.
- ٦ وبينما هما فيها حان وقت ولادتها،
- ٧ فولدت ابنتها البكر، فمطمته وأضجعت في مذودٍ لأنه لم يكن لهما موضع في المضافة.
- ٨ وكان في تلك الناحية رعاةٌ يبيتون في البرية، يتنابون السهر في الليل على رعيهم.
- ٩ فحضرهم ملاك الرب وأشرق مجد الرب حولهم، فخافوا خوفاً شديداً.
- ١٠ فقال لهم الملاك: ((لا تخافوا، ها إني أبشركم بفرح عظيم يكون فرح الشعب كله: وُلد لكم اليوم مخلصٌ في مدينة داود، وهو المسيح الرب.
- ١٢ وإليكُم هذه العلامة: ستجدون طفلاً ممتطاً مضجعا في مذود)).
- ١٣ وانضم إلى الملاك بغنة جمهور الجنود السماويين يسبحون الله فيقولون:
- ١٤ ((المجد لله في العلى! والسلام في الأرض للناس فإنهم أهل رضاه!))
- ١٥ فلما انصرف الملائكة عنهم إلى السماء، قال الرعاة بعضهم لبعض: ((هلم بنا إلى بيت لحم، فترى ما حدث، ذاك الذي أخبرنا به الرب)).
- ١٦ وجاؤوا مُسرعين، فوجدوا مريم ويوسف والطفل مضجعا في المذود.
- ١٧ ولما رأوا ذلك جعلوا يُخبرون بما قيل لهم في ذلك الطفل.
- ١٨ فجميع الذين سمعوا الرعاة تعجبوا مما قالوا لهم
- ١٩ وكانت مريم تحفظ جميع هذه الأمور، وتأملها في قلبها.
- ٢٠ ورجع الرعاة وهم يمجدون الله ويسبحونه على كل ما سمعوا ورأوا كما قيل لهم.
- ٢١ ولما انقضت ثمانية أيامٍ فحان للطفل أن يُختن، سمي يسوع، كما سماه الملاك قبل أن يُحبل به.

يسعى النص منذ الان الى اطلاق اسلوب التوازي. هناك فرقان كبيران نجدهما في الواقع بين هذا المشهد والمشهد السابق. فبالنسبة الى ابن مريم، اولاً، فالضوء مسلط قبل كل شيء على مشهد الولادة، بينما تذكر الختانة وتسمية الطفل بشكل مقتضب (آ ٢١)؛ وكان الامر على العكس بالنسبة الى يوحنا. من جهة اخرى، كان هناك وحي رافق ختانة السابق؛ الا ان النبوة التي فاه بها زكريا لم يكن لها من العظمة ما كان لمشهد ولادة يسوع التي وصفت بانها انجيل، بشارة سارة (آ ١٠). ومشهد الوحي بالذات، بالنسبة الى يسوع بنوع خاص، سوف يُرعى الى المشهد التالي، في الهيكل.

تعرض الآيات ١-٧ الاحصاء، وسفر الاهل، ومن ثم ولادة **الطفل البكر**. ويشكل **امر القيصر اغسطس** صعوبة من الناحية التاريخية. من المؤكد ان فيرينيوس كان قد شرع باجراء احصاء لليهودية حين خضعت هذه المقاطعة لادارة روما المباشرة؛ وقد اثار ذلك انتفاضة يهوذا الجليلي (انظر رسل ٥: ٣٧). الا ان هذا الحدث جرى في السنة ٦ او ٧ من التاريخ الميلادي، في حين كان ليسوع اكثر من عشر سنوات -وُلد في ظل حكم هيرودس (لو ١: ٥؛ متى ٢: ١) الذي توفي عام ٤ قبل التاريخ الميلادي. فهناك، اذن، خطأ لدى لوقا الذي شاء، في هذه البداية الاحتفالية، ان يُدرج يسوع في التاريخ الشامل -وسيفعل ذلك بشكل موسع في ٣: ١-٢؛ ويبين في الوقت ذاته ان عمل الله يستخدم امر القيصر. وسنرى في سفر الاعمال ان الله يستخدم ايضا القوانين الرومانية ذاتها ليقود بولس الى روما حيث يشر بالانجيل. واخيراً، وفوق كل شيء، يفسح هذا الامر مبرراً للسفر -انه مبرر، طالما ان مثل هذا الاحصاء يجري دوماً في محل السكنى، وليس في محل السكن الاصلي!

يعرف لوقا عبر التقليد (راجع ايضا متى ٢: ١) بان يسوع وُلد في بيت لحم، مدينة داود؛ وهذا المكان يمكن من جديد من التشديد على بنوة يسوع الداودية (آ ٤). الا ان لوقا لا يستشهد بنبوة ميخا ٥: ١ (راجع متى ٢: ٦)؛ فالمراجع المباشرة هي ولا شك نادرة جدا في لوقا ١-٢. وفي الواقع، يبدو ان هدف الرحلة ليس بيت لحم حسب، وانما ايضا مذود في هذه المدينة. لقد كانت **المضافة** ممتلئة، بحيث كان لا بد للمولود الجديد ان **يُضجع في مذود**؛ والعبارة سوف نجدتها تتردد ثلاث مرات (آ ٧، ١٢، ١٦)، وهذا يعني اننا اصبحنا بزاء ثمرة المبادرة الالهية. وهل لرعاة من مكان ذي مدلول اكبر من مذود؟ ونجدنا، اذن، موجهين نحو الرعاة.

ويستخدم لوقا، من جديد، الصيغة اللاهوتية: "**حان وقت ولادتها**" (معنى ان الايام قد اكتملت للولادة)؛ انه يتحدث عن ابن بكر كي يُعدّ مشهد التقديم الى الهيكل (٢: ٣٢).

ويأتي مشهد الوحي للرعاة (آ ٨-١٤). لماذا كان الوحي من نصيب اناس يمتنون هذه المهنة الوضيعة؟ هناك ولا شك علاقة ادبية بين المدينة وبين موضوع الراعي: فداود كان قد رعى قطيع ابيه في بيت لحم (اصم ١٦: ١١؛ ١٧: ١٥). الا ان لوقا لم يفسر ذلك؛ وان ما يهمه كثيرا وبشكل اكبر، هو ان للرعاة في فلسطين سمعة سيئة، إذ كانوا يُعتبرون فاسدين وسراقا. ويضعهم تلموذ بابل في عداد شركة من المنبوذين: "من الصعب لرعاة ولجامعي الضرائب وعشارين ان يقوموا بفعل توبة!" لذا كان المنبوذون من اسفل السلم الاجتماعي هم اول المعنيين بولادة ذاك الذي له امٌ وضيعة (١: ٤٨)، وهو الذي سيحمل البشرى السارة الى المساكين (٤: ١٨). "ان الحركة باتجاه المذود هي العلامة التي، بالنسبة الى رعاة/ خطاة، تجعل مجيء المخلص امرا مقبولا" (ب. ترميل)؛ فالمولود الجديد هو مسبقا ذاك الذي سيقبله الخطاة ويجلس الى موائدهم (١٥: ٢).

للوحي بحد ذاته (آ ٩-١٢) عناصر عديدة تذكر بروايات البشارة الى زكريا والى مريم؛ وحده الاعتراض البشري قد أهمل. هوذا ملاك الرب قد حل محل جبرائيل. ووصف ميلاد يسوع بانه انجيل (بشرى)، سوف يثير فرحا عظيما. وهناك القاب ثلاثة اعطيت للمولود الجديد: "وُلد لكم اليوم، انتم الفقراء والبسطاء، مخلص هو المسيح الرب". القاب ثلاثة مستقاة كلها من اعتراف الكنيسة الفصحى: اللقبان الاخيران موجهان الى المحيط اليهودي، واللقب الاول موجه الى المحيط الوثني - وهو بمثابة الرد على عبادة الامبراطور التي كانت قد جعلت من قيصر مخلصا. فالى الرعاة، اذن، أُوحيت كرازة الكنيسة، الكرازة التي سينادي بها بطرس (رسل ٢: ٣٦) وبولس (رسل ١٣: ٣٣).

والعلامة - وهي حاضرة هنا وفي البشارتين، ولكن ليس على طلب من الرعاة - تبدو في تضاد ومفارقة مع الالقاب المسيحانية: هذا ما سيمكّن الذين يبحثون، من ان يجدوا المولود الجديد مَقْمَطًا، إذ انه مضجع في مذود، وليس في مهد في احد القصور الملكية. وبوسع القارئ ان يعجب من ان العلامة لا تبدو عجائبية. ففيما كان اسرائيل ينتظر ان ترافق ولادة المسيح علامات مدهشة (راجع النجم الذي سبق المحوس في متى ٢: ٢، ٩)، نرى ان العلامة المعطاة هنا هي في خط ذاك المسيح المتواضع والمتألم، المعدّ للفقراء: انه يتلاءم بشكل خاص مع رعاة.

حينذاك يُسمع تسبيح رفعه جمهور من جند السماء (آ ١٣-١٤)، انضم الى الملاك الذي اعلن بشرى الانجيل؛ وهذا النشيد المقتضب الذي صدح، دعا الرعاة والقراء الى الاعتراف بقدرة الله الذي، عبر ولادة ابن مريم، سوف يمنح السلام والامان والاتفاق

والازدهار لشعب هو موضوع العناية الالهية. ولسنا بصدد "الارادة الصالحة" التي ستكون لدى الانسان، او لا تكون، في تلقّي العطية الالهية.

اما مشهد الآيات ٨-١٤، فهو مركّز على ما يقوله المرسلون السماويون: بشرى الانجيل والتسييح الليتورجي. فان **البشرى السارة** يبلغها الله الرعاة قبل ان يبلغها الرعاة الى الشعب. ونرى ان الاشارات "المريئة"، كما ورد سابقا، هي في حدها الادنى.

لقد كان الرعاة حتى الان متلقّين، ولكنهم لم يعودوا كذلك في المشهد التالي، حين نجدنا بازاء ثلاثة ردود فعل (آ ١٥-٢٠): رد فعل الرعاة، ورد فعل السامعين تجاه رواية الرعاة، واخيرا رد فعل مريم. فالرعاة يرون الامور كما اعلنها الملاك وينقلون رسالته؛ والشعب، حين يسمع، يعجب - كما كانت الحال مع اقارب زكريا (١: ٦٣) ومع والدي يسوع (٢: ٢٣). وتبدو الاية ٢٠ اكثر وضوحا بصدد الرعاة: فبعد انصراف الملائكة، نراهم يتخذون مهمتهم في **تمجيد الله وتسييحه** (راجع آ ١٣-١٤). اما مريم، فقد تميزت بتلقيها الحدث (آ ١٩ التي سيكون ٢: ٥١ صدى لها). لقد عرفت مريم، من جبرائيل، ان ابنها سيكون المسيح الداودي، ابن الله، الرب؛ كما انها عرفت، من خلال الرعاة الذين تلقوا بشرى الملاك، انه المخلص. ولكن ماذا تعني في الواقع هذه الالقاب؟ فاذا كانت مريم تتأمل في هذه الامور، في قلبها، فلأنها لم تفهم كل شيء بعد، كما سيشهد ٥٠: ٢.

وتشكل الاية ٢١ انتقالا الى المشهد التالي. فكما كانت الحال مع ابن زكريا والبصابات، يبدو الاسم المعطى للطفل اكثر اهمية من طقس الختان؛ ذلك ان اعطاء الاسم في الحالتين يتم عبر الخضوع لامر جبرائيل. وفيما كان ذلك المشهد موضوع توسع طويل بالنسبة الى السابق، نراه هنا مقتضبا جدا.

التقدمة الى الهيكل: ظهور يسوع (٢: ٢٢ - ٤٠)

٢٢ **وَلَمَّا حَانَ يَوْمٌ طَهَّرَهَا بِحَسَبِ شَرِيعَةِ مُوسَى، صَعِدَا بِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِيُقَدِّمَاهُ لِلرَّبِّ،**

٢٣ **كَمَا كُتِبَ فِي شَرِيعَةِ الرَّبِّ مِنْ أَنْ**

كُلُّ بَكْرٍ ذَكَرٌ يُنَدَّرُ لِلرَّبِّ،

٢٤ **وَلِيُقَرَّبَا كَمَا وَرَدَ فِي شَرِيعَةِ الرَّبِّ:**

زَوْجِي يَمَامٍ أَوْ فَرَحِي حَمَامٍ.

- ٢٥ وكان في أورشليم رجلاً باراً تقياً اسمه سيمعان، ينتظر الفرج لإسرائيل، والروح القدس نازل عليه.
- ٢٦ وكان الروح القدس قد أوحى إليه أنه لا يرى الموت قبل أن يعاين مسيح الرب.
- ٢٧ فأتى الهيكل بدافع من الروح. ولما دخل بالطفل يسوع أبواه، ليؤدبا عنه ما تفرضه الشريعة،
- ٢٨ حمّله على ذراعيه وبارك الله فقال:
- ٢٩ ((الآن تطلق، يا سيّد، عبدك بسلام، وفقاً لقولك
- ٣٠ فقد رأت عيناى خلاصك
- ٣١ الذي أعدّته في سبيل الشعوب كلّها
- ٣٢ نوراً يتجلّى للوثنيين ومجداً لشعبك إسرائيل)).
- ٣٣ وكان أبوه وأمه يعجبان ممّا يقال فيه.
- ٣٤ وباركهما سيمعان، ثم قال لمريم أمه: ((ها إنّ جعل لسقوط كثير من الناس وقيام كثير منهم في إسرائيل وآية معرّضة للرفض.
- ٣٥ وأنت سينفذ سيفٌ في نفسك لتتكشف الأفكار عن قلوب كثيرة)).
- ٣٦ وكانت هناك نبيّة هي حنة ابنة فانوئيل من سبط آشور، طاعنة في السنّ، عاشت مع زوجها سبع سنّوات
- ٣٧ ثمّ بقيت أرملةً فبلغت الرابعة والثمانين من عمرها، لا تفارق الهيكل، متعبدة بالصوم والصلاة ليل نهار.
- ٣٨ فحضرت في تلك الساعة، وأخذت تحمّد الله، وتحدّث بامر الطفل كلّ من كان ينتظر افتتاح أورشليم.
- ٣٩ ولَمَّا أَتَمَّا جَمِيعَ مَا تَفَرِّضُهُ شَرِيعَةُ الرَّبِّ، رَجَعَا إِلَى الْجَلِيلِ إِلَى مَدِينَتَيْهِمَا النَّاصِرَةِ.
- ٤٠ وكان الطفل يترعّرعُ ويشتدُّ مُمْتَلِئاً حِكْمَةً، وكانت نعمة الله عليه.

في المقارنة الاولية اعلاه بشأن البشارات، كنا قد ادرجنا هذا المشهد بصدد التقدمة الموازية ليوحنا ويسوع. فالمولودان الجديدان ظهرا كلاهما بالفعل؛ كما ان نشيد سمعان (آ ٢٩-٣٢) ومن ثم نبوته (آ ٣٤-٣٥) لعبا دورا مماثلا لدور المزمور النبوي الذي انشده زكريا ليوحنا. اما يسوع، فيحظى في الواقع بمقطعين: الولادة في مذود، هو علامة للرعاة، سبقت الكشف الذي سيجري في قلب الحياة الدينية اليهودية. ولا نجد اثرا

للموازاة الواضحة التي لقيناها في المشهدين الاولين. ذلك ان المسافة التي تفصل المسيح عن سابقه ليست في المستوى الاول، حتى وان اندرجت احيانا، هنا وهناك، في النص.

ان دخول يوحنا في تاريخ الخلاص قد جرى في الهيكل، ابان العبادة -ولكنه لن يعود، هو ذاته، الى الهيكل البتة. في حين ان يسوع الذي حُبل به بشكل متواضع، سوف يعتلن في الهيكل (آ ٢٢-٢٤). ذلك ان حدثا مضاعفا سبق **لشريعة موسى** ان تحدثت عنه اصبح الفرصة لهذا الاعتلان: **ظهور مريم** (آ ٢٢، آ ٢٤) وافتداء الابن البكر (آ ٢٢ب-٢٣). ونجدنا بازاء واقع يلفت النظر: يعود لوقا هنا الى مرجعين واضحين من الاسفار المقدسة في "انجيل الطفولة". فالمرأة الفقيرة حين تلد، "تأخذ زوجي يمام او فرخي حمام، احدهما محرقة والاخر ذبيحة خطيئة، فيكفر عنها الكاهن، فتطهر" (أح ١٢: ٨). اما افتداء الابن البكر، فوفقا لشريعة سفر الخروج ١٣: ٢: "كل فاتح رحم... كل بكر من بنيك تفديه". وهذا لا ينفي مع ذلك وجود تلميحات كتابية ضمنية: والنموذج لهذه الآيات مستقى من اصم ١: ٢٢-٢٤: حنة **صعدت لتقدم للرب صموئيل الصغير الذي فُطم**، وقد بقي بمثابة **خادم في بيت الرب**.

وان الصيغة الاحتفالية "تمت الايام" او حان الزمان، نجدتها ترنّ، وللمرة الخامسة والاحيرة في لو ١-٢. وفوق ذلك، كان انتباهنا قد لُفت الى الاشارات الزمنية التي تجعل وحدة بين معظم المشاهد؛ وهذه الصيغة رُبطت بالمشهد السابق بشريعة سفر الاحبار ١٢: ١-٤ الذي يحدد مدى **اربعين يوما** بين الولادة والظهور. وهكذا يكون ٧٠ اسبوعا قد مرّت، لا بل **تمّت**، منذ ان اعلن جبرائيل ولادة يوحنا: وهكذا اصبح افتداء اورشليم واقعا (راجع مشهد ظهور يوحنا، لو ١: ٥٧-٨٠).

وكان **اهله اتقياء ومطيعين شريعة موسى** (وقد ورد ذكرها ثلاث مرات في الايات ٢٢-٢٤). لذا فانهم يتممون حتى ما لم تأمر به: تقدمة المولود الجديد شخصيا، مقفين مثال حنة -تلك التي الهم نشيدها نشيد مريم.

لا نجد احدا من الكهنة على المسرح في ايات المقدمة هذه، وهي، في الواقع، لم تصف الطقسين اللذين تفترضهما الشريعة. ونجدنا بازاء رجل خارج عن خدمة الهيكل يأتي، **مدفوعا من الروح** (آ ٢٥-٣٥)؛ وهو ليس فقط **بارا وتقيا**. انه على غرار آخرين (آ ٣٨)، ينتظر ان تتحقق نبؤة الـ ٧٠ اسبوعا، وان تأتي الساعة الحاسمة التي فيها يأتي الله، مرة واحدة، ليخلص شعبه؛ ذلك هو رجاء كان كتاب التعزية (اش ٤٠-٥٥) قد اعلن عنه. الا ان سمعان كان قد حظي بنعمة فريدة: ففيما هو يعلم ان هذا التدخل الالهي

قريب، سيشهد اللحظة التي فيها، مع مجيء المسيح، سوف ينقلب التاريخ بشكل حاسم. وهذا الانتقال يتم عبر لقاء بشري؛ فكما كانت الحال ابان الزيارة (١: ٣٩-٥٦) وفي مشهد قرنيلبوس (رسل ١٠)، هوذا كل شيء يُمنح حين يلتقي شخصان مدفوعين من الروح ويتبادلان، بشكل او بآخر، ما تلقياه من الله.

انه ذاك الساهر من العهد القديم - وقد كان في انتظار فجر الازمنة المسيحية - الذي حمل على ذراعيه العالم الجديد الذي تعرّف عليه. وها هو يطلق تباعا نشيدا (آ ٢٩-٣٢) ونبوة (آ ٣٤-٣٥). وبخلاف مريم وزكريا اللذين تحدثا في نشيدهما عن الله بصيغة المجهول، هوذا سمعان يتوجه مباشرة اليه. لانه، امام السيد الذي وفي بوعد، ادرك ان مهمة الساهر بلغت غايتها: فعلى مثال ابراهيم، اصبح بوسعه ان يذهب بسلام نحو آباءه ويدفن (تك ١٥: ١٥)؛ فلقد كان ابو الآباء قد تلقى الوعد، وها هو سمعان يراه يتحقق. وعلاوة على ذلك، منحه الروح النبوي نورا فريدا بشأن دور الطفل - رسالة لم يكشفها جبرائيل لمريم: فيسوع سيكون الخادم الذي اعدّه الله ليكون نورا للامم، كي يبلغ خلاصه الى اقاصي الارض (اش ٤٩: ٦). والثنيون، لن يكونوا شهودا حسب، وانما المستفيدين من الخلاص الحاسم، بعين درجة اسرائيل. ونجد هنا استباقا لا مثيل له، طالما اننا بصدد البرنامج الذي اعلنه الرب القائم في لو ٢٤: ٢٧ وتحقق على يد بولس الذي سيتم، باسم ربه، نبوة اشعيا ٤٩: ٦ (رسل ١٣: ٤٦-٤٧).

وكما هي الحال مع آخرين قبلهم (راجع ١: ٦٣؛ ٢: ١٨)، كان ابوه وامه مندهشين: هكذا، اذن، ابنتهما الذي هو مسبقا مسيح اسرائيل، سيكون في الوقت ذاته المخلص الشامل! وتلي النشيد البهيج نبوة تحمل تهديدا (آ ٣٤-٣٥). فان ابن مريم هذا سيصبح مصدر انقسام في اسرائيل - وذلك قول نبوي سيختصه يسوع: "لم آت لاجل السلام في الارض، بل الانقسام. فيكون بعد اليوم خمسة في بيت واحد منقسمين، ثلاثة منهم على اثنين واثنان على ثلاثة" (لو ١٢: ٥١-٥٣). وان رفض اسرائيل ليسوع ولكلامه - وقد أُنبئ به هنا - سوف يبقى على مدى المؤلف اللوقاوي، بمثابة الخيط الاحمر، وحتى الخاتمة الخطيرة لسفر الاعمال: حين يؤكد بولس ليهود روما المنقسمين بان خلاص الله أرسل الى الوثنيين، وهم يستمعون اليه (رسل ٢٨: ٢٤-٢٩). فلقد اصبح من الضروري ان يعلن المرء موقفه الى جانب مرسل الله او ضده، وهذا ما سيكشف بالضرورة عن الافكار الخفية لدى الكثيرين، بمعنى قساوة قلوبهم. ومثل هذه النبوة تحرك قناعة في الكتاب المقدس: مواهب الله هي ذاتها نبع حياة او موت وفقا لاستعدادات الذين يتلقونها. ويشير سمعان بايجاز الى ان مثل هذا الانقسام في الشعب سيجرح مريم في صميم

حياتها. لا ينبغي البتة ان نرى في ذلك اعلانا عن آلام مريم عند اقدم الصليب -ولوقا لم يضعها تحت الصليب. ولكنها، بصفتها ام المسيح، فستألم اكثر من كل بني اسرائيل بشأن الطريقة التي ستتحقق هذه المسيحية. وها هي المأساة ترتسم وللمرة الاولى.

كان بوسع الرواية ان تتوقف هنا، إذ ان النبوة حنة التي تتقدم لم تجلب اي كشف جديد (آ ٣٦-٣٨)؛ انها تتحدث، بشكل عرضي، وباسلوب مباشر. الا ان على مثل هذه المرأة -وهي نموذج للارملة اليهودية او المسيحية من ثم- ان ترجع صدى نشيد سمعان، وهذا ما سمح للوقا ان يحتم هذا المشهد من الكشف بنبرة الفرح.

وتذكر الخلاصة (آ ٣٩-٤٠)، من جديد، امانة الوالدين على الشريعة. ومن ثم يبدأ الرجوع الى الجليل. وخلافا ليوحنا الذي كان في البراري، هوذا يسوع يسكن في الناصرة. اما الردة بصدد نمو الطفل، فهي موازية للردة في ٨٠:١؛ الا ان يسوع يترعرع ويشتد ممتلئا حكمة، بينما كانت روح يوحنا تشتد. ذلك ان الروابط بين يسوع والروح هي من مستوى آخر.

يسوع في الهيكل في الثانية عشرة (٢: ٤١-٥٢)

- ٤١ وكان أبواه يذهبان كل سنة إلى أورشليم في عيد الفصح.
- ٤٢ فلما بلغ اثنتي عشرة سنة، صعدوا إليها جرياً على السنة في العيد.
- ٤٣ فلما انقضت أيام العيد ورجعا، بقي الصبي يسوع في أورشليم، من غير أن يعلم أبواه.
- ٤٤ وكانا يظنان أنه في القافلة، فسارا مسيرة يوم، ثم أخذوا يبحثان عنه عند الأقارب والمعارف.
- ٤٥ فلما لم يجدها، رجعا إلى أورشليم يبحثان عنه.
- ٤٦ فوجدها بعد ثلاثة أيام في الهيكل، جالسا بين المعلمين، يستمع إليهم ويسألهم.
- ٤٧ وكان جميع سامعيه معجبين أشد الإعجاب بدكائه وجواباته.
- ٤٨ فلما أبصره دهشا، فقالت له أمه: ((يا بني، لِمَ صنعت بنا ذلك؟ فأنا وأبوك نبحثُ عنك مُتلهفين))
- ٤٩ فقال لهما: ((ولم بحثما عني؟ ألم تعلما أنه يجب علي أن أكون عند أبي؟))
- ٥٠ فلم يفهما ما قال لهما.
- ٥١ ثم نزل معهما، وعاد إلى الناصرة، وكان طائعا لهما، وكانت أمه تحفظ تلك الأمور كلها في قلبها.
- ٥٢ وكان يسوع يتسامى في الحكمة والقامة والخطوة عند الله والناس.

هذه الرواية الاخيرة من لوقا ١-٢ خارجة عن اطار الموازة يسوع/ يوحنا؛ فنحن على مسافة من تحقيق نبؤة الـ ٧٠ اسبوعا، ولسنا بصدد طفل يولد او مولود جديد. فيسوع هو في الثانية عشرة، العمر الذي فيه، بحسب التقاليد اليهودية المتداولة في القرن الاول، بدأ صموئيل يتنبأ (راجع ١ صم ٣) واخذ دانيال يطلق مقولة حكمية (راجع دا ١٣)؛ وهو مع ذلك عمر لم يصبح فيه هؤلاء المراهقون بالغين بعد: لذا فان حكمتهم تتجلى بالاكثر. وهكذا نجدنا، بحصر المعنى، بازاء رواية "الطفولة" الفريدة: انما تسجل الانتقال بين قصة البدايات وقصة بداية الرسالة.

هذا المشهد مشدود الى المشهد السابق: يسوع، وللمرة الثانية، هو في الهيكل، وهنا حيث كان قد اعتلن، عبر نشيد سمعان وقوله النبوي، يُظهر حكمته لمعلمي الشريعة، كما يوضح لذويه علاقته بابيه السماوي. وهذا الصعود الاول الى اورشليم بعيد الفصح، يعلن في الوقت ذاته عن الرحلة الكبرى اليها (٩: ٥١-١٩: ٢٨) وتعليمه الاخير في الهيكل (١٩: ٤٧-١: ٢٠).

سنلاحظ، مرة اخرى، من خلال اخراج هذا المشهد (آ ٤١-٤٥) التزام الاهل بالعبادات وبالشريعة (تث ١٦: ٦)، ونلاحظ ايضا الصمت حول طقس عيد الفصح، علماً بان فيه غنى ولا شك، كما حول الخبزات من دون خميرة (راجع ٢٢: ١). فالاساسي في هذا المشهد لا يبدأ الا بعد سبعة او ثمانية ايام من العيد، وقد رُوي من وجهة نظر الاهل؛ انهم هم الذين يتبعهم الراوي، ومن خلال اعينهم سوف نرى يسوع جالسا بين العلماء، اولئك الخبراء في تفسير الشريعة.

اما قلب المشهد (آ ٤٦-٤٩)، فهو مؤلف من نافذتين مختلفتي الاهمية. الاولى ترينا حكمة يسوع. وكما كانت الازمنة القديمة، اليهودية والوثنية، سخية بأبطال برهنوا على صفة كهذه، قبل ان تظهر لحاهم، هوذا لوقا يشدد على هذا الجانب الذي كان بوسعه ان يلفت اهتمام القراء. علماً بأن اللوحة التي رسمها لوقا على هذا النحو، فضلاً عن الكتاب المقدس، يضيفان على هذه الحكمة مضمونا خاصا: انما الحاسة التي بها يعرف الانسان ارادة الله الموحاة في الاسفار المقدسة ويلتزم بها. وان اعتلان هذه الحكمة يثير في الجمهور دهشة شبيهة بتلك التي ستثيرها فيما بعد احداث عجائبية (٥: ٢٦؛ ٨: ٥٦؛ رسل ٣: ١)، كما يثير لدى ذوي يسوع اعجابا سنجدده لدى الذين سيسمعون تعليمه في مجمع كفرناحوم (٤: ٣٢).

والنافذة الثانية تشكل قمة الرواية: على الملامة التي وجهتها مريم، هناك سؤال مضاعف يلقيه يسوع، هو في الوقت ذاته ملامة ايضا. فالأم هي التي تتكلم (ويوسف هو شخص صامت في لو ١-٢) -ولا يجد لوقا اي حرج في التكلم عنه بصفته زوجها، وقد وضع على لسانها هذه العبارة: "انا وابوك..."; ولكنكم اخرجت هذه الجملة المفسرين والقراء! ومع ذلك، فانها بالذات كانت تُعدّ، وبكل بساطة، جواب يسوع الذي يتكلم عن أب آخر. ولكن، وقبل كل شيء، هناك سؤالاً أول ليسوع كان قد هيأاً للسؤال الثاني؛ انه يجعل تضادا بين المكان الذي فيه يبحث عنه والداه -لدى القافلة، وبشكل أدقّ، لدى الاقارب- وبين الهيكل، اي مكان ابيه السماوي. ومن ثم جاء السؤال الثاني: "ألم تعلموا انه يجب عليّ ان اكون عند ابي". كان على مريم ويوسف، اذن، ان يعلموا اين يبحثان عن ابنهما. واللامة واضحة؛ ومع ذلك، فان الجملة تسمح لنا ان نتساءل لماذا لم نعرف تلك التي كانت، منذ رواية البشارة، نموذج المؤمن المسيحي، اين تجد يسوع؟!

ان الآية ٤٩ تعكس قولاً لغزياً فيه يكشف يسوع لوالديه -ولهما فقط، وليس للمشرعين او للجمع- عن علاقته بابيه السماوي. ومريم التي تتكلم عن "الواجبات البنوية" -وكانت تفكر بالوصية الرابعة (خر ٢٠: ١٢) ولا شك- يجيبها يسوع مرجعاً اياها الى الوصية الاولى التي تحدّد الواجب تجاه الله (خر ٢٠: ٣-٦). انه الابن الذي يطيع اياه السماوي. وهكذا، اذن، تصبح كلمة يسوع الاولى ذكراً لابيّه، تماما كما ستكون كلمته الاخيرة التي سيلفظها قبل ان يسلم الروح (٢٣: ٤٦).

انها كلمة لغزية، إذ ان الفعل "يجب" يصدق في كلمة يسوع الاولى هذه؛ وسوف يعبر هذا الفعل، على مدى تسع مرات، في لوقا-الاعمال، عن ان رسالة يسوع (لو ٤: ٤٣)، ولا سيما آلامه/ قيامته (لو ٩: ٢٢؛ ٢٤: ٢٦) تنتمي الى المخطط الالهي للخلاص، وهو المخطط الذي تبناه يسوع. ولا عجب بان مجرد عبارة "يجب" تكشف عن ان مريم ويوسف لم يفهما ما قال لهما يسوع؛ انهما كلاهما يستبقان صورة التلاميذ، الذين بعد الانباء الثالث بالآلام، على سبيل المثال، لم يفهموا شيئاً، وكان هذا الكلام مغلقاً عليهم، فلم يدر كوا ما قاله لهم يسوع (١٨: ٣٤). وقد يقول قائل: كيف يمكن ان يضع لوقا على المسرح مريم وهي لا تفهم شيئاً مما يقوله يسوع، في حين تلقت كثيراً من الامور الموحاة -من جبرائيل ومن الرعاة ومن سمعان- بشأن طبيعة ابنها الاستثنائية، وقد تأملت بها في قلبها (٢: ١٩)؟ فلقد سمعت انه المسيح وابن الله؛ ولكن هل تفهم ذلك؟ فضلا عن انها تجهل كيف ستتحقق هذه الالقباب في واقع التاريخ. وهكذا سلط لوقا الضوء على

موضوعين. من جهة، ان كلمة يسوع هي في الواقع اليومي، يصعب فهمها كما يصعب فهم الايحاءات. ومن جهة اخرى، ان نفهم من هو يسوع، لا يعني فقط قبول، مرة واحدة، في الايمان، اللقب الكريستولوجية التي اعطيت له؛ هناك عملية تدريجية في الفهم يسعى لوقا الى ان يرينا مراحلها من خلال صورة التلاميذ.

ونجدنا بازاء خلاصة مضاعفة مع ردتين (آ ٥٠-٥٢) يُختتم بهما المشهد. يبدأ لوقا بالاشارة الى عدم فهم الاهل (انظر اعلاه)، ومن ثم يرينا يسوع راجعا الى الناصرة وعائدا الى الالتزام الصارم بمشاعر التقوى البنوية المنسجمة مع الشريعة. وهنا تأتي الردة بشأن مريم: انها تواصل تأملها في السر (راجع ٢: ١٩) الذي لن يكتمل، كما بالنسبة الى التلاميذ، الا في نور القيامة (راجع رسل ١: ١٤). اما الردة بشأن نمو يسوع، فهو يُصدي النمو جسديا وعقليا، نراه يحظى، اكثر فاكثرا، برضى الله والناس. وفي هذا الصدد، تستتير ملاحظه من خلال صورة صموئيل الكتابية (١ صم ٢: ٢٦).

ملاحظة اخيرة: ان ذكر العودة الى الناصرة يمنع "دورة الطفولة" من ان تُختتم، بشكل نهائي، في الهيكل، حيث كان قد بدأ بشكل واضح. انها مسيرة طويلة (لو ٣-١٩) ستعود يسوع من جديد الى الهيكل.

∴

في الوقت الذي نغلق فيه "انجيل الطفولة" يجدر بنا ان نطرح سؤالين؟

١. اية مصادر كانت مجوزة لوقا في انشائه هذين الفصلين؟

لا يمكن قط، وبأي طريقة، ان نضع رواية متى ١-٢ في موازاة مع ما قرأناه لدى لوقا. فالاختلافات كثيرة جدا. وعلى سبيل المثال، لنذكر بان متى ٢ ليست له رواية لميلاد يسوع، بينما، في المقابل، روى قصصا يجهلها لوقا تماما؛ وليوسف كُشف عن مصير يسوع. وباختصار، ليس للروايتين اصل مشترك.

ومع ذلك، فان هناك اشارات عديدة، فعلية او لاهوتية، مشتركة بين الانجيليين. فنحن بازاء شخصية الوالدين، وقد كانا مخطوبين لم تتم بينهما علاقات جنسية؛ بشارة الملاك بالجيل البتولي بفعل الروح القدس، وولادة يسوع في بيت لحم؛ طفولته في الناصرة. ويتفق ايضا متى ولوقا بشأن مسيحانية يسوع الذي تربطه علاقة خاصة بالله، ولكن ايضا

بشأن موضوع يتناولانه بشكل مختلف: رفض اسرائيل ودعوة الوثنيين. وتصرف هيرودس الاجرامي وسجود الجوس في متى، يقابلهما نبؤة سمعان في لو ٢: ٣١-٣٥. وتجدر الملاحظة اخيرا الى ان مرقس يبدو عارفا بالحبل البتولي حين يدعو يسوع النجار، ابن مريم (مر ٦: ٣) بينما النصوص الموازية له في متى ولوقا تتحدث عن ابن النجار او عن ابن يوسف.

هذه المعطيات المشتركة تفسح المجال كي نخلص الى القول بان هناك، في بعض الكنائس قبل عام ٧٠، كانت تتردد تقاليد غايتها الاولى، قبل كل شيء، ان تشدد وتنير الايمان بيسوع، المسيح الرب، وكانت قد اتخذت صيغا مختلفة جدا. ولوقا، بشكل مباشر بالاكتر، كانت في حوزته مصادر مختلفة، بعضها يُحتمل انه كتب باليونانية: قصة^(١) بشأن مولد يوحنا المعمدان، رواية بشارة الى مريم، نشيد مريم وزكريا، وبشكل افتراضي جدا، لقاء بين مريم واليسابات. ولا شيء في النص الانجيلي ما يوحي بنظرية يكون لوقا بموجبها قد تلقى مكاشفات ادلت بها إليه مريم، ام يسوع.

فلوقا، فيما استند الى هذه المعطيات، وغرف من العهد القديم، أَلَفَ الفصلين الاولين من مؤلفه، بحرية كبرى -حرية شبيهة بالحرية التي سيستخدمها في سفر الاعمال، ولكنها حرية اكبر من تلك التي سيسمح بها لنفسه، ازاء التقليد، لنقل رسالة يسوع.

٢. ما هي درجة "التاريخية" في لو ١-٢؟

هناك ملاحظة تفرض نفسها. كثيرون هم الاشخاص في انجيل الطفولة هذا - وليس مريم فقط- كان لهم الحق في وحي (كشف) بشأن الدور الذي سيلعبه يسوع لاحقا. فالرعاة، وقد استناروا، رووا ما بُشِّروا به لاشخاص عديدين؛ وحنة تتحدث عن الطفل الى كل من كان ينتظر افتداء اورشليم. وهناك العديد من علماء الشريعة كانوا شهودا، في الهيكل، لذكاء يسوع واجوته وهو في الثانية عشرة من عمره. ومثل هذه المعرفة عن يسوع غائبة بالتمام عن اشخاص وضعوا على المسرح، اعتبارا من لو ٣. فلا احد -لا بطرس ولا قائد المئة ذاته عند اقدام الصليب- يعترف بيسوع ابنا لله (وهو اللقب الذي اوحى لمريم ١: ٣٥). والالقباب الكريستولوجية الثلاثة التي اوحيت للرعاة، يحتمل انهم اذاعوها (١: ١١، ١٧)، إلا ان لقب "المخلص"، فلن نجده الا في خطاب سفر

(١) ليس للعبارة معنى سلمي. ألا نتحدث عن قصة هذه اللوحة او الصورة؟ انما تعني هنا رواية تحكي حياة احد القديسين بشكل مؤثر، دون الاهتمام بشكل خاص بالجانب التاريخي.

الاعمال، على لسان بطرس (رسل ٥ : ٣١) وبولس (١٣ : ٢٢). واذا حيًا اناس يسوع بلقب "رب"، ١٨ مرة في الانجيل لوقا، فان لقب المسيح فاه به بطرس مرة واحدة (٩ : ٢٠) قبل ان نلقاه من جديد على شفاه غير مؤمنة، ابان الآلام. اما الحبل البتولي، فلا ذكر له على لسان الاشخاص، لا في بقية الانجيل ولا في الاعمال.

كل هذا يشير الى التفاوت الموجود بين ما يقوله انجيل الطفولة عن المسيح، من جهة، وبين ما يقوله بقية الانجيل، من جهة اخرى. واذا اعلن لو ١-٢ مسبقا ايمان الكنيسة برمته، فلأن هذين الفصلين قد استنارا بشكل قوي بهذا الايمان الفصحى الذي هو موضوع تطبيق. وان مسيحانية يسوع وسيادته اللتين اعلنهما الملاك للرعاة، ترجع صداها في الواقع الرسالة التي نادى بها بطرس بعد القيامة: "يسوع الذي صلبتموه، جعله الله ربا ومسيحا" (رسل ٢ : ٣٦). الا ان هذه السيادة التي تلقاها يسوع غداة القيامة، هوذا لوقا يعترف - مع كنيسته - بانها كانت مسبقا، وبشكل سري، حاضرة في الطفل الذي وضعته مريم.

بداية الإنجيل

(لو ٣: ١ - ٤: ١٣)

كرازة يوحنا المعمدان (١٨- ١: ٣)

١ ٣ في السنّة الخامسة عشرة من حكم القيصر طيباريوس، إذ كان بُنطُوس بِيلاطس حاكم اليهودية، وهيرودس أمير الربع على الجليل، وفيلبس أخوه أمير الربع على ناحية إيطورية وطراخونيطس، وليسانياس أمير الربع على أيلينة،
٢ وحنان وقيافا عظيمي الكهنّة، كانت كلمة الله إلى يوحنا بن زكريّا في البرية

٣ فجاء إلى ناحية الأردنّ كلّها، يُنادي بمعمودية توبة لغفران الخطايا،

٤ على ما كُتِبَ في سفر أقوال النبيّ أشعيا:

((صوتٌ مُنادٍ في البرية: أعدوا طريق الربّ واجعلوا سبيله قويمه.

٥ كُلُّ وادٍ يُردم وكُلُّ جبيلٍ وتلٍ يُخفَض والطُرُق المُنْعَرِجَةُ تُقَوِّم والوَعْرَةُ تُسَهِّل

٦ وكُلُّ بَشَرٍ يَرى خِلاصَ اللهِ)).

٧ وكان يقول للجموع التي تخرج إليه لتعتمد عن يده: ((يا أولاد الأفاعي، من أراكم سبيل الهرب من الغضب الآتي؟

٨ فأثمروا إذاً ثمرًا يدلُّ على توبتكم، ولا تُعلّلوا النفس قائلين: ((إنَّ أبانا هو إبراهيم)).
فإني أقول لكم إن الله قادرٌ على أن يخرج من هذه الحجارّة أبناء إبراهيم.

٩ هاهي ذي الفأس على أصول الشجر، فكلُّ شجرة لا تُثمر ثمرًا طيبًا تُقطع وتلقى في النار)).

١٠ فسأله الجموع: ((فماذا نعمل؟))

١١ فأجابهم: ((من كان عنده قميصان، فليقسّمهما بينه وبين من لا قميص له. ومن كان عنده طعام، فليعمل كذلك)).

١٢ وأتى إليه أيضًا بعض الجباة ليعتمدوا، فقالوا له: ((يا معلّم، ماذا نعمل؟))

- ١٣ فقال لهم: ((لا تَجْبُوا أَكْثَرَ مِمَّا فُرِضَ لَكُمْ))
 ١٤ وسأله أيضاً بعضُ الجُنُودِ: ((ونحنُ ماذا نَعْمَلُ ؟)) فقال لهم: ((لا تَحْمَلُوا عَلَى أَحَدٍ وَلَا تَطْلُمُوا أَحَدًا، واقنعوا برواتبكم)) .
 ١٥ وكان الشعبُ يَنْتَظِرُ، وكلُّ يسألُ نفسه عن يوحنا هل هو المسيح .
 ١٦ فأجاب يوحنا قال لهم أجمعين: ((أنا أعمدكم بالماء، ولكن يأتي من هو أقوى مِنِّي، مَنْ لَسْتُ أَهْلًا لِأَنْ أَفُكَّ رِبَاطَ حِذَانِهِ. إِنَّهُ سَيُعَمِّدُكُمْ فِي الرُّوحِ الْقُدُسِ وَالنَّارِ .
 ١٧ يَبْدُو السِّمْدَرَى، يُنْقِي يَبْدَرَهُ، فَيَجْمَعُ القَمْحَ فِي أَهْرَائِهِ، وَأَمَّا التَّبْنُ فَيُحْرِقُهُ بِنَارٍ لَا تُطْفَأُ))
 ١٨ وكان يعظُ الشعبُ بأقوالٍ كثيرةٍ غيرها فيُبلِّغُهُمُ البشارة .

لوقا، بعد ان انفراد في كتابة انجيل الطفولة، يلتحق هنا بعمل سابقه؛ فان مرقس ومصدر الاقوال (راجع المقدمة) كانا قد ذكرا، في البداية، نشاط يوحنا المعمدان. وها هو يستقي بشكل واسع من الواحد والآخر لينقل لتعليم السابق واعتقاله، وكذلك عماد يسوع والتجارب. ولوقا، بعمله هذا، تبني الصورة اللاهوتية التي رسمها التقليد: فيوحنا كان الصوت الذي، في البرية، دعا بني اسرائيل الى إعداد طريق الرب يسوع. وذلك لن يمنعه بالتالي - كما سنرى - من ان يُضفي لمساته الخاصة على هذه الصورة.

ان دخول يوحنا الى مسرح الاحداث (آ ١-٦) يندرج احتفاليا في تاريخ ارض اسرائيل عبر ست اشارات متناغمة (آ ١-١٢). فمن المملكة الهيرودسية - وهي تابعة ومالية ولا شك - التي كانت اطارا "للطفولة" (١: ٥؛ ٢: ١-٢)، نتقل هنا الى ادارة مباشرة لليهودية بيد الامبراطور وحاكمه، فيما كانت بقية مملكة هيرودس - ولا سيما الجليل - قد عُهد بها الى اولاده الذين ليسوا سوى ولاة. فبعد تنويهاات خمسة عكست واقع السلطة السياسية الحاكمة في فلسطين وبعض المناطق القرية، هوذا التنويه السادس يطال رؤساء الطبقة الكهنوتية الذين سنجدهم، مع بيلاطس وهيرودس وانتيباس، بصفة منفذي الآلام في لو ٢٢ و ٢٣. اما رسالة يوحنا، فقد حددت في السنة الخامسة عشرة من مُلك طيباريوس الذي ابتداء في خريف عام ٢٨. وهوذا لوقا يفكر بتثوفيلس: فلقد كان بوسع المهدي اليه ان يحقق في ان التعليم المسلم اليه (١: ٤) يتعلق بأحداث حقيقية جرت في حقبة معروفة من الزمن.

ودعوة يوحنا هي من مستوى دعوة الانبياء (انظر على سبيل المثال إر ١: ١-٤). انه واعظ جوال، ومع ذلك، سيرى الجماهير تأتي اليه. وان التغيير في الاخلاق الذي ينادي به، والعماد الذي يمنحه، يلتقيان بالتالي مع انتظار الشعب. فالمعمدان، حين يناشد سامعيه

الى التزام جانب الله، فهو، في الواقع، يقوم تجاههم باعلان مدهش: إذ ان ذاك الذي سيأتي ليدين المسكونة مستعد مسبقا لأن يمحو خطاياهم، بغض النظر عن كل ذبائح الخطيئة التي حددتها طقوس الهيكل، عبر الغطس في مياه نهر الاردن الحية.

وان رسالة يوحنا اتمت بوضوح نبؤة اش ٤: ٣-٥؛ انما المرحلة الاولى في تحقيق عزاء اسرائيل الذي اعلن عنه هذا النبي وانتظره الاتقياء (لو ٢: ٢٥، ٣٨). والاسينيون، في قمران، الذين اختصوا هذه النبؤة ذاتها، كانوا يعتقدون بان عليهم، كي يُعدّوا طريق الرب، ان يعتزلوا في قلب برية اليهودية، حيث يدرسون ويمارسون الشريعة بمنتهى الصرامة. اما يوحنا، فهو يصرخ عبر البرية معلنا الخلاص الآتي وضرورة تغيير العقلية؛ وهذا التغيير رُمز اليه بصورة اعمال جبارة يقتضيها بناء طريق سريع. ولوقا، فيما استند على اش ٤٠، فقد التزم التقليد (راجع مرقس ومتى). انه يبادر الى شيء جديد إذ يجتهد استشهاده بالمرجع، في آ ٥، بالتشديد على شمولية الخلاص وفق اش ٤٠: ٥: **ويعاينه كل بشر**. وكما كان لوقا قد فعل سابقا في ٢: ٣٠-٣١، يعلن ما سيتحقق في القسم الثاني من سفر الاعمال؛ وهذا ما ينسجم واقعا مع ما سوف يصرّح به يوحنا، في آ ٨ بشأن نسل ابراهيم.

ويقدم لوقا من ثم ثلاثة نماذج من كرازة المعمدان، دون ان يشرح الروابط القائمة بين الوجة الاسكاتولوجية (الواخريّة) (آ ٧-٩) والخلقية (آ ١٠-١٤) والمسيحانية (آ ١٥-١٨). فالاحداث التي تتعلق بالنهاية، نجدها وكأنها على وشك ان تجري: **"هي ذي الفأس على اصول الشجر"**. لذا، فان اقتراب "الساعة" يقود يوحنا الى تبني لغة أكثر قربا من لغة انبياء العهد القديم تجاه يوم الرب، مما من خطاب هذا او ذاك من معاصريه اعتبر نفسه نبي الازمنة الاخيرة، أي ذاك الذي سيحدد عجائب الخروج. هكذا هي الحال مع ثودس الذي يشير اليه سفر الاعمال (٥: ٣٦). فيحسب المؤرخ اليهودي يوسفوس، في حدود العام ٤٥: "اقنع عددا كبيرا من الناس كي يحملوا مقنبياتهم ويتبعوه الى نهر الاردن؛ وكان يؤكد انه النبي، ويقول بان مياه النهر، بأمره، ستشقق لتفسح لهم عبورا سهلا. ويقوله هذا اضلّ عددا كبيرا (كتاب "العصور القديمة" ٢٠: ٩٧-٩٩). اما المعمدان، فلم يكن يشارك في مثل هذه الحمى، ولم يدعُ احدا الى الاقتداء بأسلوب حياته؛ وانما طلب من عابري السبيل ان يغيروا سلوكهم، وان تكون لهم سيرة تشهد على اهتداء حقيقي.

ويوحنا، في هذه المرحلة من كرازته، لا يقوم باي تلميح الى المسيح؛ بل يشدد على الضرورة القصوى بالخروج بثمار تنبع من اقتراب زمن الدينونة الالهية. كما ان

صورة الشجرة غير المثمرة - وقد قطعت (راجع لو ١٣: ٦-٩) والقيت في النار - تشير الى ان عدالة الله، في نظر يوحنا، هي القيمة القصوى؛ ولم يعد قط مكان للرحمة - وهي تلك الصفة الالهية التي يصعب توفيقها مع الصفة الاولى.

وحذار من ان يُخيل للسامعين، ومعهم بعض الربانة (راجع يو ٨: ٣٣-٣٩)، ان انتماءهم الى نسل ابراهيم وختانتهم - وهي ختم هذا الانتماء - سيجعلهم تلقائيا في مأمن من الدينونة الاخيرة! فضلا عن ان القدرة الالهية ليست مُلزَمة بهذه الظواهر الاثنية والطقسية؛ فهي تستطيع ان تختار من تشاء لتجعل منهم ابناء ابراهيم، ذاك الجد الذي تلقى وعود الحياة. وحين يتبنى لوقا هنا فكرة الشمولية التي كانت قد نسبت الى يوحنا بحسب مصدر الاقوال، فليس من المؤكد انه يعرف بوضوح ما كتبه بولس قبل خمسة وعشرين عاما: "ليس جميع الذين من اسرائيل باسرائيل، ولا هم جميعا ابناء ابراهيم وإن كانوا من نسله" (روم ٩: ٦-٨)؛ "ابناء ابراهيم هم اهل الايمان" (غل ٣: ٧). وعلى هذه النقطة، يبدو تعليم بولس، رسول الامم، متحذرا في كرازة المعمدان التي عكسها مصدر الاقوال اكثر من تجذره في كرازة يسوع.

والوجه الاخلاقي لكرازة يوحنا (آ ١٠٤-١٠٤) نجده معروضا في شكل حوار. فعلى ثلاث دفعات، سؤال واحد هو نفسه بمثابة ردة: "ماذا نعمل؟". ما هي التغييرات الواقعية الواجبة في الحياة كي تعبر خارجيا عن التوبة العميقة؟ وما هي اجوبة الواعظ تلفت الانتباه، وعلى مستويين. فمن جهة، تتعلق كلها بسلوك الانسان الاجتماعي، دون ان تفرض عليه، لا ذبيحة عن الخطيئة، ولا ممارسة زهدية؛ والمطلوب هو الوقوف الى جانب المحتاج، والتزام التزاهة والمساواة في ممارسة كل انسان لمهنته. وتلك هي التزامات تتجاوز شريعة موسى وتفرض نفسها على الجميع، محتونين وغير محتونين. ذلك ان ضرورة الاهتداء امر شامل، كما ان الخلاص المعروض شامل (آ ٦)؛ ومن الملفت ان المجموع هي التي تملأ المسرح!

وتجدر الاشارة من جهة اخرى، الى ان هذه الالتزامات لا تُضفى عليها نبرة الكرازة الاسكاتولوجية التي للآيات ٧-٩. فيوحنا لم يعلن قط عن انقلاب في البنى الاجتماعية (قارن مع يسوع في لو ٦: ٢٠-٢٦)؛ وهو لا يطلب من جباة الضرائب ان يقطعوا صلتهم مع المحتل الروماني الذي يتعاونون معه، كما لا يطالب الجنود اليهود الذين أقحموا في جيش هيرودس ان يتركوا الخدمة. انه لا يدعو احدا الى التخلي عن كل شيء ليتبعه؛ اما ما طلبه يسوع من احد الوجهاء، في لو ١٨: ٢٢، فقد كان جذريا! كما ان اقتسام الاكل والثياب المطلوب هنا، يعتبره لوقا مطلبا يميز كل مسيحي. وسنعود الى هذا الموضوع ادناه لدى الحديث عن الموقف تجاه المال، وانما يكفي الآن ان نشير الى ان زكا،

جاي الضرائب (لو ١٩: ٨) وعد يسوع بان يعوض عن كل المظالم بحق الاخرين - وهذا ما طلبه يوحنا هنا من العشارين زملاء زكا- وان يعطي الفقراء نصف امواله - وهو الجواب الذي اعطاه يوحنا للجمع، اي للجميع.

والنافذة الاخيرة من كرازة المعمدان (١٥٠-١٨) قُدِّم لها عبر السؤال الذي طرحه الجميع: ألا يكون يوحنا البديل الداودي الذي سوف يقيم السلام والعدل للذين طالما انتظرهما الشعب؟ ويبدو واضحا ان الواجهة الاسكاتولوجية للرسالة المعمدانية تستقطب انتباه السامعين اكثر من الواجهة الاخلاقية...

ويحدد المعمدان من ثم دوره بالنسبة الى ذاك الآتي. فالغطس في المياه الحية يختلف عن عماذ الروح والنار الذي سيعطيه المسيح ابتداءً من العنصرة (رسل ٢؛ ويفهم لوقا الذكر القديم للنار في ضوء السنة النار التي تشير الى نزول الروح في هذه الرواية). لذلك فان يوحنا غير اهل بهذا العمل الشاق الذي لا يناسب سوى العبيد، وهو ان يفك رباط نعل ذاك الذي سيكون مصلح الاخلاق، المتصف بالصرامة اكثر مما هو عليها. وان عبارة "الذي يأتي بعدي" (راجع متى، مر، يو) التي كانت تؤكد اولا ان يسوع كان من تلاميذ يوحنا، فقد أُستبعدت بعناية: فيسوع لا يأتي بعد المعمدان الا بالمعنى الزمني! ذلك ان المرسل الاخير، وفقا للملامح التي رسمها يوحنا، هو قبل كل شيء ديّان الازمنة الاخيرة؛ انه سوف ينقي شعبه من الشوائب العقيمة، عاملا على ازالتها الى الابد.

هناك فعلاان يتسم بهما خطاب المعمدان: يناشد - ذلك نشاط يميز المبشرين المسيحيين، رسل ٢: ٤٠؛ ١٥: ٢٢- وبالاكثر يعلن البشرى السارة/ يبشّر. وهكذا يفتتح السابق فعلا، في نظر لوقا، كرازة الازمنة الاخيرة. الا ان هذا التبشير لم يكن له مضمون واضح، بينما في الوضع المسيحي، تبدو البشرى السارة عادة ذات تميّز: انها بشارة الملكوت (لو ٤: ٤٣؛ ٨: ١؛ ١٦: ١٦؛ رسل ٨: ١٢) او، بعد القيامة، بشارة يسوع بصفته المسيح والرب (رسل ٥: ٤٢؛ ١١: ٢٠). ولوقا، حين لم يضع على لسان السابق عبارة بشرى الملكوت السارة، فهو انما يبيّن بان يوحنا كان يركز بشكل مختلف عن يسوع؛ انه كان يمهد السبيل للعهد الجديد دون ان ينتمي الى مداره. واذا لم يرد اي ذكر عن انقلاب القيم في برنامج المعمدان (انظر اعلاه)، فلأن هذا الانقلاب هو مرتبط بشكل وثيق بمجيء الله المفاجئ بالذات.

نهاية رسالة يوحنا اليعوزدان (٣: ١٩-٢٠)

١٩ على أن أميرَ الرُّبْعِ هيرودُس، وكان يوحنا يُوبِّخُه بِأَمْرِهِ مع هيرودبًا امرأَةَ أَخِيهِ وبِسَائِرِ مَا عَمِلَ مِنَ السَّيِّئَاتِ،

٢٠ أَضَافَ إِلَى ذَلِكَ كُلِّهِ أَنَّهُ حَبَسَ يوحنا فِي السَّجْنِ.

حين كتب لوقا هذه المعلومة، فهو انما استبق، الى حد ما، معلومة وضعها مر ١: ١٤ مباشرة بعد العماذ وتجربة يسوع، واستخدم بداية مر ٦: ١٧-٢٩؛ وفي رواية استشهاد يوحنا، عُرض اعتقاله بصفته نتيجة للانتقادات التي وجهها بشأن حياة هيرودس انتيباس الخاصة. ومع ذلك، فان سبب الاعتقال، في نظر لوقا، يتجاوز المشكلة الخلقية العائلية، وانما يأتي ليضع ضمنا حدودا لكراسة يوحنا العماذية - وهذا ما عكسه الى حد ما المؤرخ اليهودي يوسفس. هناك دافع سياسي، بحسب يوسفس، وراء هذا السجن: هيرودس "يخشى ان تدفع تلك القوة في الاقناع الى ثورة"، لذا امر بتوقيف يوحنا "قبل ان تنشأ اضطرابات بسببه" (راجع "العصور القديمة" ١٨: ١٠٩-١١٩).

ويتوقف لوقا، إلى حد ما، عن ذكر يوحنا: ولن يضعه البتة على المسرح، وسوف يهمل رواية استشهاده التي قرأها ولا شك في مر ٦. الا ان التلميحات اليه لن تتوقف: فان رواية لو ٧: ١٨-٣٣ تقدمه وكأنه ما زال فاعلا من داخل سجنه، فيما يفترض مقطوع لو ٩: ٧-٩ انه قد قُتل.

وهكذا، فان الانشاء اللوقاوي يكون قد روى اعتقال يوحنا قبل ان يروي عماذ يسوع. وهذا يتعلق ولا شك بطريقة الراوي الذي يهمله ان "يختتم" موضوعا ويغلق الحقبه الاعدادية الاحيرة، قبل ان يضع على المسرح ذاك الذي يجب ان يأتي. وهذه الطريقة الادبية تخلق ولا شك معنى لاهوتيا. ففيما فصل لوقا، جسديا وزمنيا، بين يوحنا ويسوع، شدّد على ان السابق، بما انه كان في منعطف بين العالم القديم والعالم الجديد، فلم يعد له وجود آني في حاضر الكنيسة. وان اللاحاح الذي ابداه الانجيلي، من جديد، كي يجدد مكانة المعماذان بالنسبة الى مكانة يسوع، يكشف عن ان ذلك التذكير كان ضروريا للبعض. وان انجيلي متى ويوحنا يشهدان، هما ايضا، على انه كان على جماعات مسيحية، في الربع الاخير من القرن الاول، ان تعترف بان المسيح تلقى عماذ يوحنا وانه انتمى فترة من الزمن الى تلاميذه.

تجلّي الهي عقب عهاذ يسوع (٣: ٢١-٢٢)

٢١ وَلَمَّا اعْتَمَدَ الشَّعْبُ كُلُّهُ واعْتَمَدَ يَسُوعُ أَيضاً وكان يُصَلِّي، انْفَتَحَتِ السَّمَاءُ،

٢٢ وَنَزَلَ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْهِ فِي صُورَةٍ جِسْمٍ كَأَنَّهُ حَمَامَةٌ، وَأَتَى صَوْتٌ مِنَ السَّمَاءِ يَقُولُ: ((أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبُ، عَنْكَ رَضِيتُ)).

ولما اعتمد الشعب كله واعتمد يسوع ايضا وكان يصلي، انفتحت السماء ونزل الروح القدس... في الجملة الفريدة من النص اليوناني، لا يوجد فاصل بين طقس العماد والتجلي الالهي (ثيوفانيا). فقطس العماد الذي عبر عن تضامن يسوع التام مع الشعب، عبّر عنه بفعل ماضٍ؛ اما التجلي الالهي، فقد جرى ابان صلاة يسوع وعبّر عنه في صيغة الحاضر. ويغفل لوقا ايضا عن ذكر مكان المشهد وشخص يوحنا (وقد قيل انه سُجن!). وبهذه الطريقة، نزع سمات الوحي عن طقس العماد اليوحناي الذي لم يعد بعدُ فرصة للوحي. وهوذا الله يجيب يسوع وهو في الصلاة، بغضّ النظر عن عماد السابق. وهكذا اعلنت الصلة الوثيقة الموجودة، في سفر الاعمال، بين صلاة الجماعة المسيحية وبين هبة الروح الذي يمنح القدرة على الشهادة.

ويتضمن التجلي الالهي ثلاثة عناصر: انفتاح السماء الذي يمكن من التواصل بين العالم الالهي والبشر، ونزول الروح، والصوت السماوي -وسيستخدم لوقا كل هذه العناصر، وإن بطريقة اكثر خفاء، في رواية العنصرة (رسل ٢: ١-٦)، وهي في تواز مع المشهد الحالي. وفيما العناصر الثلاثة، في متى ٣: ١٠-١١، تشكّل رؤيا تقتصر على يسوع وحده، هوذا لوقا، بالمقابل، يعرض العنصرين الاولين بصفتهما احدائًا موضوعية، حتى انه يضيف "في صورة جسم". ومثل هذه الطروحات الدفاعية ستقوده الى "اضافتها" ايضا في ٢٤: ١١-١٣ كي "يرهن" لتتوفيلس والآخرين على حقيقة ما لا يوصف.

وخلافا لما يجري لدى مرقس، فان نزول الروح النبوي على يسوع ليس الاول، طالما ان يسوع قد كُرّس بالروح في خدمة الله منذ ولادته (١: ٣٥). فنحن بالاحرى بازاء "تأوين" لقوة الروح؛ وكذلك بطرس ورفاقه الذين امتلأوا من الروح القدس في العنصرة (رسل ٢: ٤) سيمتلأون منه من جديد ابان الاضطهادات الاولى (رسل ٤: ٣١). وان رمزية الحمامة حاضرة في لوقا كما لدى الازائين الآخرين؛ اما معنى ألسنة كأنها من نار في رسل ٢: ٣، فهي تُفسّر بسهولة، في صلة مع سياقها. ومهما يكن، فان عبارة "كأن" في الحالتين، تكشف عن عدم التكافؤ بين الصورة البشرية والحقيقة التي لا توصف. وسوف يفسر لوقا فيما بعد، وعلى دفعتين، معنى نزول الروح على يسوع، كونها مسحة نبوية تتمم نبؤة اش ٦١: ١: لدى كرازة يسوع الافتتاحية في الناصرة (٤: ١٨)، وفي واحد من خطابات بطرس (رسل ١٠: ٣٨).

ماذا يقول الصوت في آ ٢٢؟ في متى ومرقس - وقد تبعتهما بعض مخطوطات انجيل لوقا- نرى الصوت يخلط ما بين مز ٧:٢ واش ١:٤٢: "انت ابني الحبيب؛ عنك رضيت". وفي لوقا يردد الصوت فقط المزمور ٧:٢: "انت ابني: انا اليوم ولدتك". وهكذا يكون يسوع قد نُصّب بصفة الملك/ المسيح. ولما كان الصوت موجها اليه في صيغة المخاطب، فهو ليس موجها، اذن، الى اشخاص آخرين في الرواية. وصفة "ابن" ليست، بخصر المعنى، كشيئا ليسوع الذي استطاع، منذ لو ٢:٤٩، ان يتحدث عن الله بصفته اياه؛ كما ليست مفاجأة للقارئ، وقد سبق ان علم بنبوة يسوع عبر لو ١:٣٢-٣٥. ذلك ان الله يعلن ليسوع - كما للقارئ- بان الرسالة المسيحانية قد افتُتحت. وaban حدث التجلي، هو الله ينادي يسوع، مرة اخرى، بصفته ابنه (لو ٩:٣٥)؛ وسيكون ذلك باتجاه الوجه الثاني والاخير من رسالته. وبالتالي، فان هذا التنصيب المتتالي والذي سيبلغ ذروته في التنصيب الفصحي (رسل ١٣:٣٣) كشف عن ان ملوكية يسوع، المسيح، تتحقق على مراحل.

نسب يسوع (٣: ٢٣- ٣٨)

٢٣ وكان يسوع عند بدء رسالته، في نحو الثلاثين من عمره، وكان الناس يحسبونه ابن يوسف بن علي، ٢٤ بن ممتا، بن لاوي، بن ملكي، بن ينا، بن يوسف، ٢٥ بن ممتيا، بن عاموس، بن نحوم، بن حسلي، بن نجاي، ٢٦ بن مات، بن ممتيا، بن شمعي، بن يوسف، بن يهوذا، ٢٧ بن يوحنا، بن ريسا، بن زربابل، بن شالتييل، ابن نيري، ٢٨ بن ملكي، بن آدي، بن قوسام، بن المودام، بن عير، ٢٩ بن يشوع، بن لعازر، بن يوريم، بن ممتا، بن لاوي،

٣٠ بن شمعون، بن يهوذا، بن يوسف، بن يونان، بن ألياقيم، ٣١ بن مليا، بن منا، بن ممتا، بن ناتان، بن داود.

٣٢ ابن يسي، بن عوبيد، بن بوغر، بن سلمون، بن نحشون، ٣٣ بن عميناداب، بن آدمين، بن عرني، بن حصرون، بن فارص، بن يهوذا، ٣٤ بن يعقوب، بن إسحق، بن إبراهيم،

ابن تارح، بن ناحور، ٣٥ بن سروج، بن راعو، بن فالق، بن عابر، بن شالح، ٣٦ بن قينان، بن أرفكشاد، بن سام، بن نوح، ابن لاملك، ٣٧ بن متوشالح، بن أخنوخ، بن يارد، بن مهليليل، بن قينان، ٣٨ بن أنوش، ابن شيت،

بن آدم، ابن الله.

هوذا لوقا يقطع الصلة التقليدية بين العماد والتجارب، كي يشير الى ان يسوع، ابان بداياته، كان في نحو الثلاثين من العمر، ولكي يُدرج سلسلة النسب. علينا ان نحذر من ان نعلم رقما، هو تقريبي في نظر لوقا ذاته -ويحتمل ان ليسوع اكثر من ثلاثين. اما فكرة البدايات، فهو ذات فائدة كبرى على الصعيد اللاهوتي (انظر الاطار "بداية يسوع")، وكذلك المكان الذي ادرجها فيه.

في الواقع، بعد ان اعلن الصوت السماوي انه ابن الله، جاء النسب ليذكر بوضوح بتحدّره البشري من آدم... ابن الله (آ ٣٨). ولوقا، عوضا عن ان يتوقف عند ابراهيم، كما فعل متى، صعد في الواقع الى ما وراء الوعد وتكوين الشعب المختار. وهو انما يعني بذلك، من جديد، شمولية الخلاص: فمن وراء ابي الشعب المختار (راجع لو ١: ٧٣)، يتأصل يسوع في آدم، ابي العالم (حك ١٠: ١) وكل البشرية. فالذي اعلنه الصوت الالهي، قبل برهة، انه ابن الله، هو ايضا متضامن كلياً مع الجنس البشري، وهو يريد

بداية يسوع...

تستخدم بعض الترجمات لؤلؤ لوقا عبارات مختلفة (بدايات، بدء، او منذ) في حين يستخدم النص اليوناني الاصلي، وعلى سبع دفعات، كلمة واحدة (بصفة اسم او صيغة فعلية). ففي لو ١: ٢، ٢: ٣، ٢٣: ٥، رسل ١: ٢٢، ١٠: ٣٧، يجري الحديث عن بداية يسوع. وتلك مفردة تشير الى مكان والى زمان: الجليل، بعد العماد الذي نادى به يوحنا (لو ٢: ٢٣، ٥: رسل ١٠: ٣٧). وهذه البداية لا تحيلنا، اذن، الى الحبل او الولادة، وانما، في الواقع، الى افتتاح الكرازة التي تجري في صلة مع مجيء الروح ابان التجلي الالهي في العماد. فان "بداية" يسوع الوارد ذكرها في لو ٢: ٣ هي بالفعل بداية الانجيل. وعلاوة على ذلك، فان المفردة غالبا ما تكون ملحقة بعبارة هي الاخرى اشارة جغرافية وزمنية: ... الى اورشليم (لو ٢: ٣٥)، ... الى يوم الصعود (رسل ١: ٢٢). وهكذا نجدنا هنا بازاء مفردة ذات غنى لاهوتي كبير، إذ تحدد حياة يسوع العلنية.

... وبداية الكنيسة

هناك نصان آخران يشيران الى بداية الكرازة الرسولية. هوذا لو ٢٤: ٤٧ يجعل من اورشليم نقطة الانطلاق، في حين ان رسل ١١: ١٥ يحدد الزمان: فنحن بصدد حلول الروح على التلاميذ ابان العنصرة. ولن نتردد حينذاك من ان نلحق به رسل ٨: ١ حيث نجد فكرة "البداية" ملازمة وان غائبة. ذلك ان بداية الشهادة الرسولية في اورشليم -وهي مشروطة باقتبال الروح- يقابلها حقل جغرافي بمفرداته: "ما ان نلتهم قوة الروح القدس، تكونون لي شهودا في اورشليم وكل اليهودية والسامرة، حتى اقاصي الارض".

وهكذا يصبح الرباط منجزا بين يسوع والكنيسة، من خلال رسل ٢١: ٢٢، طالما ان رسالة يسوع هي التي تحدد الشهود: فمن بين الذين سينالون روح العنصرة، سينتدب رسميا تلاميذ عاشوا معه منذ البداية وحتى النهاية. وهكذا يتضح ان هناك صلة وثيقة بين البدايتين -وكلتاهما ينبعان من مجيء الروح. فبداية الكرازة الرسولية مرتبطة وخاضعة لبداية يسوع؛ ذلك ان بين يسوع وبين الجماعة بعد القيامة، لا توجد، اذن، هوة البتة، في نظر لوقا. وزمن الكنيسة لا ترسم ملامحه الا بصلته مع زمن يسوع الذي يفترضه (ي. سامان).

خلاصه (لو ٢: ١١). وهكذا كان يوسع آدم وذريته كلها ان يصبحوا ابناء بالتبني للخالق، بفضل ذاك الذي هو حقا ابن الله.

هذا النسب مكوّن من ٧٧ جيلا، بينها ٣٦ اسما يجهلها العهد القديم. انه يختلف بشكل واضح عن النسب في متى ١. وعلى غرار نسب متى، الذي، فيما لمح الى الحبل البتولي، ذكر اجداد يوسف، لان الشريعة تجعل منه بالفعل ابا ليسوع. غير ان النسب اللوقاوي يرقى الى آدم، بينما يتزل النسب المتاوي من ابراهيم الى يسوع. انه لا يبرز اية بنية عددية، ولا يشدد على اي اسم -حتى ولا داود، في الوقت الذي كانت بنوة يوسف الداودية قد وسمت بها في لو ١: ٢٧- ولا يُدرج اية امرأة. واخذت الاختلافات مع لائحة متى تبدأ منذ ذكر جدّ يسوع. ولعل من اكثر الامور غرابة هو ان البنوة الداودية لا تمر عبر الملك سليمان، وانما عبر ناتان، وهو ابن اخر لداود اقل شهرة (٢ صم ٥: ١٤). ولكن ماذا يهمنا. فان الدقة في مثل هذه الانساب هي في مستوى ثانوي، نظرا الى الغاية التي تهدف اليها: اظهار يسوع انه ابن داود، وانه ينتمي الى الشعب المختار، وانه وريث الوعد المقطوع لابراهيم، وانه اخيرا متضامن، عبر آدم، مع البشرية كلها.

تجارب يسوع (١: ٤-١٣)

- ٤ ١ وَرَجَعَ يَسُوعُ مِنَ الْأُرْدُنِّ، وَهُوَ مُمْتَلِئٌ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِّ، فَكَانَ يَقُوذُهُ الرُّوحُ فِي الْبَرِّيَّةِ
- ٢ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَإِبْلِيسُ يُجَرِّبُهُ، وَلَمْ يَأْكُلْ شَيْئًا فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ. فَلَمَّا انْقَضَتْ أَحْسَنَ بِالْجُوعِ.
- ٣ فَقَالَ لَهُ إِبْلِيسُ: ((إِنْ كُنْتَ ابْنُ اللَّهِ، فَمُرْ هَذَا الْحَجَرَ أَنْ يَصِيرَ رَغِيْفًا)).
- ٤ فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: ((مَكْتُوبٌ: كَيْسَ بِالْحُنَيْرِ وَحَدَهُ يَحْيَا الْإِنْسَانُ)).
- ٥ فَصَعَدَ بِهِ إِبْلِيسُ، وَأَرَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الْأَرْضِ فِي لَحْظَةٍ مِنَ الزَّمَنِ،
- ٦ وَقَالَ لَهُ: ((أُوَلَيْكَ هَذَا السُّلْطَانُ كُلُّهُ وَمَجْدَ هَذِهِ السَّمَمَالِكِ، لِأَنَّهُ سَلَّمَ إِلَيَّ وَأَنَا أُؤَلِّيهِ مِنْ أَشَاءِ.
- ٧ فَإِنْ سَجَدْتَ لِي، يَعُودُ إِلَيْكَ ذَلِكَ كُلُّهُ)).
- ٨ فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: ((مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلَهِكَ تَسْجُدُ، وَإِيَّاهُ وَحَدَهُ تَعْبُدُ)).
- ٩ فَمَضَى بِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَأَقَامَهُ عَلَى شَرْفَةِ السَّهْبِكْلِ وَقَالَ لَهُ: ((إِنْ كُنْتَ ابْنُ اللَّهِ، فَالْتَقِ بِنَفْسِكَ مِنْ هَهُنَا إِلَى الْأَسْفَلِ،

١٠ لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ:

يُوصِي مَلَائِكَتَهُ بِكَ لِتَحْفَظُوكَ))،

١١ ومكتوبٌ أيضاً:

((على أيديهم يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك)).

١٢ فأجابه يسوع: ((لقد قيل:

لا تُجربَنَّ الرَّبَّ إِلَهَكَ)).

١٣ فلما أنهى إبليس جميع ما عنده من تجربة، انصرف عنه إلى أن يحين الوقت.

حين ادرج لوقا النسب وفقاً لما رتبته، فقد تعرض الى كسر الرباط الاساسي الذي وضعه التقليد بين العماذ والتجربة. انه يذكر بمشهد العماذ حين كتب بان يسوع رجع من الاردن، موضحا الصلة بين النسب ولاهوت العماذ: بصفته ابن الله الممتلي من الروح القدس، سوف يُجرب. وكان يقوده الروح في البرية، هذا المكان الغامض الذي فيه، بحسب الكتاب المقدس، يمكن للانسان ان يختبر القوى الشريرة او يدخل في شركة مع الله الحي.

لقد استقى لوقا من مصدر الاقوال فكرة مسيحية عن المسيح مبنية حول ثلاثة مراجع مختارة جيداً من سفر تثنية الاشرع، كي يبرز خبرة اساسية عاشها يسوع. تلك حالة فريدة في الادب الانجيلي: فيسوع هنا لا يتلفظ سوى باقوال من العهد القديم! لقد مر ابن الله بثلاث تجارب عرفها من قبل الشعب الاسرائيلي ابان الخروج وسقط فيها؛ ويسوع، إذ استفاد من دروس سفر تثنية الذي كان قد حذر من العودة الى مثل هذه الاخطاء، خرج منها منتصراً على العدو. ومن المحتمل ان التقليد كان يعدد التجارب الثلاث بالترتيب الذي حفظه وعكسه متى: الخبز (وهو البحث عن الخيرات المادية فقط)، شرفة الهيكل (امتحان الله من خلال البحث عن علامات مسيحية باهرة)، ممالك العالم (التواطؤ مع الشر لضمان سلطته بصفة مسيح). ويحتمل ان لوقا قلب التجريبتين الثانية والثالثة، كي تصبح الاخيرة -وهي الاكثر اهمية- امتحان الله، وتجري في اورشليم.

وهوذا عدو الله -ويسمى ابليس، على اربع دفعات في هذا النص- قد اخذ علماً بالتصريحات الالهية. ولما كان عالماً بان يسوع هو المسيح، حاول ان يعترض على دوره في تاريخ الخلاص، فراح يدعوه، بطريقة او باخرى، الى تحقيق مسيحية ظافرة. ولا ينبغي للقارئ ان يخطئ بشأن رسالة ابن الله الحقيقية. فيسوع يتمم الكلام الالهي: يرفض ان يجري معجزات لصالحه (راجع تث ٣:٨ وقد وردت في آ ٤)، كما يرفض ان يُجل امير

هذا العالم كي يمارس ملوكيته الشاملة (راجع تث ٦: ١٣، وقد وردت في آ ٨)، او ان يستغل سلطانه بصفته ابن الله لكي يحمي نفسه... ويسحر اليهود بعجائبه (راجع تث ٦: ١٦ وقد وردت في آ ١٢). والقارئ حين يرى ابليس يستشهد بالزمور ٩١: ١١-١٢، سيكون بوسعه هو ايضا ان يفكر في اليهود المعادين للابمان المسيحي، الذين يستندون الى عدد من النصوص الكتابية التي توحي بالمسيح الملوكي، كي يرفضوا المصلوب القائم.

على ثلاث دفعات، اذن، تُمتحن امانة يسوع لله ولمخططه الخلاصي. والتجربة الثالثة تكمن في... امتحان الله إذ ترغمه على العمل! تلك كانت خطيئة الاسرائيليين في الصحراء حين طالبوا بمعجزة عبر هذه الكلمات: "هل الرب في وسطنا ام لا؟" (خر ١٧: ٧). اما يسوع، فهو يرفض ان يضطر الله على التدخل؛ انه لا يطالب بمعجزة كي ينجو بحياته. كما انه ايضا لن يطلب قط معجزة حين سيكون على الصليب (٢٣: ٣٥).

ان رؤية لوقا الواضحة هي باتجاه الآلام. وخلافا "للخاتمة السعيدة" كما جاءت في متى ٤: ١١ حين خرج الشيطان من المسرح، وراحت الملائكة تخدمه (راجع ايضا مر ١: ١٣)، هوذا الانجيلي يسلط الاضواء على الشيطان. فالشيطان، بعد ان ردّ عبثا على الطريقة التي يفهم بها يسوع مسيحانيته، خسر معركة، ولكن ليس الحرب، وينصرف عنه الى ان يمين الوقت (الساعة) - ساعة الآلام، حين سيكون هو فيها، في نظر لوقا، "الممثل" الرئيس والخفي (٢٢: ٣، ٣١، ٥٣). فبالنسبة الى لوقا، تبدو التجارب بصفته المحنة الاولى في معركة ستجري خاتمتها على الصليب... وخارجا عن القبر الفصحى!

ان معارضة الشيطان لابن الله واقع اكيد: فهي ستقود يسوع الى الموت. ولوقا، حين ينقل لنا هذا التعليم عن يسوع، يعلم انه يتكلم عبر صور. ألم يبلغ، على سبيل المثال، الجبل العالي جدا الذي منه يمكن للمرء ان يرى كل ممالك العالم - وتلك طريقة معروفة في التعبير في العالم اليهودي، وهي لا تفهم في العالم الوثني؟ فلقد كتب الانجيلي "في لحظة" (آ ٥): وهكذا نجدنا بازاء اشارة زمنية عوضا عن البعد الكوني!

ويُطرح السؤال حول التأصل التاريخي لهذا المشهد الافتتاحي الذي ورثه لوقا؟ فالى جانب الحدث الفعلي، اي إثر انسحاب يسوع، بعد عماده، الى هذا المكان الغامض الذي هو البرية، يترتب علينا ان نرى فيه واقعا مضاعفا: فنحن بصدد تجارب، ولا سيما تجربة مسيحانية ارضية، هي ولا شك بُعد دائم في رسالة يسوع؛ وفي الوقت ذاته نجدنا ايضا ازاء رفض دائم ليسوع للسقوط فيها. وهناك آثار واضحة على مدى الانجيل (لو ١٠: ٢٥؛ ١١: ١٦؛ ٢٢: ٤٢...)، تجد ذروتها في هذه البديهيّة: كان يسوع مسيحا

متجردا ومتألماً؛ وكان التلاميذ شهوداً على امانته الدائمة لله، وللرسالة التي تلقاها منه. ويترتب على قارئ لوقا ان يدرك بانه كان على يسوع ان يختار خطأً في الرسالة، وطريقة في العيش، ولم يكن من اليسير عليه ان يستمر حتى النهاية.

ولنقلها مرة اخرى: المحنة التي تخللت مسيرة يسوع، لم تكن الخطيئة! فعلى مثال كل انسان، اختبر ابن الله هذه المقولة من الكتاب المقدس: "يا بني، إن اقبلت لخدمة الرب، فأعدِدْ نفسك للمحنة" (ابن سيراخ ١: ٢).

رسالة يسوع

فلي الجليل

(لو ٤: ١٤ - ٩: ٥٠)

اولاً. بشارى الملكوت في الناصرة وكفرناحوم

(لو ٤ : ١٤ - ٥ : ١٦)

الكراتة في الناصرة (٤ : ١٤ - ٣٠)

- ١٤ وعاد يسوع إلى الجليل بقوة الروح، فانتشر خبره في الناحية كلها.
- ١٥ وكان يعلم في مجامعهم فيمجدونه جميعاً.
- ١٦ وأتى الناصرة حيث نشأ، ودخل المجمع يوم السبت على عادته، وقام ليقرأ.
- ١٧ فدفع إليه سفر النبي أشعيا، ففتح السفر فوجد المكان المكتوب فيه:
- ١٨ ((روح الرب عليّ لأنّه مسحني لأبشر الفقراء وأرسلني لأعلن للمأسورين تخليّة سبيلهم وللعميان عودة البصر إليهم وأفرج عن المظلومين وأعلن سنة رضا عند الرب)).
- ١٩ ثم طوى السفر فأعاده إلى الخادم وجلس. وكانت عيون أهل المجمع كلهم شاخصة إليه.
- ٢١ فأخذ يقول لهم: ((اليوم تمت هذه الآية بمسمع منكم)).
- ٢٢ وكانوا يشهدون له بأجمعهم، ويعجبون من كلام النعمة الذي يخرج من فيه فيقولون: ((أما هذا ابن يوسف؟))
- ٢٣ فقال لهم: ((لا شك أنكم تقولون لي هذا المثل: يا طيب اشف نفسك. فاصنع ههنا في وطنك كل شيء سمعنا أنّه جرى في كفرناحوم)).
- ٢٤ وأضاف: ((الحق أقول لكم: ما من نبي يقبل في وطنه.
- ٢٥)) (وبحق أقول لكم: ((كان في إسرائيل كثير من الأرمال في أيام إيليا، حين احتبست السماء ثلاث سنّات وستّة أشهر، فأصابت الأرض كلها مجاعة شديدة،
- ٢٦ ولم يرسل إيليا إلى واحدة منهنّ، وإنّما أرسل إلى أرملّة في صرفت صيدا.

٢٧ وكان في إسرائيل كثيرٌ من البرصِ على عهدِ النَّبِيِّ أَلِيشَاع، فلم يَبْرَأْ واحِدٌ مِنْهُمْ، وإنما برئ نِعْمَانُ السُّورِيِّ)).

٢٨ فنارَ ثائرٌ جميعَ الَّذِينَ في السَّمَجَمِ عِنْدَ سَمَاعِهِمْ هذا الكلام.

٢٩ فقاموا ودفعوه إلى خارجِ المَدِينَةِ وساقوه إلى حَرْفِ الجَبَلِ الَّذِي كَانَتْ مَدِينَتُهُمْ مَبْنِيَةً عَلَيْهِ لِيُلْقَوْهُ عَنْهُ،

٣٠ وَلَكِنَّهُ مَرَّ مِنْ بَيْنِهِمْ وَمَضَى.

ان لمشهد كرازة يسوع في المدينة التي تربي فيها -ويكاد تأليفه كله يرجع الى لوقا- طابعا منهجياً الى اقصى الحدود؛ انه يعلن، في الواقع، عن مواضيع ستحتل مكانا مركزيا في مجمل مؤلف لوقا/ الاعمال.

والموجز الذي تصدر المشهد (آ ١٤-١٥) يكرر مرة اخرى بان يسوع ممتلئ من الروح النبوي الذي، بعد البرية، قاده الى اماكن رسالته. اما مضمون تعليم يسوع، فلم يُذكر، في حين نجد في مر ١: ١٥ انه يكرز، بشكل صريح، بملكوت الله. وستكون كلمة المسيح العلنية الاولى، اذن، تفسيراً لنبؤة اشعيا. وبعد ان قالها لوقا، سوف يروي غالبا بان يسوع يعلم، من دون ان يعطي مضمون تعليمه؛ وهذا يعني ان مجرد الكلام هو فعل مستقل عن المضمون. وبخلاف المعمدان، فان المبادرات الى الكلام تجري غالبا في امكنة وازمنة معدة خصيصا لهذه الممارسة: من عادة يسوع ان يدخل مجمعا يوم السبت. لنلاحظ المسافة التي جعلها لوقا حين تحدث عن مجامعهم (آ ١٥)؛ ذلك انه في حوالي الاعوام ٨٥-٩٠، حين اخذ لوقا يكتب، كانت القطيعة قد تمت مع اليهودية التي راح رؤساؤها يمنعون المسيحيين من ان "يكرزوا" ابان الخدمة الجمعية. ومن ثم نصادف للمرة الاولى موضوع شهرة يسوع التي انتشرت في الجليل كله، وهي نتيجة كلامه الذي كان يلقيه بسطان.

يصف القسم الاول من الرواية (آ ١٦-٢٢) جانبا من شعائر العبادة في الجمع. انه يهمل صلوات الافتتاح والقراءة الاولى المأخوذة من شريعة موسى (التورا)، كي يتوقف على مرجع طويل من القراءة الثانية في الانبياء: وهنا نبؤة اشعيا ٦١: ٢-١. وهوذا لوقا يحذف منها الآية الوحيدة التي تتكلم عن تهديد: "... ويوم انتقام لاهنا". وبحسب النبؤة، يكون دور المرسل هو الاعلان بشكل فاعل عن ازالة كل ما يتألم منه الفقراء والمهمشون في الحياة، والتبشير بافتتاح حقبة يستقبل الله فيها الانسان. والآيات ١٦-٢٠ مبنية بإحكام:

في المجمع

وقام

دفع اليه السفر

ففتح السفر

فوجد المكان المكتوب فيه (اش ٦١: ١-٢)

ثم طوى السفر

فاعاده الى

وجلس

في المجمع

والقارئ الذي استنار لتوه بالتجلي العماذي يفهم جيدا، من دون ادنى شك، بان مرسل الله الذي مسحه الروح، هو يسوع ذاته، وان الرسالة الموصوفة ستكون رسالته بالذات في تنمة انجيل لوقا.

ومع ذلك، فيسوع، ما أن جلس - كانوا يعظون جالسين في فلسطين، بينما كانوا يقفون في مجامع الشتات (رسل ١٣: ١٦) - راح يفسر لأهل الناصرة قائلا: "اليوم تمت هذه الآية بمسمع منكم"؛ انه لا يقول بوضوح: "... لانها تتكلم عني، وبامكانكم ان تروا ذلك" - كما انه لا يقول قط انه المسيح او انه النبي. انه يقدم لسامعيه مؤشرات، ولكنه يدع فكرهم حرا بقبول او رفض العلامة المعروضة؛ انه يدعوهم الى اكتشاف الجدة التي اقتحمت سبيلهم. لذا، فمع إبداء اعجابهم بكلام النعمة التي تضمنتها اقوال يسوع، لم ير أهل الناصرة في يسوع سوى وجهة واحدة (ابن يوسف)؛ ولم يستشفوا فيه النبي الاخير الذي كانت تشير اليه نبوة اش ٦١.

في القسم الثاني من الرواية (آ ٢٣-٢٧) يبدأ يسوع بالكلام بطريقة استفزازية، وعلى دفعتين. ويدلل على ذلك سؤالهم في آ ٢٢: اهل الناصرة يطالبون بأية، ويسوع يستبق طلبهم (آ ٢٣) عبر مثل، هو استباق سيتجدد ثلاث مرات عند اقدام الصليب: "إن كنت المسيح فحلّص نفسك" (٢٣: ٣٥، ٣٧، ٣٩). وكأن على يسوع ان يتمم كلمته بالقيام، في وطنه، ومن اجلهم، باعمال قدرة شبيهة بالاعمال التي صنعها لدى الآخرين، في كفرناحوم - اعمال لن تُروى في الواقع الا في الآيات ٣١-٤١.

وهوذا يسوع، يجيب الى هذا المطلب. يمثل آخر (آ ٢٤)، ومن ثم بنموذج مضاعف (آ ٢٥-٢٧) استقاه من الملف النبوي (راجع ١ مل ١٧؛ ٢ مل ٥). وهنا ايضا، لا يقول يسوع صراحة انه النبي، في الوقت الذي كان كل شيء يشير اليه في هذه الآيات. غير ان الكريستولوجيا ليست سوى عنصر في الجواب. ذلك ان الجواب يشير بالاكثر الى اي حد يجب ان نذهب في البحث عن الفقراء والسجناء والعميان والمقهورين الذين، وفقا للنبوّة، سوف يتلقون البشرى السارة: في ما بين الغرباء عن اسرائيل. وهكذا، اذن، نرى ان برنامج سفر اعمال الرسل معروض برمته. فالوطن الذي يرفض ان يستقبل ذاك الذي يشير بسنة رضا (آ ١٩) اعلنها الله لكل انسان، لم يعد الناصرة وحدها، وانما اسرائيل ايضا. والآية العجيبة التي يمنحها يسوع لمواطنيه لا تجري عندهم، وانما في الخارج؛ ولما كانوا يرفضون بالتحديد تلك الشمولية ذاتها، فهم انما يشككون ايضا في المرسل الحامل لواعها.

اما خاتمة الرواية (آ ٢٨-٣٠)، فهي الاخرى برنامجية ايضا: لان الاعلان عن ان امتيازات اسرائيل قد انتهت، وان الله يستقبل الامم الوثنية، فذلك يثير غضب "اليهود". وتلك صورة سابقة لرواية من مثل رسل ٣ حين اخذ يهود انطاكية بسيذية ينتقلون من موقف التسامح تجاه بولس الى الغضب، وهم يشاهدون الوثنيين يسمعون كلمة الرب (رسل ١٣: ٤٤-٤٥). واذا كانت الآية ٢٤ قد احتوت على تهديد ضمني تجاه يسوع، فان الآية ٢٩ روت بوضوح تام اول محاولة للقتل! فان نبذ يسوع خارج المدينة على يد اهل اورشليم - كما هي الحال مع اسطفانس، رسل ٧: ٥٨-!- وقتله، انما نجد هنا في صورة مستتبقة (راجع رسل ٣: ١٤-١٥). وهكذا، منذ هذا المشهد، اصبحنا على بينة من ان لقب "النبي" يفترض من يسوع ان يعاني النبذ والالام؛ وسيوضح لو ٣٣: ١٣-٣٤ مكان هذا القتل بشكل واضح. اما الآن، فلم يحن الوقت (٤: ١٣)، وليست بعد ساعة الاعداء (٢٢: ٥٣)؛ فيسوع يواصل طريقه الذي سيوصله بالتالي الى اورشليم.

فأن يُعترف بيسوع انه النبي الاخير، فليس ذلك فقط مطلب موجه سابقا الى اهل الناصرة. ذلك ان لوقا، حين أخرج هذه الرواية، فهو انما دعانا الى ان نفهم هذه المفارقة: ان نبذ يسوع بالذات يحمل الجميع، في شكل مفارقة، على تشخيص مرسل الله فيه (راجع ايضا لو ١٣: ٣٤).

يسوع يعهل في كفرناحوم (٤: ٣١-٤٤)

٣١ ونزلَ إلى كَفَرْنَاحُومَ، وَهِيَ مَدِينَةٌ فِي الْجَلِيلِ، فَجَعَلَ يُعَلِّمُهُمْ يَوْمَ السَّبْتِ.

- ٣٢ فَأَعْجِبُوا بِتَعْلِيمِهِ لِأَنَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ بِسُلْطَانٍ.
- ٣٣ وَكَانَ فِي الْمَجْمَعِ رَجُلٌ فِيهِ رُوحٌ شَيْطَانٍ نَجَسٍ، فَصَاحَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ:
- ٣٤ ((آه! مَا لَنَا وَلَكِ يَا يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ! أَجِئْتَ لِتُهْلِكَنَا؟ أَنَا أَعْرِفُ مَنْ أَنْتَ: أَنْتَ قُدُّوسُ اللَّهِ.))
- ٣٥ فَانْتَهَرَهُ يَسُوعُ قَالًا: ((إِخْرَسْ وَإِخْرَجْ مِنْهُ!)) فَصَرَعه الشَّيْطَانُ فِي وَسْطِ الْمَجْمَعِ، وَخَرَجَ مِنْهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَمَسَّهُ بِسُوءٍ.
- ٣٦ فَاسْتَوَلَى الرَّعْبُ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ((مَا هَذَا الْكَلَامُ؟ إِنَّهُ يَأْمُرُ الْأَرْوَاحَ النَّجِسَةَ بِسُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ فَتَخْرُجُ.))
- ٣٧ فَذَاعَ صَيْتُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ مِنْ تِلْكَ النَّاحِيَةِ.
- ٣٨ ثُمَّ تَرَكَ الْمَجْمَعِ وَدَخَلَ بَيْتَ سِمْعَانَ. وَكَانَتْ حَمَاطَةٌ سِمْعَانَ مُصَابَةً بِحُمَّى شَدِيدَةٍ فَسَأَلُوهُ أَنْ يُسَعِفَهَا،
- ٣٩ فَانْحَنَى عَلَيْهَا، وَزَجَرَ الْحُمَّى فَفَارَقَتْهَا، فَهَضَمَتْ مِنْ وَقْتِهَا وَأَخَذَتْ تَخْدُمُهُمْ.
- ٤٠ وَعِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، أَخَذَ جَمِيعَ الَّذِينَ عِنْدَهُمْ مَرْضَى عَلَى اخْتِلَافِ الْعِلَلِ يَأْتُونَهُ بِهِمْ. فَكَانَ يَضَعُ يَدَيْهِ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فَيَشْفِيهِ.
- ٤١ وَكَانَتْ الشَّيَاطِينُ أَيْضًا تَخْرُجُ مِنْ أَنْاسٍ كَثِيرِينَ وَهِيَ تَصيحُ: ((أَنْتَ ابْنُ اللَّهِ!)) فَكَانَ يَنْتَهَرُهَا وَلَا يَدْعُهَا تَتَكَلَّمُ، لِأَنَّهَا عَرَفَتْ أَنَّهُ الْمَسِيحُ.
- ٤٢ وَخَرَجَ عِنْدَ الصَّبَاحِ، وَذَهَبَ إِلَى مَكَانٍ قَفْرٍ، فَسَعَتْ إِلَيْهِ الْجُمُوعُ تَطْلُبُهُ فَأَدْرَكَتْهُ، وَحَاوَلُوا أَنْ يُمَسِّكُوا بِهِ لِيَنَالُوا يَدَيْهِ عَنْهُمْ،
- ٤٣ فَقَالَ لَهُمْ: ((يَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أُبَشِّرَ سَائِرَ الْمُدُنِ أَيْضًا بِمَلَكُوتِ اللَّهِ، فَإِنِّي لِهَذَا أُرْسِلْتُ.))
- ٤٤ وَأَخَذَ يُبَشِّرُ فِي مَجَامِعِ الْيَهُودِيَّةِ.
- نجدنا ازاء وصف لقدرة يسوع العجائبية التي مارسها في كفرناحوم، وكان المشهد السابق قد استند إليها. لذا راح لوقا يستعيد اربعة مشاهد كان مرقس قد جمعها في يوم نموذجي واحد في كفرناحوم، وكأنها صورة مكتفة لنشاط يسوع المسيحاني. الا ان هناك فرقا كبيرا مع مرقس: إذ ان لوقا لم يورد بعدد دعوة التلاميذ، بحيث بدا يسوع وحيدا طيلة هذا المقطع الطويل.

تذكر المقدمة (آ ٣١-٣٢) بان يسوع يعلم عادة ابان العبادة في المجمع (راجع ١٥: ٤). ولوقا، قبل ان يتناول باسهاب اعمال القدرة التي صنعها يسوع، اشار الى ان

لهذا التعليم ذاته قوة خارقة تدهش السامعين. وعلى هذا المنوال، يبدو طرد الشيطان الذي سيقوم به يسوع (آ ٣٥) ليس سوى احد تجليات هذه الكلمة الفاعلة. ولما كانت البشرية السارة تتحقق ايضا في جسد السامعين، لذا كانت الصلة وثيقة بين التعليم والشفاءات.

فالشفاء الاول الذي صنعه يسوع هو، اذن، طرد شيطان، اي تحرير كائن بشري كان عقله مختلا (آ ٣٣-٣٧). واذا كان هذا الخيار محيّرًا للفكر الغربي في القرن العشرين، الا انه ذو دلالة رفيعة في كنيسة لوقا. ففي عالم يجعل ارتباطا وثيقا بين المرض والقوى الشريرة، يبدو طرد الشيطان ممارسة شاملة تتجاوز مفاعيلها لتوجّه سهامها الى اصل الشر. وفيما كان اليونانيون يتكلمون عفويا عن شياطين، يتكلم اليهود عن ارواح نجسة اي شريرة، مما يسجل التضاد القائم بين قوى الشر وبين الروح القدس. وهوذا لوقا يكتب بان الرجل كان فيه روح شيطان نجس.

مثل هذه اللغة تعبر جيدا عن الضغوطات الداخلية التي تعترض غالبا الكائن البشري، من دون ان تكون له القوة كي يتحرر منها لوحده. ان الموضوعية العلمية في الطب الغربي قاده ولا شك الى نتائج لا غبار عليها؛ فانخفاض نسبة وفيات الاطفال يكفي لتبرير ذلك. ومع ذلك نعود فنكتشف تدريجيا بان هذا الطب لا يتناول بشكل كامل الاسباب العميقة للعديد من الامراض، سواء كانت نفسية ام غيرها، وان الصلات العلائقية تلعب دورا لا يستهان به في الشفاء. ولدينا شهادات عديدة عن ما يحققه، على سبيل المثال، رجال مختلفون جدا، من "المعزّمين" الافارقة (راجع ايريك دي روزني: افريقيا الشفاءات) وحتى اطباء التحليل النفساني (راجع ماري كاردينا: كلمات تقال). ولا شك ان الشفاءات التي صنعها يسوع، وبالاخص حالات طرد الشياطين، هي، الى حد ما، ثمرة العلاقة العميقة التي كان يسوع قادرا على اقامتها مع الذين يلتقي بهم. وسوف نرى فيما بعد المعنى الذي يعطيه يسوع لحالات الطرد (انظر ادناه الاطار "معنى المعجزات").

وتجري الرواية في قالب كلاسيكي.

(١) الشيطان عرف "المعزّم" وراح يقاوم. وهذا العنصر هو غني بالمعلومات. فعلى لسان المسوس، لا يكفي الشيطان بمناداة يسوع الناصري واتخاذ مسافة منه بشكل معادٍ حسب، وانما يتساءل فيما اذا ازفت الساعة القصوى التي يجب فيها لعالم قوى الشر ان تنهار (لو ١٠: ١٨). انه يعلم جيدا من هو يسوع في الواقع، ويطلق عليه اللقب الكريستولوجي "قدوس الله" (راجع يوحنا ٦: ٦٩). ومثل هذه المعرفة ليست ولا شك من مستوى الاعتراف الايماني (راجع يع ١٩: ٢)!

(٢) يطلق "المعزم" تهديدا او امرا.

(٣) يخرج الشيطان بشكل جلي. ولكي يُبرهن على حقيقة الطرد، هوذا الرجل ملقى على الارض. برأى من المشاهدين؛ الا ان لوقا يُصرّ على القول بان الرجل لم يمسه سوء.

(٤) وتسجل الرواية اخيرا الانطباع لدى الحاضرين: خوف ديني يقود الى التساؤل بشأن اصل هذه الكلمة الفاعلة، ويعلم القارئ بان المقصود هو الروح الذي تلقى يسوع مسحته.

من بعد شفاء رجل في بيت صلاة، نجدنا بازاء شفاء امرأة مجمي في بيت خاص (آ ٣٨-٣٩). فيسوع يزجر الحمى، تماما كما زجر الشيطان من قبل في الآية ٣٥؛ ذلك ان هذا الشفاء، في نظر لوقا، هو شبيه بطرد الشيطان. وفي المشهد، نرى سمعان الذي جاء يسوع يزوره في داره؛ وما هو، مع اعضاء اسرته، يتوسل الى الزائر من اجل حماته، ويتحقق للحال من شفائها: هيذي المرأة تقوم بخدمتهم. ذلك ان الرواية تُعدّ للمقطع ٥: ١١-١٠: هناك صلة وثيقة نسجت مسبقا بين يسوع وسمعان، كما ان فعل ايمان سمعان في ٥: ٨ قد أُعدّ عبر الشفاء المدهش الذي كان شاهدا عليه في عقر داره.

اما الخلاصة التي تلت (آ ٤٠-٤٢)، فقد عمّمت الشفاءات للتدليل على ان يسوع هو الشافي والمعزم: انهم مرضى من مختلف العلل، ويسوع يضع عليهم يديه -انها حركة شفاء مرتبطة هنا بطقس التعزيم. وكما رأينا من قبل، نرى الشياطين هنا يعرفون دور يسوع في تاريخ الخلاص. وتبين الآية ٤١ بان لقب "ابن الله" و"المسيح" هما، في نظر لوقا، مرادفان. ومع ذلك، يحافظ الانجيلي في الوقت ذاته على الامر بالصمت الذي وجدته لدى مرقس، ولكنه يطبقه على اللقب الثاني. فأن نعلم نظريا من هو يسوع، على طريقة الشياطين (راجع يع ٢: ١٩)، فلا فائدة في ذلك؛ إذ ان كل واحد مدعو الى اكتشافه حقا عبر الآيات التي سيصنعها.

وفي المشهد الرابع والاحير (آ ٤٢-٤٤)، هوذا يسوع يترك كفرناحوم. ولما كان لوقا لم يدخل بعد التلاميذ الى المسرح، هيذي الجموع -وليس سمعان ورفاقه كما في مر ٣٦-٣٧- اخذت تطلبه وتأتي اليه. ومنذئذ، اصبحت المفارقة مؤثرة ما بين اهل الناصرة الذين دفعوا به الى الخارج، وبين جموع كفرناحوم التي امسكت به لتلا يذهب عنهم!

"يجب عليّ ان ابشر سائر المدن ايضا بملكوت الله". ان جواب يسوع هذا يضعنا ازاء مفهومين/ مفتاحين. وعبارة "يجب" التي سبق ان استُخدمت في ٤٩: ٢، سوف تعود اعتبارا من ٩: ٢٢ في انباءات الآلام؛ انما تعبّر عن "المصير الذي تبناه يسوع وفق

ارادة الله" (ف. يوفون). ومن جهة اخرى، يجري الحديث للمرة الاولى، عن "انجيل ملكوت الله" -وهي عبارة مأخوذة من اش ٧:٥٢. وهذه البشرى السارة التي تعلن، تعني ان الله ذاته يمسك بزمام السلطة، ويبادر الى إحقاق العدل وانجاز الخلاص. و تجسد مشاهد يوم كفرناحوم هذه الحقيقة الفاعلة والخلاصية التي تتم عبر كرازة يسوع وشفاءاته. لذا كان على يسوع ان يترك المدينة حيث كان قد حرر، للمرة الاولى، كائنات بشرية مسّها الشرير، ويتابع جولته في مجامع كل بلاد اليهود.

الصيد العجائبي ودعوة سمعان بطرس (١:٥ - ١١)

- ١ ٥ وازْدَحَمَ الْجَمْعُ عَلَيْهِ لِسَمَاعِ كَلِمَةِ اللَّهِ، وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى شَاطِئِ بَحِيرَةٍ جِنَّاسِرَتْ.
- ٢ فَرَأَى سَفِينَتَيْنِ رَاسِيَتَيْنِ عِنْدَ الشَّاطِئِ، وَقَدْ نَزَلَ مِنْهُمَا الصَّيَّادُونَ يَغْسِلُونَ الشِّبَاكَ.
- ٣ فَرَكِبَ إِحْدَى السَّفِينَتَيْنِ وَكَانَتْ لِسِمْعَانَ، فَسَأَلَهُ أَنْ يُعِيدَهُ قَلِيلًا عَنِ الْبَرِّ. ثُمَّ جَلَسَ يُعَلِّمُ الْجُمُوعَ مِنَ السَّفِينَةِ.
- ٤ وَلَمَّا فَرَغَ مِنْ كَلَامِهِ، قَالَ لِسِمْعَانَ: ((سِرْ فِي الْعُرْضِ، وَأرْسِلُوا شِبَاكَكُمْ لِلصَّيْدِ)).
- ٥ فَأَجَابَ سِمْعَانَ: ((يَا مُعَلِّمُ، تَعَبْنَا طَوَالَ اللَّيْلِ وَلَمْ نُصِبْ شَيْئًا، وَلَكِنِّي بِنَاءٍ عَلَى قَوْلِكَ أُرْسِلُ الشِّبَاكَ)).
- ٦ وَفَعَلُوا فَأَصَابُوا مِنَ السَّمَكِ شَيْئًا كَثِيرًا جَدًّا، وَكَادَتْ شِبَاكُهُمْ تَتَمَزَّقُ.
- ٧ فَأَشَارُوا إِلَى شَرَكَاتِهِمْ فِي السَّفِينَةِ الْأُخْرَى أَنْ يَأْتُوا وَيُعَاوَنُوهُمْ. فَأَتَوْا، وَمَلَأُوا كِلْتَا السَّفِينَتَيْنِ حَتَّى كَادَتَا تَغْرَقَانِ.
- ٨ فَلَمَّا رَأَى سِمْعَانُ بُطْرُسُ ذَلِكَ، ارْتَمَى عِنْدَ رُكْبَتَيْ يَسُوعَ وَقَالَ: ((يَا رَبِّ، تَبَاعَدْ عَنِّي، إِنِّي رَجُلٌ خَاطِئٌ)).
- ٩ وَكَانَ الرُّعْبُ قَدْ اسْتَوْلَى عَلَيْهِ وَعَلَى أَصْحَابِهِ كُلِّهِمْ، لِكَثْرَةِ السَّمَكِ الَّذِي صَادُوهُ.
- ١٠ وَمِثْلُهُمْ يَعْقُوبُ وَيُوحَنَّا ابْنَا زَبْدَى، وَكَانَا شَرِيكِي سِمْعَانَ. فَقَالَ يَسُوعُ لِسِمْعَانَ: ((لَا تَخَفْ! سَتَكُونُ بَعْدَ الْيَوْمِ لِلْبَشَرِ صَيَّادًا)).
- ١١ فَرَجَعُوا بِالسَّفِينَتَيْنِ إِلَى الْبَرِّ، وَتَرَكَوا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعُوهُ.

نظرة الى الاطار ادناه (لوقا ينقح مخطط مرقس) تكشف لنا عن ان دعوة سمعان قد حوّلت من مكانها. ذلك ان النداء يفترض، بالنسبة الى لوقا، معرفة سابقة بين يسوع وسمعان؛ وجواب سمعان يفهم بشكل افضل حين يكون قد عرف يسوع بصفته معلما وشفافيا مدهشا فقط.

ان مقطع لو ٥: ١-١١ معقد، لانه لا يكتفي بان يستدين من مشهد دعوة التلاميذ في مر ١٦: ١-٢٠. فالبداية، حين كان على يسوع، بسبب الجمع، ان يصعد الى زورق ليعلم، هي استعارة من مر ٤: ١-٢. ولكن هناك ما هو اكثر: يدمج نص لوقا رواية صيد عجائبي، مصدرها التقليد، نجدها ايضا في يو ٢١: ١-١١؛ فمن بين نقاط مشتركة عديدة، يجب ان نلاحظ بان الصيد يعني، في كلتا الحالتين، الرسالة التي تقوم بها الكنيسة. وان ربط هذه الاعجوبة برواية الدعوة، ليس هدفها الاول منح سمعان علامة جديدة على قدرة يسوع، وانما فسح المجال، قبل كل شيء، لصياد السمك كي يصبح صيادا للناس. وهكذا اصبح يحمل الرواية مبنيا على هذه الاستعارة.

حين وضعت هذه الرواية هنا (آ ١-٣)، نجد تعليم يسوع -وهو ما يشدد عليه لوقا بشكل قاطع- يصطدم بنجاحه الذاتي: **ازدحم الجمع عليه لسماع كلمة الله -كلمة لن يتخلى عنها بطرس والاثنا عشر بدورهم (رسل ٦: ٢).** هناك سفينتان مع طاقمهما هما تحت التصرف -واذا كانوا يغسلون الشباك، فلأن العمل كان قد انتهى. وعلاوة على ذلك، يسوع وسمعان يعرفان مسبقا احدهما الآخر. وسفينة سمعان لن تُستخدم فقط كي يتمكن المعلم من ان يتعد قليلا من الجمع ويواصل من ثم تعليمه بشكل مرضي.

وهوذا يسوع، بعد برهة، يطلب الى سمعان ان يسير في عمق الماء، كما يطلب من كل الطاقم ان **يلقوا الشباك (آ ٤-٧)**. ولما كان القبطان عارفا بمهنته، نفر من امر ذي نتيجة واهية، يوجهه ريفي. واذا القى شباكه مع ذلك، فليست تلك محاولة منه لصيد السمك -فلقد كان العمل جاريا طيلة الليل واسفر عن فشل- وانما طاعة لكلمة كان قد اختبر مسبقا فاعليتها. وكانت هذه الفاعلية على موعد: وتجاوزت النتيجة طاقات شباك سمعان التي **كادت تتمزق**. الا ان هذا الفشل، وهو من نوع آخر، لم يحصل، إذ ان الطاقم الآخر، عبر اشارة صامتة، هبّ الى العون؛ وهكذا اصبحت السفينة الاخرى علامة على عظمة الاعجوبة. غير ان لوقا يعود الى فاعلية كلمة يسوع حين كتب: تحت ثقل المحصول، فان السفينتين **كادتا تغرقان**.

مع الآيات ٨-١١ يتمحور الانتباه حول سمعان بطرس. ولوقا، إذ الصق هنا اللقب الذي سيعطيه يسوع لاول بين الاثني عشر (٦: ١٤)، فهو انما يوضح بان الحديث الآن سوف يدور حول مهمته الكنسية. وسمعان، حين رأى الاعجوبة، كانت له ردة الفعل ذاتها التي كانت لاشعيا (اش ٦: ٥-٦): **كائن بشري، خاطئ ولا شك، لا يسعه ان يبقى حيا في جوار قدرة الرب الالهية. واستولى الرعب المقدس على رفاقه ايضا. ولوقا،**

كي يضع بطرس في المقدمة، تأخّر حتى الآن في ذكر يعقوب ويوحنا. اما اندراوس المذكور في مر ١: ١٦، مع الثلاثة الآخرين، فقد أهمل هنا - كما أهمل مسبقا في ٤: ٣٨. ذلك لان لوقا يريد أن يبرز الثلاثي، بطرس ويوحنا ويعقوب، الذين سيكونون شهودا على آيتين اخريين من القدرة الالهية (١٨: ٥١؛ ٩: ٢٨).

الا ان الاعتراض الذي تقدم به بطرس قد أزيل: فعلى مثال المرسلين السماويين في مشهد الوحي (راجع ١: ١٣، ٣٠؛ ٢: ١٠)، هوذا يسوع يتجاوز المسافة، داعيا بطرس الى عدم الخوف. ومن ثم، ومن دون ان ينادي سمعان بوضوح - كما جري في مر ١: ١٧ معه ومع اخيه - هوذا يسوع يطلق وعدا موجّها الى الاول وحده. واذا نقح لوقا هذا الوعد، فذلك لكي يتزع عن استعارة الصيد وجهها السلي - لان الاسماك تموت! - وما توحيه من دينونة الهية (إر ١٦: ١٦). "ستكون بعد اليوم صيادا للناس (الاحياء)". والفعل الذي اختاره لوقا يعني حرفيا "صادهم احياء". ومنذئذ نفهم ان الصيد العجائبي هو صورة مسيئة للكراسة المسيحية التي هدفها جمع شمل الناس - وهم في صورة شبكة الصيد - من اجل الحياة. وعبارة "منذئذ" المألوفة لدى لوقا (راجع نشيد مريم ١: ٤٨) تفتح، دون تأخّر، الحقيبة الجديدة للخلاص، اي عمل التبشير. ذلك ان المستقبل الذي فتحته الآية ١٠، يعكس حاضر الكنيسة الذي بدأ اليوم.

سمعان بطرس لن يكون فقط الناطق باسم الفريق حول يسوع (لو ٩: ٢٠)، وانما سيتخذ مهمة شبيهة لمهمة الجماعة المسيحية الاولى في اورشليم بعد الفصح (رسل ١: ١٥). وبالاخص، سوف ينادي بكلمة الله، وهكذا سيكون مشاركا في فعل الشبكة الاكبر الذي سيجمع اناسا من اجل الحياة (رسل ٢: ١٤-٤١).

لا يوجه يسوع اي دعوة الى الرفاق؛ فان الاعجوبة والكلمة اللتين وُجّهتا الى سمعان تشكلان، اذن، لوحدهما، نداء، والجميع سيتبعونه. وعبارة "تبع" الفريدة والمستعارة من لغة الرايين، تشير الى وضع التلميذ الذي يقبل فعلا ان يضع خطواته في خطوات معلمه (راجع لو ٥: ٢٧-٢٨). وختاما، هناك لمسة لوقاوية اخيرة: التلاميذ الجدد يتكونون كل شيء، لا شباكهم حسب، كما في مر ١: ١٨. فاتباع يسوع يفترض خيارا جذريا.

لوقا يفتح مخطط مرقس

لوقا	مرقس
١٥-١٤ : ٤	١٥-١٤ : ١
٣٠-١٦ : ٤	(راجع ٦ : ١-٦)
	٢٠-١٦ : ١

يوم كفرناحوم

٣٧-٣١ : ٤	تعليم واخراج شياطين	٢٨-٢١ : ١
٣٩-٣٨ : ٤	شفاء حمأة سمعان	٣١-٢٩ : ١
٤١-٤٠ : ٤	شفاءات عديدة	٣٤-٣٢ : ١
٤٤-٤٢ : ٤	الخروج من كفرناحوم	٣٩-٣٥ : ١
١١-١ : ٥	الصيد ودعوة سمعان	
١٦-١٢ : ٥	تطهير الابرص	٤٥-٤٠ : ١

خمس مجادلات

٢٦-١٧ : ٥	المقعد الذي غفر له وشقي	١٢-١ : ٢
٣٢-٢٧ : ٥	دعوة لاوي والمأدبة	١٧-١٣ : ٢
٣٩-٣٣ : ٥	الصوم	٢٢-١٨ : ٢
٥-١ : ٥	السنابل المقلوعة	٢٨-٢٣ : ٢
١١-٦ : ٦	شفاء اليد اليابسة	٦-١ : ٣
	قدوم الجموع وشفاءات	١٢-٧ : ٣
١٦-١٢ : ٦	دعوة الاثني عشر	١٩-١٣ : ٣
١٩-١٧ : ٦	قدوم الجموع وشفاءات	
٤٩-٢٠ : ٦	العظة في السهل	

من ٣١:٤ والى ١٩:٦، يعتمد لوقا على انجيل مرقس. وحين ندقق في الجدول اعلاه، نرى العمل الذي حققه لوقا كي يعيد من جديد ترتيب مصدره ويخرج رواية مرتبة (٣:١).

انه يبتكر مشهدا افتتاحيا يركز يسوع بموجبه في مجمع الناصرة؛ ولكي يفعل ذلك، استعار معطى مقتضبا جدا من مر ٦:١-٦، شاهد فيه يسوع وقد عاد للمرة الاولى الى بلده. انه

يرجئ دعوة التلاميذ الأولين بعد يوم كفرناحوم، لكي يتيح لهم ان يروا يسوع يصنع معجزات قبل ان يرتضوا باتباعه، وعلاوة على ذلك هوذا لوقا ينقح مرقس بشكل عميق، مضيفاً، قبل هذا النداء، صيدا عجائبيا تلقاه من مصدر آخر مجهول.

ويعود لوقا فيتبنى مخطط مرقس، مقدما مشهد تطهير الابرص ومجموعة المجادلات الخمس الاولى مع خصومه. ومن ثم يقوم بتغيير جديد في الترتيب: يرجئ مجيء الجموع (مر ٢: ١٢-٧) بعد دعوة الاثني عشر، كي يتاح له ان يضع مشهدا للسامعين الكثر الذين سيستمعون العظة في السهل وتلك قطعة غائبة عن مرقس، استقاها لوقا من مصدر الاقوال.

تطهير الابرص (١٢: ٥-١٦)

١٢ وَيَبِينَمَا هُوَ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْمُدُنِ، إِذَا بَرَجُلٌ قَدْ غَطَّى الْبِرْصُ جِسْمَهُ، فَلَمَّا رَأَى يَسُوعَ سَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ وَسَأَلَهُ: ((يَا رَبِّ، إِنْ شِئْتَ فَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيَّ أَنْ تُبْرِئَنِي)).

١٣ فَمَدَّ يَدَهُ فَلَمَسَهُ وَقَالَ: ((قَدْ شِئْتُ، فَأَبْرَأُ)). فزَالَ عَنْهُ الْبِرْصُ لَوَقْتِهِ.

١٤ فَأَوْصَاهُ أَلَّا يُخْبِرَ أَحَدًا بِالْأَمْرِ، بَلِ: ((اذهَبْ إِلَى الْكَاهِنِ فَأَرِهِ نَفْسَكَ، ثُمَّ قَرِّبْ عَنْ بُرْتِكَ مَا أَمَرَ بِهِ مُوسَى، شَهَادَةً لَدَيْهِمْ)).

١٥ وَكَانَ خَبْرَهُ يَنْسَعُ انْتِشَارًا، فَتَوَافَدُ عَلَيْهِ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ لِتَسْمَعَهُ وَتَشْفَى مِنْ أَمْرَاضِهَا،

١٦ وَلَكِنَّهُ كَانَ يَعْتَرِلُ فِي الْبَرَارِيِّ فَيُصَلِّي.

هوذا النبي والمرسل والمسيح، يواصل حمل البشرى السارة وصنع الآيات التي تمكّن الناس، ولا سيما اولئك الذين يصبحون تلاميذه، من ان يعترفوا بهذه الالقاب. ولوقا، كي يجسد هذا الموضوع، يتبع، ولفترة طويلة، خط سير مرقس. فالأكثر اهمية، ليس هو خط سير يسوع -وهو هنا في احدى المدن...- بقدر ما هو اولئك الذين يتوجه اليهم. وهوذا مريض يختلف كلياً عن كل المرضى الذين التقيناهم في كفرناحوم: هذا الرجل الممتلئ برصاً هو، بحسب شريعة أح ١٣: ٤٥-٤٦ ذاتها، متبوذ، ونجس طقسياً على مستوى العبادة كما على المستوى الاجتماعي. انه انسان مُبعد، خارج عن المخيم وفي عداد الموتى في نظر الجماعة؛ هل يمكن ان تتخيل شكلاً من الفقر أكثر جذرية؟ ولما كان البرص، في المعنى الطبي للكلمة، لم يتم عزله الا في القرن ١٩، فليس من المدهش ان يسمي الكتاب المقدس "برصاً" كل مرض في الجلد يكون شفاؤه ممكناً، عبر طقس التطهير في هذه الحالة (أح ١٤)؛ وفي انتظار الشفاء، يعتبر "الابرص" مبعداً.

وكان يسوع في عظته في الناصرة قد ذكر بشفاء نعمان الابرص، تاركاً المجال لفعل من هذا القبيل في برنامج الشفاء -وسوف يشير لوقا بوضوح، في ٧: ٢٢، الى ان

مثل هذا الشفاء يؤكد على انه النبي الاخير، المسيح. وان عظمة اعجوبة كهذه تبدو واضحة لدى قراءة النص الذي لَمَح اليه يسوع؛ فحين طلب ملك آرام من ملك اسرائيل شفاء قائد جيشه، اجاب ملك اسرائيل: "ألعلي انا الله الذي يميت ويُحيي حتى ارسل إلي هذا ان اشفي رجلا من برصه؟" (٢ مل ٥: ٧).

وهوذا برص مجهول كان قد سمع بشهرة يسوع (٤: ٣٧)، نسب اليه بثقة مثل هذه القدرة. ولوقا هنا، لا يهتم بمشاعر يسوع -خلافًا لمرقس ١: ٤١-٤٣- كي يبرز بالاكتر هذه القدرة، ومعها ارادة يسوع، وكتنهما السبب الوحيد في هذا الشفاء السريع. ومن الامر المضاعف الذي اعطاه يسوع للابرس، هناك وصيتان "أر نفسك.. وقرب" يبرزهما لوقا اكثر من وصية فرض الصمت الغريبة التي استعارها من مرقس ونقلها في صيغة مباشرة. وهكذا يبدو يسوع محافظا على شرائع سفر الاحبار ١٤، وبالتالي خاضعا لشريعة موسى -وسيطيب للوقا ان يُظهر بولس محافظا، هو ايضا، على الشريعة (رسل ٢١: ٢٤). ولكن الرجل لن يصبح معافي بالتمام، اي مقبولا من جديد في شعب الله، الا متى اعترف به الفريق الاجتماعي، عبر صوت الكهنوت، انه تعافى.

مثل هذه الاعجوبة، من شأنها ان تضخم شهرة يسوع؛ وها هي جموع كثيرة تتوافد لتحظى بـ "ممارستين" يمتاز بهما: التعليم والشفاءات. الا ان يسوع من عادته، كان يعتزل في البراري -ولوقا؛ في ٤: ٤٢، وكأن ذلك حدث عابر- ويصلي: ذلك ان ينبوع كلامه وقدرته على الشفاء نجده دوما في القربى مع الله، في الصلاة.

ثانياً: مواجهات اولى مع الفريسيين

(لو ٥: ١٧ - ٦: ١١)

يوصل لوقا ترتيب مرقس الذي يتضمن خمس مجادلات. وهذه المجموعة الجدالية المؤلفة من مواد مختلفة (معجزتان، رواية دعوة، مجادلتان، امثال صغيرة) كانت مبنية جيداً: المعارضة ضد يسوع، وهي غير معلنة في الاول، ولكنها تنمو تدريجياً لتبلغ الى انعقاد مجلس بهدف ان يهلكوه (مر ٣: ٦). وفي الوقت ذاته، ومن وجهة نظر الفريسيين، تبدو الدوافع متوترة اكثر فاكثر، الى تسجيل مآخذ على يسوع: وقمة التجديف هي في المقدمة، بينما يبدو الشفاء يوم سبت - وهو موضوع جدال بين الرايين - في المؤخرة، وهو الذي يفجر المؤامرة القاتلة!

وبالمقابل، ومن وجهة النظر المسيحية، لا جدال بشأن مغفرة الخطايا. الا ان الجلوس الى مائدة رجال هم "نجسون" في عرف الشرع، والتفسير المعطى لوصية السبت وللصوم، وقضية العلاقات بين الشريعة الجديدة والممارسات القديمة... كلها قضايا ساخنة لدى الجماعات المسيحية في الخمسينات. ومثل هذا التجميع الحالي، وهو سابق لانجيل مرقس، قد يكون من فعل مسيحيين ناطقين باليونانية ومنفتحين على فكر القديس بولس، وجدوا فيه مادة يدافعون بها عن موقفهم تجاه مسيحيين اكثر محافظة، يتسترون وراء سلطة يعقوب اخي الرب.

ولوقا، حين وضع هنا هذه المجموعة الجدالية، فهو انما برز معارضة تجاه يسوع، حالاً بعد الاعترافات الاولى عن شخصه - وهذا يطابق ما اعلنه، بشكل استباق، مشهد الناصرة. انه جمع هذه المواد التقليدية حول ثلاث موضوعات رئيسية: الغفران (٥: ١٧ - ٢٦)، العشاء (٥: ٢٧ - ٣٩)، السبت (٦: ١ - ١١).

غفران لهقعد وشفائهم (٥: ١٧ - ٢٦)

^{١٧} وكان ذات يوم يُعَلِّم، وبينَ الحاضرينَ بعضُ الفريسيينَ ومُعَلِّمي الشريعة أتوا من جميع قرى الجليل واليهودية ومن أُورشليم. وكانت قُدرةُ الربِّ تُشفي المَرَضَى عن يده.

- ١٨ وإذا أناسٌ يَحْمِلُونَ عَلَى سَرِيرٍ رَجُلًا كَانَ مُقْعَدًا، وَيُحَاوِلُونَ الدُّخُولَ بِهِ لِيَصْعَوْهُ أَمَامَهُ.
- ١٩ فَلَمَّ يَجِدُوا سَبِيلًا إِلَى الدُّخُولِ لِكثَرَةِ الرِّحَامِ، فَصَعَدُوا بِهِ إِلَى السَّطْحِ وَدَلُّوهُ بِسَرِيرِهِ مِنْ بَيْنِ القُرْمِيدِ، إِلَى وَسْطِ المَجْلِسِ أَمَامَ يَسُوعَ،
- ٢٠ فَلَمَّا رَأَى إِيْمَانَهُمْ قَالَ: ((يَا رَجُلُ، غُفِرَتْ لَكَ خَطَايَاكَ)).
- ٢١ فَأَخَذَ الكِتَابَةَ وَالقِرْيَسيُونَ يُفَكِّرُونَ فيقولونَ في أَنفُسِهِمْ: ((مَنْ هَذَا الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِالتَّجْدِيفِ؟ مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَغْفِرَ الخَطَايَا إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ!))
- ٢٢ فَعَلِمَ يَسُوعُ أَفكارَهُمْ فَأَجابَهُمْ: ((لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ هَذَا التَّفَكِيرَ في قُلُوبِكُمْ؟ فَأَيُّمَا أَيْسَرَ؟ أَنْ يُقَالَ: غُفِرَتْ لَكَ خَطَايَاكَ أَمْ أَنْ يُقَالَ: قُمْ فَامشِ.
- ٢٤ فَلِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ ابْنَ الإنسانِ لَهُ في الأَرْضِ سُلْطَانٌ يَغْفِرُ بِهِ الخَطَايَا))، ثُمَّ قَالَ لِلْمُقْعَدِ: ((أَقُولُ لَكَ: قُمْ فَاحْمِلِ سَرِيرَكَ وَاذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ)).
- ٢٥ فَقَامَ مِنْ وَقْتِهِ بِمَرَأَى مِنْهُمْ وَحَمَلَ مَا كَانَ مُضْطَجِعًا عَلَيْهِ وَمَضَى إِلَى بَيْتِهِ وَهُوَ يُمَجِّدُ اللهُ.
- ٢٦ فَاسْتَوَلَى الدَّهْشُ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا، فَمَجَّدُوا اللهُ، وَقَدْ غَلَبَ الخَوْفُ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا: ((رَأَيْنَا اليَوْمَ أُمُورًا عَجِيبَةً!)).

تبدو مقدمة الرواية (آ ١٧)، ولمرة اخرى، مضببة جدا بشأن المكان والزمان؛ وبالمقابل، نرى تشديدا واضحا على تعليم يسوع وعلى الشفاءات التي اجراها الرب على يده (راجع رسل ٢: ٢٢). وبين هذين الذكرين، نرى على مسرح الاحداث، وللمرة الاولى في الرواية، معلمي الشريعة قد اتوا من كل مكان ليسمعوه، وحتى من اورشليم. ذلك ان مستوى السامعين واتساع رقعتهنم يضيفي اهمية على الرواية.

بين رواية معجزة والجدال بشأن سلطة يسوع (آ ١٨-٢٥)، هناك ارتباط عضوي، إذ ان الشفاء سيكون العلامة على سلطة يسوع على الخطيئة. هناك رجال، ومن بينهم مقعد، سيرهنون على ايمان وثقة تجاه يسوع، حين سيتغلبون بذكاء على العوائق للبلوغ اليه. ولوقا، وهو يفكر بسكان المدن اليونانية، يراهم يقلعون قرميد السقف، وليس النيش في اللبنة الذي افترضه مرقس ٤: ٢. وهكذا نكون على علم بان يسوع هو في بيت. لقد "منح لك غفران الله عن خطاياك"، ومنذ الان حظيت به. فالله اعاد العلاقة المقطوعة بينه وبينك". وهكذا تفتح كلمة يسوع المجال لشفاء غير الذي كان منتظرا: انه يعلن، بشكل فاعل، الغفران الالهي، طالما ان المريض ورفاقه، كانوا، من خلال ثقتهنم، مهيتين لتلقيه.

وحين رأى معلمو الشريعة ذلك، طرحوا السؤال المناسب: "من هو هذا؟". انه سؤال يتضمن مأخذا مضاعفا. الاول - وهو ضمني في نص لوقا - يتعلق بالطريقة التي اعلن

بما يسوع الغفران الالهي. لقد عرفت الديانة اليهودية، في الواقع، طقوس غفران في نطاق ليتورجيا الهيكل؛ وكان غفران الخطايا يُحصل عليه بواسطة الندامة، وبالاحص عبر الذبيحة عن الخطيئة (أح ٤: ١-٥: ١٣). وفي فرق من مثل فريق يوحنا المعمدان، كان الغفران يُمنح عبر اهتداء القلب والطقس العماذي (لو ٣: ٣). الا ان يسوع، بالتحديد، لا يتبنى طريقة الهيكل، ولم يكن يعبر قط عن الغفران عبر طقس الماء، كما كان يفعل يوحنا. لقد كان غالبا يطرد الشياطين؛ وفي الواقع، كان هذا الطرد يهدف الى ازالة المرض والخطيئة المرتبطة به. اما هنا، فان الشفاء الجسدي للمقعد سيكون العلامة على الغفران. غير ان الرؤساء وجّهوا مأخذا اخر بقولهم ان الله وحده - ولوقا هو الذي اضاف كلمة "وحده" - يغفر. فهم، اذن، يظنون سوءا بان يسوع يجعل من نفسه مساويا لله حين اعلن الغفران باسمه؛ انه يجدف!

ويسوع يعرف ما في قلب الانسان؛ انه يستشف تفكير الرؤساء المنحرف. لقد اعتبروا انه من الافضل له ان يعلن عن الغفران الالهي الذي لا يمكن التأكد من مفعوله، من ان يوقف المقعد على قدميه! وفي الواقع، فان الغفران والشفاء يشكلان كلاهما جزءا من البرنامج الذي رسمته نبوة اشعيا: اناذي للاسرى بالتحريم وللناس سنة يقبلها الله (لو ٤: ١٨-١٩). فيسوع سيحرر المقعد من ثقله، وسيكون ذلك علامة على قبول الله له. وتبدو بنية الجملة القواعدية في آ ٢٤ غريبة؛ فبدايتها تبدو وكأنها مؤشر موجّه إلى القراء والرؤساء على حد سواء: فلكي تعلموا ان ابن الانسان له في الارض سلطان... قال للمقعد: اقول لك... وهكذا، وللمرة الاولى، ينسب لوقا الى يسوع لقب ابن الانسان (انظر الاطار: "ابن الانسان لدى لوقا")، وذلك في جملة تضع في المقدمة سلطته القادرة على كل شيء: فمنذ الان، على الارض، يعرض غفران الله الذي هو ميزة نهاية الازمنة.

فمن وقته، للحال، برهن الرجل على شفائه الجسدي الذي هو ذاته علامة على العلاقة التي اعادها الله معه؛ ومن ثم - وينفرد لوقا بذلك - راح يعترف بالشكر بقدره الله. وتأتي الخاتمة (آ ٢٦): كان للجميع شعور بان هذه الاعجوبة كشفت عن ان الخلاص النهائي قد اتى اليوم.

دعوة لاوي: عشاء مع الخطاة، جدال حول الصور (٢٧-٣٩)

٢٧ وَخَرَجَ بَعْدَ ذَلِكَ، فَأَبْصَرَ عَشَارًا اسْمُهُ لَآوِي، جَالِسًا فِي بَيْتِ الْجَبَايَةِ فَقَالَ لَهُ: ((اتَّبِعْنِي!))

٢٨ فَتَرَكَ كُلَّ شَيْءٍ وَقَامَ فَتَبِعَهُ.

- ٢٩ وأقام له لاوي مأدبةً عظيمةً في بيته، وكان على المائدة معهم جماعةٌ كثيرةٌ من الجباة وغيرهم.
- ٣٠ فقال الفريسيون وكتبتهم لتلاميذه مُتدَمِّرين: ((لماذا تأكلون وتشربون مع الجباة والخطائين؟))
- ٣١ فأجاب يسوع: ((ليس الأصحاء بمحتاجين إلى طبيب، بل المرضى.
- ٣٢ ما جئت لأدعو الأبرار، بل الخطائين إلى التوبة)).
- ٣٣ فقالوا له: ((إن تلاميذ يوحنا يكثرُونَ مِنَ الصَّوْمِ وَيُقيمُونَ الصَّلواتِ، ومثلهم تلاميذُ الفريسيين، أما تلاميذك فيأكلون ويشربون!))
- ٣٤ فقال لهم: ((أبوسعكم أن تصوموا أهل العرس والعريس بينهم؟
- ٣٥ ولكن ستأتي أيام فيها يُرفع العريس من بينهم، فعندئذ يصومون في تلك الأيام)).
- ٣٦ وضرب لهم مثلاً قال: ((ما من أحد يشقُّ قطعةً من ثوب جديد، فيجعلها في ثوب عتيق، لئلاَّ يُشقَّ الجديد وتكون القطعة التي أخذت من الجديد لا تُلائم العتيق.
- ٣٧ وما من أحد يجعل الحمرة الجديدة في زقاق عتيقة، لئلاَّ تشقَّ الحمرة الجديدة الزقاق فتراق هي، وتلف الزقاق.
- ٣٨ بل يجب أن تجعل الحمرة الجديدة في زقاق جديدة.
- ٣٩ وما من أحد إذا شرب مُعتقَةً، يرغب في الجديدة، لأنه يقول: ((المعتقة هي الطيبة!))

تبدو مقدمة الجدال الثاني ذي اللمة اللوقاوية شبيهة برواية دعوة في منتهى الاقتضاب (آ ٢٧-٢٨). وهوذا حدث مدهش سوف يطلق الرواية التي تبدأ: مهنة التلميذ الجديد. فيسوع، يقع اختياره على جابي ضرائب، احد اولئك الرجال الذين يعدهم الربانبة، وبشكل منتظم، من بين السراق، فيما يحصيهم العهد الجديد في عداد الخطاة، إذ اهم يستغلون معظم اوقاتهم في هذه المهنة كي يعتنوا ظلما (راجع لو ٣: ١٢-١٣)؛ انه احد المبعدين عن "المجتمع الصالح". وهوذا لاوي يترك كل شيء ويقوم فيتبع يسوع. وفيما يطيب للوقا ان يشير الى فكرة القطيعة الجزرية (راجع ٥: ١١)، هوذا يضيف لمسة اخرى حين يجعل الفعل في صيغة المضارع: انه لا يصف الحركة الاولى حسب، وانما بداية اسلوب حياة دائم.

وفي ما يلي، نجد وحدة في الطرح في اطار مأدبة اقامها لاوي. فمع يسوع، يدعو جماعة كثيرة من العشارين وغيرهم من اشباههم. وينتج عن ذلك جدال اول (آ ٢٩-٣٢). فالفريسيون والكتبة لا يستطيعون مبدئيا ان يشاركوا في المائدة ذاتها؛ لذا يتوجب علينا ان نتخيلهم واقفين يراقبون المشهد من النوافذ! اهم يتدمرون -وتلك مفردة تذكر

بتمرد إسرائيل ضد الله (خر ١٥: ٢٤). ولما كانت المائدة، بالنسبة لهم، مكان الفصل، توجهوا الى التلاميذ ملحين عليهم كي يبرروا تصرفهم المضاد للشريعة. وتقرأ بين سطور الرواية انتقادات مثل هؤلاء الناس تجاه الشركة في الموائد التي ستصبح قائمة في الكنيسة بعد القيامة. انهم لا يفهمون بان مثل هذه الضيافة، انما تعبر عن نعمة الله الممنوحة للخطاة.

ويبرر يسوع، بشكل مضاعف، ممارسة تلاميذه. اولاً من خلال مثل يرقى الى حكمة الشعوب. ومن ثم من خلال كلمة بشأن رسالته: فذاك الذي كان ينبغي ان يأتي (راجع ٧: ١٩) هو ذاته يعمل حالياً ليشفي ويدعو الخطاة الى التوبة. وحين اضاف لوقا كلمة "توبة" الغائبة من مر ٢: ١٧، فهو انما شدد على سمة دعوة يسوع ذات المتطلبات. وهكذا، على مثال لاوي، يترتب على المسيحي ان يغير حياته بعمق كي يتمكن من اتباع يسوع بشكل دائم (٢٨١). ذلك ان نعمة الله الممنوحة، يقابلها متطلبات من قبل الانسان. والمؤمنون الذين يشتركون في المائدة الواحدة، ضمن الجماعة الكنسية، ايا كان ماضيهم، لا ينبغي ان يكون لهم، بعد الان، تصرف من شأنه ان يقطع العلاقة التي استعادوها مع الله.

والجدال الذي ابتداءً، يتواصل (آ ٣٣-٣٩) مع المعارضين انفسهم: فقالوا له... -وهناك ترجمات تضيف كلمة ... "يوماً!" فبعد السؤال بشأن "مع من نأكل؟" نعبّر الى سؤال آخر: "متى نصوم؟". وهنا ايضا تتوجه الملامة بوضوح الى ممارسة التلاميذ -ولن تُمس ممارسة يسوع الا في ٧: ٣٤ وبالمفردات ذاتها، وبالمقارنة مع يوحنا. فما عدا الاصوام التي تفرضها الشريعة، كانت الفرق الدينية تمارس اصواماً اضافية. وعلاوة على الصلوات الرسمية، كان الفريق المعمداني يضيف ولا شك صلاة خاصة تميزه (راجع ١١: ١). ولم يكن تلاميذ يسوع يصومون: أليسوا جالسين، بشكل واضح، الى مأدبة كبرى!

ويجب يسوع على مرحلتين. هناك سؤال يليه اعلان نبوي (آ ٣٤-٣٥)؛ ومن ثم يضاف مثل (آ ٣٦-٣٩). فيسوع لا ينبذ ممارسة الصوم؛ ولكنه يبدو متفقاً مع التعليم الرابيني الذي كان يجمع الصوم في ايام الاحتفالات باحداث سعيدة. لذا راح يميّز بين زمنين: اليوم، وفيه العريس في وسط المدعوين الى العرس، ومن جهة اخرى، الايام التي يرفع فيها العريس. فكيف يمكن للصوم ان يضطروا التلاميذ، في الحاضر، على تبني ممارسة الحزن، في حين ان العالم الجديد يُفتتح بالفرح؟ وعلى العكس، هوذا يسوع ينبيء بان الكنيسة الرسولية، في زمن غيابه، ستمارس الصوم (رسل ١٣: ٢)؛ وفيما كان العريس، في آ ٣٤، يعني ولا شك الله الذي يعمل لإقامة ملكه، هيذي الاية ٣٥ تشير بوضوح الى يسوع.

ويجسد لوقا مجيء هذا العالم الجديد بواسطة مثل، اي كلمة صورية تتكون من قاعدتين استنارتا بحكمة (آ ٣٦-٣٨)، كما من خلال امثولة (آ ٣٩). ولا يعطي يسوع تفسيراً لهذه الامثال. ويترتب على السامع، كما على القارئ، ان يجد المعنى بسهولة على ضوء ما تقدم! وهكذا، فيما يصبح كل واحد معنياً، ينبغي عليه بالتالي، وبطبيب الخاطر، ان يغيّر تصرفه. فالاستعارتان الاوليان تُفهمان بان هناك عدم توافق بين القديم والجديد (وردت ٤ مرات في الآيات ٣٦-٣٩)، وبين الطريقة اليهودية في ممارسة الصوم او الصلاة (آ ٣٣) وبين الطريقة السارية منذ الان في التدبير الجديد للخلاص. ويترتب على الكنيسة المسيحية ان تبتكر صيغاً جديدة للتقوى، إذ ان الاحكام والممارسات القديمة لا يمكن ان تبقى على حالها الان. ويُحتمل أنّ لوقا شاء ايضا ان تتوسع إشكالية الجدل. ومن ثم يصبح نظام الشريعة القديم برمته غير منسجم مع الانجيل.

اما التطبيق الذي اضافهُ لوقا على المثل -ومرقس يجله- كي يختم الجدل، فمن الصعب فهمه. هل توحى آ ٣٩ لماذا كان اليهود -وهم يحبون الخمر المعتقة، ويشتمون عادةً الشريعة القديمة- كثيرا في رفض جدة الانجيل، وتبقى عالقة في حناجرهم؟ او ان الصورة مغايرة تماما ونجدنا توّاً في كنيسة لوقا؟ وحينذاك تصحح الخمر العتيقة الطيبة بمثابة التقليد الانجيلي -وقد مضى عليه نصف قرن- ويكون لوقا قد حدّر المسيحيين من خطر "كل جديد" ومن الانحرافات المختلفة؟ ومهما يكن من امر، فان كان الجدل بشأن غفران الخطايا كريستولوجيا (مسيحانيا)، فان هذا الجدل اصبح يعني بوضوح ممارسة الكنيسة.

سنايل ومقتلعة وشفاء يد يابسة يوم السبت (١:٦-١١)

- ٦ ١ ومَرَّ يَسُوعُ فِي السَّبْتِ مِنْ بَيْنِ الزُّرُوعِ، فَجَعَلَ تَلَامِيذُهُ يَقْلَعُونَ السَّنْبِلَ وَيَفْرُكُونَهُ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَأْكُلُونَهُ.
- ٢ فَقَالَ بَعْضُ الْفَرِيْسِيِّينَ: ((مَا لَكُمْ تَفْعَلُونَ مَا لَا يَحِلُّ فِي السَّبْتِ؟))
- ٣ فَأَجَابَهُمْ يَسُوعُ: ((أَوْ مَا قَرَأْتُمْ مَا فَعَلَ دَاوُدُ حِينَ جَاعَ هُوَ وَالَّذِينَ مَعَهُ،
- ٤ كَيْفَ دَخَلَ بَيْتَ اللَّهِ فَأَخَذَ الْخُبْزَ الْمُقَدَّسَ، وَأَكَلَ وَأَعْطَى مِنْهُ لِلَّذِينَ مَعَهُ، مَعَ أَنْ أَكَلَهُ لَا يَحِلُّ إِلَّا لِلْكَهَنَةِ وَحَدَهُمْ؟))
- ٥ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: ((إِنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ سَيَسِيْدُ السَّبْتِ))
- ٦ ودخَلَ المَجْمَعِ فِي سَبْتِ آخَرَ، وَأَخَذَ يُعَلِّمُ. وَكَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ يَدُهُ الْيُمْنَى سَلَاءً.

- ٧ وكان الكتبة والفريسيون يُراقبونه، ليرَوْا هل يُجْري الشِّفاءَ في السَّبْتِ، فَيَجِدُوا ما يَشْكُونَهُ به.
- ٨ فَعَلِمَ أَفْكارَهُمْ، فَقَالَ لِلرَّجُلِ ذِي الْبِدِ الشَّلَاءِ: ((قُمْ فَقِفْ في وَسْطِ الْجَماعَةِ!)) فَقَامَ ووقفَ فِيهِ.
- ٩ فَقَالَ لَهُمَ يَسوعُ: ((أَسأَلُكُمْ: هل يَحِلُّ عَمَلُ الْخَيْرِ في السَّبْتِ أَمْ عَمَلُ الشَّرِّ، وَتَخْلِصُ نَفْسَ أَمْ إهْلَاكُهَا؟))
- ١٠ ثُمَّ أَجَالَ طَرْفَهُ فِيهِمْ جَمِيعاً، وَقَالَ لَهُ: ((أُمُدُّ يَدَكَ)) فَفَعَلَ فَعَادَتَ يَدُهُ صَحيحَةً.
- ١١ فَجُنُّ جُنُونُهُمْ وَتَباحَتْوا فيما يَصْنَعُونَ بِيسوعِ.

المجادلتان الاخيرتان من المجموعة تتعلقان بالسبت. وراحة السبت تعيدنا بوضوح الى الراحة التي منحها الله لذاته بعد ان اكمل خلقه العالم (خر ٢٠: ٨-١١). فالسبت، وهو العلامة الكبرى والدائمة على العهد بين الله واسرائيل، يشارك في قداسة العالم الاتي: انه يعلن عن دخول الشعب، في آخر الازمنة، في راحة الله وسلامه. وهذا كافٍ ليعبر عن الاهمية التي للسبت في نظر يسوع. فمن اين اتت، اذن، تلك الفكرة التي بموجبها اصبح يوم العيد والفرح هذا موضوع جدال بين يسوع وخصومه؟ ولوقا، حين اضاف ١٣: ١٠-١٧ و ١٤: ١-٦، يكون ذلك الانجيلي الذي ينقل اكثر من الكل روايات من هذا القبيل. كما ان لوقا، خلافا لما فعله في ٥: ٢٧-٣٩، فصل ما بين الروايات باشارة زمنية، فكتب: "في سبت آخر"؛ وبهذه الطريقة اعطى الانطباع بان كل سبت يفسح المجال لجدال لاهوتي.

في المجادلة الاولى (٦: ١-٥)، يراقب بعض الفريسيين، مرة اخرى، التلاميذ؛ انهم يأخذون عليهم انهم يعملون في الحقل (يقتلعون السنابل) ويعدون لهم طعاما (يفركونها بايديهم): تلك هي حركات متعبة ومحظورة في هذا يوم الراحة (راجع عد ١٥: ٣٢+ بصدد منع جمع الخشب لإعداد النار)! ويدافع يسوع عن تلاميذه مفضلاً جوابه على زمينين متميزين جدا (راجع "ثم قال لهم" في آ ٥).

بادئ بدء، يقحم يسوع خصومه في سؤال يجيب عنه هو ذاته (آ ٣-٤). والبرهان الكتابي الذي اعتمده يضع نصين بيبيين في تضاد، ولا علاقة لهما قط بالسبت: تصرف داود وفقا لـ اصم ٢١: ٢-٧-والاكل من هذه الخبزات الذي لم يكن يحل الا للكهنة (أح ٢٤: ٥-٩). ويسوع، ومعه التقليد اليهودي، يبرر هذا التجاوز على الشريعة، بحكم الضرورة: كان داود جائعا. ولكن لم يُذكر وجه من اصم ٢١: ٢١: كان داود ورجاله قد امتنعوا عن اية علاقة جنسية (وتلك ضرورة في الحرب المقدسة) واصبحوا طقسيا اطهارا، وكان بوسعهم، إذن، ان يحصلوا على الخبز المكرس... فيسوع، اذن، لم يحتفظ

من الكتاب المقدس الا بمعطى واحد: الجوع يتقدم على الشريعة. ومع ذلك، لم يشدد لوقا فوق القياس على هذا البرهان، في هذا المشهد الاول. انه يخفف، بشكل مضاعف، من الفكرة التي بموجبها تتغلب الضرورة على الشريعة، حين عمد الى حذف تأكيدين وردا لدى مر ٢: ٢٥، ٢٧: التأكيد على ان داود كان بحاجة، وبالاكثر احد التطبيقين على السؤال بشأن السبت: "السبت من اجل الانسان...".

وبعد ان طرحت مسألة الدافع الكريستولوجي، بهذه الطريقة، اصبح بوسع المجادلة الثانية (آ ٦-١١) ان تبرز، هذه المرة، الوجه الثاني: السبت يتعلق بعمل الخير وبحياة الكائن البشري. والاطار هنا هو رسميا ديني: **مجمع يعلم فيه يسوع**. وكما كانت المجادلة الاولى قد انطلقت بصدد مقعد، نرى هذه المجادلة تتعلق بشفاء، ولم يعد التلاميذ موضوع مراقبة الخصوم، بل المعلم ذاته؛ وهنا تبرز واضحة رغبة الخصوم في الاساءة. ويسوع، كما في ٥: ٢٢، يستشف انحراف تفكيرهم، ويثير هو نفسه الجدال، وبوعي تام، واضعا العليل في المركز -وهو لم يطلب شيئا من يسوع ولا انتظر منه شيئا. مع العلم بان المرء حين يفقد القدرة على استخدام يده اليمنى، يصبح عاجزا عن العمل وعن كسب معيشتته.

وكان رابنة ذلك الزمان يتفهمون مثل هذه الحالة: لقد كان مسموحا مد يد العون، يوم سبت، لشخص في خطر الموت (راجع المشنا، اليوم، ٨: ٦). ولكنهم، فيما كانوا يتجادلون في دراسة كل حالة بمفردها، هوذا يسوع لا يعبا بمثل هذه الجدالات، بل يمد العون الى كل انسان، طالما ان الموضوع هو موضوع خير لهذا الانسان. وكان السؤال الخاطيء قد أغلق على الخصم: حين لا **يفعل الخير**، معناه **اقتراف الشر**؛ وفي كل الاحوال، لا بد للمرء من ان **يفعل** شيئا يوم السبت! والخلقية تصبح المقياس؛ فحين تكون شريعة السبت نسبية بالنظر الى المحبة وخدمة القريب، تكون قد بلغت الكمال. ولما كان يسوع يؤثر ان **يخلص حياة بشرية**، يوم سبت، راح خصومه، وقد امتلأوا غضبا، يتباحثون فيما يصنعون بيسوع.

ملاحظة. ان مخطوط بيز (Bèze) لانجيل لوقا -وهي المعروفة بالاختلافات الكثيرة في ما يتعلق بسفر الاعمال- تقدم هنا نصا مختلفا عن سائر المخطوطات. ففيها نجد آ ٥ مجهولة لم ترد في اي مكان آخر: "في اليوم ذاته، رأى شخصا يعمل يوم السبت فقال له: يا رجل، اذا علمت ماذا انت فاعل، فهيننا لك! اما اذا كنت لا تعلم، فانت ملعون وقد تجاوزت الشريعة!" اما الآية ٥ في سائر المخطوطات، بصدد ابن الانسان الذي هو رب السبت، فقد حوّلت الى ما بعد الآية ١٠، بمثابة خلاصة للروايات الثلاث

بشأن السبت. فالشخص الذي استحق "الطوبى"، انما استحقها لانه كان يعلم ما الذي كان يفعله -اي التجاوز الارادي لشريعة السبت- وهذا التجاوز اصبح ممكنا بمجيء يسوع الذي هو رب السبت. فهذه الرواية التي بررت الغاء السبت بفضل المعرفة، من الواضح انما ليست من قلم لوقا. لأن يسوع، بحسب لوقا، لا يلغي السبت، وانما يطالب محاوريه بالايمان/ الثقة، وليس بالمعرفة.

الثالثا: الصلوة في السهل

(لو ٦: ١٢ - ٤٩)

اختيار الاثني عشر (١٦- ١٢: ٦)

- ١٢ وفي تلك الأيام ذهب إلى الجليل ليصلي، فأحيا الليل كله في الصلاة لله.
- ١٣ ولما طلع الصباح دعا تلاميذه، فاختار منهم اثني عشر سمّاهم رسلاً وهم:
- ١٤ سمعان وسمّاه بطرس، وأندراؤس أخوه، ويعقوب ويوحنا، وفيلبس وبرثلماؤس،
- ١٥ ومثي وتوما، ويعقوب بن حلفي وسمعان الذي يقال له العيور،
- ١٦ ويهوذا بن يعقوب ويهوذا الإسخريوطي الذي انقلب خائناً.

هذا المشهد يشكّل منعطفاً. فلقد التزم يسوع برسالته بما فيه الكفاية كي يتعرض منذ الان للعداء كما للشهرة. وها هو الان، محاط بتلاميذ كثير (٥: ٣٠، ٣٣؛ ٦: ١)، وسيختار اولئك الذين ستقع عليهم مسؤولية نشر كلامه. من اجل ذلك، يصعد الى الجليل، وهو المكان الذي فيه، منذ زمن موسى وايليا، يتوجه النبي الى الله ويصغي الى ما ينتظر منه. ويُظهر الذكر المضاعف لصلوة يسوع الليلية اهمية الاختيار الذي يلي؛ كما ان لوقا، من جهة اخرى، يرينا يسوع يصلي، في كل منعطف حاسم من حياته (٣: ٢١؛ ٩: ٢٨-٢٩؛ ٢٢: ٤١) - ومن تاريخ الخلاص بالتالي. وهذا السلوك يفرض نفسه على التلاميذ فيما بعد، وبالاحص حين سيطرت عليهم ان يختاروا معاونين لهم (رسل ٦: ٦، راجع رسل ١: ٢٤-٢٦).

يميز لوقا بشكل دقيق ما بين حلقة التلاميذ الواسعة وبين الاثني عشر الذين هم موضوع اختيار ينبره فيه الله نفسه. ومن هنا نراه يُعير اهمية لقضية الخدام الكنسيين - وهذا ما سيعكسه جزؤه الثاني (على سبيل المثال رسل ٦: ١-٧). وان الرقم المعين المستقى من التقليد، ليس فعل صدفة البتة: انه رقم قبائل اسرائيل الاثني عشرة المشتتة. وهكذا يقصد يسوع انه يتوجه الى الشعب كله، وان الساعة الاخيرة لتجمع اسرائيل قد اذفت. فلوقا، بالمقابل، يقوم بعمل فريد حين يوحد بين الاثني عشر والرسل. وان لقب "رسول" والمهمة

التي يفترضها - وهو كلمة يونانية تعني "مرسل"، "نائب رسمي مكلف برسالة" - أعطيا في الكنيسة الاولى لعدد كبير نسبيا من الرجال الذين، بعد ان كانوا شهودا رسميين لقيامة المسيح، أرسلوا ليبشروا بالقائم؛ وكان من اشهرهم بولس من طرسوس (١ قور ٩: ١). وفي الواقع، نرى لوقا، في سفر الاعمال، يتجنب ان يدعو بولس "رسولا". ذلك ان لديه عن هذه الخدمة مفهوما مختلفا يجب البحث عن اصله في كنيسة اورشليم: فلقد اختارت هذه الكنيسة رسلها من بين مؤمنين، الذين، فيما عدا خيرتهم بالمسيح القائم، كانوا قد عرفوا يسوع خلال حياته العلنية (راجع رسل ١: ٢١-٢٢). فلوقا، حين وحد بين الرسل والاثنى عشر، فهو انما اراد ان يبين بان المهمة الرسولية يرقى اصلها الى زمن ما قبل الفصح.

اما ما يتعلق بأسماء الاثنى عشر، فهناك اختلافات عدة، لا فقط بين هذه اللائحة ولوائح مرقس ومتى، وانما ايضا مع لائحة اعمال الرسل ١: ٢٣. هناك اسمان ينفصلان عن اللائحة: الاول، سمعان الذي أعطي له لقب هنا - بخلاف متى ١٦: ١٨، لا يعطي لوقا معناه - وقد أعلن عن دوره في ٥: ٨-١٠؛ والاخير، يهوذا، الذي كُشف لنا مسبقا عن دوره النهائي (راجع ٢٢: ٢). اما الثلاثي، بطرس ويعقوب ويوحنا، فسوف يبدو بمثابة الحلقة الصغيرة داخل حلقة الاثنى عشر (٨: ٥١؛ ٩: ٢٨). واخيرا، باستثناء بطرس، سيلعب يعقوب، ولا سيما يوحنا، دورا في الجزء الثاني. اما عن الاخرين الذين تلقى لوقا اسماءهم من التقليد، فلن يقول عنهم شيئا.

يسوع والجموع (١٧: ٦-١٩)

- ١٧ ثم نزل معهم فوقف في مكان منبسط، وهناك جمع كثير من تلاميذه، وحشد كبير من الشعب من جميع اليهودية وأورشليم، وساحل صور وصيدا،
- ١٨ ولقد جاؤوا ليسمعوه ويرأوا من امراضهم. وكان الذين تحببهم الأرواح النجسة يشفون،
- ١٩ وكان الجمع كله يحاول أن يلمسه، لأن قوة كانت تخرج منه فتبرئهم جميعا.

لوقا الذي غالبا ما اشار الى ان يسوع كان يعلم، ها هو اخيرا يعطي نموذجا للمضامين الجوهرية من هذه الكرازة. ولكي ينجز ذلك، نراه يتخلى عن مرقس ويستقي من مصدر الاقوال. ولم يبق عليه سوى ان يجعل السامعين على المسرح. وان انقلاب الترتيب لدى مرقس - خلاصة كبرى بشأن الجموع والشفاءات (مر ٣: ٧-١٢)، ومن ثم دعوة الاثنى عشر (مر ٣: ١٣-١٩) - يهدف الى ابراز مجموعة كاملة ومنظمة من السامعين، تتألف من ثلاث فرق: فالى حشد كبير من الشعب، من فلسطين كلها واورشليم ومن بلد وثني (صور وصيدا، راجع ٤: ٢٦)، التحق جمع كثير من تلاميذه،

بمعية الاثني عشر. وتذكر الخلاصة بشأن الشفاءات (آ ١٨-١٩)، مرة اخرى، بان كلام يسوع لا ينفصل عن عمل خلاصي للجميع؛ وما تدفق الناس اليه، الا ليسمعوه ويُبرأوا في آن واحد.

اما التزول من الجبل والوصول الى مكان منبسط حيث يتم حول يسوع تجمع شعب الله، فهما يذكّران بتزول ووصول موسى من سيناء، وقد عاد حاملا رسالة تلقاها من الله.

تطويبات وويلات (٢٠: ٢٦)

- ٢٠ وَرَفَعَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ تَلَامِيذِهِ وَقَالَ: ((طوبى لكم أيها الفقراء، فَإِنَّ لَكُمْ مَلَكُوتَ اللَّهِ.
- ٢١ طوبى لكم أيها الجائعون الآن فَسَوْفَ تُشْبِعُونَ. طوبى لكم أيها الباكون الآن فَسَوْفَ تَضْحَكُونَ.
- ٢٢ طوبى لكم إِذَا أَبْغَضَكُمُ النَّاسُ وَرَذَلُوكُمْ وَشَتَمُوا اسْمَكُمْ وَبَنَدُوهُ عَلَى أَنَّهُ عَارٌ مِنْ أَجْلِ ابْنِ الْإِنْسَانِ.
- ٢٣ إِفْرَحُوا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَاهْتَرُوا طَرِبًا، فَهِيَ إِنِّ أَجْرَكُمْ فِي السَّمَاءِ عَظِيمٌ، فَهَكَذَا فَعَلَ آبَاؤُهُمْ بِالْأَنْبِيَاءِ.
- ٢٤ لَكِنَّ الْوَيْلَ لَكُمْ أَيُّهَا الْأَغْنِيَاءُ فَقَدْ نَلِثُمْ عِزَاءَكُمْ.
- ٢٥ الْوَيْلَ لَكُمْ أَيُّهَا الشَّبَاعُ الآنَ فَسَوْفَ تَجُوعُونَ. الْوَيْلَ لَكُمْ أَيُّهَا الضَّاحِكُونَ الآنَ فَسَوْفَ تَحْزَنُونَ وَتَبْكُونَ.
- ٢٦ الْوَيْلَ لَكُمْ إِذَا مَدَحَكُمُ جَمِيعُ النَّاسِ فَهَكَذَا فَعَلَ آبَاؤُهُمْ بِالْأَنْبِيَاءِ الْكَذَّابِينَ.

لكي اجعل هذه القراءة سهلة، اقدم هذا النص لوحده، مع انه فاتحة العظة في السهل. هناك حدث يلفت توجها الانتباه: لقد وضع لوقا وجها لوجه فريقين من الناس مع شكلين من الاوضاع، مقيما تضادا منتظما بين التطويبات و"الويلات". ولقد استخدم عبارة "ويلات"، إذ لسنا البتة بصدد لعنات، وانما بصدد مرات؛ ذلك ان يسوع يرثي لحال أولئك الذين يسعون إلى الكارثة: الويل لكم...! انه يجعلهم مقابل أولئك الذين حظوا برضى الله. فالويلات هي بالتالي تطويبات معكوسة!

طوبى لكم ايها الفقراء	الويل لكم ايها الاغنياء
طوبى لكم ايها الجائعون الان	الويل لكم ايها الشباع الان
طوبى لكم ايها الباكون الان	الويل لكم ايها الضاحكون الان
طوبى اذا ابغضكم الناس واذلوكم وشتموا اسمكم	الويل لكم اذا مدحكم جميع الناس

وهكذا ايضا هناك تضاد بين:

العزاء الحالي	و	ملكوت الله الآتي
الجوع العتيد	و	الشبع العتيد
الحزن والبكاء	و	الضحك العتيد
اي افق مستقبلي!	و	الاجر السماوي

التطويات/ الولايات الثلاث الاولى مبنية بشكل متواز، والفقراء والجياع والباكون يشيرون الى الاشخاص ذاتهم؛ وهكذا الحال مع الاغنياء والشباعمى والضاحكين. وان هذه المفردات الست الواقعية يُقصد بها طبقتان اجتماعيتان. اما الزوج الرابع منها، فان له بنية مختلفة جدا؛ انه يتوسع في ثلاثة اقسام. اولاً، نجدنا بازاء المحنة الآتية التي ستواجه المتلقين، وهم منطقياً، هم ذاتهم، في التطويات السابقة: سيكونون مبعضين ومحرومين ومشهرين (آ ٢٢). وتأتي من ثم الدعوة الى الفرح. وهذا الفرح ليس مستقبلياً، وانما يبدأ مع بدء الاضطهاد: فأَنْ يكون المؤمن على يقين من المكافأة النهائية - الخلاص والحياة - فذلك يمنح الفرح الاسكاتولوجي (الاخروي)، الكامل، في قلب المحنة (آ ٢٣ أ- ب). وهؤلاء المضطهدون يُحصون بالتالي مع الانبياء، طالما انهم يلاقون المصير ذاته الذي لقيه انبياء العهد القديم. وهناك واقع مدهش: اذا كان الفقراء على طرفي نقيض مع الاغنياء، فالمضطهدون ليسوا قبالة المضطهدين، بل قبالة الذين يُمدحون؛ انهم في عداد الانبياء الكذبة.

ان مؤلف لوقا ذا الجزئين يبشر بانقلاب اسكاتولوجي كامل في الاوضاع الحالية؛ فان الازمنة الاخيرة قد بدأت فعلاً. وفي ٢١ نرى ان "الآن" والمستقبل يتعارضان بشكل واضح. وفي التطوية الاولى، في الواقع، نرى ان الانقلاب قد تحقق مسبقاً: "ان لكم ملكوت الله!". وهناك ما يشبه ذلك في التطوية الاخيرة. وهذا الانقلاب في الاوضاع لهو موضوع عزيز على لوقا؛ وسبق لنا ان لقينا هذه البنية في نشيد مريم (١: ٥١-٥٣)، وسنجده في نص آخر ينفرد به، هو مثل لعازر المسكين (١٦: ١٩-٣١).

هنا، كما على لسان يسوع الناصري، تتخذ كلمة فقراء، اولاً، معنى اقتصاديا واجتماعيا؛ انما تقصد اولئك الذين لا قوة لهم ولا حق للدفاع عن انفسهم؛ اولئك المختقرين، والذين لا خلاص ينتظرونه الا من الله وحده. وعلى الله ان ينصفهم، ويترتب عليه من ثم ان يأتي ليمسك بزمام الامور ("اجعل ان يأتي ملكك!" ١١: ٢). وكان موقف

يسوع المحرّر العلامة الفاعلة على ان الله بادر في العمل؛ ففي يسوع وفي عمله، كان قد تجلّى نشاط الله الاسكاتولوجي، اي "ملكه". لذلك، يُحتمل ان لوقا لم يكن اكثر منا ارتياحا ازاء تطويبات الرب! واذا كانت مشكلة الثروات ظاهرة جدا في كتاب لوقا- الاعمال، فذلك لانه كان هناك، في قلب كنيسته، بؤساء واغنياء. فأين تكمن، اذن، جدّة البشرى السارة؟ كيف يتبنى لوقا ما قاله يسوع بشأن الفقراء؟

لو عزلنا التطويبات والولايات عن سائر مؤلّف لوقا، سنُخطئ كثيرا في تفسيرنا. وفي هذه الحالة، يبدو التضاد الواضح والمكرّر بين الآن والزمن الآتي، وكأنه يعرض انقلابا في القيم، في المستقبل؛ وكأن على الفقير بموجب ذلك ان يعزي نفسه عن بؤسه الحاضر بالتفكير في مستقبل ظافر... وفي اثناء ذلك، يواصل الغني في التخمّة دون ان يخشى مسعى لعازر الى الثورة على الحاضر (راجع ١٦: ١٧-٣١). وحينذاك يصح في لوقا نقد كارل ماركس في ما يتعلق بالدين، كونه افيون الشعب!

إلا ان التطويبات تتطلب ان تُقرأ في ضوء تنمة لوقا - الاعمال. واذا عاد لوقا اليها، فلاّنه رسم لوحة كنيسة مثالية، كتلك الجماعة التي لم يكن احد من المؤمنين فيها يقول انه يملك شيئا، بل جعلوا كل شيء مشتركا بينهم... ولم يكن فيهم محتاج، لانهم كانوا يوزعون قسما من المبلغ المشترك، على الاخوة بحسب احتياج كل واحد (رسل ٤: ٣٢-٣٥). وهناك نصوص اخرى ستبين لنا بان اقتساما مع الفقراء - بمقدار صغير ولا شك - يجب ان يتحقق منذ اليوم في الجماعة الكنسية (راجع الاطار: "اي موقف تجاه المال؟"). وبخلافه، تصبح هذه الجماعة عاجزة عن التبشير بالتطويبات والتعبير عن حقيقة الخلاص الذي بدأ.

حبة الاعداء وتجنّب اللادانة. التلهيذ الحقيقي (٦: ٢٧-٤٩)

٢٧ وَأَمَّا أَنْتُمْ أَيُّهَا السَّامِعُونَ، فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحْبِبُوا أَعْدَاءَكُمْ، وَأَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ،

٢٨ وَبَارِكُوا لَاعِنِيكُمْ، وَصَلُّوا مِنْ أَجْلِ الْمُفْتَرِينَ الْكَذِبَ عَلَيْكُمْ.

٢٩ مَنْ ضَرَبَكَ عَلَى خَدِّكَ فَاعْرِضْ لَهُ الْآخَرَ. وَمَنْ انْتَزَعَ مِنْكَ رِدَاءَكَ فَلَا تَمْنَعَهُ فَمِصِّكَ.

٣٠ وَكُلُّ مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ، وَمَنْ اغْتَصَبَ مَالَكَ فَلَا تُطَالِبْهُ بِهِ.

٣١ وَكَمَا تُرِيدُونَ أَنْ يُعَامِلَكُمْ النَّاسُ فَكَذَلِكَ عَامِلُوهُمْ.

٣٢ فَإِنْ أَحْبَبْتُمْ مَنْ يُحِبُّكُمْ، فَأَيُّ فَضْلِ لَكُمْ؟ لِأَنَّ الْخَاطِئِينَ أَنْفُسَهُمْ يُحِبُّونَ مَنْ يُحِبُّهُمْ.

- ٣٣ وَإِنْ أَحْسَنْتُمْ إِلَى مَنْ يُحْسِنُ إِلَيْكُمْ، فَأَيُّ فَضْلٍ لَكُمْ؟ لِأَنَّ الْخَاطِئِينَ أَنْفُسَهُمْ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ.
- ٣٤ وَإِنْ أَقْرَضْتُمْ مَنْ تَرْجُونَ أَنْ تَسْتَوْفُوا مِنْهُ، فَأَيُّ فَضْلٍ لَكُمْ؟ فَهَذَا خَاطِئُونَ يُقْرِضُونَ خَاطِئِينَ لَيْسَتْوَفُوا مِثْلَ قَرْضِهِمْ.
- ٣٥ وَلَكِنْ أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ، وَأَحْسِنُوا وَأَقْرَضُوا غَيْرَ رَاجِينَ عَوْضًا، فَيَكُونَ أَجْرُكُمْ عَظِيمًا وَتَكُونُوا أَبْنَاءَ الْعَلِيِّ، لِأَنَّهُ هُوَ يَلْطَفُ بِنَاكِرِي الْجَمِيلِ وَالْأَشْرَارِ.
- ٣٦ كُونُوا رُحَمَاءَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمْ رَحِيمٌ.
- ٣٧ لَا تَدِينُوا فَلَا تُدَانُوا. لَا تَحْكُمُوا عَلَى أَحَدٍ فَلَا يُحْكَمْ عَلَيْكُمْ. اُعْفُوا يُعْفَ عَنْكُمْ.
- ٣٨ أَعْطُوا تُعْطَوْا: سَتُعْطُونَ فِي أَحْضَانِكُمْ كَيْلًا حَسَنًا مَرَكُومًا مَهْرَهْرًا طَافِحًا، لِأَنَّهُ يُكَالُ لَكُمْ بِمَا تَكِيلُونَ)).
- ٣٩ وَضَرَبَ لَهُمْ مَثَلًا قَالًا: ((أَيَسْتَطِيعُ الْأَعْمَى أَنْ يَقُودَ الْأَعْمَى؟ أَلَا يَسْقُطُ كِلَاهُمَا فِي خُفْرَةٍ؟
- ٤٠ مَا مِنْ تَلْمِيزٍ أَسْمَى مِنْ مُعَلِّمِهِ. كُلُّ تَلْمِيزٍ اكْتَمَلَ عِلْمُهُ يَكُونُ مِثْلَ مُعَلِّمِهِ.
- ٤١ لِمَاذَا تَنْظُرُ إِلَى الْقَدَى الَّذِي فِي عَيْنِ أَخِيكَ؟ وَالْحَشَبَةُ الَّتِي فِي عَيْنِكَ أَفَلَا تَأْتِيهَا؟
- ٤٢ كَيْفَ يُمَكِّنُكَ أَنْ تَقُولَ لِأَخِيكَ: يَا أَحْمِي، دَعْنِي أُخْرِجُ الْقَدَى الَّتِي فِي عَيْنِكَ، وَأَنْتَ لَا تَرَى الْحَشَبَةَ الَّتِي فِي عَيْنِكَ؟ أَيُّهَا الْمُرَائِي، أَخْرِجِ الْحَشَبَةَ مِنْ عَيْنِكَ أَوَّلًا، وَعِنْدَئِذٍ تُبْصِرُ فَتُخْرِجُ الْقَدَى الَّتِي فِي عَيْنِ أَخِيكَ.
- ٤٣ مَا مِنْ شَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ تُثْمِرُ ثَمَرًا حَبِيبًا، وَلَا مِنْ شَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ تُثْمِرُ ثَمَرًا طَيِّبًا.
- ٤٤ فَكُلُّ شَجَرَةٍ تُعْرَفُ مِنْ ثَمَرِهَا، لِأَنَّهُ مِنَ الشُّوكِ لَا يُجْنَى تِينٌ، وَلَا مِنَ الْعَلِيقِ يُقْتَفَفُ عِنَبٌ.
- ٤٥ الْإِنْسَانُ الطَّيِّبُ مِنَ الْكَنْزِ الطَّيِّبِ فِي قَلْبِهِ يُخْرِجُ مَا هُوَ طَيِّبٌ، وَالْإِنْسَانُ الْخَبِيثُ مِنْ كَثْرَةِ الْخَبِيثِ يُخْرِجُ مَا هُوَ خَبِيثٌ، فَمِنْ فَيْضِ قَلْبِهِ يَتَكَلَّمُ لِلسَّانَةِ.
- ٤٦ لِمَاذَا تَدْعُونَنِي: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ! وَلَا تَعْمَلُونَ بِمَا أَقُولُ؟
- ٤٧ كُلُّ مَنْ يَأْتِي إِلَيَّ وَيَسْمَعُ كَلَامِي فَيَعْمَلُ بِهِ، سَأُبَيِّنُ لَكُمْ مَنْ يُشْبِهُهُ:
- ٤٨ يُشْبِهُهُ رَجُلًا بَنَى بَيْتًا، فَحَفَرَ وَعَمَّقَ الْحَفْرَ، ثُمَّ وَضَعَ الْأَسَاسَ عَلَى الصَّخْرِ. فَلَمَّا فَاضَتْ الْمِيَاءُ انْدَفَعَ النَّهْرُ عَلَى ذَلِكَ الْبَيْتِ، فَلَمْ يَقَوْ عَلَى زَعزَعَتِهِ لِأَنَّهُ بَنَى مُحْكَمًا.
- ٤٩ وَأَمَّا الَّذِي يَسْمَعُ وَلَا يَعْمَلُ، فَإِنَّهُ يُشْبِهُهُ رَجُلًا بَنَى بَيْتًا عَلَى التُّرَابِ بِغَيْرِ أَسَاسٍ، فَانْدَفَعَ النَّهْرُ عَلَيْهِ فَانْهَارَ لَوْقَتِهِ، وَكَانَ خَرَابٌ ذَلِكَ الْبَيْتِ جَسِيمًا)).

ليست العظة في السهل، بحسب لوقا، اقصر من العظة بحسب متى ٥-٧ حسب؛ مع ان آياتها الثلاثين، في اغلب الاحيان، ما يوازئها في الآيات الـ ١٠٧ في متى، الا ان نبرتها تختلف كثيراً. وحيث شدّد الانجيلي الاول على ان تصرف تلاميذ المسيح الديني يختلف كثيراً، في نقاط عدة، عن تصرف الكتيبة اليهود، نرى لوقا يسعى بالاكتر، فيما يخصه، الى ربط الجماعة المسيحية باسرائيل، اكتر مما الى وضع مسافة تجاهه - وهذا ما فعله بشكل عفوي. انه يعرض على الوثني القديم تفوفيلس (راجع ١: ٣)، بمثابة نموذج للبشرى الانجيلية، ما يراه فريدا جدا في كرازة يسوع، ولا نظير له في حكمة الشعوب كلها.

فبعد التطويبات الموجهة الى كل المسحوقين تحت ثقل الحياة، نجدنا بالفعل، في قسم ثان، ازاء تصرف متميز تماماً، معروض على التلاميذ: محبة الاعداء. ويسلّط الضوء على هوية الاعداء عبر الافعال التي يقترفونها (آ ٢٧-٢٨): انهم مضطهدو المسيحيين المذكورين في التطوية الرابعة. ويسوع، فيما يتوجه الى السامعين - وذلك تذكير بالآية ١٨-، يطلب منهم ان يكون لهم حب (agapè) تجاه الذين يبغضونهم. وليس المقصود تلك العاطفة التي لنا تجاه احد افراد عائلتنا، ولا تلك الصداقة التي تربطنا بشخص مساو لنا، ولا، باولى حجة، الحب/ الهوى! وانما المقصود هو ان يكون للمرء احترام ورحمة تجاه العدو، وأن يعبر عن ذلك من خلال افعال واقوال. ومثل هذا الطلب - وقد صيغ في الآيتين ٢٧-٢٨ - كرّر مجدداً في آ ٣٥. وهذا يعني ان الآيات المؤطرة بهذا الشكل يجب ان نفهمها في هذا المنظار؛ فهي تجسّد المطلب الاساسي.

هناك امثال صيغت، اولاً، في المخاطب المفرد: عدم المقاومة تجاه من يمارس عنفا بحق المؤمن، وبذل الذات بشكل اعتيادي... حتى تجاه السارق؛ فالمطلوب هو التنازل بكل معاني الكلمة (آ ٢٩-٣٠). ومن ثم تأتي "القاعدة الذهبية" (آ ٣١) لتفتح توسّعاً جديداً بصيغة المخاطب الجمع "انتم". ومن الجدير بالملاحظة هو ان الانتقال من المخاطب المفرد (هنا آ ٢٩-٣٠ ومن ثم في آ ٤١-٤٢) الى المخاطب الجمع يوحي بتجاوز العلاقة المتبادلة بين الاشخاص. و"القاعدة الذهبية" هي، اذن، في صيغة ايجابية؛ والتبادل الذي تستند اليه (كما تريدون ان يعاملكم الناس فكذلك عاملوهم) هو مع ذلك موضّح بدقة، لا بل تتجاوز الآيات ٣٢-٣٤. هناك ثلاثة اسئلة تذكّر، بالفعل، بان من شأن غياب الحساب والتبادل وحدهما، لا بل التجرد وحده، ان يميّز سلوك المؤمنين من سلوك الخطاة الذين يعرفون ان يحبّوا ويبدون تعاطفاً مع الذين يعاملوهم بالمثل. وهكذا يصبح السامع، عبر هذه الآيات الست، مدعوّاً الى تجاوز الذات يومياً، وان تكون له روح المبادرة في فعل الخير تجاه الآخر، ولا سيما تجاه من لا يريد له الخير.

من المحتمل ان تؤدي مثل هذه الممارسة الى "تجريد" العدو من سلاحه - تلك قوة اللاعنف التي سيطلقها غاندي على سبيل المثال وينفذها. الا ان يسوع لا يقول شيئا من ذلك، لانه يشدد على انه لا ينبغي البحث عن نتيجة على الصعيد البشري؛ واذا ما حصلت، فستكون عطية مضافة. فالؤمن لا ينبغي ان ينتظر سوى جواب الله. لذا نرى ان الامثلة الثلاثة بشأن خدمة القريب (آ ٣٥) يقابلها الاعتراف الالهي (حرفيا: **النعمة**) و**المكافأة**: وهي تصير البشر ابناء وبنات لله. وهنا، كما في متى ٥: ٩، ٤٥، فعلى صعيد العلاقات المتبادلة بين الناس، تتم ماثلة المؤمن مع ذاك الذي هو الابن الوحيد لله.

وتبدو الآية ٣٦ بمثابة القطب: فهي تختم، في آن واحد، التوسع السابق، وتفتح توسعا ثانيا، اكثر اقتضابا: تجنب دينونة الآخرين (آ ٣٧-٣٨). ذلك ان كلاهما يقومان على الاقتداء بالله. فالؤمن ادرك انه موعود بان يصبح ابن الله؛ فلا ينبغي له ان ينسى المثل "كما هو الاب، هكذا هو الابن!" وان موضوع الاقتداء الذي صيغ مسبقا في أح ١٩: ٢ يتناول "القادسة". ففي العظة المتأوية، المطلوب هو ان نكون **كاملين على مثال الآب السماوي** (متى ٥: ٤٨). اما هنا، فقد برزت صفة الهية اخرى: الرافة، الرحمة، في خط خر ٤: ٣٤ حيث يعلن الله عن انه هو ذاته رحيم رؤوف. وان تصرف الآب هو في اساس محبة الاعداء، وهو الذي يمكن المؤمن منها كما يمكنه من تجنب الدينونة.

وهكذا تجسد الآيتان ٣٧-٣٨، هما ايضا، ما تحدته الرحمة. فمن خلال اربع قواعد - اثنتان سلبيتان واثنتان ايجابيةتان - يدعو يسوع الى تجنب انتقاد الآخر، والى الحذر من الانغلاق عليه، والى الابد، في حكم سيلتصق به كليا. ليس على المؤمن ان يأخذ مكان الله حين يحكم على شخص، ولا ان يتوقع ان يرد الآخر عليه بالمثل؛ فالتبادل يجب انتظاره من الله وحده: انه هو الذي سيدين، في نهاية المطاف، ويحكم، او يغفر، كما انه هو الذي سيعطي وسيكيل بمكيال جيد. وهنا ايضا، يصبح سلوكي تجاه الآخر ضمانا لموقف الله تجاهي.

ويشير لوقا فجأة الى قارئه بانه ازاء مثل. وهذه المفردة تدعو الى البحث عن معنى الجمل دون التوقف لدى الصور. وهكذا نبدأ من جديد بمصادفة تجنب الحكم على الآخر، اذ ان اقوالا ليسوع، مختلفة ومعزولة، قد جمعت عبر توارد الخواطر. وان انقطاع الاسلوب الذي طرأ في آ ٣٩ أ، هو ذو معنى: فهو يساهم في اظهار التغيير في الاشخاص الذين يترتب على التلميذ ان يكون رؤوفا تجاههم؛ فبعد العدو، ها نحن بازاء الاخ، اي ذاك الآخر في الجماعة الكنسية.

ولكن يجب الانتباه! ألا ندين، لا يعني البتة ان نضع كل الاشياء على مستوى واحد (آ ٣٩-٤٢)؛ هناك مسيحيون كثر هم ابعد من ان يكونوا قد بلغوا القامة الكاملة على صعيد الحياة المسيحية (راجع اقول ٣: ١-٣)؛ اثم عميان، ولا يسعهم الادعاء ان يقودوا الآخرين الى كمال نور الايمان، ولا ان يتفقدوهم. فالوجود على صعيد الايمان، اما هو إعداد طويل للكمال (ان يكون على مستوى من المعرفة)؛ وبالتالي ان يصبح التلميذ

مثل معلمه، المسيح: وقد يعتقد التلميذ ان بوسع كل واحد ان يهتدي ويغير مجرى حياته؛ او ان كل من تربى في مدرسة يسوع وكأن رحمة يسوع تجاه الخطاة تمكنه من ان يصبح قادرا على قيادة الآخرين. وفي الواقع، قد يصبح المرء مراثيا، ويلعب دورا، اذا ما اطرى على طريقة لا يلتزم بها هو نفسه. وبالتالي، فان اثناء متواصل باستمرار، يسفر عن سلوك صادق، بوسعه وحده ان يُخرج المؤمن من التعامي ويمكّنه من المبادرة الى اصلاح موقف الآخر.

ومثل الخشبة والقذى، إذ يدفع المرء الى "البدء بالتنظيف امام باه"، يذكره بان عليه ان يكون هو ذاته صالحا، كي يعرض على الآخرين ان يسلكوا في الصلاح؛ والمثل يدرج ايضا موضوع الآيات ٤٣-٤٩: التلميذ الحقيقي يقوم بافعال تكون مطابقة مع ايمانه. ومن الملفت ان فعل "عمل" يتردد خمس مرات، منذ الاشجار التي "نتج" ثمارا جيدة (آ ٤٣) وحتى الرجل الذي **يعمل** -اولا- بحسب اقوال المسيح (آ ٤٦، ٤٧، ٤٩). وهكذا، وبطريقة مميّزة، نجدنا بازاء طبقتين من الناس (او الاشجار) تتضاربان، الاخيار والاشرار، كما هي الحال في التطويبات على هامش هذا التعليم.

وان المثليين بصدد الاشجار والثمار، مع تطبيقهما، اخذا بانارة ما هو في اصل العمل (آ ٤٣-٤٥). فكما تسمح نوعية الثمرة بالحكم على قيمة الشجرة، كذلك، كل ما يُخرجه الانسان -سلوكه، الخير او الشر، الاقوال التي يتلفظ بها- تكشف عما هو في اعماق كيانه. فالقلب الذي يخرج عن نظر الانسان، ولا يعرفه الا الله، هو المكان الذي فيه يتم خلاص الانسان، لان في القلب يستقر الحب او الحقد.

ومن خلال هذا التأمل حول الشخص البشري بشكل عام، تُخلص الآيات ٤٦-٤٩ الى حالة التلميذ الخاصة، اي ذلك الذي يعترف ان يسوع هو رب، ويكون قد اصغى الى تعليمه. وللحال يصبح التضاد بين طريقتين في التلمذ، احدهما جيدة والآخرى سيئة، كما بين ان **نعلم** او **لا نعمل**. بما قاله يسوع. وللبلوغ الى ذلك، هوذا مثل اخير يضع امام اعيننا طريقتين مختلفتين في بناء دار، حيث ان استغراق العمل -حفر ووضع الاسس- يوحي بمسيرة الوجود المسيحي الذي يتمخض عن ثبات او عدم ثبات. اما بصدد النهر الذي يمتحن البنيان، فتلك اشارة واضحة الى الدينونة الالهية ابان الطوفان.

وهكذا، فان الآيات ٤٣-٤٩ تناشد المؤمنين الى ان يصبحوا تلاميذ حقيقيين اذا ما طبّقوا العظة بكاملها. وهم بذلك يقدمون ايضا مؤشرا للتمييز يذكرهم بان تجنب دينونة الآخرين في العمق، لا يعني البتة غياب سلم في القيم. انهم يساعدون على معرفة "كيف نعلم ما هي عليه الشجرة وما هو عليه الانسان" ويشيرون الى ان "الطريقة او المؤشر لهذه المعرفة يوجدان في ما يظهر للعيان: الثمار او الاعمال" (ج. دوبلاسي). وترتب على كل مؤمن ان يختبر ذاته في ضوء هذا النور!

رابعا: الاعتراف بيسوع نبيا

(لو ٧: ١ - ٥٠)

ايهان قائد الهنة (١٠: ١ - ٧)

- ٧ ١ وَلَمَّا أَتَمَّ جَمِيعَ كَلَامِهِ بِمَسْمَعٍ مِنَ الشَّعْبِ، دَخَلَ كَفَرْنَاهُومَ.
- ٢ ٢ وَكَانَ لِقَائِدِ مِائَةِ خَادِمٍ مَرِيضٍ قَدْ أَشْرَفَ عَلَى الْمَوْتِ، وَكَانَ عَزِيزًا عَلَيْهِ.
- ٣ ٣ فَلَمَّا سَمِعَ بِيَسُوعَ، أَوْفَدَ إِلَيْهِ بَعْضَ أَعْيَانِ الْيَهُودِ يَسْأَلُهُ أَنْ يَأْتِيَ فَيُنْقِذَ خَادِمَهُ.
- ٤ ٤ وَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى يَسُوعَ، سَأَلُوهُ بِالْحَاحِ قَالُوا: ((إِنَّهُ يَسْتَحِقُّ أَنْ تَمْنَحَهُ ذَلِكَ،
- ٥ ٥ لِأَنَّهُ يُحِبُّ أُمَّتَنَا، وَهُوَ الَّذِي بَنَى لَنَا الْمَجْمَعَ)).
- ٦ ٦ فَمَضَى يَسُوعُ مَعَهُمْ. وَمَا إِنْ صَارَ غَيْرَ بَعِيدٍ مِنَ الْبَيْتِ، حَتَّى أَرْسَلَ إِلَيْهِ قَائِدَ الْمِائَةِ بَعْضَ
- ٧ ٧ أَصْدِقَائِهِ يَقُولُ لَهُ: ((يَا رَبِّ، لَا تُزْعِجْ نَفْسَكَ، فَإِنِّي لَسْتُ أَهْلًا لَأَنْ تَدْخُلَ تَحْتَ سَقْفِي،
- ٨ ٨ وَلِذَلِكَ لَمْ أَرِنِي أَهْلًا لَأَنْ أَجِيءَ إِلَيْكَ، وَلَكِنْ قُلْ كَلِمَةً يُشْفِ خَادِمِي.
- ٩ ٩ فَأَنَا مَرُؤُسٌ وَبِي جُنْدٌ بِأَمْرِي، أَقُولُ لِهَذَا: اذْهَبْ! فَيَذْهَبْ، وَلِلْآخِرِ: نَعَالَ! فَيَأْتِي،
- ١٠ ١٠ وَلِخَادِمِي: افْعَلْ هَذَا! فَيَفْعَلُهُ)).
- ٩ ٩ فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ ذَلِكَ، أُعْجِبَ بِهِ وَالتَفَتَ إِلَى الْجَمْعِ الَّذِي يَتَّبِعُهُ فَقَالَ: ((أَقُولُ لَكُمْ: لَمْ
- ١٠ ١٠ أَجِدْ مِثْلَ هَذَا الْإِيمَانِ حَتَّى فِي إِسْرَائِيلَ)).
- ١٠ ١٠ وَرَجَعَ الْمُرْسَلُونَ إِلَى الْبَيْتِ، فَوَجَدُوا الْخَادِمَ قَدْ رُدَّتْ إِلَيْهِ الْعَافِيَةَ.

ان تدخل الله في حياة شعبه هو في طريقه الى الانجاز، مجيبا الى انتظار تحرير يخلص الكائن البشري برمته، روحا وجسدا. لذا، فان يسوع، مع اجتراحه شفاءات جسدية، غفر خطايا مريض (٢٠: ٥)، وسلم تعليما حاسما: انه اتم جميع كلامه بمسمع من الشعب. والفصل السابع، عبر مواد مختلفة، جسّد كيف ان يسوع يعتلن بصفته النبي الاخير الذي يحمل الخلاص الالهي، وكيف ان اشخاصا مختلفين تلقوه. ولا يقول تلاميذ يسوع شيئا، ولكنهم حاضرون (١١: ٧).

في قلب الرواية الاولى، نجدنا بازاء ايمان ضابط وثني... لا نراه على المسرح. وبخلاف ما يوازي المشهد لدى متى ٨: ٥-١٣، حين اتى الرجل شخصيا يستغيث بيسوع، لا نجد هنا يلتقي بيسوع، وانما استخدم وسطاء؛ فلقد ارسل وفادات متتالية.

واولى الوفادات، مع ما سبقها (آ ١١-٥) تسلط ضوء اول على قائد المئة. انه، من خلال العطايا التي قدّمها للمساهمة في بناء بيت صلاة، قد عبّر عن حبه لأمة ليست أمته -وتلك فضيلة طالب بما يسوع تجاه اعداء او غرباء في ٦: ٢٧! انه "خائف الله"، اي احد هؤلاء الوثنيين العديدين الذين يؤمنون باله اسرائيل الواحد، ولكنهم لا يقومون بالخطوة الحاسمة الى قبول الختان والالتزام بالشرعية كلها. انه الشخصية التي تستبق ولا شك صورة قائد المئة قرنيليوس الذي سيبحث هو ايضا رحاله للالتقاء ببطرس، وسيكون اول غير يهودي يقبل العماد (رسل ١٠: ١+). ولنضيف بان عبده كان عزيزا عليه، اي كانت له قيمة في نظر الضابط (آ ٢). ما الذي يحرّك هذا المسعى في نظر لوقا؟ هل هي رغبة انتفاعية لا غير؟ ام هو الاحترام تجاه احد المهملين الهامشين والذي سيشترك في روح التطويات؟

يقبل يسوع، على الفور، هذا الطلب ويمضي في الطريق (قارنوا مع موقف بطرس في رسل ١٠). وعلى مقربة من البيت، هيذي وفادة اخرى تصل -فالرجل غني ايضا بالاصداق!- لتبلغ الرسالة، هذه المرة، في صيغة المخاطب المفرد (آ ٦-٨). وقائد المئة، المتواضع والعارف بالشرعية التي تمنع اليهودي من الدخول في بيت غير المختونين (راجع رسل ١٠: ٢٨؛ ١١: ٣)، تطلع الى حل جديد: حركة شفاء، او تماس مع العبد المدفن لا ينفعان، وانما كلمة يسوع ستكون فاعلة. وبفضل ذلك قدّمت الرواية معطين ايجابيين. فمن جهة، بدا لوقا منطقيا مع ما يعرفه عن تاريخ الخلاص. فاسرائيل اصبح وسيطا بين يسوع والوثنيين. ولكن ساعة دخولهم لم تفرغ ابان خدمة يسوع؛ وينبغي انتظار القيامة وموهبة الروح. واللقاء الذي لم يتم بين قائد المئة من دون اسم وبين يسوع، سيتم فقط بين قرنيليوس وبطرس. ومن جهة اخرى، كان لايمان ملتمس العون بعد كريسولوجي: فهو يؤمن بان كلمة يسوع قادرة، باسم الله، ان تنجز شفاء عن بعد. ويأتي مثل الانضباط العسكري ليفسر سبب مثل هذه الثقة: اذا كان بوسع قائد المئة، وهو خاضع لمن هو اعلى منه مرتبة، ان يعطي اوامر تنفذ، فكم بالحري يسوع!

اما الخاتمة (آ ٩-١٠)، فلا تعرض اي امر بالشفاء! فان الاعجوبة لم تُطرح قط في حد ذاتها، والنتيجة الحاصلة لم يُشر اليها الا في الهامش. ذلك ان الرواية تركز على كلمة من يسوع تتوجه الى الجمع الذي كان يتبعه؛ فهي تعبّر معا، عن الاعجاب ازاء ايمان الضابط الوثني، وعن خيبة امل مريرة ازاء اسرائيل -وبالتالي ايضا ازاء هؤلاء الذين

يتبعونه انفسهم؛ إذ لم يكن لهم جواب ينطبق مع دعوتهم في ان يصبحوا شعب الله. وهذا النقد الذي افتتح، بشكل برنامجي، في مجمع الناصرة (٤: ٢٤-٢٧)، سوف يصبح اكثر وضوحا اعتبارا من ٧: ٣١-٣٥.

احياء ابن ارملة نائين (٧: ١١-١٧)

- ١١ وَذَهَبَ بَعْدَئِذٍ إِلَى مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا نَائِينَ، وَتَلَامِيذُهُ يَسِيرُونَ مَعَهُ، وَجَمَعَ كَثِيرًا.
- ١٢ فَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْ بَابِ الْمَدِينَةِ، إِذَا مَيِّتٌ مَحْمُولٌ، وَهُوَ ابْنٌ وَحِيدٌ لِأُمِّهِ وَهِيَ أَرْمَلَةٌ. وَكَانَ يَصْحَبُهَا جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمَدِينَةِ.
- ١٣ فَلَمَّا رَأَاهَا الرَّبُّ أَخَذَتْهُ الشَّقَقَةُ عَلَيْهَا، فَقَالَ لَهَا: ((لَا تَبْكِي!))
- ١٤ ثُمَّ دَنَا مِنَ النَّعْشِ، فَلَمَسَهُ فَوْقَ حَامِلُوهُ. فَقَالَ: ((يَا فِثَى، أَقُولُ لَكَ: قُمْ!))
- ١٥ فَجَلَسَ الْمَيِّتُ وَأَخَذَ يَتَكَلَّمُ، فَسَلَّمَهُ إِلَى أُمِّهِ.
- ١٦ فَاسْتَوْلَى الْخَوْفُ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا فَمَجَدُّوا اللَّهَ قَائِلِينَ: ((قَامَ فِينَا نَبِيٌّ عَظِيمٌ، وَافْتَقَدَ اللَّهُ شَعْبَهُ!))
- ١٧ وَانْتَشَرَ هَذَا الْكَلَامُ فِي شَأْنِهِ فِي الْيَهُودِيَّةِ كُلِّهَا وَفِي جَمِيعِ النَّوَاحِي الْمُجَاوِرَةِ.

انها رواية معجزة بكل معن الكلمة. وهذا الشفاء الذي يعيد فيه يسوع ميتا الى الحياة الارضية، انفرد به لوقا الذي، فضلا عن الرواية بشأن ابنة يائيرس (٨: ٤٩-٥٦، مع ما يقابله في مرقس ومتي)، روى حادثين، في سفر الاعمال، تما على يد بطرس (رسل ٩: ٣٦-٤٣) وبولس (رسل ٧: ٢٠-١٢). ولقد ادرجت هذه الرواية هنا لتعّد جواب يسوع عن سؤال المعمدان في ما يتعلق بهويته: "الموتى يقومون!" (٧: ٢٢).

هناك جمعان كبيران يتلاقيان، جمع يرافق يسوع، وجمع آخر يرافق ارملة ذاهبة لتدفن ابنها خارج المدينة. وكانت العادة ان يجري الدفن في يوم الوفاة بالذات، او بضع ساعات بعدها. ليس من اجل الميت أبدى يسوع شفقتة، بل من اجل هذه المرأة التي اصبحت منذ الآن دون عون رجل يأتي بلوازم العيش الى الاسرة.

والرواية اللوقاوية تذهب بالقارئ في اتجاهين. من جهة، يطلق لوقا على يسوع، في سياق الرواية، لقب الرب، وهو لقب المصلوب والقائم بشكل واضح (رسل ٢: ٣٦)؛ وهذا يعني، في قلب القصة، ان يسوع ظفر بالموت. ومن جهة اخرى، يكثر لوقا المراجع بشأن احدي الاعجوبتين الوحيدتين المماثلتين في العهد القديم، وهي احياء ابن ارملة صرفت صيدا على يد ايليا النبي (١ مل ١٧: ١٧-٢٤) -وهي الارملة التي سبق ان ذكرها

يسوع في الناصرة، بصدد اعجوبة اخرى صنعها لها ايليا (٢٦:٤)؛ انه يذكر: باب المدينة، ارملة تفقد ابنها الوحيد، الميت الذي يستعيد القدرة على النطق، صيغة "ردّه الى امه". تلك اشارات تكشف عن ان ليسوع سلطانا شبيها بسلطان ايليا، هذا النبي الكبير الذي كان مزمعا ان يعود في منتهى الازمان (ملا ٣:٢٢-٢٤)؛ وفوق ذلك، فان ما يقوله العهد القديم عن هذا النبي يلقي ضوءا على هوية المسيح. ذلك ان يسوع، بالنسبة الى لوقا الذي يتجنب بعناية ان يماثل بين المعمدان وايليا (بخلاف مر ٩:١١-١٣)؛ متى ١٧:١٠-١٣)، هو حقا ايليا آخر الازمنة.

هناك سمة في الرواية اللوقاوية تختلف عن النموذج الذي يقدمه العهد القديم، وتبدو ذا معنى متميز. ففيما انبسط ايليا على الولد ثلاث مرات (١ مل ١٧:٢١)، وفيما كان يترتب على خليفته، اليشاع، ان يمارس التنفس الاصطناعي سبع مرات (٢ مل ٤:٣٥-٣٤)، هوذا يسوع لا يستخدم سوى كلامه؛ وما حركته في لمس النعش، في الواقع، سوى اشارة الى الموكب الجنائزي للتوقف. وبسلطة، يأمر الشاب بان يستيقظ؛ ونجدنا هنا ازاء احدي المفردتين المستخدمتين في الكرازة الفصحية لاعلان الايمان بقيامة يسوع؛ فان يسوع يعمل بصفته الرب الذي له سلطة على الحياة والموت. وهذه الكلمة تعيد العلاقة بين الشاب وبين المحيطين به، وقد حطمها الموت: اخذ يتكلم. ولنلاحظ بان عبارة "ردّه الى امه" تذكرنا بان يسوع قد تصرف بدافع من شفقته على هذه الام.

وكما هي الحال غالبا في روايات المعجزة، تعكس القائمة رد فعل المشاهدين. فالكمل، جمهورا وتلاميذ (آ ١١-١٢)، رأى في يسوع نبيا عظيما قام -وهو الفعل ذاته في آ ١٤ ("اقول لك: قم"). وان معرفة الجميل هذه لا تذهب، بالتأكيد، حتى النهاية، طالما لم يتم الاعتراف به بصفته النبي الاخير، ذاك الآتي (آ ١٩). ومع ذلك، فان لها قيمة كبرى؛ والبرهان هو ان الجميع اخذوا يستشفون في المعجزة زيارة (افتقاد) الله الذي يأتي ليخلص اسرائيل، وقد سبق ان امتدح زكريا هذا التدخل الرحيم (١:٨٦، ٧٨). وانتشر الخبر في بلاد اليهود والبلدان المجاورة.

ما هو الحدث التاريخي الذي يحتفي وراء هذه الرواية التي نقلت لنا عودة مؤقّنة الى الحياة الارضية -فهذا الشاب، من سكان نائين، قد مات "فعلا" في اعقاب شهر او عشر سنين او خمسين سنة من بعد مرور يسوع بالمدينة. كان اليهود، في القرن الاول، يعتقدون ان روح المتوفى تحوم، مدة ثلاثة ايام، حول الجسد والقرب منه قبل ان تنزل الى متوى الاموات (الشيئول). والبحث العصري يشير، بشكل مشابه، الى ان الموت لا يقاس بالثواني، وانما هو حصيلة سياق معقد من القطيعة على مستويات عديدة؛ ذلك ان الموت

يتضمن مراحل. فباسم اي شيء نرفض الايمان بان شابا عبر حواجز الموت العديدة، وبالاخص حاجز التواصل بالكلام (راجع كل اشكال الاعماء) واعيد الى الحياة بكلمة من يسوع؟ على كل حال، كانت اشكالية الجماعات المسيحية بعد القيامة على مستوى آخر؛ انما لم تبحث لمعرفة ماذا جرى فيما بعد لمن حظي بهذا الشفاء المدهش! وانما انطلقت من هذا الشفاء لتقوم بكراسة تتعلق بسلطة المسيح على الموت: سيتمح القائم من بين الاموات اخصاءه، بعد الموت، حياة ابدية في غاية الجدة.

حول العلاقات بين يسوع والههذان (١٨:٧- ٣٥)

- ١٨ وَأَخْبَرَ يوحَنَّا تَلَامِيذَهُ بِهَذِهِ الْأُمُورِ كُلِّهَا، فَدَعَا اثْنَيْنِ مِنْ تَلَامِيذِهِ
- ١٩ وَأَرْسَلَهُمَا إِلَى الرَّبِّ يَسْأَلُهُ: ((أَأَنْتَ الْآتِي أَمْ آخَرَ نَنْتَظِرُ؟))
- ٢٠ فَلَمَّا وَصَلَ الرَّجُلَانِ إِلَى يَسُوعَ قَالَا لَهُ: ((إِنَّ يوحَنَّا الْمَعْمَدَانَ أَوْفَدَنَا إِلَيْكَ يَسْأَلُ: أَأَنْتَ الْآتِي أَمْ آخَرَ نَنْتَظِرُ؟))
- ٢١ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ شَفَى أَنْاسًا كَثِيرِينَ مِنَ الْأَمْرَاضِ وَالْعِلَلِ وَالْأَرْوَاحِ الْخَبِيثَةِ، وَوَهَبَ الْبَصَرَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْعُمَيَّانِ،
- ٢٢ ثُمَّ أَجَابَهُمَا: ((إِذْهَبَا فَأَخْبِرَا يوحَنَّا بِمَا سَمِعْتُمَا وَرَأَيْتُمَا: الْعُمَيَّانِ يُبْصِرُونَ، الْعُرْجُ يَمْشُونَ مَشْيًا سَوِيًّا، الْبُرْصُ يَبْرَأُونَ وَالصَّمُّ يَسْمَعُونَ، الْمَوْتَى يَقُومُونَ، الْفُقَرَاءُ يُبَشِّرُونَ.
- ٢٣ وَطُوبَى لِمَنْ لَا أَكُونُ لَهُ حَجَرَ عَثْرَةٍ.))
- ٢٤ وَلَمَّا انصَرَفَ رَسُولَا يوحَنَّا، أَخَذَ يَقُولُ لِلْجُمُوعِ فِي شَأْنِ يوحَنَّا: ((مَاذَا خَرَجْتُمْ إِلَى الْبَرِيَّةِ تَنْظُرُونَ؟ أَقَصَبَةً تَهْزُهَا الرِّيحُ؟
- ٢٥ بَلْ مَاذَا خَرَجْتُمْ تَرَوْنَ؟ أَرْجُلًا يَلْبَسُ الثِّيَابَ النَّاعِمَةَ؟ هَا إِنَّ الَّذِينَ يَلْبَسُونَ الثِّيَابَ الْفَاحِشَةَ وَيَعِيشُونَ عَيْشَةَ التَّرَفِ يُقِيمُونَ فِي قُصُورِ الْمُلُوكِ.
- ٢٦ بَلْ مَاذَا خَرَجْتُمْ تَرَوْنَ؟ أَنْبِيَاءٌ؟ أَقُولُ لَكُمْ: نَعَمْ، بَلْ أَفْضَلُ مِنْ نَبِيِّ.
- ٢٧ فَهَذَا الَّذِي كُتِبَ فِي شَأْنِهِ: ((هَا-عِنْدَا أُرْسِلُ رَسُولِي قَدَامَكَ لِيُعِدَّ الطَّرِيقَ أَمَامَكَ.))
- ٢٨ أَقُولُ لَكُمْ: لَيْسَ فِي أَوْلَادِ النِّسَاءِ أَكْبَرُ مِنْ يوحَنَّا، وَلَكِنَّ الْأَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْهُ.
- ٢٩ فَجَمِيعُ الشَّعْبِ الَّذِي سَمِعَهُ حَتَّى الْجُبَاةُ أَنْفُسُهُمْ بَرُّوا اللَّهَ، فَاعْتَمَدُوا عَنْ يَدِ يوحَنَّا.
- ٣٠ وَأَمَّا الْفَرِيسِيُّونَ وَعُلَمَاءُ الشَّرِيعَةِ فَلَمْ يَعْتَمِدُوا عَنْ يَدِهِ فَأَعْرَضُوا عَنْ تَدْبِيرِ اللَّهِ فِي أَمْرِهِمْ.

- ٣١ فَبِمَنْ أَشَبَّهَ أَهْلَ هَذَا الْجِيلِ؟ وَمَنْ يُشَبِّهُونَ؟
- ٣٢ يُشَبِّهُونَ أَوْلَادًا قَاعِدِينَ فِي السَّاحَةِ يَصِيحُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا يَقُولُونَ: ((زَمَرْنَا لَكُمْ فَلَمْ تَرْتَقُوا نَدْبُنَا فَلَمْ تَبْكُوا)).
- ٣٣ جَاءَ يوحَنَّا المَعْمَدَانِ لَا يَأْكُلُ خُبْزًا وَلَا يَشْرَبُ خَمْرًا، فَقُلْتُمْ: لَقَدْ جُنَّ.
- ٣٤ وَجَاءَ ابْنُ الْإِنْسَانِ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ، فَقُلْتُمْ: هُوَذَا رَجُلٌ أَكُولٌ شَرِيبٌ لِلْخَمْرِ صَدِيقٌ لِلجَبَاةِ وَالخَاطِئِينَ.
- ٣٥ وَلَكِنَّ الْحِكْمَةَ قَدْ بَرَّهَا جَمِيعُ بَنِيهَا)).

فيما عاد لوقا الى استخدام مصدر الاقوال الذي عرف منه منذ العظة في السهل -وتركه كي يدرج مشهد نائين- يقدم هنا توسعا طويلا يرد خلاله اسم يوحنا المعمدان تسع مرات؛ وفي فصل يدور حول الكشف عن يسوع بصفة نبي، ندرك بان تحديد موقع المعمدان مقابل يسوع اصبح امرا ضروريا جدا. وبوسعنا ان نبرز ثلاثة اقسام متميزة. فعلى سؤال جوهرى يطرحه يوحنا، هوذا يسوع يجيب مشيرا الى المعجزات المسيحانية التي عملها (٧: ١٨-٢٣)، ومن ثم يشهد هو نفسه للمعمدان (٧: ٢٤-٢٨). واخيرا يتحول الثقل باتجاه الموقف الذي يتخذه المعاصرون ازاء يسوع ويوحنا (٢٩-٣٥).

لما كان يوحنا سجيننا (راجع ٣: ٢٠)، فالاتصال بينه وبين الرب، كان لا بد له ان يتم عبر وفادة. وان تساؤل يوحنا المطبوع بالشك يُفسَّر بسبب تصرف يسوع الذي لا يتطابق مع الصورة التي رسمها يوحنا عن ذلك الآتي والذي هو اقوى منه (٣: ١٦-١٨)؛ ذلك ان المرسل الاخير الذي انتظره يوحنا كان ينبغي ان يكون مصلحا للاخلاق في منتهى القوة، وديان آخر الازمنة بذروة الاضطرام، بحيث يكون قادرا على تطهير الشعب بالنار. وان تلاميذ يوحنا، في الواقع، لم يُخبروا معلمهم بالمعجزات فقط، كمعجزة احياء شاب نائين، وانما نقلوا اليه كل شيء، من عشاءات يسوع مع جباة الضرائب والخطاة (٥: ٢٩-٣٢) الى التعليم الذي يمتدح الحب للعدو ورفض دينونة الآخرين (٦: ٢٧-٣٨). وهذا الارتياب من جانب يوحنا، قد كرره لوقا مرتين (١٩-٢٠).

اما جواب يسوع، فلم يكن فقط مُعدًّا من خلال الروايات التي سبقت (على سبيل المثال ٧: ١١-١٧)؛ فلقد ذهب لوقا بعيدا، حتى انه أَلَّف موجزا للشقاءات العديدة (٢١ آ) حيث التشديد على عودة البصر الى العميان، كما لو انه شاء ان يبرز بان هدف المشهد هو الاعتراف بيسوع ورؤية العلامات التي يعطيها. وهكذا يصبح التلميذان الموقدان شاهدين على ما رأياه وعلى التفسير الذي سيقدمه عنه يسوع. ويوحنا، في سجنه، هو، بالفعل، في وضع المؤمنين في الكنيسة: فهو، بوساطة شهادة، وليس بشكل مباشر، سيتمكن من البلوغ الى المسيح.

وهوذا يسوع، بمساعدة مقاطع عديدة من اشعيا -اش ٦١: ١، وهو يصدي للمرجع الذي أُشير اليه في ٤: ١٨؛ ولكن ايضا اش ٢٦: ١٩؛ ٢٩: ١٨-١٩؛ ٣٥: ٥-٦- يدعوهم الى رؤية ستة احداث عجيبة والشهادة لها (آ ٢٢). انه يقدم ذاته ولا شك بصفته ذاك الآتي، طالما انه يتم البرنامج الذي يميّز الازمنة المسيحانية. ومع ذلك، فهو لم يستطع ولم يشأ ان يجيب بـ "نعم" عن السؤال المطروح. ذلك انه يهمل كل ما يمت الى "الدينونة" بصلّة -وقد اهتم بها يوحنا كثيرا (٣: ٩، ١٧)- وهي مذكورة بوضوح في النصوص النبوية! وسبق لنا ان اشرنا الى ان المرجع من اش ٦١: ١-٢ كان قد تحوّر في ٤: ١٨-١٩؛ وهنا ايضا يسكت يسوع عن يوم انتقام لإلهنا. ولدنيا مثال آخر: كان نص اش ٢٩: ١٨-٢٠ قد انبأ بشفاء الصم والعميان... واستئصال جميع الذين يسهرون لاجل الاثم. ولا نجد هنا اثرا لهذا القول؛ وبخلاف المعمدان الذي كان يعلن عن غضب مطهر (٣: ١٧)، نرى ان حضور الخلاص النهائي هو في المركز من تعليم يسوع، وليس افق الدينونة. ولن يُعرف يسوع من خلال الشفاءات التي اجترحها حسب، وانما ايضا من خلال الغفران الممنوح للخطاة (راجع ٧: ٣٦-٥٠).

ولذلك يُختتم هذا القسم الاول بتطوية (آ ٢٣): هنيئا لذلك الذي يرتضي بألا يتوافق يسوع مع فكرة مسبقة عن المسيح، ويعطي الاولوية بالتالي للخلاص وليس للدينونة! وهكذا، فان الكريستولوجيا التي كانت خفية الى الآن اصبحت علنية: يسوع، هو الذي يمنح الخلاص النهائي ويمنحه بطريقة تجعل كثيرين يعثرون (راجع آ ٣٤).

بعد انصراف الموفدين، هوذا يسوع، في زمن ثان، يشهد للمعمدان امام الجموع. انه يبدأ بطرح سؤال على ثلاث دفعات (من هو يوحنا في نظركم؟) ويجيب عنه بثلاثة اسئلة (آ ٢٤-٢٦). وفيما قاد السؤال الاول الى جواب سلمي، أسفر السؤال الاخير عن جواب ايجابي اتخذ اتساعا: افضل من نبي! وكان لا بد للحال ان تتوضح هوية المعمدان. انه السابق المباشر ليسوع، وقد اعلنت عنه نبوة ملاخي ٣: ١ -فالقول الالهي موجه الى المسيح- (آ ٢٧)؛ انه في ملتقى بين العالم القديم والعصر الجديد الذي ابتداء (آ ٢٨). واذا كان الاصغر في ملكوت الله اكبر منه، فمعنى ذلك ان الزمن، مع كرازة يسوع، قد تعيّر على صعيد النوعية: ملكوت الله بدأ يقتحم! فحين كان المعمدان على مسرح الاحداث، لم يكن الله قد باشر بالعمل بعد. وكما كان موسى، النبي العظيم، في بداية اسرائيل، قد رأى ارض الميعاد ولم يدخلها (تث ٣٢: ٥٢)، هكذا بقي يوحنا على عتبة الملكوت. فمع مجيء يسوع، اصبح الفقراء (٦: ٢٠-٢٣) والعشارون (٥: ٢٩-٣٢) والخطاة (٧: ٣٧-٥٠)، منذ الآن، في علاقة مع الملكوت؛ وهؤلاء الذين "لا يعتبرون شيئا" اصبحوا بالتالي اعظم من يوحنا، مع انه اعظم الكائنات البشرية!

ويكشف القسم الثالث (آ ٢٩-٣٥) موقف المعاصرين من يسوع ومن يوحنا سابقه؟ وكما سبق ان رأينا في نبوة سمعان (٢: ٣٤)، فان انقسام اسرائيل هو مؤشر للازمة الاخيرة (آ ٢٩-٣٠). ذلك ان رؤساء الشعب نبذوا تدمير الله حين رفضوا بالتنام معمودية التوبة التي جاء بها يوحنا لمغفرة الخطايا (راجع ٣: ٣)؛ والشعب والعشارون، بتجاوبهم مع نداء المعمدان، قالوا "نعم" لهذا المخطط الالهي - انهم برؤا الله، اي انهم اعترفوا بان الله كان عادلا ومحققا.

اما وضع يسوع ويوحنا في نظر الذين يرفضونهما، فقد استنار بواسطة مثل (آ ٣٣-٣٤). فالمعاصرون الذين يرفضون تدمير الله هم شبيهون باولاد يلوم بعضهم بعضا على عدم الاشتراك في اللعبة التي يتمنون. هل نلعب لعبة العرس مع الرقص والناي؟ لا! هل نلعب لعبة الجنازة مع النحيب؟ لا! وكل واحد يتشكى من ان الآخر لا يتصرف وفقا لانتظاراته! وهكذا هي الحال حين كان ليوحنا سلوك الزهاد (راجع ١: ١٥)، وكان يركز بالتوبة معلنا سحق الخاطئ (٣: ٩)، أُعتبر تصرفه الغريب وكأنه من فعل قوى الشر. وحين تصرف ابن الانسان (= يسوع، راجع الاطار: "ابن الانسان بحسب لوقا")، على العكس، فلم يمارس الصوم، ليدلّل بان مآدبة العيد هي افتتاح الاعراس المسيحانية (٥: ٣٣-٣٤)، وعُدّ للحال أكولا شريفا! واذا ما جلس الى مائدة لاوي لينبئ بمجيء الخلاص للجميع (٥: ٢٩-٣٠)، عُدّ صديقا للعشارين والخطاة! ذلك ان رجال هذا الجيل يرفضون، في آن واحد، امارات الحزن في انتظار الزمن المسيحاني، وكذلك العيش بفرح الذي يمتاز به مجيء الملكوت.

لا ينبغي لهذا المثل الذي يقصد اولئك الذين يقولون "لا" ان ينسينا ما هو اساسي: الشعب والعشارون قبلوا المخطط الالهي (آ ٢٩)، والحكمة الالهية التي تعمل في هذا المخطط أُعترف بها بارّة واعلنها ابناؤها بارّة - وهم يسوع، يوحنا، الفقراء، الصغار، الخطاة (آ ٢٩).

يسوع يغفر لخطاة (٧: ٣٦ - ٥٠)

- ٣٦ ودَعَا أَحَدَ الْفَرِيسِيِّينَ إِلَى الطَّعَامِ عِنْدَهُ، فَدَخَلَ بَيْتَ الْفَرِيسِيِّ وَجَلَسَ إِلَى الْمَائِدَةِ.
- ٣٧ وإذا بامرأة خاطنة كانت في المدينة، عَلِمَتْ أَنَّهُ عَلَى الْمَائِدَةِ فِي بَيْتِ الْفَرِيسِيِّ، فَجَاءَتْ وَمَعَهَا قَارُورَةٌ طِيبٍ،
- ٣٨ ووقفت من خلف عند رجليه وهي تبكي، وجعلت تبل قدميه بالدموع، وتمسحهما بشعر رأسيها، وتقبل قدميه وتدهنهما بالطيب.

٣٩ فَلَمَّا رَأَى الْفَرِيسِيُّ الَّذِي دَعَاهُ هَذَا الْأَمْرَ، قَالَ فِي نَفْسِهِ: ((لَوْ كَانَ هَذَا الرَّجُلُ نَبِيًّا، لَعَلِمَ مَنْ هِيَ الْمَرْأَةُ الَّتِي تَلْمِسُهُ وَمَا حَالُهَا: إِنَّهَا خَاطِئَةٌ)).

٤٠ فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: ((يَا سَمِعَانَ، عِنْدِي مَا أَقُولُهُ لَكَ)) فَقَالَ: ((قُلْ يَا مُعَلِّمَ)).

٤١ قَالَ: ((كَانَ لِمُدَايِنِ مَدِينَانَ، عَلَى أَحَدِهِمَا خَمْسُمِائَةِ دِينَارٍ وَعَلَى الْآخَرَ خَمْسُونَ.

٤٢ وَلَمْ يَكُنْ يَمَكَّانِهِمَا أَنْ يُوفِيَا ذَيْبَهُمَا فَأَعْفَاهُمَا جَمِيعًا. فَأَيُّهُمَا يَكُونُ أَكْثَرَ حُبًّا لَهُ؟))

٤٣ فَأَجَابَهُ سَمِعَانَ: ((أَظُنُّهُ ذَاكَ الَّذِي أَعْفَاهُ مِنَ الْأَكْثَرِ)). فَقَالَ لَهُ: ((بِالصَّوَابِ حَكَمْتَ)).

٤٤ ثُمَّ التَفَّتْ إِلَى الْمَرْأَةِ وَقَالَ لِسَمِعَانَ: ((أَتَرَى هَذِهِ الْمَرْأَةَ؟ إِنَِّّي دَخَلْتُ بَيْتَكَ فَمَا سَكَبْتَ

عَلَى قَدَمَيْ مَاءٍ. وَأَمَّا هِيَ فَبِالذَّمُوعِ بَلَّتْ قَدَمَيَّْ وَبِشَعْرِهَا مَسَحَتْهُمَا.

٤٥ أَنْتَ مَا قَبَّلْتَنِي قَبْلَةً، وَأَمَّا هِيَ فَلَمْ تَكُفْ مُذْ دَخَلْتَ عَن تَقْبِيلِ قَدَمَيَّْ.

٤٦ أَنْتَ مَا دَهَنْتَ رَأْسِي بِزَيْتٍ مُعَطَّرٍ، أَمَّا هِيَ فَبِالطِّيبِ دَهَنْتَ قَدَمَيَّْ.

٤٧ فَإِذَا قُلْتُ لَكَ إِنَّ خَطَايَاهَا الْكَثِيرَةَ غُفِرَتْ لَهَا، فَلِأَنَّهَا أَظْهَرَتْ حُبًّا كَثِيرًا. وَأَمَّا الَّذِي

يُغْفَرُ لَهُ الْقَلِيلُ، فَإِنَّهُ يُظْهِرُ حُبًّا قَلِيلًا))،

٤٨ ثُمَّ قَالَ لَهَا: ((غُفِرَتْ لَكَ خَطَايَاكَ)).

٤٩ فَأَخَذَ جُلْسَاؤُهُ عَلَى الطَّعَامِ يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ: ((مَنْ هَذَا حَتَّى يَغْفِرَ الْخَطَايَا؟))

٥٠ فَقَالَ لِلْمَرْأَةِ: ((إِيمَانُكَ خَلَّصَكَ فَادْهَبِي بِسَلَامٍ)).

يُدرج لوقا هنا مشهداً يعبر طوله عن الأهمية التي يضيفها عليه؛ انه ينفرد به، وإن كان له ما يوازيه، الى حد ما، في مر ١٤:٣ (ومتى) و يو ١٢:٣. هناك رباط مضاعف يشده الى ما سبق (ولا سيما الآيات ٢٩-٣٠ و ٣٤ المبرزة هنا بشكل مطول): هم الخطاة يعترفون بيسوع نبيا؛ والاستقبال الذي يحظون به لديه يقود الفريسيين الى نزع هذه الصفة النبوية عنه. ومع ذلك، فان القصة تبدأ جيدا: فريسي دعا يسوع في بيته، الى احدى تلك المآدب الاحتفالية حين كانوا يأكلون وهم منبسطون. واذا بمحدث طارئ يطلق المحادثة: خاطئة تخترق الصلاة، وتنحني وراء السرير الذي كان يسوع منطرحا عليه؛ وكان تصرفها الذي ينم عن دالة كبيرة، مبعث شكوك. قد تكون زانية، وفي كل الاحوال هي امرأة نجسة. فما ان علمت بحضور يسوع في هذه المأدبة، حتى عرفت فيه -بعد ان ضمخت قدميه بدموعها- ذاك الذي يحمل خلاص الله وغفرانه للخطاة. ذلك هو المعنى الذي سيضيفه يسوع فيما بعد على مبادرة المرأة. الا ان المضيف الفريسي لا يذهب بعيدا؛ فلقد توقف عند سطحية هذه اللمسات -وبدت له عاطفية. والخلاصة المخطئة التي استخرجها

في نفسه تكمن في قناعتين: نبي، بوسعه ان يحترق هوية الذين يقتربون منه، ويترتب عليه ان يضع مسافة بين الطاهر والنجس (آ ٣٦-٣٩). لقد كان سلوك هذا المضيف ذا تميز خاص: انه اقدم على دعوة يسوع لان الشفاءات الجسدية التي حققها -وقد يكون ايضا تعليمه- حملته على التفكير بانه بازاء نبي؛ الا ان يسوع يقوم في الوقت ذاته بمبادرات اخرى -استقباله الخطاة والمبعدة- لا تنسجم مع الفكرة التي يحملها عن مرسل الله.

حين يادر يسوع بالكلام، راح يبين المعرفة النبوية التي انكرها عليه فكر سمعان الداخلي. فبدأ يحكي مثلاً بدا وكأن لا علاقة له البتة مع هذا الوضع (آ ٤٠-٤٣). انه مثل لا يكشف عن اية معرفة، وانما أقام، اولاً، مساحة لم يكن بوسع سمعان الا ان يوافق ذاك الذي راح ينتقده في اعماقه. فهذه الرواية ضمن الرواية تتضمن عنصراً يخرج عن العادة: ليس من المؤلف ان يمحو المداين ديونا لا تطفأ (**خمسمائة دينار** تمثل ثمانية عشر شهراً من اجرة عامل). "**واعفاهما كلاهما**": وهذا التفصيل غير المنتظر يشير الى ان هذه القصة اليومية تعيد الى حقيقة اكثر عمقا: علاقة الله بالانسان. وبالتالي، فان **حب** المدينين، انما هو اعتراف بالجميل وشكر تجاه الذي اعفاهما من دينهما. ذلك هو الدرس الذي يستخرجه يسوع عبر السؤال المطروح على سمعان (وعلى القارئ) والذي يتطلب جواباً دون مفاجأة. هوذا سمعان، كما يوحي به حذره ("اظن...")، يستشف الى اين يقوده يسوع؛ ولكنه أصطيد باللعبة التي تضمنها المثل ولم يكن بوسعه ان يصوغ جواباً آخر. وبعكس الخلاصة المخطئة التي خرج بها في نفسه، هوذا، علنا، **يحكم بالصواب**، هذه المرة.

"أترى هذه المرأة؟". وما ان حصل يسوع على موافقة الفريسي، هوذا يحول انتباهه الى موضوع الخلاف ويقوم بتطبيق المثل (آ ٤٤-٤٧). انه يجعل تضادا بين سلوك سمعان -وهو سلوك جيد، ولكن تنقصه علامات الضيافة المتلى- وبين مبادرات ثلاث قامت بها هذه المرأة المجهولة، وكلها التفات نحو **أقدام يسوع** (أقدام ذكرت في كل مرة)؛ وهذا الانتباه واضح بالنسبة الى الطيب، حيث يجعل يسوع تضادا بين دهن على الرأس لم يتم، وبين دهن مسكوب على **القدمين**. وهذا يحيل الى موقف هذه المرأة المتواضع التي **وقفت عند قدمي يسوع** (آ ٣٨)؛ انما الحركة المركزية التي اشرفت على المبادرات الثلاث الموصوفة هنا. وفي سياق الرواية، لا يمكن للخلاصة التي استخرجها يسوع (آ ٤٧) سوى ان تعني شيئا واحدا: موقف المرأة هو نتيجة الحب الالهي الذي تلقته. فلقد غفر لها الله خطاياها العديدة، كما دلّ سلوكها على ذلك بشكل بديهي. فالحب هو الجواب البشري على غفران الله الديون والخطايا. فعلى مثال العشارين -وخطاة كبار آخرين- (راجع ٧: ٢٩)، اعترفت هذه المرأة بان الله عادل هو، وانه قبل اعترافها بالخطأ. اما

الفريسي، على العكس، فهو في خط اقرانه (راجع ٧: ٣٠): فلقد رفض مخطط الله عليه. ولكن من يعلم؟ هل سيحمل الدرس ثماره، ويخرج الرجل من هذا العشاء انسانا آخر؟

انها المرة الاولى يخاطب فيها يسوع امرأة (آ ٤٨-٥٠) ويعلن لها ان غفران لها قد مُنح لها، وانها تتمتع به منذ الآن فصاعدا. اما لسائر المدعوين الذين كان رد فعلهم على مثال الكتبة والفريسيين ابان الغفران الممنوح للمقعد (٥: ٢٠-٢١)، فيشرح لهم يسوع مسيرة الخلاص. ذلك ان الحب الذي ابدته هذه المرأة تجاهه يُظهر انها وضعت ثقته، بشكل تام، في الله وفي مرسله؛ والصورة التي كوَّنتها عن الله كانت صائبة، في حين كان للفريسي تصور خاطئ. وهكذا كان ايمان المرأة نقطة انطلاق لمسيرة اهتداء عند اقدام يسوع، وكان هذا الايمان سبباً لخلاصها.

خامسا: تقبل كلمة الله

(لو ٨: ١-٢١)

النساء اللواتي يرافقن يسوع (٨: ١-٣)

- ٨ ١ وسارَ بعدَ ذلكَ في كُلِّ مَدِينَةٍ وَقَرْيَةٍ، يُنادي وَيُشِيرُ بِمَلَكُوتِ اللَّهِ، وَمَعَهُ اثْنَا عَشَرَ،
٢ وَنِسْوَةٌ أُبْرُنَنَ مِنْ أَرْواحِ حَبِيثَةٍ وَأَمراضٍ، وَهَنَّ مَرِيَمُ الْمَعْرُوفَةُ بِالْمَجْدَلِيَّةِ، وَكَانَ قَدْ خَرَجَ
مِنْهَا سَبْعَةُ شَيَاطِينٍ،
٣ وَحَنَّةُ امْرَأَةٌ كُوزِي حازِنِ هِيرُودُسُ، وَسُوسَنَةُ، وَغَيْرُهُنَّ كَثِيرَاتٌ كُنَّ يُسَاعِدَنَّهُمْ بِأَمْوَالِهِنَّ.

لوقا، هذا الكاتب الهليني الجيد يتناوب في استخدام الاساليب الادبية؛ هوذا ملخص مقتضب عن الجولة التبشيرية التي لا ينفك يسوع يقوم بها في الجليل. هناك فريقان هما شاهدان على اعمال القدرة وعلى تعاليم يسوع، وسيكونان بمثابة الضمان لها (راجع ١٩: ٢٣). الاثنا عشر، اولاً، الذين يوضح فقط بانهم كانوا معه -ويجب ان نتظر ٩: ١ كي نراهم يشاركون في رسالة يسوع.

ومن ثم فريق النساء الموسع. ولوقا، لا يروي البتة بالتفصيل الشفاءات والتعريجات التي حظين بها، وهي، كما يبدو، لعبت في حياتهن دوراً شبيهاً بدور الدعوة في حياة الرجال (١٠: ٥-١١، ٢٧-٢٨)؛ ونقلت اليها اسماء ثلاثٍ منهن، كما تم مع الاثني عشر (١٢: ١٦). الا ان النساء سيكنّ على مسرح الاحداث في المقدمة، ابان الاوقات الكبرى: لدى موت يسوع على الصليب ودفنه (٢٣: ٤٩، ٥٥)، ومن ثم عند القبر الفارغ حيث نجد مريم المجدلية وحنة؛ كما سنجد ايضاً اولاء النساء، مع الاثني عشر وآخرين، في العلية، قبل العنصرة (رسل ١: ١٤). وهنا نراهن يخدمن يسوع والاثني عشر، باموالهن بشكل خاص -وسيستخدم لوقا فعل "خدم" ذاته في رسل ٦: ٢ بصدد السبعة. ومن بين اولاء النساء، كانت امرأة من اكثرهن مرضاً (سبعة شياطين، راجع ١١: ٢٦)، هي مريم المعروفة بالمجدلية (قرية على شاطئ بحيرة جنيسارت)، وامرأة متزوجة من طبقة

اجتماعية رفيعة، حنة التي كانت قد تركت زوجها وبلاط هيروودس التترارخس (راجع ٣: ١، ١٩) - وذلك تفصيل يجعل اندراجه في ٩: ٧-٩ معقولاً.

وتحتل النساء مكانة مرموقة في لوقا-الاعمال. ولا يشدد المؤلف على عدم لياقة حضور اولاء النساء اللواتي رافقن يسوع وفريق الرجال من رسله، ولا على الدهشة التي تثيرها الحرية التي يُظهرها يسوع حين اتخذ نساء من بين فريق التلاميذ الجوال. وهكذا، لا نجد في انجيله احدا من الخصوم يلومه على هذه النقطة، في الوقت الذي كان الانتقاد يتوجه اليه، مرات عديدة، لانه كان يتردد على الخطأة ويأكل معهم.

مثل الزارع والسراج . اسرة يسوع الحقيقية (٨: ٤- ٢١)

- ٤ واحتشد جمع كثير، وأقبل الناس إليه من كل مدينة، فكلمهم بمثل قال:
- ٥ ((خروج الزارع ليزرع زرعه. وبينما هو يزرع، وقع بعض الحب على جانب الطريق، فداسته الأقدام، وأكلته طيور السماء.
- ٦ ومنه ما وقع على الصخر، فما إن تبت حتى يبس، لأنه لم يجد رطوبة.
- ٧ ومنه ما وقع بين الشوك، فنبت الشوك معه فخنقه.
- ٨ ومنه ما وقع على الأرض الطيبة، فنبت وأثمر مائة ضعف)) . قال هذا وصاح: ((من كان له أذنان تسمعان فليسمع !))
- ٩ فسأله تلاميذه ما معزى هذا المثل.
- ١٠ فقال: ((أنتم أعطيتم أن تعرفوا أسرار ملكوت الله. وأما سائر الناس فيكلمون بالأمثال:
- ١١ ((لكي ينظروا فلا يبصروا ويسمعوا فلا يفهموا)) .
- ١١ وإليكم معزى المثل: الزرع هو كلمة الله.
- ١٢ والذين علي جانب الطريق هم الذين يسمعون، ثم يأتي إبليس فينتزع الكلمة من قلوبهم، لئلا يؤمنوا فيخلصوا.
- ١٣ والذين على الصخر هم الذين إذا سمعوا الكلمة تقبلوها فرحين، ولكن لا أصل لهم، فإنما يؤمنون إلى حين، وعند التجربة يرتدون.
- ١٤ والذي وقع في الشوك يمثل أولئك الذين يسمعون، فيكون لهم من الهوم والغنى وملاذات الحياة الدنيا ما يخنقهم في الطريق، فلا يدرك لهم ثمر.
- ١٥ وأما الذي في الأرض الطيبة فيمثل الذين يسمعون الكلمة بقلب طيب كريم ويحفظونها، فيثمرون بشباتهم.

- ١٦ ((مامن أحدٍ يُوقد سراجاً ويحجبه بوعاءٍ أو يضعه تحت سرير، بل يضعه على منارة ليستضيء به الداخلون.
- ١٧ فما من خفيٍّ إلا سيظهر، ولا من مكتومٍ إلا سيعلم ويعلن.
- ١٨ فتنبهوا كيف تسمعون! لأن من كان له شيء، يعطى، ومن ليس له شيء، ينتزع منه حتى الذي يظنه له)).
- ١٩ وجاءت إليه أمه وإخوته، فلم يستطيعوا الوصول إليه لكثرة الزحام.
- ٢٠ فقيل له: ((إن أمك وإخوتك واقفون في خارج الدار يريدون أن يروك)).
- ٢١ فأجابهم: ((إن أمي وإخوتي هم الذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها)).

في لوقا ٨: ٤-٢١، نجدنا ازاء مجموعة من التعاليم تدور حول الطرق العديدة للاصغاء الى الكلمة المعلنة والتجاوب معها. انها مكونة على النحو التالي: يعطي يسوع مثل الزارع (آ ٤-٨)؛ ويعطي تفسيره للتلاميذ الذين طالبوه به (آ ١١-١٥)، تفسيراً سيجد امتداده في مثل جديد (آ ١٦-١٨). وتأتي رواية قصيرة (آ ١٩-٢١) لتسلط ضوءاً اضافياً على الموضوع المركزي: الاصغاء الى كلمة الله وتطبيقها.

١. مثل الزارع (٨: ٤-٨)

عاد لوقا الى رواية مرقس التي قدمت، في الفصل ٤، الخطاب بالامثال، وراح يختصرها عبر بناء موحد حول موضوع الاصغاء الى كلمة الله. ومثل الزارع هو المقطع الاول منه -حتى ان الزارع اصبح في المؤخرة- وقد جعله لوقا نموذجاً للكراسة بالملكوت، الموجهة الى الجميع (٨: ١)، وللطريقة التي بها قبلت. فلقد ورث لوقا من نص معقد. هناك، اولاً، المثل في حد ذاته، على لسان يسوع، وقد برز التضاد بين اخفاقات البذر الاولى والمحصول المدهش، وبين نجاح ملكوت الله الذي حقق اقتحاماً. ويأتي من ثم التفسير الاستعاري -وكان يجري، مبكراً، في كرازة الكنيسة الاولى- ليضع في المقام الاول "الاراضي" كي يصور الطريقة التي بها تتلقى الطبقات المختلفة من الناس كلمة الله. وبين المثل وتفسيره، تأتي بالتالي فكرة لاهوتية مؤسسة على الكتاب المقدس لتعطي معنى للحدث المأساوي: فمن بين سامعي كرازة يسوع، هناك من آمن واهتدى، فيما البعض الآخر لم يؤمن... وهكذا، فان القضية الاساسية قد طرحت، من وجهة نظر مضاعفة، من خلال هذه الفكرة والتفسير الذي تلاها.

لقد أعدّ المثل اللوقاوي التفسير الذي سيلي حين تحدث عن "زارع يزرع". انه يضع التضاد في المصير الذي يطرأ على الحبوب. وفيما يفشل بعضها بسرعة متفاوتة، بسبب عوائق ثلاثة (لعابري السبيل والطيور فعل واحد)، هناك، بالمقابل، النجاح الذي نتوقف عند افضل نتائجه: الحبّ الذي سقط في الارض الطيبة اعطى ثمرا بمئة ضعف - وتلك نتيجة خارقة بالنسبة الى العصور القديمة. ولوقا، عبر الجملة المعترضة "قال هذا وصاح" (آ ٨)، ينذر قارعه: يجب الاصغاء على مستوى اكثر عمقا من المعنى القصصي! يجب ان يطبق المرء هذا المثل على ذاته!

٢. لماذا يتكلم يسوع بالامثال (٨: ٩ - ١٠)

ويطرح التلاميذ (الاثنا عشر والنساء اللواتي ورد ذكرهن في ٨: ٢-٣) السؤال بصدد المعنى الذي ينطوي على ما سمعوه توّأ؛ وليس المقصود قط، كما هو الحال في مر ٤: ١٠-١٢، تفكيراً بشأن دور الامثال بشكل عام، يجري "بمعزل عن الجمع"! فان جواب يسوع يضع فريقين في مفارقة: فانقسام الشعب الذي اعلنه سمعان الشيخ (٢: ٣٤-٣٥) قد تحقّق. وفي التفسير الذي سيلي، سنجدنا بازاء اربع فرق من السامعين، وسيجري التركيز على مسؤولية البشر الذين، بحريتهم، يقبلون او يرفضون الوحي الالهي، اي ان يعطوه او لا يعطوه، مكانة في حياتهم.

ولكن قبل ذلك، تمّ التذكير بالمبادرة الالهية؛ ذلك ان الكنيسة التي راحت تتأمل، بعد الفصح، في الرفض الذي تعرّض له يسوع ورسالته، في وسط شعبه، ارادت ان تؤسس على الكتاب المقدس مثل هذا الوضع المدهش. فالله، بنعمته وحدها، كشف تدبيره الخلاصي للجماعة المسيحية. ويترتب على السامعين الآخرين ان يقوموا بعودة، عبر المثل، كي لا يفهموا بسرعة وخفة العلاقة التي تربط المثل بالواقع. وهنا يكفي لوقا باشارة سريعة الى أش ٦: ١٠، إذ انه سوف يستخدم هذا النص الرئيسي استخداما مغايرا في خاتمة سفر الاعمال (٢٨: ٢٤-٢٨) حين سيكون انقسام شعب اسرائيل قد تمّ بالكامل.

وهناك ايضا ملاحظة اخرى بشأن الآية ١٠ العسيرة الفهم. نحن، عفويا، نضع مفارقة بين المبادرة الالهية والمسؤولية البشرية؛ إمّا هذه او تلك!! اما في الكتاب المقدس، فلا نجد تعارضا البتة بين هذين التأكيدين، كما نراه هنا، حيث تأتي الآيات ١١-١٥ لتكمّل الآية ١٠؛ فيموجب استعدادات كل واحد، تصبح عطايا الله ذاتها ينبوع حياة او موت. واذا ما اتخذنا المسؤولية البشرية بشكل جاد، فسوف نقبل بالاحتمال ان "الآخرين" سيهدون فيما بعد، وان الله سيمنحهم ان يعرفوا اسرار الملكوت.

٣. تفسير مثل الزارع (١١: ٨-١٥)

لا يعطي التفسير، أكثر من المثل، القدرة على تقبل الكلمة بإيمان (هذه العطية التي تحدثت عنها الآية ١٠)، وليس هو بالتالي "اضفاعة" ضرورية حُرِّم الجمع منها. ذلك ان هذا التفسير هو ثمرة التفكير الكنسي: ما هي فئات البشر المختلفة الذين تبلغ كلمة/ بذرة الله الى آذانهم (آ ١١)؟ فهناك بعض الصور في المثل هي ذات استعارة جزئية: الاشكال الاربعة من الاراضي تمثل اربع فرق من السامعين، والطيور تمثل الشيطان الخ... ولكن هذه التشابيه ليست في منتهى الدقة. ففي النموذج الثالث (آ ١٤) يصبح الزرع رمزا للبشر! ولا يقال شيء عن الزارع (هل هو يسوع ام الذين يركزون به؟)؛ كما ان الـ "مئة ضعف" في آ ٨ لا يعطى معناها.

هناط فريق اول من السامعين لا يؤمن ولا يحصل على الخلاص؛ والمسؤولية تعود الى الشيطان، ولكن، كما سبق ان قلنا اعلاه بصدد الله، ذلك لا ينفي البتة المسؤولية البشرية. وفي الفريق الثاني، نجد اولئك الذين يتلقون الكلمة بفرح، ولكنهم لا يؤمنون الا لزمان قصير: انهم يتخلون على الفور، ما ان امتحنحت امانتهم لله (راجع ١١: ٤). والفريق الثالث يتضمن المؤمنين الذين لا يبلغون الى ملء الحياة المسيحية؛ وما يحنق نموهم تدريجيا، انما هو الغنى الذي يدفع الى الاهتمامات الانانية وملذات الحياة (راجع ١٢: ١٩؛ ١٦: ١٩). ففي نفوس اولئك الذين يحققون المثال الانساني بالشكل الافضل (القلب الطيب والسخي) تجد الكلمة الارض المثالية: انهم امناء على طول الخط (يحفظون الكلمة)، وبفضل ثباتهم ابان العداوة، يسلكون ويعملون طبقا لهذه الكلمة التي يحملونها في قلوبهم (راجع ٤٣: ٦-٤٥). هؤلاء يبلغون الى النضج المسيحي.

مثل السراج (١٦: ٨-١٨)

ان كلا من هذه الكلمات الثلاث سنلتقيه مرة ثانية (١١: ٣٣؛ ١٢: ٢؛ ١٩: ٢٦). وهذا التكرار يبين بان علينا ان نفهم هذه الكلمات بصفاتها كتلة تشكل خاتمة التعليم بالامثال في شأن قبول كلمة الله. علما بان التركيز على الطريقة التي بها تُسمع هذه الكلمة، يعيدنا بوضوح الى تفسير مثل الزارع (آ ١٢-١٥).

وصورة السراج توحى بما يجب ان يكون عليه سلوك المسيحيين: فالافعال التي يقومون بها (راجع آ ١٥) يجب ان تكون بيّنة وتبهر الآخرين. فاذا كان الله قد منح التلاميذ ان يعرفوا اسرار ملكوته (راجع آ ١٠)، فليس لكي تبقى هذه الاسرار خفية! وفي

زمن الكنيسة، يتوجب على كلمة الله ان تُعلن عبر حياة الذين تلقوها. ويستخدم يسوع اخيرا مثلا شعبيا -الاغنياء يفتنون والفقراء يفتقرون!- كي يأتي بتعليم اخير. وبقدر ما يتمم الانسان بامانة ما تلقاه، بقدر ذلك يتقدم في النضج المسيحي. وبعكسه، لا تعود كلمة الله خميرة في الحياة؛ وحينذاك تصبح معرفة اسرار الملكوت غامضة ودون اية مردودات على الحياة اليومية.

اسرة يسوع الحقيقية (١٩:٨-٢١)

هذه الآيات، لدى لوقا، تلي مباشرة التعليم بالامثال حول الاصغاء الى كلمة الله. وبخلاف مر ٣: ٣١-٣٥، لسنا بصدد المفارقة بين اسرة يسوع بحسب الجسد وبين الاسرة التي يؤلفها فريق التلاميذ. فليست الروابط العائلية هي التي تدرجهم في هذه الحلقة الواسعة جدا، وانما قبولهم الكلمة. الا ان ما قيل عن مريم في ١: ٢٦-٣٨، وما سيقال عبر رواية قصيرة في ١١: ٢٧-٢٨، يشيران كلاهما الى ان ام يسوع واخوته -وقد جعلوا هنا على عين المستوى- هم من بين الذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها؛ وبهذه الطريقة ينتمون الى هذا الفريق الرابع الذي وصفه يسوع في المثل (آ ١٥). وفي الواقع، انما الجموع حالت دون وصولهم الى يسوع.

الا ان هناك توترا ما زال قائما: ذلك ان هدف الام والاخوة هو ان يروا يسوع. ولكن يسوع لا يستجيب لطلبهم. انه عوض عن ان يروه ويعرفوه من خارج وعلى مسافة، يعرض عليهم الاصغاء الى الكلمة الالهية وتطبيقها في الحياة اليومية. طوبى للمؤمنين، منذ عشرين قرنا، الذين لم يروا يسوع، مع ذلك، اسسوا حياتهم على هذه الكلمة!

سادسا: يسوع. بمعجزاته. يدعو الى الايمان الذي يخلص (لو ٨: ٢٢-٥٦)

تسكين العاصفة (٢٥- ٢٢:٨)

- ٢٢ وفي أحد الأيام ركب سفينة هو وتلاميذه، فقال لهم: ((لنعبُر إلى شاطئ البحيرة المقابل)). فأقلعوا.
- ٢٣ وبينما هم سائرون نام يسوع. فهبت على البحيرة عاصفة فكاد الماء يعمرهم، وأصبحوا على خطر.
- ٢٤ فدنوا منه فأيقظوه وقالوا: ((يا معلم! يا معلم! لقد هلكنا)). فاستيقظ وزجر الرياح والموج، فسكننا وعاد الهدوء.
- ٢٥ فقال لهم: ((أين إيمانكم؟)) فخافوا وتعجبوا، وقال بعضهم لبعض: ((من ترى هذا حتى الرياح والأمواج يأمرها فتطيعه!)).

لا يزال موضوع الايمان في المكان المركزي من الانجيل، ولكنه يتجسد هنا، لا عبر الامثال التي قصها يسوع، وانما عبر اربع روايات شفاء تُظهر قدرته. ويقوم يسوع، نزولا، فينجي من الخطر الخارجي (آ ٢٢-٢٥)، ومن القدرة الشيطانية، ومن المرض، واخيرا من الموت.

السفينة التي كان يسوع وتلاميذه على متنها -وبينهم بعض النساء، كما يوحى بذلك منطلق الرواية (٨: ٢-٣)- تخدم جيدا مشروع المعلم: العبور الى شاطئ البحيرة الآخر، وهو مكان ستفسره الاية ٢٦ بصفته الشاطئ المعادي. و"العاصفة المفاجئة" التي حدثت، انما هي بالتأكيد ظهور قوى الشر، وهي، في نظر الانسان البيبلي، ساكنة في البحر. وبالرغم من ورود فعل "هددهم الخطر" الذي نجده في روايات طرد الشيطان (٤: ٣٥؛ ٩: ٤٢)، فان لوقا لا يوجه اهتمامه هنا الى رواية طرد: لا نجد لديه البتة الامر المعطى بأسلوب مباشر (قارن مع مر ٤: ٣٩). لذا علينا ان نبحث في اتجاه مختلف. لقد كانت رواية العاصفة المطولة في رسل ٢٧: ١٣-١٤ تهدف الى ابراز موضوع حماية المسيح

لمرسله. والكتاب المقدس يذكر غالباً بان اله اسرائيل خلّص شعبه من مياه البحر الاحمر، وانه يحمي البحارة الذين يصرخون اليه (مز ١٠٧: ٢٣-٣٢). فيسوع، حين يحمي اخصاءه بكلمته القديرة وينجيهم في لحظة من خطر كهذا، انما يقوم بدور شبيه بدور الله. اما تساؤل التلاميذ، في خاتمة الرواية، فهو ليس استباقاً لتساؤل هيرودس في ٩: ٩ حسب، وانما هو تساؤل يطرحه اشخاص يعلمون ان الله وحده يأمر حتى الرياح والمياه (مز ١٠٤: ٦-٧).

وهكذا يرتبط موضوع الايمان بالموضوع الكريستولوجي (المتعلق بلاهوت المسيح). فحين كاد الماء يغمرهم، توجه التلاميذ الى معلمهم، بطريقة لا تدل على قلة ثقة. وما ان هدأت العاصفة المفاجئة، هوذا يسوع يطرح سؤالاً، له رنة التوبيخ (آ ٢٥). ذلك ان عدم اكتمال ايمانهم متأت من كونهم رأوا في رقاد يسوع عائقاً يحول دون نجاحهم. وفي الواقع، فان هذا الرقاد يجسد بشكل رائع الحضور/ الغياب للمسيح في كنيسة ما بعد الفصح؛ فالتلميذ مدعو الى ان يؤمن بالرغم من عدم التدخل الظاهر لسيدته، في مجرى التاريخ، طالما ان حمايته لن تتركه. ومن الجدير بنا ولا شك ان نصلي مع المزمور ٤٤: ٢٧-٢٤: "قم ايها السيد، لماذا تنام؟ استيقظ! قم لنصرتنا". ولكن طوبى لمن، بالرغم من الظواهر، يؤمن بان الرب "حارس اسرائيل، لا يغفو ولا ينام" (مز ١٢١: ٤)!

مهوسوس الجرجسيين (٢٦: ٨-٣٩)

- ٢٦ ثم أرسوا في ناحية الجرجسيين، وهي تقابل الشاطئ الجليلي.
- ٢٧ ولما نزل إلى البرّ، تلقاه رجلٌ من المدينة به مسٌّ من الشياطين. ولم يكن يلبس ثوباً من زمن طويل، ولا يأوي إلى بيت، بل إلى القبور.
- ٢٨ فلما رأى يسوع، أخذ يصرخ، ثم ارتمي على قدميه وقال بأعلى صوته: ((ما لي ولك يا يسوع ابن الله العليّ؟ أسألك ألا تُعذبني)).
- ٢٩ لأنه أمر الروح النجس أن يخرج من الرجل. وكثيراً ما استحوذ عليه، فكان يحفظ مكبلاً بالسلاسل والقيود، فيحطّم الربط ويسوقه الشيطان إلى البراري.
- ٣٠ فسأله يسوع: ((ما اسمك؟)) قال: ((جيش)) لأن كثيراً من الشياطين كانوا قد دخلوا فيه.
- ٣١ فسألوه ألا يأمرهم بالذهاب إلى الهاوية.
- ٣٢ وكان يرعى هناك في الجبل قطع كبير من الخنازير، فسألوه أن يأذن لهم بالدخول فيها، فأذن لهم.
- ٣٣ فخرج الشياطين من الرجل ودخلوا في الخنازير، فوثب القطيع من الجرف إلى البحيرة فغرق.

- ٣٤ فَلَمَّا رَأَى الرُّعَاةَ مَا جَرَى، هَرَبُوا وَنَقَلُوا الخَبَرَ إِلَى المَدِينَةِ وَالْمَزَارِعِ.
- ٣٥ فَخَرَجَ النَّاسُ لِيَرَوْا مَا جَرَى. وَجَاءُوا إِلَى يسوع، فَوجدُوا الرَّجُلَ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ الشَّيَاطِينُ جَالِسًا عِنْدَ قَدَمَيْ يسوع، لَا بِسَاءَ صَحِيحِ العَقْلِ، فَخَافُوا.
- ٣٦ فَأَخْبَرَهُمُ الشُّهُودُ كَيْفَ نَجَا المَمْسُوسِ.
- ٣٧ فَسَأَلَهُ أَهْلُ نَاحِيَةِ الجَرَجَسِيِّينَ كُلُّهُمْ أَنْ يَنْصَرِفَ عَنْهُمْ، لِمَا نَالَهُمْ مِنَ الخَوْفِ الشَّدِيدِ. فَرَكِبَ السَّفِينَةَ وَرَجَعَ مِنْ حَيْثُ أَتَى.
- ٣٨ فَسَأَلَهُ الرَّجُلُ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ الشَّيَاطِينُ أَنْ يَصْحَبَهُ، فَصَرَفَهُ يسوعُ قَالَ:
- ٣٩ ((ارْجِعْ إِلَى بَيْتِكَ وَحَدِّثْ بِكُلِّ مَا صَنَعَ اللهُ إِلَيْكَ)). فَمَضَى يُنَادِي فِي المَدِينَةِ كُلِّهَا بِكُلِّ مَا صَنَعَ يسوعُ إِلَيْهِ.

الشاطي الآخر من البحيرة (آ ٢٢) مقابل الجليل هو منطقة وثنية -هل يُرعى في اسرائيل قطع من الخنازير؟ وعلامات المسّ الشيطاني تبدو قاسية بشكل خاص: فالرجل الذي يدنو من يسوع لا ثياب له ولا بيت؛ فهو لا يعيش على شبه انسان، وقد حطم الروابط مع كل حياة اجتماعية -وبضمنها السلاسل والقيود (آ ٢٩)!. وان لجوعه الى القبور يجعله نجسا (راجع عد ١٩: ١١). انه مريض نفساني (راجع آ ٣٥)؛ وهو مستبّ طالما ان آخر يتكلم بلسانه. وما ان شرع يسوع بعملية الطرد (آ ٢٩)، واذا بالشيطان يعترف بان سلطان ابن العلي (لقب لا يبدو نشزا في ارض وثنية) اعظم من سلطانه (آ ٢٨). وهذا الشيطان، بحسب تصور مألوف في العصور القديمة، يتمتع بمعرفة خارقة، كالذي التقاه يسوع في كفرناحوم (٤: ٣٤). انه يحوّل السؤال المطروح حول اسمه -سؤال من شأنه ان يضفي على يسوع سيطرة عليه؛ وها هو يقدم رقما: وكانت الكتيبة الرومانية (ليجيون) مؤلفة من ٥٥٠٠ جندي من المشاة، ومن ١٢٠ من الخيالة... فنحن بعيدون عن الشياطين السبعة الذين، في العالم اليهودي، كانوا وراء حالات مسّ الشيطان الكبرى (راجع ٨: ٢؛ ١١: ٢٦)!

هذه القوى الشيطانية المخيفة هي، مع ذلك، على وعي بدونيتها، لذا تسعى الى التفاوض لكي لا تنزل الى الهاوية، اي ذلك السجن في اعماق البحر والمعدّ لها (راجع رسل ٢٠: ٣). انها تطلب ان تُرسل، بعد طردها، للدخول في الخنازير، هذه الحيوانات النجسة. ويرتضي يسوع... وهذا ما يقودها الى هلاكها! وهذه الخنازير "الهائجة" (راجع آ ٢٩ ب) تذهب بها إلى الهاوية حيث تغرق. وسنمرّ بالتمام الى جانب هذه القصة الشعبية حين نشتكى لدى جمعية الرفق بالحيوان، او حين نعجب كيف ان يسوع لم يعوّض

اصحاب القطيع! فالرواية، فيما انطلقت من حدث عابر اعيدت قراءته وتضخم من ثم،
انما شاءت ان تعلمنا، بشكل صوري، بان يسوع هو اكثر من معزم من بين المعزّمين -
وكان هناك بين الفريسيين من يتمتع بالفاعلية، راجع ١١: ١٩. فهو لم يكتفِ بشفاء
ممسوس، وانما حطّم، بقوته، جوقة من الشياطين الذين طردهم.

والمرحلة الاخيرة في كل رواية معجزة -التحقق من الشفاء وردّ فعل الجمع-
نجدها هنا قد توسّعت فوق العادة. فالممسوس استعاد سمات انسانيته: ها هو لابس،
صحيح العقل، ولم يعد خارجا عن طوره (آ ٣٥)، وسيعود الى بيته (آ ٣٩). وبكلمة،
انه خلّص بالتمام (آ ٣٦). الا ان اولى سماته هو انه جلس عند قدمي يسوع، في وضع
التلميذ (آ ٣٥). وحين يُرى الرجل الذي شفي، وبالاكثر حين تبلغ الى الاسماع الطريقة
التي حدث بها الشفاء، فذلك يثير الخوف لدى الكثيرين من اهل البلد؛ ولما اعتلن هذا
الشخص الالهي هكذا، واصبح يمثل خطراً، طلبوا من يسوع ان يتعد عن المكان بالسرعة
الممكنة. وهذا ما فعله يسوع بشكل طوعي إذ ان رسالته ليست تبشير غير اليهود؛ ذلك
هو عمل الكنيسة (٢٤: ٤٧-٤٨). علما بان اجتياح يسوع ارضا وثنية، انما هو الحدث
الوحيد لدى لوقا الذي لم يرو لنا الرحلة إلى مناطق صور وصيدا (مر ٧: ٢٤-٣١).

ان تكون ساعة الوثنيين لم تحضر بعد، فذلك قد يفسر لماذا رفض يسوع ان
ينضمّ الرجل الى فريق الذين معه (٨: ١). وكما سبق ان فعل مع المقعد (٥: ٢٤)، ها هو
يرسله الى بيته -بينما دعا آخرين الى ترك متزلهم لاتباعه (١٨: ٢٩). فالمهم هنا هو التركيز
على ان الذي كان مُبعداً، أُعيد من جديد الى المجتمع. ولقد طلب يسوع منه فقط ان يُحدّث بما
تلقاه من اله اسرائيل. فالرجل هو الذي "يُنصّر" دوره حين ينادي بما صنع اليه يسوع.

شفاء امرأة واحياء ابنة يائيرس (٨: ٤٠-٥٦)

- ٤٠ وَلَمَّا رَجَعَ يَسُوعَ، رَحَّبَ بِهِ الْجَمْعُ لِأَنَّهُمْ كَانُوا كُلُّهُمْ يَنْتَظِرُونَهُ.
- ٤١ وَإِذَا بَرَجُلٌ اسْمُهُ يَائِيرَسُ، وَهُوَ رَئِيسُ الْمَجْمَعِ، قَدِ جَاءَ فَارْتَمَى عَلَى قَدَمَيْ يَسُوعَ، وَسَأَلَهُ
أَنْ يَأْتِيَ بَيْتَهُ
- ٤٢ لِأَنَّ لَهُ ابْنَةً وَحِيدَةً فِي نَحْوِ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهَا، قَدْ أَشْرَفَتْ عَلَى الْمَوْتِ. وَبَيْنَمَا هُوَ
ذَاهِبٌ، كَانَتْ الْجُمُوعُ تَزَحُّمُهُ حَتَّى تَكَادُ أَنْ تَحْنُقَهُ.
- ٤٣ وَكَانَتْ هُنَاكَ امْرَأَةٌ مَرْوُفَةٌ مُنْذُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، وَكَانَتْ قَدْ أَنْفَقَتْ جَمِيعَ مَا عِنْدَهَا
عَلَى الْأَطِبَّاءِ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنْ يَشْفِيَهَا.

- ٤٤ فذَكَتْ مِنْ خَلْفُ وَلَمَسَتْ هُدْبَ رِدَائِهِ، فَوَقَفَ نَزْفُ دَمِهَا مِنْ وَقْتِهِ.
- ٤٥ فَقَالَ يَسُوعُ: ((مَنْ لَمَسَنِي؟)) فَلَمَّا أَنْكَرُوا كُلَّهُمْ، قَالَ بُطْرُسُ: ((يَا مُعَلِّمَ، الْجُمُوعُ تَرَحُّمُكَ وَتُضَايِقُكَ!))
- ٤٦ فَقَالَ يَسُوعُ: ((قَدْ لَمَسَنِي أَحَدُهُمْ، لِأَنِّي شَعَرْتُ بِقُوَّةٍ خَرَجَتْ مِنِّي)).
- ٤٧ فَلَمَّا رَأَتْ الْمَرْأَةُ أَنَّ أَمْرَهَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ، جَاءَتْ رَاجِفَةً فَارْتَمَتْ عَلَى قَدَمَيْهِ، وَذَكَرَتْ أَمَامَ الشَّعْبِ كُلِّهِ لِمَاذَا لَمَسْتَهُ وَكَيْفَ بَرَّتْ مِنْ وَقْتِهَا.
- ٤٨ فَقَالَ لَهَا: ((يَا ابْنَتِي، إِيمَانُكَ خَلَّصَكَ، فَادْهَبِي بِسَلَامٍ)).
- ٤٩ وَيَبْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ، جَاءَ أَحَدٌ مِنْ عِنْدِ رَئِيسِ الْمَجْمَعِ فَقَالَ: ((ابْنَتُكَ مَاتَتْ، فَلَا تُرْعِجِ الْمُعَلِّمَ))
- ٥٠ فَسَمِعَ يَسُوعُ فَأَجَابَهُ: ((لَا تَخَفْ، آمِنْ فَحَسَبَ تَخْلُصِ ابْنَتِكَ)).
- ٥١ وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْبَيْتِ، لَمْ يَدْعُ أَحَدًا يَدْخُلُ مَعَهُ إِلَّا بُطْرُسُ وَيُوحَنَّا وَيَعْقُوبُ وَأَبَا الصَّبِيَّةِ وَأُمُّهَا.
- ٥٢ وَكَانَ جَمِيعُ النَّاسِ يَكُونُ وَيُوحُونَ عَلَيْهَا. فَقَالَ: ((لَا تَبْكُوا، لَمْ تَمُتْ، إِنَّمَا هِيَ نَائِمَةٌ)).
- ٥٣ فَضَحِكُوا مِنْهُ، لِعِلْمِهِمْ بِأَنَّهَا مَاتَتْ.
- ٥٤ أَمَّا هُوَ، فَأَخَذَ بِيَدِهَا، وَصَاحَ بِهَا: ((يَا صَبِيَّةُ، قُومِي!))
- ٥٥ فَرُدَّتِ الرُّوحُ إِلَيْهَا وَقَامَتْ مِنْ وَقْتِهَا. فَأَمَرَ بِأَنْ تُطْعَمَ.
- ٥٦ فَادْهَشَ آبَاؤُهَا، فَأَوْصَاهُمَا أَلَّا يُخْبِرَا أَحَدًا بِمَا جَرَى.

حين ركب يسوع السفينة من جديد، لقي الجمع (٤:٨) الذي كان ينتظره بصفته مسيحاً (راجع العبارة كما في ٧:١٩-٢٠). وهذا الجمع الذي سوف يزحم يسوع حتى يكاد يخنقه (آ ٤٢)، يكمن دوره في ان يقم قوة الشفاء التي كانت تخرج منه (آ ٤٦). ان هذه الرواية معقدة. ففيها يروى شفاء امرأة (آ ٤٣-٤٨)، في محل وسط بين طلب شفاء صببية مدنفة (آ ٤١-٤٢) وبين إحيائها (آ ٤٩-٥٦): والواحدة عرفت اثنتي عشرة سنة من المرض المزمّن (آ ٤٣)، والاخرى عرفت اثنتي عشرة سنة من الصحة المفترضة (آ ٤٢).

نحن، في مقطع اول (آ ٤١-٤٢)، بصدد ممثل للدين اليهودي الرسمي جاء يلتقي بيسوع. وطلبه في تدخل يسوع -دون صياغة واضحة- هو في منتهى التحفظ؛ وعلى العكس من قائد المئة (٦:٧)، نراه يستغيث بيسوع كي يدخل بيته. وابنته الوحيدة (تلك معلومة ينفرد بها لوقا) هي في طور المراهقة، حتى انها عوضا عن ان تستعد لنقل الحياة، نجدها مشرفة على الموت. وهكذا، بعد آية "ام مع ابنها" في نائين، نجدنا بازاء آية "اب

مع ابنته" في هذا الاحياء الثاني الذي ترسم ملاحظه. وكما كانت الحال في الرواية الاولى، أن يكون المعنيّ وحيدا، فذلك لا يشير الى يأس الاهل حسب، وانما تلميح من لوقا الى قارئه ليذكره بان الانتظار اليهودي للنبي ايليا (راجع امل ١٧) قد تمّ في يسوع.

والرواية الثانية، في ما عدا فائدتها الخاصة، تهدف إلى جعل يسوع يتأخر: ويترتب من ثمّ إحياء ابنة يائيرس، وليس "بمجرد" شفائها. وكانت هناك بين الجمع امرأة تحظر عليها الشريعة ان تكون بينه: انها نجسة؛ ولها نزف دم غير دم نجاستها (الحيض). والنجاسة هي اكثر عدوى من المرض: كل ما تجلس عليه يكون نجسا كنجاسة طمثها (الحيض). وكل من مسّ شيئا منها يكون نجسا، فيغسل ثيابه ويستحم في الماء، ويكون نجسا حتى المساء (أح ١٥: ٢٥-٢٧). وبخلاف الدم الذي يجري في العروق وهو الحياة، فهذا "ينتمي الى افق الموت والنجاسة" (ف. بوفون).

وعلى مثال الجمع في ٦: ١٩، كانت هذه المرأة، من دون اسم، تاتفة إلى الاستفادة من قدرة يسوع الشافية. كان يكفي ان تلمس هذب رداؤه، ليتم الشفاء فورا. اما جواب بطرس على سؤال معلمه، فيبين انه لم يفهم شيئا (آ ٤٥). وحينذاك يذكر يسوع القوة التي خرجت منه. فبالنسبة الى لوقا، ليس المقصود القوة السحرية التي يتمتع به الشافون؛ انها قوة الرب الاله بالذات، وقد اعطاها لابنه كي يشفي المرضى (٥: ١٧). وهذه القوة المعجائبية التي كان يسوع ممتلئا منها، سوف يُعهد بها قريبا الى الاثني عشر (٩: ١-٢)؛ وهي بالتالي تتميز عن قوة الروح القدس التي لن ينالها التلاميذ الا بعد القيامة (رسل ١: ٨).

اما المرأة، فها هي تروي امام الشعب كله مرضها وشفاءها الفوري؛ انها ترتجف وهي تعترف علنا انها تجاوزت الوصية (آ ٤٧). ويسوع الذي كان يحترم الشريعة - واهداب رداؤه مطابقة لشريعة عد ١٥: ٣٧-٤١، وهي تذكره ان عليه ان يتمم وصايا الرب بمرمتها- لم يُشير إلى ان هذا اللمس جعله نجسا ذلك النهار. وحين اصغى يسوع الى حكاية المرأة، فهمها: الايمان هو الذي قاد المرأة، وليس لا ابالية معينة تجاه الشريعة الالهية. ولذلك، فيما كرر يسوع، كلمة فكلمة، ما كان قد قاله للخاطئة (٧: ٥٠)، اعلن لها ان الله خلصها بسبب ايمانها.

حينئذ تتواصل الرواية مع يائيرس (آ ٤٩-٥٦). والطلب الذي كان قد تقدم به كي يدخل الى بيته (راجع آ ٤١) لم يعد له مكان. فلقد فات الاوان (آ ٤٩). وهوذا يسوع يدعو الأب الى تجاوز هذه النظرة البشرية: إذ ان الخلاص الذي سيبلغ اليه هو مرتبط بایمانه فقط (آ ٥٠). وهنا، كما في الكلام الموجه الى المرأة، نرى ان الخلاص والايمان مرتبطان، وكلتا المفردتان هما على لسان يسوع: فهو الذي يعطي المعنى.

ويسوع، لدى دخوله البيت -ويخلط لوقا، خلافا لمر ٥: ٣٨-٤٠، بين البيت والغرفة الجنائزية- يحتفظ بثلاثة تلاميذ سيكونون الشهود المميزين على قدرته (راجع ايضا ٩: ٢٨)، مع أبي الصبية وامها. وكانت هناك ايضا الباقيات مع الاقارب، وكانوا كلهم يُعدّون طقوس الجنازة، وهم الذين سيضحكون من التفسير الذي اعطاه يسوع. انه لا يعارض ان تكون الصبية قد ماتت، ولكنه يؤكد ان هذا الموت، على مثال رقاد، ليس حاسما؛ ولذلك اضاف، كما قالها لارملة نائين: "لا تبكوا" (آ ٥٢-٥٣). وتم الشفاء بحركة منه -وأهضت الميتة من منامها- وبأمر: "يا صبية قومي". وهكذا عادت روحها التي كانت تحوم على مقربة منها (راجع ١ مل ١٧: ٢٢؛ انظر مشهد ابن الارملة) وقامت. وعلى هذا النحو تكون الرواية قد تضمنت ابرز المفردات المستخدمة في الكنيسة للتعبير عن القيامة: "أهض ايها القائم، قم من بين الاموات..." (اف ٥: ١٤). وكما كانت الحال مع المرأة المتروفة، هنا ايضا تبدو النتيجة فورية. اما الأمر بان تُطعم الصبية، فهو يمكن هنا من الاستدلال على واقع العودة الى الحياة (راجع ٢٤: ٤١-٤٣). ولا نجد اي رد فعل من الحاضرين، ما عدا دهشة ابويها. وهنا ما هو اكثر: تُنختم الرواية بالنهي عن الكلام. وهكذا نجدنا بازاء مفارقة مدهشة مع الضجة التي رافقت حدث نائين (٧: ١٦-١٧). هل يعني ذلك ان اعجوبة كهذه تنتمي الى احد اسرار الملكوت التي لم يُعطَ للجميع ان يعرفوها (٧: ١٠)، ولا سيما بالنسبة إلى اناس لا يؤمنون (آ ٥٣)؟

سابعا: "من أنا؟"

(لو ٩: ١-٥٠)

بعثة الاثني عشر الى الرسالة (٩: ١-٦)

- ٩ ١ ودعا الاثني عشر، فأولاهم قُدْرَةً وَسُلْطَانًا عَلَى جَمِيعِ الشَّيَاطِينِ، وَعَلَى الْأَمْرَاضِ لِشِفَاءِ النَّاسِ مِنْهَا.
- ٢ ثُمَّ أَرْسَلَهُمْ لِيُعْلِنُوا مَلَكُوتَ اللَّهِ وَيُبْرِئُوا الْمَرْضَى.
- ٣ وَقَالَ لَهُمْ: ((لَا تَحْمِلُوا لِلطَّرِيقِ شَيْئًا، لَا عَصًا وَلَا مِزْوَدًا وَلَا خُبْزًا وَلَا مَالًا، وَلَا يَكُنْ لِأَحَدٍ مِنْكُمْ قَمِيصَانٌ.
- ٤ وَأَيَّ بَيْتٍ دَخَلْتُمْ، فَأَقِيمُوا فِيهِ وَمِنْهُ ارْحَلُوا.
- ٥ وَأَمَّا الَّذِينَ لَا يَقْبَلُونَكُمْ، فَاخْرُجُوا مِنْ مَدِينَتِهِمْ، وَانْفُضُوا الْغُبَارَ عَنْ أقدامِكُمْ شَهَادَةً عَلَيْهِمْ)).
- ٦ فَمَضَوْا وَسَارُوا فِي الْقُرَى، يُبَشِّرُونَ وَيَشْفَوْنَ الْمَرْضَى فِي كُلِّ مَكَانٍ.

في خاتمة المقطع الطويل المخصص، اعتبارا من ١٤: ٤، للكراسة في الجليل، نرى ان الروابط بين يسوع ورسله تتخذ مكانة لم تشهداها من قبل؛ وسوف يجيب الناطق باسم التلاميذ نفسه عن السؤال العسير الذي صاغه، باشكال عديدة، سواء اناس مترددون (٥: ٢١؛ ٧: ٤٩)، او مبعوثا المعمدان (٧: ١٩-٢٠)، او التلاميذ انفسهم (٨: ٢٥): من هو هذا الرجل؟

يساعدنا لوقا على ان نفهم لماذا يسوع، من بين جميع تلاميذه، اختار الاثني عشر واعطاهم لقب الرسل، اي المرسلين (٦: ١٣). اهم سيرسلون كي يكون لهم نصيب في رسالة يسوع عينها: ان يبشروا بملكوت الله ويجروا الشفاءات. ولكي يقوموا بهذه المهمة، يتلقون مسبقا "العدة" الضرورية: يعطيهم يسوع من تلك القوة العجائبية التي يستخدمها في شفاء المرضى، مع السلطان الذي يمارسه لطرد الشياطين. غير ان الروح

ينقصهم، وهو تلك القوة التي تمكنهم من الشهادة للكلمة في عالم معادٍ، قوة لن ينالوها الا بعد مغادرة يسوع التامة (رسل ٢). وهذا يعني ان الجولة التبشيرية الحاضرة ليست سوى صورة تتأصل وتندرج في مرحلة يسوع التاريخي، وتلك مهمتهم بعد القيامة. لنشر ايضا الى ان هذه الجولة ستلحق بها قريبا بعثة الاثنين والسبعين تلميذا (١٠: ١-٢٠).

اول وصية اعطيت للاثني عشر: ألا يرتكبوا باتخاذ قميص اضافي للتغيير، وان يضعوا ثقتهم في العناية الالهية، بالتخلي عن حمل شيء للطريق، لا عصا للدفاع عن انفسهم ضد المعتدين، ولا ما هو ضروري لديمومة العيش؛ وسيوجد دوما قرويون يستقبلون المرسلين ويضيفوهم. وفيما بعد، ابان زمن المحنة، حين ستغلق كل الابواب بوجه الرسل، سيلغي يسوع هذه الوصية (٢٢: ٣٥-٣٦). ومن ثم، يُنهى الرسول الذي أُستقبل في بيت، من ان يبحث عن سرير افضل - او أدون بدافع الزهد! فليترض بما يقدم له، دون ان يتعرض لسوء التفاهم مع الاسرة التي كانت الاولى في قبول الكلمة (ما قيل في رسل ١٦: ١٥ يجسد ذلك). وهناك وصية اخيرة في حالة قرية لم تستقبل رسول الملكوت: على الرسول ان يبين، بحركة علنية ورمزية، بأن لم تعد له صلة مع اهلها، وليس مسؤولا بما يحدث لهم (ولدينا تجسيد لذلك في رسل ١٣: ٥١).

ان رسالة الاثني عشر الجوالين شبيهة برسالة يسوع؛ الا ان هناك، مع ذلك، تفصيلا: اهم يتمركزون في القرى، في حين يجول معلمهم بين المدن والقرى (٨: ١). وان اتساع حركة يسوع بهذه الطريقة تمهد بشكل رائع للمشهد التالي.

هيرودس يسعى الى رؤية يسوع (٩- ٧: ٩)

٧ وسمع أمير الرُّبْع هيرودس بكل ما كان يجري، فحارَ في الأمر، لأنَّ بعضَ النَّاسِ كانوا يقولون: ((إنَّ يوحناَ قامَ مِن بَيْنِ الأمواتِ))،

٨ وبعضهم: ((إنَّ إبليَّا ظهرَ)) ، وغيرهم: ((إنَّ نبيًّا من الأنبياءِ الأوَّلِينَ قامَ)).

٩ على أنَّ هيرودسَ قال: ((أمَّا يوحناَ فقدَ قطعْتُ أنا رأسَه. فمن هذا الذي أسمعُ عنه مثلاً هذه الأمور؟)) وكان يُحاولُ أن يراه.

حين سمع الشخص الاول في الجليل بما يحدث في المنطقة التي يديرها، راح يطرح السؤال العسير حول هوية يسوع. علما بان الشعب لم يكن المعني الوحيد؛ إذ ان الحاشية الملكية نفسها قد مُسَّت (راجع ٨: ٣). ذلك ان الآراء الثلاثة التي تتناقل بشأن يسوع تركته حائرا. انها تتفق كلها على الاعتراف بدور يسوع النبوي، ولكنها ليست

صحيحة تماماً. فأن يُرى يسوع في المعمدان الناهض (وهو الذي كان اعظم من نبي، ٧: ٢٦)، فذلك ما يدغدغ المشاعر! وأن يكون يسوع هو ايليا العائد في نهاية الازمنة، فذلك صحيح الى حد ما. اما الخطأ الكبير، فهو حين يُرى في يسوع احد الانبياء قد قام؛ سيما وان موته وقيامته مزمان ان يتما (٩: ٢٢).

لقد كان لهيودس ما يميزه على صعيد النظرة التهكمية. وعوضا عن ان يبلغ الى الخلاصة الاكثر خطأ (راجع مر ٦: ١٦)، هوذا يقع على السؤال المفتاح. ولكي يجيب عنه، لم يتخيّل سوى وسيلة واحدة: رؤية يسوع - كما كانت تبغى اسرة يسوع في ٨: ٢٠. وان المصير الذي انزله بالمعمدان يُظهر، بما فيه الكفاية، أن ليس الايمان هو الذي يقوده الى رؤية يسوع. ففي ٢٣: ٨، سيكون بوسعه أن يشفي غليله؛ فما يهمه، إذن، ليس هو شخص يسوع، وانما اعجوبة يأتي بها

تكثر او كسر الخبز (٩: ١٠- ١٧)

١٠ ولما رجع الرُّسل أخبروا يسوع بكل ما عملوا، فمضى بهم واعتزل وإياهم عند مدينة يُقال لها بيت صيدا،

١١ لكن الجموع علموا بالأمر فتبعوه، فاستقبلهم وكلمهم على ملكوت الله، وأبرأ الذين يحتاجون إلى الشفاء.

١٢ وأخذ النهار يميل، فدنا إليه الاثنا عشر وقالوا له: ((اصرف الجمع ليذهبوا إلى القرى والمزارع المجاورة، فيبيتوا فيها ويجدوا لهم طعاماً، لأننا هنا في مكان قفر)).

١٣ فقال لهم: ((أعطوهم أنتم ما يأكلون))). فقالوا: ((لا يزيد ما عندنا على خمسة أرغفة وسمكتين، إلا إذا مصينا نحن فاشترينا لجميع هذا الشعب طعاماً)).

١٤ وكانوا نحو خمسة آلاف رجل.

فقال لتلاميذه: ((أقعدوهم فئةً فئةً، في كل واحدةٍ منها نحو الخمسين))).

١٥ ففعلوا فأقعدوهم جميعاً.

١٦ فأخذ الأرغفة الخمسة والسمكتين، ورفع عينيه نحو السماء، ثم باركها وكسرها وجعل يناولها تلاميذه ليقدّموها للجمع.

١٧ فأكلوا كلهم حتى شبعوا، ورفع ما فضل عنهم: اثنتا عشرة قفةً من الكسر.

حين عاد الاثنا عشر المرسلون، قدّموا تقريراً لم يكن مفصلاً (١٠٧-١١). الا اننا نجدنا ازاء "العبة مسرحية": للمرة الاولى، في انجيل لوقا، نرى يسوع يمضي بالاثني عشر

ويعتزل واياهم. وهذه الحركة التي سرعان ما اعترضت عليها الجموع، اولا، فلحقت به، ستسفر عن مشهد ٩: ١٨+: يسوع، في مكان قفر، يطرح على اخصائه السؤال الصعب ويستلم اليهم تعليما في منتهى الجدة. انه الآن يستقبل الجموع التي بدت وكأها في وضع التلاميذ (تبعته، راجع ٥: ١١، ٢٧، ٢٨). وها هو يواصل مهمته الخاصة التي وكل بها، مؤقتا، الى الرسل: يتحدث عن الملكوت الآتي، وفي الوقت ذاته يعطي عنه علامات عبر الشفاءات التي يجريها؛ وهكذا يواصل يسوع الكشف عن هويته.

معجزة الخبز تدرج جيدا في هذا السياق. والرواية، بالاضافة الى انها جاءت بشكل منطقي -النهار يميل، ولا بد من التفكير بالاكل- الا انها سوف تقدم جوابا غير مباشر الى السؤال الذي طرحه هيرودس على نفسه؛ واذا لم يُعطَ يسوع، في هذا المشهد، اي لقب، غير ان الآية المدهشة التي تمت، تضع الاثني عشر من جديد (وكذلك القارئ) في الاتجاه الصحيح. انها الاعجوبة الوحيدة التي ادرجت ابان الرسالة في الجليل، والتي، مع انها موجودة لدى الازائيين الثلاثة، نجدها ايضا لدى يوحنا. وهناك ما هو اكثر: في مر ٨: ١-١٠ -وقد تبعه متى- نجد قراءة اخرى للاعجوبة، مع سبع خبزات وسبع سلال و٤٠٠٠ رجل. لقد وردت هذه "الاعجوبة العظيمة" ست مرات في الاناجيل، وهي تتبع نموذجاً فعله سفر الملوك، ثلاث مرات، بشأن ايليا واليشاع: فالنبي، من دون ان تطلب منه اعجوبة، وبحركة خاصة منه، قدّم حاجات مادية (الطحين، الزيت، الخبز)، وبشكل مدهش. ففي الرواية التي استلهم منها نص لوقا، نرى اليشاع على المسرح؛ انه يعلن: "هكذا قال الرب: انهم يأكلون ويفضل عنهم" (٢ مل ٤: ٤٣؛ راجع ايضا ١ مل ١٧: ١٤). وبخلاف ما يوازيها في انجيل يوحنا ٦، لا يقرأ لوقا معجزة الخبز في ضوء روايات الخروج بصدد المن، ولا يقدم يسوع بصفته موسى جديدا يمنح خبز الازمنة الاخيرة.

واخذ النهار يميل. هذه الاشارة الزمنية هي ايضا تلميح اول باتجاه مائدة عماوس (٢٤: ٢٩) التي ستتوضح في تنمة النص. وان الطابع المحاي للعلامة التي سيعطيها يسوع يبرز من خلال واقع: اذا كان المكان قفرا، فهناك قري وحقول حواليه؛ وبوسع الاثني عشر ان يذهبوا بانفسهم ويشترى المؤونة، حتى وإن كلفت ثمنا باهظا (آ ١٣). فالمعجزة التي ستلي، اذا ما اجابت الى مشكلة الجوع، لن تحل مشكلة المأوى الذي ورد ذكره ايضا. ويأتي جواب يسوع قريبا من جواب اليشاع (راجع ادناه). ذلك ان عظمة العظيمة السخية تبرز من اختلاف الارقام؛ فيسوع نبي لا نظير له، اعظم بكثير من اليشاع.

٢ ملوك ٤

... عشرين رغيفا من الشعير...

فقال اليشاع

"أعط القوم ليأكلوا.

لانه هكذا قال الرب:

انهم يأكلون ويفضل عنهم"

فقال له خادمه:

"ما هذا؟ أضع هذا

امام مئة رجل؟"

فأكلوا

وفضل عنهم...

لوقا ٩

[خمسة ارغفة وسمكتان]

قال لهم يسوع:

اعطوهم انتم ما يأكلون

[نحو خمسة آلاف رجل]

فأكلوا كلهم...

ورُفِع ما فضل عنهم.

اما الامر الذي أُعطي للتلاميذ كي يُجلسوا الجموع، فهو يضيفي عليهم دور الوسطاء. لقد سبق لهم ان عرضوا حاجات الجمع على معلمهم (آ ١٢)؛ وبعد برهة سوف يتسلمون الخبز والسمك من يد يسوع ليسلموها للناس. ولا تتضمن الرواية قولاً نبويًا يضيفي معنى على ما يجري (بخلاف ١ مل ١٧: ١٤؛ ٢ مل ٤: ٤٣)؛ وانما يتلقى القارئ المعنى عبر اربعة من خمسة افعال تصف حركات يسوع. اخذ، شكر (هنا بارك)، كسر، اعطى، هي المفردات ذاتها المستخدمة في العشاء الاخير في ١٩: ٢٢. وان هذا اللون المعطى للاعجوبة، هو من الوضوح بحيث استخدم لوقا عبارة "كسر/كسر الخبز" ليعبر عن المائدة الافخارستية في الكنيسة (٣٠: ٢٤، ٣٥؛ رسل ٢: ٤٢، ٤٦). من جهة اخرى، نرى ان عبارة "تكثير" غائبة؛ ولا يدور الكلام الا عن كسر الخبز وتوزيعه. اما السمك المذكور مرتين، فقد بقي في المؤخرة، بسبب الافعال الافخارستية المستخدمة. واخيرا، فيما تذكر الروايات الانجيلية الخمس الاخرى عبارة "بارك الله" او "رفع الشكر"، نرى لوقا وحده يتكلم عن بركة الطعام. ذلك ان يسوع "عبر البركة، ينقل قوته الى الخبزات والاسماك، كما ابان الشفاءات؛ اذ ان قوة تخرج منه، فتجعل الاعجوبة ممكنة" (ف. بوفون). وعلى خلاف روايات الشفاء، يصبح من المستحيل هنا ان نتكلم عن الحدث انطلاقا من مثل هذه الرواية.

كان نص ٢ مل ٤: ٤٤ قد اشار الى ان "الخادم قام بالتوزيع في حضرة الناس: اكلوا وفضل عنهم كما قال الرب. وهنا ايضا، بعد ان يقال ان الجميع شعبوا، يضاف واقع الفائض من الخبزات المكسورة (حرفيا كَسَر، وهي ايضا مفردة افخارستية)؛

والحاصل الكلي، اثنتا عشر قفة. وهكذا سنجد كل واحد من الاثني عشر (راجع آ ١٢) ومعه بالتالي قفة ممتلئة. وهكذا تكون قراءة رمزية قد فتحت على مصراعيها...

ولا نجد البتة اي رد فعل من الجمع، كما لو انه لم يعلم بما حدث. وبالمقابل، هيذي ردة فعل الاثني عشر تظهر للحال؛ ذلك ان اعجوبة الخبزات اعدت فوراً لاعتراف بطرس.

اعلان ايوان بطرس والانباء الاول بالتلام (١٨:٩ - ٢٢)

- ١٨ وَاتَّفَقَ أَنَّهُ كَانَ يَصَلِّي فِي عَزَلَةٍ وَالتَّلَامِيذُ مَعَهُ فَسَأَلَهُمْ: ((مَنْ أَنَا فِي قَوْلِ الْجُمُوعِ؟))
 ١٩ فَأَجَابُوا: ((يوحنا المَعْمَدَانِ)) وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: ((إِبِلِيَّا)) وَبَعْضُهُمْ: ((نَبِيٌّ مِنَ الْأَوَّلِينَ قَامَ))
 ٢٠ فَقَالَ لَهُمْ: ((وَمَنْ أَنَا فِي قَوْلِكُمْ أَنْتُمْ؟)) فَأَجَابَ بَطْرُسُ: ((مَسِيحُ اللَّهِ))
 ٢١ فَفَهِمُوا بِشِدَّةٍ أَنْ يُخْبِرُوا أَحَدًا بِذَلِكَ.
 ٢٢ وَقَالَ: ((يَجِبُ عَلَى ابْنِ الْإِنْسَانِ أَنْ يُعَانِيَ آلامًا شَدِيدَةً، وَأَنْ يَرُدُّهُ الشُّيُوخُ وَعُظَمَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، وَأَنْ يُقْتَلَ وَيَقَوْمَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ))

كما في هذا الفصل كله، واصل لوقا التنقل من مشاهد علنية الى مشاهد خاصة. وهذه المشاهد الخاصة - كما في هذا النص - تأتي لتسلط الضوء على شخصية يسوع وتكشف عن المعنى العميق الذي ينطوي على الاعمال التي يصنعها امام الجموع. وهكذا أُلْحِقَ على الفور اعتراف بطرس بعد تكثير الخبزات. وهنا يتعد لوقا كثيرا عن مصدره باسقاط حوالي ٧٥ آية من مرقس (٦: ٤٥-٨: ٢٦). ولما يصعب علينا ان نكتشف بيقين لماذا اهتم لوقا هذا المقطع المرقسي، بوسعنا - وهو الاعم - ان نرى النتيجة التي تحدثها هذه البنية الجديدة. فمن جهة، لا يفتتح يسوع بنفسه المائدة من اجل الوثنيين، وقد اعلن عنها مع ذلك (١٣: ٢٨-٣٠)؛ وهذا يتعلق بزمن الكنيسة. ومن جهة اخرى، يبدو اعتراف بطرس بمسيحانية يسوع مرتبطا ارتباطا وثيقا بالمشهد السابق، وقد شاهد معلمه يمنح الخبز ويعتلى بصفته نبي الازمنة الاخيرة. والآراء الشعبية التي سينقلها التلاميذ ليست سوى تلك الآراء التي نقلت الى هيرودس قبل قليل، واللقب الذي سوف يعترف به بطرس هو، بكل وضوح، جواب عن السؤال العسير الذي طرحه، في آن واحد، يسوع (آ ١٨) وتتراحس الجليل (٩: ٩). إلا ان هناك سابقة. فكما هو مألوف لدى لوقا، بشأن الاوقات/ المفاتيح في رسالة يسوع، تبدو صلاة يسوع استعدادا للوحي الذي سيمنحه لاختصاصه (آ ٢٢)، اكثر منها إعدادا للسؤال المطروح في آ ١٨. واذا نقل التلاميذ الرأي العام المشترك الذي

سحره كيان صانع المعجزات النبوي، الا ان بطرس هو الناطق باسم مجموع الفريق، ولكنه يقوم بدوره على مستوى آخر؛ لا بل يذهب الى ابعد حين ينتقل الى انتظار آخر شعبي (راجع ٣: ١٥): هو انتظار من ينوب عن الله، من سلالة داود، المزمع ان يفتدي اسرائيل. فمنذ بداية رسالة يسوع، كانت الشياطين وحدها -وهي تحظى بعلم خارق- تعرف مسيحانية نبي الجليل (٤: ٤١). وبطرس، هو الاول، يعترف بيسوع بصفته مسيح الله؛ ولكن بسبب الامر بالصمت الذي تلا، فان الناطق باسم الاثني عشر لن يعلنه من جديد الا في خطاب العنصرة (رسل ٢: ٣١، ٣٦، ٣٨).

ويسوع، من دون ان يحتج على هذا اللقب الصحيح، يفرض الصمت (آ ٢١) ويحمل تعليما اضافيا لا غنى عنه (آ ٢٢). انه يرفض فعلا التلميح الى مسيحانية ملوكية داودية، ولا سيما طابعها الخاص وبعدها التسلطي القومي. هناك نص فريسي كتب حوالي ٨٠ عاما من قبل، هو "مزمور سليمان ١٧"، وصف المسيح وهو يطرد المهاجر والغريب من الارض المقدسة كي يُبعد عنها كل نجاسة، فيتسلط على كل امم الارض انطلاقا من اورشليم. ومثل هذه الصفات غائبة تماما عن الكرازة ببشرى الملكوت! فيسوع اضفى، اذن، تصحيحا جوهريا حين اعلن عن آلامه وقيامته، مختصا لنفسه، وللمرة الخامسة، لقب ابن الانسان. ذلك ان مسيحانيته تمر بالالم والردل من قبل السلطات اليهودية (الفئات الثلاث التي تشكل السنهدريم)، لا بل بالقتل. الا ان الله سينصفه، إذ يقيمه في اليوم الثالث. والافعال الاربعة التي تتعلق بمسيرة يسوع الفصحية تسبقها عبارة "يجب": فما يكشفه يسوع للتلاميذ، اما هو مخطط الله الخلاصي الذي يتبناه كليا.

وخلافا لما يجري في مر ٨: ٣٢-٣٣، لا نجد هنا اية ردة فعل لدى التلاميذ؛ فبطرس لا يوجه الى يسوع اي توبيخ -وتلك هي بالضبط طريقة لوقا الذي لا يطيب له ان يبرز ضعف الاثني عشر. وهذا الصمت سيسمح بان تُستخلص، على الفور، نتائج مثل هذه الكريستولوجيا في الحياة الواقعية لمن يريد ان يكون تلميذا.

اتِّبَاعِ يَسُوعَ (٩: ٢٣-٢٧)

- ٢٣ وقال لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ: ((مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَّبِعَنِي، فَلْيَتْرَكْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ كُلَّ يَوْمٍ وَيَتَّبِعْنِي.))
- ٢٤ لِأَنَّ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يُخَلِّصَ حَيَاتِهِ يَفْقِدُهَا. وَأَمَّا الَّذِي يَفْقِدُ حَيَاتِهِ فِي سَبِيلِي فَإِنَّهُ يُخَلِّصُهَا.
- ٢٥ فَمَاذَا يَنْفَعُ الْإِنْسَانَ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ، وَفَقَدَ نَفْسَهُ أَوْ خَسِرَهَا؟
- ٢٦ لِأَنَّ مَنْ يَسْتَحْيِي بِي وَبِكَلَامِي يَسْتَحْيِي بِهِ ابْنُ الْإِنْسَانِ، مَتَى جَاءَ فِي مَجْدِهِ وَمَجْدِ الْآبِ وَالْمَلَائِكَةِ الْأَطْهَارِ.
- ٢٧ وَيَحِقُّ أَقُولُ لَكُمْ: فِي جُمْلَةِ الْحَاضِرِينَ هَهُنَا مَنْ لَا يَدْرُقُونَ الْمَوْتَ حَتَّى يُشَاهِدُوا مَلَكُوتَ اللَّهِ ((.))

بعد الإنباء بالآلام للتلاميذ وحدهم، يأتي نداء موجه الى الجميع الذين يترتب عليهم أن يستخلصوا النتيجة. فالجمع الذي كان قد تبع يسوع باستعدادات التلميذ (٨: ١٠)، وحظي بكسر الخبز، ها هو على المسرح من جديد؛ انه يتكون من كل اولئك الذين، عبر الاجيال، سيتلقون يوما كلمة الانجيل. ويترتب عليهم ان يعرفوا ما يقتضيه بالضرورة السير على خطى يسوع. وهكذا، فان الآيات ٢٣-٢٧ لا تتوجه فقط الى حلقة الاثني عشر الصغيرة او الى اكثر التلاميذ يقينا. وهي، من جهة اخرى، جواب جديد الى سؤال هيرودس، طالما انها تسلط الضوء على متطلبات يسوع. ذلك ان هذا الرجل الذي اعلن لتوّه عن موته قتيلا، وضع شرطا يقوم في اتباعه على هذه الطريق والتلمذ له حتى الاستشهاد، اذا ما اقتضت الظروف.

ولكن ما يدهش هو ان امانة المسيحي اليومية يجب السعي اليها عبر وصايا ثلاث (آ ٢٣). حين اقول "لا" لذاتي بشكل جذري، فهذا لا يعني اني ابغض ذاتي، بل المقصود، بالعكس، هو ان احب قريبي حيي لذاتي (١٠: ٢٧)؛ اي ألا اتحور حول ذاتي. كما ان المقصود ايضا ان اجعل حمل الصليب امرا آنيا. انه صليبي الخاص الذي يترتب عليّ ان احمله، اي الصليب الذي تفرضه علي الحياة؛ وعبثا نحلم بصليب مختلف! وليس في ذلك اي مازوشية (تعذيب الذات)، وانما اليقين بانني لن استطيع ان احب الرب والقريب من دون ان "أذبح" بشكل من الاشكال، ومن دون ان امرّ بالالم. فاذا ما اقتديت بالمسيح على هذا النحو، سأصبح حقا تلميذه.

ان الذي يبحث عن الامان في وجوده اليومي (راجع مثل الغني الغني في ١٢: ١٦-٢١) لن يرث الحياة في العالم الجديد الآتي (آ ٢٤)؛ ومن يسلم ذاته لله (راجع ١٢: ٢٢-٣٢) ويبدل حياته دون الآخرين، من اجل المسيح، يحصل على حياة الله ذاتها. ومن الواضح ان هذه الكلمة -وقد جاءت بين نداء الآية ٢٣ وتهديد الآية ٢٦- تحرّض التلاميذ على ان يكونوا ابناء حتى موت الاستشهاد، إن اقتضى الامر. وتجعل الآية ٢٥ امتدادا لهذا التأكيد، عبر التذكير بان الكائن البشري ليس سيد اي شيء؛ ومثل الغني الغني هو احسن تجسيد لهذه الكلمة. فلا المال ولا السلطة يضمنان الامان في ساعة الموت.

هناك كلمة رابعة تؤكد على الطابع "العسير" للامانة ليسوع (آ ٢٦). ففي عالم يشار فيه الى المسيحيين بالبنان، فيما هم يعانون التهديدات، اذا لم نقل الاضطهادات، فالتجربة ستكون في عدم المجاهرة بمسيحتيتهم. فأن نستحي بالمسيح وبكلماته، فذلك شكل من الانكار (١٢: ٩). وaban الآلام، ذلك سيكون تصرف بطرس، ولكنه سوف يتوب عن نكرانه (٢٢: ٥-٦). والحياة الآتية ستعلق بالموقف الذي يتخذه المؤمن: ذلك ان ابن الانسان الممجد، في آخر الازمنة، سيدافع عنه، او لا، امام الله والبلاط السماوي.

اما الموت الجسدي لبعض التلاميذ، فلن يأتي ما لم يشاهدوا ملكوت الله (آ ٢٧).
فلسنا، اذن، بصدد مجيئه النهائي والحاسم. الا ان الملكوت سوف يُرى في المشهد التالي،
وبشكل مستبَق، حيث ان ثلاثة من المخطوطين سوف يشاهدون مجد يسوع (٩: ٣٢). ومن
ثم، وبشكل اكثر وضوحا، في الفترة التي تفصل القيامة عن الصعود، حين سيتراءى القائم
لرسل ليكشف لهم ما يتعلق بملكوت الله. (رسل ١: ٣).

التجلي (٩: ٢٨ - ٣٦)

٢٨ وَبَعْدَ هَذَا الْكَلَامِ بِنَحْوِ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ، مَضَى بَطْرُسَ وَيُوحَنَّا وَيَعْقُوبَ وَصَعِدَ الْجَبَلَ لِيُصَلِّيَ.
٢٩ وَبَيْنَمَا هُوَ يُصَلِّي، تَبَدَّلَ مَنْظَرُ وَجْهِهِ، وَصَارَتْ ثِيَابُهُ بَيْضاً تَتَلَأَلُ كَالْبَرْقِ.
٣٠ وَإِذَا رَجُلَانِ يُكَلِّمَانِهِ، وَهُمَا مُوسَى وَإِيلِيَّا،
٣١ قَدْ تَرَاءَيَا فِي الْمَجْدِ، وَأَخَذَا يَتَكَلَّمَانِ عَلَى رَحِيلِهِ الَّذِي سَيَتِمُّ فِي أُورُشَلِيمَ.
٣٢ وَكَانَ بَطْرُسُ وَالَّذِينَ مَعَهُ قَدْ أَثْقَلَهُمُ الثَّمَعُ. وَلَكِنَّهُمْ اسْتَيْقَظُوا فَعَايَنُوا مَجْدَهُ وَالرَّجُلَيْنِ الْقَائِمِينَ مَعَهُ،
٣٣ حَتَّى إِذَا هَمَّ بِالْانْصِرَافِ عَنْهُ قَالَ بَطْرُسُ لِيَسُوعَ: ((يَا مُعَلِّمَ حَسَنٌ أَنْ نَكُونَ هَهُنَا. فَلَوْ نَصَبْنَا
ثَلَاثَ خِيَمٍ، وَاحِدَةً لَكَ وَوَاحِدَةً لِمُوسَى وَوَاحِدَةً لِإِيلِيَّا !)) وَلَمْ يَكُنْ يَدْرِي مَا يَقُولُ.
٣٤ وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ، ظَهَرَ عَمَامٌ ظَلَّلَهُمْ، فَلَمَّا دَخَلُوا فِي الْعَمَامِ خَافَ التَّلَامِيذُ.
٣٥ وَانْطَلَقَ صَوْتُ مِنَ الْعَمَامِ يَقُولُ: ((هَذَا هُوَ ابْنِي الَّذِي اخْتَرْتَهُ، فَلَهُ اسْمَعُوا)).
٣٦ وَبَيْنَمَا الصَّوْتُ يَنْطَلِقُ، بَقِيَ يَسُوعُ وَحَدَهُ،
فَالْتَزَمُوا الصَّمْتَ وَلَمْ يُخْبِرُوا أَحَدًا فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ بِشَيْءٍ مِمَّا رَأَوْا.

من البديهي ان هذا المشهد هو احد الاحوبة المفاتيح لسؤال هيرودس العسير.
وان ارتباطه باعتراف إيمان بطرس ليس بأقل: فبعد الإنباء المحيّر جدا بآلام ابن الانسان (آ ٢٢)،
هوذا بطرس ورفيقاه تعزياً اثر الكشف عن المجد الذي سيحصل عليه القائم من بين الاموات. وعلاوة
على ذلك، يبدو المشهد مرتبطا بوضوح بالمشهد السابق (حوالي ثمانية ايام بعد هذه
الاقوال، آ ٢٨) وهو يحقق، الى حد ما، ما وعد به يسوع قبل قليل (٩: ٢٧). وبالتالي،
يفتح المشهد بوضوح الطريق نحو اورشليم، وهو موضوع القسم التالي من انجيل لوقا.

هنا، يختلف الاسلوب الادبي بعمق عن الاساليب التي لاقيناها حتى الآن، مع
استثناء واحد: عماد يسوع، وقد كان هو الآخر مناسبة لتجل الهي (تثوفانيا). ومع ذلك،

فان التوفانيا التي تمكّنا من ان نسمع (آ ٣٤-٣٥) سبقها نوع من "اشراق" (دنج) يسوع يمكّنا من ان نرى (آ ٢٩-٣٢). وكما كانت الحال مع التجلي العمادي، فنحن، من البداية حتى النهاية، بصدد هوية يسوع.

تتضمن المقدمة (آ ٢٨) سِمَتَيْن، لدى لوقا، تشير الى اهمية المشهد والى القربى التي تشد يسوع إلى ابيه: الجبل والصلاة (راجع ٦: ١٢). اما اختيار بطرس ويوحنا ويعقوب، فهو يفسّر بفكرة انهم كانوا شهودا لانتصار يسوع على الموت (٨: ٥١-٥٥).

لم يتغيّر منظر وجهه إلا ابان صلاته الليلية فقط (آ ٢٩)، والتلاميذ الثلاثة وأو مجده (آ ٣٢). وخلافا لمرقس، لا يستخدم لوقا مفردة "التجلي/ التحول"، بل يبقى في نفس المستوى: وتلك هي احدى طرق التعبير، في بعض التيارات اليهودية، عن الايمان بقيامة الصديقين. فبعد يوم الدينونة "سيتمجد بماء الابرار في يوم التحولات: يتحول شكل وجههم الى جمال نير، فيستطيعون ان يحصلوا على العالم الجديد الذي لا يموت... وسيكونون شبيهين بالملائكة ومماثلين للكواكب. ويتحولون الى كل شكل يريدون، من الجمال الى البهاء، ومن النور الى بهاء المجد" (رؤيا باروك السريانية، ٥١- نهاية القرن الاول). فأن يكون المرء لابسا المجد، فمعناه انه يشارك في اشعاع بهاء الله الحي، وانه رُفِع الى منزلة خارقة؛ اما الثياب البيضاء، والمشعة، فهي تعبر ايضا ان يسوع دخل في المجال السماوي. وبهذه الطريقة، يكون يسوع قد اتشح، مسبقا، وبشكل مؤقت، بالمجد الفصحى الذي سيرثه بصفته القائم من بين الاموات. الا ان لوقا يفكر ولا شك بان هذا المجد كان يسكن يسوع قبل الفصح؛ ويسوع، بفعل الصلاة، لا يسعه ان يمتعه من ان يشع من جسده.

وينتمي موسى وايليا، هما ايضا، منذ الآن، الى المجال السماوي (آ ٣٠-٣١) هذان الوجهان النبويان يمثلان الشريعة والانبياء، اي النافذتين الرئيسيتين للاسفار المقدسة التي تبشر بان على المسيح ان يعاين الآلام فيدخل الى مجده (٢٤: ٢٦-٢٧). انهما لا يكشفان ليسوع عن خروجه، اي آلامه وصعوده - وكان المعلم قد شرع منذ قليل بالتحدث عنها مع تلاميذه (٩: ٢٢-)، وانما يبيّنان مطابقتها مع مخطط الله الخلاصي. كما انهما يكشفان ايضا ليسوع، وللقارئ، وليس للتلاميذ، عن الدور المركزي الذي تلعبه اورشليم في مخطط الله الخلاصي. اما النعاس الذي بالكاد استطاع التلاميذ الثلاثة ان يتغلبوا عليه، فيعني انهم اخذوا يستشفون الوحي - وقد عرف بطرس هوية المتحدثين مع يسوع - ولكن من دون ان يحصلوا عليه بالتمام. وستبقى القراءة الكتابية للآلام غير مفهومة بالنسبة لهم؛ وسيتوجب عليهم من ثم الانتظار الى ان يفتح المسيح اذهانهم ليفهموا الكتب (٢٤: ٤٤-٤٥). انهم لا يرون الآن سوى المجد، من دون ان يدركوا بان الآلام هي التي تمكّن

من الدخول فيه (راجع ٢٤: ٢٦). وحين اخذ رحيل موسى وايليا ينذر بنهاية الرؤيا التي شدّدتم، راح الناطق باسمهم يبحث عن استطلاة هذا الوقت المميز، مقترحاً نصب ثلاث **مظال**، وهي العلامة المميزة لعيد المظال (أح ٢٣: ٣٣-٣٦). وهذا العيد، مع طابعه المسيحاني، هو زمن الفرح، وهو بمثابة استباق لنهاية التاريخ. وحين تمنى بطرس ان يطول هذا الاشراف (الدنج)، فهو لم يكن يدري ما يقول؛ وفي الواقع، ان افق الآلام لم يكن قد دخل بعد في مجال تصوّره.

وتعني الغمامة حضور الله (راجع عد ٩: ١٥-٢٢) وهذا ما يفسر الخوف المقدس الذي استولى على التلاميذ. وخلافاً للتجلي العماذي، حين كان الصوت الالهي موجهاً الى يسوع (٣: ٢٢)، توجه الوحي إلى التلاميذ الثلاثة بان يسوع هو ابن الله، السابق الوجود (راجع ١: ٣٥): "هذا هو ابني الحبيب، له اسمعوا". وفيما يعيدنا هذا الصوت الى اسرائيل، العبد الذي اختاره يهوه (اش ٤٢: ١)، يعيدنا بالاكثر الى النبي الشبيه بموسى (تث ١٨: ١٥)؛ ولكي ننتمي الى الشعب الذي افتداه الله، ليسوع، منذ الان، يجب ان نسمع، لانه يتكلم بسلطة اعظم من سلطة موسى وايليا (انظر المرجع من تث ١٨ في رسل ٣: ٢٢-٢٣). ولا تقول الرواية بان لقب الابن هو الوحيد الذي يلائم يسوع؛ ففي الوقت الذي يصدح هذا اللقب، هوذا لوقا يكتفئ التركيز على كيان يسوع النبوي. والى هذين اللقبين، يضاف، في لو ٩، ايضاً، لقباً المسيح وابن الانسان المتألم. ذلك اننا حين نريد ان نقول من هو يسوع حقاً، فذلك يتطلب منا ألاّ تقتصر على تعبير واحد.

ووجد يسوع وحده. تذكر هذه الملاحظة بانه، بالرغم من الآيتين ٣٤-٣٥، هو الذي يحتل المركز من هذه الرواية، وليس التلاميذ. اما المجد الالهي الذي شغ من وجه يسوع، فلم يكن الوقت ليكشفه الشهود الثلاثة، بل ينبغي انتظار مجيء الروح وزمن الكنيسة.

شفاء الصبي المصروع (٩: ٣٧-٤٣)

- ٣٧ وفي الغد نزلوا من الجبل، فتلقاه جمع كثير.
- ٣٨ وإذا رجل من الجمع قد صاح: ((يا معلم، أسألك أن تنظر إلى ابني فإنه وحيدي،
- ٣٩ يحضره روح فيصرخ بغتة، ويخبطه حتى يزيد، ولا يفارقه إلا بعد أن يرضضه.
- ٤٠ وقد سألت تلاميذك أن يطردوه فلم يستطيعوا)).
- ٤١ فأجاب يسوع: ((أيها الجيل الكافر الفاسد، حثام أبقى معكم وأحتملكم؟ عليّ يا بنك!))
- ٤٢ ويئما هو يدنو منه صرعه الشيطان وخبطه فانهر يسوع الروح النجس، وأبرأ الصبي وردّه إلى أبيه.
- ٤٣ فدهشوا جميعاً من عظمة الله.

وفي الغد، يعود يسوع، كعادته، ليلقى جمعا كثيرا ويرى بؤس الناس اليومي. وهوذا رجل، عبر تدخّل طويل (آ ٣٨-٤٠)، يتوسل اليه ان ينظر الى ابنه الوحيد. وهذه الملاحظة تقيم مقارنة بين هذه الرواية وبين رواية احياء شاب نائين، ولا سيما خاتمتهما: ... وردّه الى ابيه (آ ٤٢؛ راجع ٧:١٥). ان الوصف الذي يقوم به الأب لحالة ابنه هو وصف لمسّ شيطاني في منتهى القوة، يرى فيه القارئ العصري شكلا من اشكال الصرع، وكان الاقدمون يعتبرونه "الداء المقدس" وينسبونه الى القمر او الى الشياطين. الا ان التلاميذ، مع ان الارواح النجسة خضعت لهم (٩: ١؛ ١٠: ١٧)، لم يكونوا قادرين لوحدهم على شفاء الصبي؛ الا ان المعلم كان قادرا على ذلك. هل فكّر لوقا بخادم اليساع الذي وُجد في وضع مشابه، مما جعل النبي يضطر الى اجتراح احياء الصبي (٢ مل ٤: ٢٩-٣١)؟

ويستخدم يسوع من ثم لغة نبوية (راجع تث ٣٢: ٥) تعبيرا عن تشكيه من هذا الجليل الكافر الفاسد (آ ٤١)؛ وهذه العبارة فضحت معاصريه (راجع ٧: ٣١؛ ١١: ٢٩)، ولكن ايضا، وبشكل فاضح، تلاميذه الذين كُشف عجزهم. لقد قرفت روحه على طريقة الانبياء، وها هو، على مثال الله ذاته، يرى ان مهمته لا تلقى الا نكران الجميل (راجع عد ١٤: ٢٧).

وقبل عملية الطرد بمصر المعنى (الانتهاز في آ ٤٢ كما في ٤: ٣٥)، هوذا الروح الشرير يثير ازمة اخيرة تشنجية، كان من شأنها ان تبرز قدرة يسوع الشافي. ومن ثم، هوذا يسوع يرد الصبي الى ابيه؛ ولوقا، فيما ذكّر، عبر هذه الكلمات، برواية ٧: ١١-١٧، رفع هذا الشفاء الى مستوى الاحياء. اما الردّة الاخيرة، فقد جاءت بشكل منطقي: دهشوا جميعا من عظمة الله، الذي، بواسطة يسوع، باشر الخلاص.

الانبياء الثاني بالانلام. وضع التلاويذ (٩: ٤٣ ب - ٥٠)

- ٤٣ ب وبينما هم بأجمعهم مُعجبون بكل ما كان يصنع، قال لتلاميذه:
- ٤٤ ((اجعلوا أنتم هذا الكلام في مسامعكم: إن ابن الإنسان سيُسلم إلى أيدي الناس)).
- ٤٥ فلم يفهموا هذا الكلام وكان مُغلَقاً عليهم، فما أدركوا معناه وخافوا أن يسألوه عن ذلك الأمر.
- ٤٦ وجرى بينهم جدالٌ فيمن تُراه الأكبر فيهم.
- ٤٧ فعلم يسوع ما يُساور قلوبهم، فأخذ بيد طفل وأقامه بجانبه،
- ٤٨ ثم قال لهم: ((من قبل هذا الطفل إكراماً لاسمي فقد قبلني أنا، ومن قبلني قبل الذي أرسلني. فمن كان الأصغر فيكم جميعاً فذلك هو الكبير)).

٤٩ فتكلّم يوحنا قال: ((يا مُعلّم، رأينا رجلاً يطرُد الشياطين باسمك فأردنا أن نمنعه، لأنّه لا يتبعك معنا)) .

٥٠ فقال له يسوع: ((لا تمنعوه، فمن لم يكن عليكم كان معكم)) .

بلغت الكرازة بالملكوت في الجليل خاتمته، والمقطع الاخير من هذا القسم يبين ما الذي سيتضمنه الصعود الى اورشليم: ذلك ان تعليم يسوع سوف يتجه بشكل خاص نحو تنشئة التلاميذ. ويبدو هذا الامر في غاية الضرورة، لانهم يُبدون عدم فهمهم، سواء ازاء الآلام التي تنتظر معلمهم (٤٥:٩)، ام ازاء وضعهم كتلاميذ (٤٦ آ-٤٩).

يعلن يسوع عن آلامه، مرة ثانية، للتلاميذ وحدهم. ولهذه النبوة اثر جديد وملحّ. انها بمثابة الصدى المأساوي لذلك التشكي: "حتّام ابقى معكم واحتملكم؟" (٤١ آ) وهي تشدد بصورة غير مباشرة على ما في دهشة الجميع وتعجبهم (٤٣ آ) من طابع سطحي. ولا سيما وان هذا الإنباء يتعلق فقط بتسليم ابن الانسان^(١)؛ وهو، إذ لم يتوسع في قضية موته، لم يأت على ذكر قيامته البتة (انظر الفرق مع إنباء مر ٩:٣١). وهكذا، نرى التلاميذ لا يفهمون في الواقع ضرورة الآلام، وليس القيامة (خلافا لمرقس ٩:١٠). ذلك ان معنى هذا الانباء كان مغلقا عليهم (من قبل الله) لكي لا يفهموه؛ فان عدم فهم التلاميذ ازاء الآلام، وإن كان ذنبا، الا انه يدخل في مخطط الله الخلاصي (راجع الاطار: "موت يسوع، مخطط الله وجرمة البشر").

وان سوء الفهم بشأن مسيحانية يسوع يجد امتداده في الجدل بشأن من هو الاكبر (٤٦ آ-٤٨). قد يرجع مصدر هذا التنافس، في نظر لوقا، الى الاختيار الذي قام به يسوع لثلاثة منهم (راجع ٩:٢٨). فيسوع الذي يعرف ما في داخل القلب البشري (راجع ٥:٢٢) يرّد على مرحلتين: انه يبدأ من مثل يجعله موضع تنفيذ -حين اخذ طفلا واقامه بجانبه، وهو في المجتمع اليهودي ليس قاصرا فقط، بل محتقرا ايضا، راجع ١٨:١٥-١٧)- ومن ثم يفسر هذه الحركة مستخرجا الدرس. فما هو حقير في نظر البشر، تلك هي العظمة المسيحية الحقّة. فلكي نستقبل الله، يجب ان نستقبل مرسله الذي ستجعله الآلام محتقرا في نظر البشر. هل من طريقة افضل لإعداد انفسنا لأن نستقبل من هو وضع

(١) في بدايات التقليد العريقة، عبر اعترافات الايمان، كانت صيغة "يسلم" تعني ضمينا الله بصفة الفاعل (راجع روم ٨:٤٢) وكانت تشمل مجمل الآلام. وبالمقابل، نرى في رواية الآلام ان الفعل نفسه يعني المرحلة الاولى من الآلام: خيانة يهوذا التي بها يسلم يسوع الى السلطات (راجع لو ٢٢:٤)، لا بل موقف سكان اورشليم بالذات (رسل ٣:١٣). ولوقا، حتى وإن كان لا ينفي المبادرة الالهية (راجع ٩:٤٥؛ او استخدام صيغة "يجب" في ٩:٢٢)، فهو يفهم فعل "يسلم" في هذا المعنى الثاني.

في المجتمع؟ أو ليس سوء فهم التلاميذ تجاه ابن الانسان المتألم يرجع، الى حد ما، الى ان سلّم القيم لديهم، انما هو بحسب البشر، لا بحسب الله؟

من بعد التأكيد على تواضع التلاميذ، نجدنا في الختام بازاء موضوع التسامح (آ ٤٩-٥٠). ذلك ان يوحنا بن زبدي، احد التلاميذ الثلاثة المميزين (٩: ٢٨) يرفض ان يمارس رجل من غير دائرة التلاميذ طرد شياطين باسم يسوع، كونه يستخدم سلطات تسلّموها هم انفسهم (٩: ١)، هذه السلطات التي لم يُوقِّفوا دوما الى ممارستها (٩: ٤٠)! فهناك، بالفعل، رجال، غير يسوع وفرقته، يمارسون الشفاءات؛ ويسوع نفسه لن يشكك في مشروعية عمليات طرد الارواح التي يمارسها الفريسيون (١١: ١٩). لندع مجال العمل لاولئك الذين، فيما يخفون من معاناة البؤساء، يجعلون الشر يتراجع ويُظهرون لهم جودة الله. والجواب الذي نحن بصدده يذهب الى أبعد، طالما ان الانسان يستخدم القدرة المرتبطة باسم يسوع (راجع بطرس في رسل ٣: ١٦؛ وقرأ عن مشهد تعزيم مارسه اناس غير مسيحيين وانقلب ضدّهم: رسل ١٩: ١٣-١٧). ومن خلال امثولة، طلب يسوع موقف التسامح تجاه مسيحيين آخرين ينتمون الى جماعات مختلفة؛ فمع ما في ذلك من صعوبة، يجب ان نتقبل الاعمال التبشيرية المنافسة. ويكفي ان نفتح رسالة القديس بولس الى الغلاطيين، او نعيد قراءة رسالته الى فيليبي ١: ١٥-١٨ لكي نرى واقع المشكلة في كنيسة القرن الاول.

ابن الانسان بحسب لوقا

في مؤلف لوقا، كما في سائر الاناجيل، لا نجد عبارة "ابن الانسان" الا على لسان يسوع والاستثناء الوحيد: اسطفانس في رسل ٧: ٥٦؛ فالعلم يقصد نفسه بالذات بهذا الشكل، حوالي ٢٥ مرة، وبالوان مختلفة. "فابن الانسان"، هو اولا، في نظر لوقا، وجه رؤيوي، هو وجه الديان القدير والسيد (راجع ٩: ٢٦؛ ٢١: ٣٦) الذي سيفتح مجيئه (راجع ١٣: ٤٠) المرحلة الحاسمة لتاريخ الخلاص (راجع ١٧: ٢٦) (ف. بوفون). ولكن، بما ان هذا اللقب أطلق مسبقا ابان رسالة يسوع الارضية، فهو يعبر ايضا عن وضعه المائت (راجع ٧: ٢٤)، دون الاغفال عن السلطان الذي يتمتع به منذ تلك المرحلة (راجع ٥: ٢٤). وهذا اللقب نجده بشكل خاص في انباءات الآلام (راجع ٩: ٢٢، ٤٤).

ولوقا، على العكس من متى (انظر الاطار عن "ابن الانسان" في كتاب "الانجيل بحسب القديس متى" / سلسلة ابحاث كتابية، رقم ١٣- ص ١٠٥)، يكتفي باستخدام هذا اللقب التقليدي دون ان يتوسع في كريستولوجية ابن الانسان.

الصعود إلى اورشليم

(لو ٩ : ٥١ - ١٩ : ٢٨)

اولا: المرحلة الاولى نحو اورشليم

(٥١:٩ - ١٣: ٢١)

رفض قرية ساهرية (٥١:٩ - ٥٦)

- ٥١ وَلَمَّا حَانَتْ أَيَّامُ ارْتِفَاعِهِ، عَزَمَ عَلَى الْإِتِّجَاهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ.
- ٥٢ فَأَرْسَلَ رُسُلًا يَتَقَدَّمُونَهُ، فَذَهَبُوا فَدَخَلُوا قَرْيَةً لِلْسَامِرِيِّينَ لِيُعِدُّوا الْعِدَّةَ لِقُدُومِهِ
- ٥٣ فَلَمَّ يَقْبَلُوهُ لِأَنَّهُ كَانَ مُتَّجِهًا إِلَى أُورُشَلِيمَ.
- ٥٤ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ تَلْمِيذَاهُ يَعْقُوبُ وَيُوحَنَّا قَالَا: ((يَا رَبِّ، أَتُرِيدُ أَنْ نَأْمُرَ النَّارَ فَتَنْتَرِلَ مِنْ السَّمَاءِ وَتَأْكُلَهُمْ؟))
- ٥٥ فَالْتَفَتَ يَسُوعُ وَانْتَهَرَهُمَا.
- ٥٦ فَمَضَوْا إِلَى قَرْيَةٍ أُخْرَى.

المفردات المستخدمة في ٥١:٩ هي ذات غنى لاهوتي كبير. فلوقا يتكلم اولاً عن اكتمال ايام رفعه. والمفردة الاولى كانت تعني في لو ١-٢، وعلى سبع دفعات، تحقيق الوعود الالهية (راجع ١:١، ٢٠، ٥٧ بشأن بشارة زكريا)؛ فلسنا بازاء مجرد اشارة زمنية! اما بشأن كلمة رفع، فسوف يستخدمها لوقا ثلاث مرات للتعبير عن الصعود الى حضن الآب (رسل ١:٢، ١١، ٢٢). ومن ثم يكتب لوقا بان يسوع ثبت وجهه لبيتجه نحو اورشليم. هذه العبارة النادرة تفصح عن عزم يسوع المكين على الذهاب لمواجهة الآلام التي تنتظره، ومن المحتمل جدا انها تصدي لموقف العبد في اش ٥٠:٧، عبر لعب على الالفاظ بشأن فعل ثبت/ قسى اليوناني الذي تصعب ترجمته. اذا كان عبد الله لم يستر وجهه عن الالهات والبصاق، فلأنه قسى وجهه كالصخرة. والعبد، كي يُرفع الى جانب الآب، يترتب عليه اولاً ان يمر عبر الألم والموت.

مثل هذه المقدمة للقسم تكفي للتعبير عن الاهمية التي يعلقها لوقا على صعود يسوع الوحيد، طيلة رسالته، الى اورشليم. لا شك ان فكرة الصعود الى اورشليم، كان مرقس

قد سبق ان اشار اليها -والتقليد لدى الانجيل الرابع يصدي لأكثر من صعود. ولكن ما لم يحتل سوى فصل في مرقس (وفصلين في متى)، نراه يمتد، في لوقا، على عشرة فصول! ولوقا، كي يجد مادة لهذه الرحلة الطويلة، راح يستقي من مصدر الاقوال، كما من مصادره الخاصة، قبل ان يعود فينتقي رواية مرقس بشأن الرحلة، وذلك اعتبارا من ١٨:١٥ والى ١٩:٤٤. بالحقيقة، ان مراحل الرحلة، بالمعنى الجغرافي، لا تهم لوقا؛ لا بل تبدو بعض الاشارات النادرة غامضة، ان لم نقل غريبة (١٧:١١). فما يهمه هو ان يسوع هو في سفر، من دون مسكن ثابت (٩:٥٧)، وانه صاعد نحو مصيره، في اورشليم، المدينة التي ينبغي له فيها ان يموت بصفته نبيا (١٣:٣٣)، وفيها سيتم خروجه (٩:٣١)، ورفع (٩:٥١). وان ذكر المدينة، سوف يتردد على مدى القسم؛ ولذا، فلكي ننظم هذا القسم بشكل مناسب، نستند على "الردات" الرئيسة التي لا تني تذكرنا بان يسوع هو في طريقه الى اورشليم (١٣:٢٢؛ ١٧:١١)، كما على الإنباء الواضح بان الآلام ستتم في اورشليم (١٨:٣١). وسوف نسعى في وقته الى التأكد فيما اذا كانت نهاية القسم تتوقف لدى دخول يسوع الى الهيكل (١٩:٤٤).

كانت منطقة السامرة تفصل ما بين الجليل واليهودية مع عاصمتها اورشليم. ويسوع، حين طلب من التلاميذ ان يُعدّوا مجيئه الى قرية للسامريين (٩:٥٢-٥٦)، وضع حدًا للعداء اليهودي تجاه هذا الشعب ذي الدم المختلط، والذي كانت التورا (الاسفار الخمسة الاولى) وحدها كتابه المقدس؛ وكانت عبادته المحلية، على جبل جرزيم، بمثابة تحدّ دائم لهيكل اورشليم. ولكن، وفوق ذلك، كان هذا الشعب صورة مسبقة لرسالة الكنيسة التي ستبدأ شموليتها في السامرة بالذات (رسل ٨:٥-٢٥). كانت رواية رفض مواطني يسوع في الناصرة قد افتتحت المقطع الجليلي (٤:١٤-٣٠)؛ وها هو المقطع الاول من الرحلة يبدأ، هو ايضا، بموضوع الرفض. وكانت الشمولية التي اعلنت عنها عظة يسوع، هي التي احتج عليها اهل الناصرة؛ وهنا نرى السامريين لا يرفضون يسوع بالذات بقدر ما يرفضون اورشليم محط وجهته. وحين يُبشّر بالمسيح، في السامرة، سنرى الجموع بقلب واحد تصغي الى اقوال الواعظ (فيلبس) (رسل ٨:٥-٦).

ونجدنا بازاء اثنين من المقربين بين التلاميذ، يعقوب ويوحنا (راجع ٩:٢٨)، وكأتهما تلبسا مسبقا موقف النبي ايليا! ذلك ان رجل الله، لكي يُعترف برسالته، كان قد انزل نارا من السماء اهلكت قرابة مئة رجل جاءوا ليعتقلوه (٢مل ١:١٠-١٢). لكن يسوع لم يأت لكي يكون ذلك المصلح للاخلاق الذي انتظره المعمدان (٣:١٦-١٨). وهو، إذ ينتهر التلاميذ -وهو فعل يُستخدم عادة حين يتوجه يسوع الى الشياطين (٤:٣٥)-

فلأنهم، بالفعل، لا يفهمون شيئاً من رسالته (الإنباء بالرفض، ٩: ٢٢) ولا من تعليمه (حجة الاعداء، ٦: ٢٩). وكما كانت الحال بعد ان رفضه الناصريون، نراه يواصل الطريق.

شروط اتباع يسوع (٩: ٥٧-٦٢)

- ٥٧ وَيَبْتَاعُهُمْ سائرون، قالَ لَهُ رَجُلٌ فِي الطَّرِيقِ: ((أَتَبَعُكَ حَيْثُ تَمْضِي)).
- ٥٨ فقالَ لَهُ يسوع: ((إِنَّ لِلشَّعالبِ أوجِرَةَ ولطُيورِ السَّماءِ أوكاراً، وأَمَّا ابنُ الإنسانِ فَلَيْسَ لَهُ ما يَضَعُ عَلَيْهِ رَأْسَهُ)).
- ٥٩ وقالَ لآخر: ((اِتَّبِعْنِي!)) فقال: ((إِنذَن لي أَن أَمْضِي أَوْلًا فَأَدْفِنَ أَبِي)).
- ٦٠ فقالَ لَهُ: ((دَعِ المَوْتى يَدْفِنونَ مَوْتاهم. وأَمَّا أَنْتَ فَامضِ وَبَشِّرْ بِمَلَكوتِ اللهِ)).
- ٦١ وقالَ لَهُ آخر: ((أَتَبَعُكَ يا رَبِّ، وَلَكِنِ انذَن لي أَوْلًا أَن أُودَّعَ أَهْلَ بَيْتِي)).
- ٦٢ فقالَ لَهُ يسوع: ((ما مِن أَحَدٍ يَضَعُ يَدَهُ على المِحراثِ، ثُمَّ يَلْتَفِتُ إِلى الوِراءِ، يَصْلُحُ لِمَلَكوتِ اللهِ)).

لهذه الوحدة من الآيات موضوع: الصعوبة في اتباع يسوع، وهي تتألف من ثلاثة مشاهد قصيرة. والمشهد الأخير يقترب من الأول: اناس مجهولون يودون عفوياً ان يكونوا تلاميذ، فيما يسوع، في المشهد المركزي، هو الذي يأخذ المبادرة؛ وفي المشهد الثالث، كما في هذا المشهد الوسطي، يضع الرجل شروطه.

في الآيتين ٥٧-٥٨ - كما في آ ٦١ - نرى مشهداً كلاسيكياً في اليهودية الرايبينية: يختار المرء المعلم الذي يريد ان يدرس لديه، تاركاً ذويه لسنة او اكثر، ليذهب ويسكن في دار معلمه (راجع يو ١: ٣٧-٣٩). الا ان الجواب يبين انه يختلف عن سائر الرايبينيين؛ فحياته هي حياة جوالاً لانه مرفوض، كما عكسته القرية السامرية في الرواية السابقة. انه مطارد، فلا يكاد يسند رأسه ليستريح، حتى يترتب عليه ان يهرب. ويسوع، لكي يشخص ذاته، تحدّث عن ابن الانسان، وهي عبارة توحى، في آن واحد، بعجز ذلك المرفوض والمحكوم عليه بالموت (٩: ٢٢، ٤٤؛ ونحن بصدد الموت هنا)، كما توحى بالسلطة التي سيرثها لدى تمجيده السماوي (٩: ٢٦؛ ١٢: ٨). فالذين يريدون، اذن، ان يتبعوه، ويكونوا تلاميذ له، عليهم ان يقتسموا معه حياة من لا سكن ثابتا لهم، غير عارفين، في النهار، اذا سيكون لهم في الليل سقف.

في الآيتين ٥٩-٦٠، يأخذ يسوع المبادرة (راجع روايات الدعوة، ٥: ٢٧). اما طلب المجهول، فيبين ان هناك اولوية بالنسبة اليه (اولاً): اتمام الواجب البنوي في دفن ابيه

يفوق السير وراء يسوع، وذلك يستغرق بضع ساعات فقط... ويجيب يسوع ببرودة مدهشة تتعلق بالوضع: **دع الموتى الروحيين، اي الذين يرفضون يسوع وبشراه السارة عن الملكوت، يدفنون موتاهم!** فما يقود الى "انتزاع" الوصية الالهية عن الواجب البنوي (خر ٢٠: ١٢) هي الضرورة القصوى **للكرازة بملكوت الله**؛ ذلك ان خدمة هذه البشرى السارة هي الاولى وتأتي قبل الروابط العائلية التي باركها الله (راجع ١٤: ٢٦).

المشهد الاخير (الآيتان ٦١-٦٢) يذكر بانتماء الشياخ بصفة تلميذ الى النبي ايليا (١ مل ١٩: ١٩-٢١)، في الوقت الذي كان منهمكا في **الحراثة مع زوجي بقر**؛ وكان قد طلب السماح بان يذهب **ويقبّل اباه وامه قبل ان يتبع ايليا**. وبعد ان قدّم زوجي بقر واقام مأدبة وداع لاقربائه، ذهب وراء ايليا. الا ان يسوع هو اكثر تطلبا من النبي الكبير فيما مضى. وهنا ايضا، نرى ان امره مرتبط بشكل وثيق بالسياق (هنا رواية ١ مل) ويعطي مبرراً لمطلبه الجذري: حين يبدأ المرء بحراثة الحقل حيث يريد الله ان يجعل ملكوته يثمر، لا يمكن **الالتفات الى الوراثة**. والاسرة ذاتها هي جزء من الامور التي يجب ان يتركها الانسان وراه (راجع ١٨: ٢٩). وهنا يجب الحذر: "ما ان قرر الانسان ان يتبع يسوع، فليست تلك ثمرة اندفاع حسب، وانما دعوة الى اتخاذ قرار لا رجعة فيه" (ج. أ. فيترماير).

واذ ليست الرواية رواية دعوة، فالنص لا يهتم البتة بالطريقة التي بها يجب كل واحد من هؤلاء المجهولين الى كلام المسيح. وبالفعل، فان الاقوال الثلاثة هي في القلب من الرواية، وسنخطئ اذا ما رأينا فيها قواعد في الخلقية. فالتلاميذ اهتموا بجثة المصلوب (٢٣: ٥٣-٥٦) والكنيسة القديمة كان لها دوما احترام كبير في دفن الموتى ("حين تجد موتى، اودعهم القبر بعد ان ترسم عليهم اشارة الصليب، وسأعطيك المكان الاول في قيامتي"، على حد قول المسيح في سفر عزرا الرابع المنحول، ٢: ٢٣). واذا كان بطرس ورفاقه قد تركوا عائلاتهم ابان رسالة يسوع، الا انهم فيما بعد سيدعون زوجاتهم يرافقتهم في جولاتهم الرسولية (١ قور ٩: ٥). والانجيل بحسب لوقا يفرض علينا هنا ان نبتكر، باستمرار، الطريقة التي بها نجعل، في المركز من حياتنا اليومية، اعلان البشرى السارة، بالافعال والاقوال.

بعثة الاثني عشر والسبعين (١٠: ١-٢٤)

١٠. **وَبَعْدَ ذَلِكَ، أَقَامَ الرَّبُّ اثْنَيْ وَسَبْعِينَ تَلْمِيذًا آخَرِينَ، وَأَرْسَلَهُمْ اثْنَيْ اثْنَيْ تَلْمِيذًا إِلَى كُلِّ مَدِينَةٍ أَوْ مَكَانٍ أَوْشَكَ هُوَ أَنْ يَذْهَبَ إِلَيْهِ.**

- ٢ وقال لهم: ((الحصاد كثيرٌ ولكنَّ العمَّلة قليلون، فاسألوا ربَّ الحصاد أن يُرْسِلَ عمَّلةً إلى حصَّادِهِ.
- ٣ اذهبوا ! فهاءنذا أُرْسِلُكم كالحملانِ بينَ الذَّنابِ.
- ٤ لا تحمِلوا كيسَ دراهمٍ ولا مزوداً ولا حذاءً ولا تُسَلِّموا في الطريقِ على أحدٍ.
- ٥ وأيَّ بيتٍ دخلتُم، فقولوا أوَّلاً: السَّلَامُ على هذا البيتِ.
- ٦ فإن كان فيه ابنُ سلام، فسلاطُمكم يحلُّ به، وإلاَّ عادَ إليكم.
- ٧ وأقيموا في ذلك البيتِ تأكلونَ وتشربونَ ممَّا عندهم، لأنَّ العاملِ يستحقُّ أجرته، ولا تنتقلوا من بيتٍ إلى بيتٍ.
- ٨ وآيةً مدينةً دخلتُم وقبلوكم، فكلُّوا ممَّا يُقدِّمُ لكم.
- ٩ واشفوا المرضى فيها وقلوا للناس: قد اقتربَ منكم ملكوتُ الله.
- ١٠ وآيةً مدينةً دخلتُم ولم يقبلوكم فاخرجوا إلى ساحاتها وقلوا:
- ١١ حتى الغبارُ العالقُ بأقدامنا من مدينتِك ننفُضُه لِكَم. ولكن اعلموا بأنَّ ملكوتَ الله قد اقتربَ.
- ١٢ ((أقولُ لكم: إنَّ سدومَ سيكونُ مصيرها في ذلك اليومِ أخفَّ وطأةً من مصيرِ تلكِ المدينة.
- ١٣ الويلُّ لك يا كورزِين! الويلُّ لك يا بيتَ صيدا! فلو جرى في صورٍ وصيدا ما جرى فيكما من المعجزاتِ، لأظهرتا التَّوبَةَ من زمنٍ بعيدٍ، فلبستا المسوحَ وقعدتا على الرَّمادِ.
- ١٤ ولكن صورٌ وصيدا سيكونُ مصيرهما يومَ الدَّيْنونةِ أخفَّ وطأةً من مصيرِ كما.
- ١٥ وأنت يا كفرناحوم، أتراك تُرفعينَ إلى السَّماءِ؟ سيُهبطُ بك إلى مثنوى الأمواتِ.
- ١٦ ((من سمعَ إليكم سمعَ إليَّ. ومن أعرَضَ عنكم أعرَضَ عني، ومن أعرَضَ عني أعرَضَ عن الذي أُرْسِلني)).
- ١٧ ورجعَ التلاميذُ الاثنانِ والسبعونَ وقالوا فرحين: ((يا ربَّ، حتى الشياطينُ تخضعُ لنا باسمِكَ)).
- ١٨ فقال لهم: ((كنتُ أرى الشيطانَ يسقطُ من السَّماءِ كالبرقِ.
- ١٩ وها قد أوليتكم سلطاناً تلبسون به الحياتِ والعقاربَ وكلَّ قوَّةٍ للعدوِّ، ولن يضرَّكم شيءٌ.
- ٢٠ ولكن لا تفرحوا بأنَّ الأرواحَ تخضعُ لكم، بل افرحوا بأنَّ أسماءكم مكتوبةٌ في السَّمواتِ)).
- ٢١ في تلكِ السَّاعةِ تهلَّلَ بدافعٍ من الرُّوحِ القُدسِ فقال: ((أحمدُك يا أبَتِ، ربَّ السَّماءِ والأرضِ، على أنَّك أخفيتَ هذه الأشياءَ على الحكماءِ والأذكياءِ، وكشفتها للصَّغارِ.
- نعم، يا أبَتِ، هذا ما كان رِضاكَ.
- ٢٢ قد سلَّمني أبي كلَّ شيءٍ، فما من أحدٍ يعرفُ من الابنِ إلاَّ الآبَ، ولا من الآبِ إلاَّ الابنُ ومن شاءَ الابنُ أن يكشفه له)).

- ٢٣ ثُمَّ تَفَتَّ إِلَى التَّلَامِيذِ، فَقَالَ لَهُمْ عَلَى حِدَةٍ: ((طوبى للعيون التي تُبْصِرُ ما أنتم تُبْصرون.
- ٢٤ فَأَيُّ أَقْوَالٍ لَكُمْ إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُلُوكِ تَمَتَّوْا أَنْ يَرَوْا ما أنتم تُبْصرونَ فَلَمْ يَرَوْا، وَأَنْ يَسْمَعُوا ما أنتم تَسْمَعُونَ فَلَمْ يَسْمَعُوا)).

هذه المجموعة من الآيات ذات الغنى الكبير تؤسس، في آن واحد، رسالة تلاميذ كثر لدى الشعوب الوثنية، وتقدم خط السير في سلوك المبشرين. ومجملها ينقسم الى نافذتين: بعثة الاثني والسبعين (آ ١٦-١٧) وعودتهم (آ ١٧-٢٤). فالتبشير لا ذكر له، باستثناء التأكيد المقتضب في آ ١٧ ب؛ أليس هو موضوع الجزء الثاني، اعمال الرسل؟

١. بعثة الاثني والسبعين للرسالة (١: ١٠-١٦)

يُعتبر خطاب المسيح -وهو مكثف جدا- امتدادا واضحا لخطابه الموجه، من قبل، الى الاثني عشر (٩: ٣-٥). وبهذا الشكل، نجدنا بازاء بعثتين رسوليتين مؤقتتين لفريقيين يختلفان في الاهمية من حيث العدد، يرويهما لوقا خلال رسالة يسوع، بينما لا يحتوي انجيل مرقس ومتى سوى على بعثة واحدة. ذلك ان الخطاب الرسولي للاثني عشر، بلغ الى لوقا عبر تقليديين: مرقس ومصدر الاقوال. ولوقا، عوضا عن ان يدجمهما -كما فعل متى ولا شك- احتفظ بهما بشكل منفصل. وهو، بفعله هذا، قام بعمل لاهوتي.

التلاميذ الاثنا والسبعون الآخرون ليسوا، في الواقع، في طليعة القافلة على مثال المرسلين في ٩: ٥٢، وانما هم مقلدون سلطات (راجع ٩: ١٦)، ولهم، على مثال الاثني عشر، سلطة على الارواح الشريرة (٩: ١٧) ويبشرون بمجيء الملكوت (٩: ١٠، ١١). وهكذا يؤكد الانجيلي بان رسالة الاثني عشر ليست وحدها متجدرة في وصايا يسوع قبل القيامة. وحين سترأى الرب القائم، فسيعطي وصاياه في التبشير للاحد عشر ولرفاقهم (٢٤: ٣٣-٣٦). فلوقا يكتف بالاهتمام بتبيان ان التبشير هو ملك الكنيسة كلها، وليس حكرا على بعض الرجال. وان الرقم اثنين وسبعين يذهب في عين الاتجاه: انه يعبر عن اتساع الفريق الرسولي الذي، في الكنيسة، ينتمي الى يسوع -سواء كان فيلبس او بولس في سفر الاعمال، او لوقا ذاته! هناك تلميح ضمني الى تك ١٠: ٢-٣ حيث نجدنا، عبر الترجمة السبعينية، بازاء جدول بالاثني والسبعين شعبا في الارض. والمسيحيون القادمون من الشعوب الوثنية، وقد بُشروا بالانجيل، يبرزون عين المهمات، في ما يتعلق بالرسالة، على مستوى الاثني عشر الذين تبعوا يسوع ابان حياته الارضية.

وهكذا فان يسوع، اذن، بصفته الرب القائم، سيّد الخدم في الكنيسة، يرسلهم اثنين اثنين. وهذا الرقم ليس من قبيل الصدفة طالما ان كل كلمة تقوم على لسان

شاهدين او ثلاثة، في حالة الخلاف (تث ١٩: ١٥)، وتلك نظرية تستشف بوضوح من الآيتين ١٠-١١. ولوقا، في سفر الاعمال، سيجسد العمل الرسولي الثنائي، كما هي الحال مع بولس وبرنابا (١٣: ٢-٤)، برنابا ومرقس، بولس وسيلبا (١٥: ٣٩-٤٠). وهؤلاء الـ ٣٦ ثنائي (= ٧٢)، يرسلهم يسوع الى كل مدينة او مكان أوشك هو ان يذهب اليه؛ ألسنا بازاء تلميح الى مجيء الرب القائم في نهاية الازمنة؟

يبدأ الخطاب باعطاء المبشرين جدولاً بالمهمات (آ ١١-١٠). واولى المهمات هي... الصلاة (آ ٢)! فالحصاد هو استعارة تقليدية عن الدينونة الالهية، والحصادون يمثلون الله وملائكته (اش ٢٧: ١٢؛ رؤ ١٤: ١٤-٢٠؛ راجع لو ٣: ١٧). الا ان الحصاد هنا يمثل الرسالة، والتلاميذ هم الذين يحصدون. وكما كانت استعارة الصيد (٥: ١٠)، يعكس الحصاد تجمع جماعة الازمنة الاخيرة التي بدأت. وتجاه التفاوت بين المهمة التي يجب ان تتم والنقص في عدد المرسلين في الكنيسة، هناك شيء واحد يجب فعله: الالتفات بايمان الى الله الذي هو وحده بوسعه ان يحل المشكلة. ويسوع، اذا لم يكن هو رب الحصاد، فهو يبدو بصفة الوكيل الذي يُرسل (آ ٣)، وينبئ مسبقاً بالعداء الذي ينتظر قطيعه - وهو موضوع يدور دوماً في هذا الخطاب. وكما طلب من الاثني عشر (٩: ٣)، هكذا يطلب من الاثني والسبعين ان يثقوا بالناية الالهية، الى جانب معطى جديد يقوم في مضاعفة الخطى، الى درجة يصعب معها التوقف للسلام على عابري السبيل (آ ٤)؛ تلك كانت وصية الإشباع من قبل الى خادمه (٢ مل ٤: ٢٩). فعوضاً عن التوجه الى الاشخاص الذين يلتقون بهم، يجب السعي للبلوغ الى المدن والى "المنازل الصغيرة".

وتوضح الاوامر هنا كيف يترتب على المرسلين ان يجيبوا الذين سيتلقوهم او الذين سيرفضوهم (آ ٥-١٢). فالسلام، وهو اكثر من تحية او تمنٍّ - ويعني الامان والخير الروحي، وبكلمة، الخلاص، راجع ٢: ١٤ - وهو عطية الهية يحملونها الى المنزل الذي يدخلونه (آ ٥-٧). فابن السلام، هو ذاك المنفتح الذي يتقبل بشري الملوكوت السارة، كما يتقبل عطية السلام، ويتجاوب معها بالفعل. وحين ينغلق احدهم ولا يؤمن بان السلام يأتيه بغم المرسل، فمع ذلك لن تضيع هذه "الهدية". ذلك ان المرسل، بعد ان فعل ما كان ينبغي عليه، يجد نفسه في سلام. وكما في ٩: ٤، يكمن الاسلوب في المكوث في البيت الاول الذي استقبل المرسل. "كلوا مما يقدم لكم"، ذلك ولا شك الاجرة، اي ما يقابل الخيرات الروحية التي يحملها المرسل (ويعرف القديس بولس هذا التقليد، ١ قور ٩: ١٤-١٨). الا ان ذلك هو ايضا العلامة بان المرسل قد تحرر من كل ضغط تجاه الشريعة الموسوية التي تتعلق بالمأكولات الطاهرة والنجسة. وحين يمتد الامر الى الموائد التي تقدم في

اية مدينة، فذلك يعني ان الحواجز التي تمنع اليهود من المشاركة في موائد المحتونين النجسين قد ازيلت. فالمرسل، بوسعه ان يأكل من كل شيء ولدى كل احد، دون الاهتمام بتعليمات الشريعة!

ومن البيوت، هوذا الخطاب يبلغ الى المدن (آ ٨-١٢). وعلى غرار الاثني عشر، على المرسلين الجدد ان يشفوا المرضى، ويعلنوا ملكوت الله في المدن التي تبدي انفتاحا. والفرادة تكمن في ان يسوع، وللمرة الاولى، يشير الى ان هذا الملكوت قد اقترب (آ ٩، ١١)؛ وسوف يشرح في ١١: ٢٠ على مَ يقوم هذا الاقتراب. وفي المدن التي تبدو غير منفتحة، ليس هناك اية شفاءات، وانما تلك الحركة العامة والرمزية التي تقوم في نفوس الغبار (كما في ٩: ٥)؛ وفي الحالتين، يعلن ان الملكوت قريب، ولكنه ليس قريبا حقا الا في المدن المنفتحة (آ ٩). ومع الآية ١٢، سيكون لرفض مدينة استقبال المرسلين مردودات اكثر جسامة مما لرفض بيت يصبح مسبقا محروما من السلام. قد يُدهش تحذير يسوع هذا، الا ان له عين الرنة التي اتصفت بها نداءات الانبياء، اسلافه: فان خراب سدوم، المدينة الملعونة بكل معنى الكلمة (تك ١٩؛ راجع مرا ٤: ٦)، لا يشبه البتة ما ينتظر مدينة منغلقة، في اليوم الذي يكشف الله عن ذاته للبشرية ويدينها. فبمقدار ما تكون العطية الالهية الموهوبة للمدينة - عبر رسل بشرى الخلاص السارة - بمقدار ذلك تكون الخطيئة لدى رفضها، وستكون الكارثة التي ستصيبها اعظم.

ويتوقف يسوع برهة عن اعطاء وصاياه. والقولان النبويان اللذان يليان، هما في خط مستقيم مع الآية ١٢؛ انهما يذكران ثلاث مدن جليلية على شواطئ البحيرة، هي التي لم تستقبل يسوع، ولم تهتله (آ ١٢-١٥). وكما في ٦: ٢٤، فالاسلوب الادي هو اسلوب المراثاة على الذين يقعون تحت حكم دينونة الله الاسكاتولوجية. وهذه المدن لم تكن قد رأت سوى حدث بسيط من العجائب التي اتمها الله فيها على يد يسوع، بينما كان بوسع مدن وثنية غارقة في الخطيئة، من مثل صور وصيدا - وكان انبياء الماضي قد عَنّفوها (اش ٢٣؛ حز ٢٨) - ان تقرأ فيها نداء الى التوبة، ولكانت غيّرت من سلوكها (لنفكر في موقف نينوى في يون ٣: ٥-٩). فكفرناحوم، مع انها المدينة الاولى التي شفى فيها يسوع وعلم (٤: ٢٣، ٣١)، برهنت على قساوة القلب. والمعلم، من خلال تلميح الى اش ١٤: ١٣-١٥، كشف لهذه المدينة المكابرة انها ستسقط من فوق بشكل كارثي؛ وهكذا، فلأنها رفضت مرسل الله، فلقد وقّعت على نبذها بالذات.

ويسوع، كي يختم خطابه، يتوجه من جديد الى المرسلين (آ ١٦)، مذكرا اياهم مبدأ من اليهودية الرايبينية: "مرسل رجل ما، كما لو انه هو ذاته (ميشنا، ييراخوت ٥: ٥).

انه ممثل، ومؤتمن على سلطة، بحيث تلزم افعاله ذاك الذي ارسله. لنفكر في ما يمثله سفير بكامل الصلاحية في مجتمعاتنا. فأن يُسمع المرسل، معناه ان نتقبل تعليمه ونطبقه (٤٧:٦)، اي ان نصغي الى يسوع بالذات -وهو ذاته مرسل الله؛ فما يقوله، تلقاه من الآب، كما توضح ذلك الآية ٢٢. وهكذا الحال حين يقاوم المرسل، فذلك يعني بالتالي مقاومة مخطط الله الخلاصي بالذات (راجع ٣٠:٧).

معنى المعجزات

ان الشفاءات المدهشة لم يكن لها وجه خارق في العالم اليهودي في القرن الاول. غير ان المعنى المضى عليها يجعل اختلافا -واختلافا كبيرا- بين يسوع وبين سائر الشافين. وهذا المعنى يتضح في موضعين:

١. الطريقة التي بها تُروى المعجزة. فرواية ابن ارملة نائين (١١:٧-١٧)، في بنيتها، تؤكد بان يسوع هو ايليا الجديد، ذاك النبي المنتظر في آخر الازمنة، وانه هو الرب القائم المنتصر على الموت.

٢. الكلمات التي يفسر بها يسوع المعجزات التي يجترحها. وهنا يجب ان نسير في اتجاهين: - يقدم يسوع المعجزات بصفتها "افعال قوة" يجترحها الله بواسطته (راجع رسل ٢: ٢٢)، وهي نداءات ملحة الى التوبة. فحين يبين انها لم تبلغ هدفها في مدن البحيرة، السهل المذكور في ١٠: ١٢-١٥، فذلك يعني انها علامات بوسع الانسان ان يفك لغزها في الايمان. وليس هناك معنى بديهي بوسعه ان يفرض على الجميع.

- يرى يسوع في المعجزات علامات فاعلة على انتصار الله على الشيطان (١٠: ١٧-٢٠؛ ١١: ١٨-١٩) وعلى مجيء ملكه (١١: ٢٠): انها تتم البرنامج الذي حدده الله لزمان النهاية (٧: ١٨-٢٣).

وخصوصوم يسوع لا يشككون في واقع الشفاءات العجائبية التي صنعها يسوع. انهم يرفضون التفسير الذي يعطيه لها يسوع. فبالنسبة لهم، لا تعني هذه الافعال ان النهاية قد أتت، وان يسوع هو المرسل الاخير الذي على يده تتم (راجع ١١: ١٥). فالعمدان ذاته تردد في تفسيرها (٧: ١٩-٢٠). اما في نظر لوقا: فأن نؤمن بيسوع، لا يعني الاعتراف بانه اجرى شفاءات مدهشة -واقع هو واقع وحسب!-، وانما ان نتلقى ونقبل التفسير الذي يعطيه المسيح وتعطيه الكنيسة لهذه الشفاءات.

٢. عودة الاثني والسبعين من الرسالة (١٠: ١٧ - ٢٤)

اذا كان لوقا قد اشار الى بعثة الاثني عشر بجملة واحدة (٩: ٦)، نراه هنا يستعرض عودة الاثني والسبعين في مشهد ينفرد به في بدايته (١٠: ١٧-٢٠). فالمرسلون يحدثون

الرب عن نجاحهم في اخراج الشياطين (على العكس من ٩: ٤٠). ذلك ان قوة الشفاء التي اعطاها الله ابنه (١٧: ٥؛ ٤٦: ٨) أصبحت فاعلة فيهم حين استغاثوا باسم يسوع (رسل ٣: ٦).

ويظهر جواب يسوع، اولاً، بان وراء الشياطين الكثر (آ ١٧) والارواح (آ ١٨)، في اللغة الشعبية، هناك قوة شريرة ذات مظاهر مختلفة، وقد شخّصت هنا تحت اسم "شيطان" او "العدو"؛ وبحسب الكوسمولوجيا (طبقات الكون) في ذلك الزمن، تسكن هذه القوة السماوات السفلى - بينما الله هو في اعالي السماوات (٢: ١٤). وهوذا يسوع، بطريقة رمزية، عبّر عن القناعة التي تسكنه وتوضحها عملية الطرد: مملكة الشر تنهار (راجع ١١: ١٨). وهو سيعطي سبب ذلك في ١١: ٢٠: ملكوت الله يأتي وهو يأخذ مكان مملكة الشيطان. ومنذئذ سيستطيع التلاميذ، من دون خوف، ان يواجهوا الظاهرات المختلفة للشر طالما انها أصبحت خاضعة لسلطة تاتي من يسوع ذاته؛ ويسوع، كي يوضح كلامه، ذكر الحيات والعقارب (وقد جاء ذكرها في ١١: ١١-١٢) التي كانت، بحسب سفر التثنية (٨: ١٥) المخاطر الاولى المميتة التي لاقاها بنو اسرائيل ابان الخروج. والدافع الحقيقي لفرح ممثلي يسوع، ليس في سلطاهم على القوى الجهنمية، وانما في ان الله كتب اسماءهم في سفر الحياة: ان لهم وعدا بان يرثوا الحياة التي لا تفتنى.

كل شيء يساهم في الفرح بقدوم الملكوت الذي تدل عليه عمليات طرد الشياطين. وحينذاك يرفع يسوع فعل شكر (آ ٢١-٢٢)، ومن ثم يعطي الطوبى للشهود (آ ٢٣-٢٤). وان الذكر الاستثنائي للروح القدس النبوي يشير الى ان هذه الاقوال تبليغ الذروة في الوحي المعلن للتلاميذ. هوذا يسوع يمتدح اباة لانه كشف للتلاميذ عن السلطة المعطاة لهم على قوى الشر، وعن كتابة اسمائهم في السماوات. فما كان اسرائيل ينتظره في المستقبل، ها هو منذ الآن قد تحقق، لا لصالح الكتبة الذين يدرسون كلام الله، بكبرياء وعجرفة، وانما لصالح اولئك الذين يبدون "بسطاء في نظر العلماء، وبالتالي اصبحوا مهينين لقبوله؛ تلك هي جودة الله المجانية (آ ٢١).

وتأتي من ثم الآية ٢٢ لتسلط الضوء على دور يسوع الذي، بواسطته، أُعطي هذا الوحي. فبحسب الحكماء "تلقى موسى الشريعة (المكتوبة والشفهية) من سيناء ونقلها الى يسوع، ويشوع الى الشيوخ، والشيوخ الى الانبياء، والانبياء نقلوها الى الرجال في التجمع الكبير" (ميشنا، آبوت ١: ١). الا ان يسوع لا يندرج في سلسلة بشرية من التقليد. لقد نُقل اليه كل شيء مباشرة عبر ابيه السماوي! فما تلقاه يسوع، انما هي المعرفة الوجودية للرباط الشخصي والفريد بينه وبين الآب. فالمعرفة المتبادلة التي طلب موسى الى الله ان يمنحه اياها (خر ٣٣: ١٢-١٣) والتي تمتع بها بشكل فريد (تث ٣٤: ١٠)، هوذا الآب قد

غمر بها يسوع مسبقا. غير ان مثل هذه المعرفة ليست مغلقة على ذاتها. فلدى موسى، كانت قد اسفرت عن الشريعة التي كانت تمكن الاسرائيليين من معرفة ارادة الله. اما بيسوع، فما أُوحي به الى التلاميذ هي تلك العلاقة بين الابن والآب السماوي، وتلك العلاقة بين التلاميذ وبينه.

كيف؟ لانهم اصبحوا شهود عيان لأحداث تميز نهاية الازمنة (آ ٢٣-٢٤)؛ فما كان اسراييل ينتظره للزمن النهائي، اصبح منذ الآن حاضرا، وفي متناول الخبرة البشرية. وبحسب التقليد اليهودي، لم يحظ اشعيا (اش ٦) وحزقيال (حز ١) سوى برؤى وصور عن الله. وبالمقابل، كانت اصغر الخادמות، ابان عبور البحر الاحمر، قد شاهدت ما لم يشاهده اشعيا وحزقيال وكل الانبياء؛ وبالفعل، كان الاسرائيليون قد رأوا الله آنذاك واعترفوا به، وكل منهم فتح فمه -حتى الاطفال الرضع- ليقول: "هذا الهي، فيه أعجب وبه أُشيد" (خر ١٥: ٢). لذا، فان خبرة حضور الله الفاعل، الذي كان تجديده يُنتظر في آخر الازمنة، هوذا التلاميذ يتمتعون به! فأن نرى الشر يتراجع والشیطان يندحر، وأن نرى المبعدين قد صولحوا، وأن نسمع بان البشرى السارة قد اعلنت للفقراء -وبكلمة أن نرى ونسمع يسوع فاعلا وواعظا- أليست تلك خبرة مجيء الله الخلاصي بالذات؟

في اصل هذه الآيات ٢١-٢٤ التي استعارها لوقا من مصدر الاقوال، نستشف خبرة مضاعفة لا توصف، قام بها يسوع. ففي صلاته، دعا الله "أبا" وألح الى تلاميذه بانه تجاه الله بمثابة الابن -ولفظلة الابن تُكرر ثلاث مرات- تجاه ابيه. وهكذا نجدنا بازاء موجز مكثف عما يُسمى "احساس يسوع النبوي"، وهو يتميز عن "احساسه المسيحاني".

حبة الله والقريب (١٠: ٢٥-٤٢)

٢٥ وإذا أَحَدُ عُلَمَاءِ الشَّرِيعَةِ قَدَ قَامَ فَقَالَ لِيُحْرِجَهُ: ((يا مُعَلِّمُ، مَاذَا أَعْمَلُ لِأَرِثَ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ؟))

٢٦ فقال له: ((مَاذَا كُتِبَ فِي الشَّرِيعَةِ؟ كَيْفَ تَقْرَأُ؟))

٢٧ فَأَجَابَ:

((أَحِبِّ الرَّبَّ إِيَّاهُ بِكُلِّ قَلْبِكَ،

وَكُلِّ نَفْسِكَ، وَكُلِّ قُوَّتِكَ، وَكُلِّ ذَهْنِكَ

وَأَحِبِّ قَرِيبَكَ حُبَّكَ لِنَفْسِكَ)) .

٢٨ فقال له: ((بِالصَّوَابِ أَجَبْتَ . اِعْمَلْ هَذَا تَحِيَّ)) .

٢٩ فَأَرَادَ أَنْ يُزَكِّيَ نَفْسَهُ فَقَالَ لِيَسُوعَ: ((وَمَنْ قَرِيبِي؟))

- ٣٠ فَأَجَابَ يَسُوعُ: ((كَانَ رَجُلٌ نَازِلًا مِنْ أُورُشَلِيمَ إِلَى أَرِيحَا، فَوَقَعَ بِأَيْدِي اللَّصُوصِ. فَعَرَّوهُ وَاهْلَاوُوا عَلَيْهِ بِالضَّرْبِ. ثُمَّ مَضُوا وَقَد تَرَكُوهُ بَيْنَ حَيٍّ وَمَيِّتٍ.
- ٣١ فَاتَّفَقَ أَنْ كَاهِنًا كَانَ نَازِلًا فِي ذَلِكَ الطَّرِيقِ، فَرَأَهُ فَمَالَ عَنْهُ وَمَضَى.
- ٣٢ وَكَذَلِكَ وَصَلَ لَأَوِيٌّ إِلَى الْمَكَانِ، فَرَأَهُ فَمَالَ عَنْهُ وَمَضَى.
- ٣٣ وَوَصَلَ إِلَيْهِ سَامِرِيٌّ مُسَافِرٌ وَرَأَهُ فَأَشْفَقَ عَلَيْهِ،
- ٣٤ فَدَنَا مِنْهُ وَضَمَدَ جِرَاحَهُ، وَصَبَّ عَلَيْهَا زَيْتًا وَخَمْرًا، ثُمَّ حَمَلَهُ عَلَى دَابَّتِهِ وَذَهَبَ بِهِ إِلَى فُنْدُقٍ وَاعْتَنَى بِأَمْرِهِ.
- ٣٥ وَفِي الْعَدِّ أَخْرَجَ دِينَارَيْنِ، وَدَفَعَهُمَا إِلَى صَاحِبِ الْفُنْدُقِ وَقَالَ: ((إِعْتِنِ بِأَمْرِهِ، وَمَهْمَا أَنْفَقْتَ زِيَادَةً عَلَى ذَلِكَ، أَوْذِيهِ أَنَا إِلَيْكَ عِنْدَ عَوْدَتِي)).
- ٣٦ فَمَنْ كَانَ فِي رَأْيِكَ، مِنْ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ، قَرِيبَ الَّذِي وَقَعَ بِأَيْدِي اللَّصُوصِ؟))
- ٣٧ فَقَالَ: ((الَّذِي عَامَلَهُ بِالرَّحْمَةِ)). فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: ((إِذْهَبْ فَاعْمَلْ أَنْتَ أَيْضًا مِثْلَ ذَلِكَ)).
- ٣٨ وَبَيْنَمَا هُمْ سَائِرُونَ، دَخَلَ قَرِيبَةً فَأَضَافَتْهُ امْرَأَةٌ اسْمُهَا مَرْتَا.
- ٣٩ وَكَانَ لَهَا أُخْتُ تُدْعَى مَرْيَمَ، جَلَسَتْ عِنْدَ قَدَمَيْ الرَّبِّ تَسْتَمِعُ إِلَى كَلَامِهِ.
- ٤٠ وَكَانَتْ مَرْتَا مَشْغُولَةً بِأُمُورٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْخِدْمَةِ، فَأَقْبَلَتْ وَقَالَتْ: ((يَا رَبِّ، أَمَا تُبَالِي أَنَّ أُخْتِي تَرَكَتْنِي أَحْدُمُ وَحْدِي؟ فَمُرْهَا أَنْ تُسَاعِدَنِي))
- ٤١ فَأَجَابَهَا الرَّبُّ: ((مَرْتَا، مَرْتَا، إِنَّكَ فِي هَمٍّ وَارْتِبَاكِ بِأُمُورٍ كَثِيرَةٍ،
- ٤٢ مَعَ أَنَّ الْحَاجَةَ إِلَى أَمْرٍ وَاحِدٍ. فَقَدْ اخْتَارَتْ مَرْيَمَ النَّصِيبَ الْأَفْضَلَ، وَلَنْ يُنْزَعَ مِنْهَا)).

ما هو السلوك الذي يجب ان نتصف به كي نرث الحياة الابدية؟ هوذا ما يقوله ملخص للشرية (آ ٢٥-٢٨). فالى جانب موضوع الوصية الكبرى التي لم تحف على الازائين الاخرين (راجع مر ١٢: ٢٨-٣١)، هناك سؤال آخر يرتبط بها، ينفرد به لوقا، هو بشأن القريب؛ وهذا السؤال يلقي الضوء عليه مثل السامري الصالح (آ ٢٩-٣٧). الا ان الانجيلي لا يتوقف في الطريق؛ ويمكنه مشهد مرتا ومريم -وليس له ما يوازيه- ان يواصل تجسيد الوصية الكبرى (آ ٣٨-٤٢). فالمثل فسّر ماذا يعني "حب القريب"؛ ورواية الاختين تفسّر، هي الاخرى، وصية محبة الله. والجمل يعلمنا اننا بمقدار ما نتلقى من الرب، يجب علينا ان نعطي الآخرين.

١. الوصية الكبرى (١٠: ٢٥-٢٨)

وهوذا احد علماء الشريعة قام... وهو واحد من اولئك الحكماء والاذكياء الغائبين عن المشهد السابق. وهو، فيما شاء ان يمتحن معارف يسوع في امر الشريعة،

ارغمه على التصريح بما يعتبره، انطلاقا من التقليد ومن تفكيره الشخصي، اساسيا، وأهم ما في الشريعة (س. لاكاس). ولهذا الغاية، طرح عليه سؤالاً مألوف في الديانة اليهودية بشأن اعظم الوصايا (راجع مر ١٢: ٢٨) او حول الوسائل التي يجب اتخاذها لتلقي الحياة من الله (كما هي الحال هنا وفي لو ١٨: ١٨). ويرجع جواب يسوع، في الواقع، السؤال ثانية بشأن الشريعة. فهو، على مثال محدّثه، يعرف ان قراءة الاسفار المقدسة تعني تفسيرها. ومن هنا جاء استفساره: في ما يتعلق بك، كيف تقرّ أنت بالذات؟

ويردد عالم الشريعة، في المرتبة الاولى، وصية سفر التثنية (٤: ٦) التي يتلوها كل يهودي تقي مرتين في اليوم، عبر صلاة شيمع اسرائيل (اسمع يا اسرائيل) والتي تتطلب منه تعلقا كاملا بالله الواحد. واطاف اليها من ثم وصية من سفر الاحبار (١٩: ١٨) تتعلق بحبة القريب. والرجل، حين وضع بالتالي هاتين الآيتين، فقد اطاع التقليد اليهودي الذي يقيّم حب الآخر بوضعه في مستوى حب الله. ومثل هذه القراءة للاسفار المقدسة، تلتقي بالتمام مع تفسير يسوع الذي وضع هو نفسه محبة الاعداء في القلب من الدعوة المسيحية (راجع ٦: ٢٧+). ويسوع، مع تأييده لمعلم الشريعة، دعاه الى تطبيق هذه الوصية في الحب ببعدين: من يعمل هكذا يرث تلك الحياة الكاملة التي تحدث عنها السؤال في البداية. والقارئ هو ايضا مدعو الى اقامة الصلة مع المشهد السابق (١٠: ٢١-٢٤): أليست الثمرة الاخيرة لهذا الحب لله وللقريب -وهي تتضح على مدى الايام والسنين- تكمن في معرفة الآب؟ ذلك ان معلم الشريعة، اذا ما مارس الشريعة التي نادى بها، فسيكون في وضع الصغار، وسيرى حضور الله الفاعل.

٢. مثل السامري الصالح (١٠: ٢٩-٣٧)

ويتواصل المشهد حين اخذ الرجل يطرح سؤالاً جديداً، كان، وللمرة الثانية، ثانويا في نظره: انه يريد ان يبرر نفسه حين طرح السؤال الاول. وهنا ايضا لا يجيب يسوع اليه. فاذا أعطى تحديداً للقريب، يعرّض نفسه للوقوع في الاجتهادات التي ينتقدها هو ذاته لدى الكتابة والفريسيين؛ وكأنه، هو الآخر، اصبح مشرّعاً! وعلى العكس، هوذا يحكي مثالا (٣٥-٣٠ آ) يختتمه بسؤال على السؤال (٣٦ آ).

نجد على المسرح اناسا مجهولين يُعرفون بدورهم الاجتماعي او الديني: هناك اللصوص والفنديقيون الذين على الطريق؛ وكاهن ولاوي يعمرون في الطريق، وسامري في سفر. والسامري هو هرطوقي لانه لا يعترف بسلطة الشريعة المكتوبة، التوراة، وينفي كليا الشريعة الشفهية. انه، في نظر معلم الشريعة، على العكس تماما من النموذج الكامل الذي

يمثله خادما الهيكل الموقران. اما الشخص المتروك بين **حي وميت**، فلا هوية اجتماعية له البتة؛ ونجهل اذا كان يهوديا ام لا. ويسوع، فيما رتب الشخص على هذا الشكل، تخلّى عن منطق السؤال الذي طرحه عالم الشريعة، منطلق كاد يذهب به الى تشخيص القريب في ملامح سامري بين **حي وميت**!

اما هنا، فالسامري هو واحد من المارة. وعلى مثال خادمي الهيكل، رأى، هو ايضا، الجريح. وقف الاثنان على مسافة ممن يُحتمل ان يكون جثة تنحسهما: انهما يحترمان التحريم الذي اتت به الشريعة (عد ١٩: ١١-١٦). اما هو، فعلى العكس، شعر بالشفقة **وتحركت احشاؤه** - وهو موقف الرب بالذات لدى رؤيته ارملة نائين (٧: ١٣). وفيما فصل خادما الهيكل، بدافع الاحترام تجاه شريعة الطهارة، بين محبة الله ومحبة القريب (راجع آ ٢٧)، وحوّلا نظرهما، هوذا السامري يعتني بالجريح - وهو عمل وُصف بستة افعال في آ ٣٤، وتواصل، ولكن مع فعل آخر، في آ ٣٥. وبالفعل، فلقد اعطى دراهم الى صاحب الفندق لكي **يعتني**، عوضه، بهذا المجهول. وهكذا، فهو لم يُسمّر في مكانه بسبب هذا الحدث الطارئ، وانما واصل طريقه لوحده. واذا ما توقع انه سيعود، فكان ذلك، اقله ليدفع ما زاد من المصروفات، الا انه لم يقلل بانه سيستخبر عن احوال الذي اغاثه.

ووفقا لاستعدادات الشخص في المثل، فالسؤال الديناميكي المضاد الذي طرحه يسوع يُحدث تغييرا في مستوى السؤال الذي طرحه عالم الشريعة (آ ٣٦ بالمقارنة مع آ ٢٩). كان عالم الشريعة قد جعل نفسه في المركز من العالم حين تساءل من هو قريبه، فرأى الآخرين يصعدون حوله. اما يسوع، فقد قلب الطرح: **من... كان قريبا للذي وقع بايدي اللصوص؟** فالقريب هو ذاك الذي يُبدي الرحمة، لا ذاك الذي يستفيد منها. "القريب، لم يعد ذاك الآخر الذي يجب ان نُحبه، وانما ذاك الذي اصبح قريبا الى الآخر. كما انه ليس ذاك المحظوظ من الفعل الذي صنّع له، وانما فاعل الفعل المنجّز لصالح ذلك المحظوظ" (ج. ديورم). وبحق اجاب عالم الشريعة حين اشار الى الرجل الذي امتاز بفعله المليء بالرحمة، وليس بفعله وضعه الاجتماعي الديني بصفته سامريا (آ ٣٧). ومع ذلك: فالسامري الهراطوقي، الذي لم تكن له علاقة سليمة بالشريعة، هو الذي عرف ان يعيش وصية أح ١٩: ١٨، وليس اولئك المسؤولون عن العبادة... وحينذاك، لم يبقَ ليسوع سوى ان يدعو عالم الشريعة الى ابتكار **ممارسات مشابهة**، هو بنفسه.

٣. مرتا ومريم (١٠: ٣٨-٤٢)

الرواية التي تعيد القارئ الى موضوع محبة الله تذكر لماما بان يسوع في سفر، وهو يطلب الضيافة. وربة البيت واختها توحيان لمن يعرف الانجيل الرابع، باختي لعازر من

بيت عنيا (يو ١١؛ ١٢: ١-٨)، الا انهما مجهولتان في رواية لوقا حيث يتعارض منطقتها مع كونهما تسكنان بالقرب من اورشليم. ومريم، لا يمكن تشخيصها مع مريم من مجلد (٢٤: ١٠). (١٠: ٢٤).

والمفارقة بين الاختين تبرز اولا في ان مريم تبدو مثال التلميذ الكامل، جالسة كما ينبغي عند قدمي المعلم/ الرب لتلقي تعليمه. ومثل هذا الوضع مألوف (راجع ٨: ٣٥؛ رسل ٢٢: ٣)؛ ألا يقول التقليد: "ليكن بيتك بيت اجتماع للحكماء، تعلق بالغبار اللاصق بارجلهم، واشرب كلماتهم في عطشك" (ميشنا، ابوت ١: ٤). اما ما هو غير مألوف، ان الامر يتعلق بامرأة! ففيما ذهب رابي شهير، من نهاية القرن الاول، الى القول: "أن تعلم ابنتك الشريعة، فكما لو انك تعلمها الانفلات" (ميشنا، سوتا ٣: ٤)، هوذا يسوع يشجع امرأة على اتباع تعليمه. اما موقف سيدة البيت، فهو مألوف جدا؛ انها مشغولة بامور كثيرة من الخدمة - وهذا يوافق الدور الذي تضطلع به النساء/ التلميذات في ٣: ٨. ولا سيما وانها تاتي ان تتصرف بخلافها؛ لا بل انها على يقين من ان الرب ليس بوسعه ألا يحترم ترتيب مستوى القيم الذي يتبناه (٤٠ آ).

فما عدا المنادة "يا رب!"، نجد ان لقب "الرب" قد اعطاه لوقا ليسوع، على دفتين. ولما كان ذلك الاعتراف اليماني هو ذاته الذي تعلنه الجماعة المسيحية تجاه القائم (راجع رسل ٢: ٣٦)، كان لا بد لنا ان نرهب السمع: انه الرب، بحاجة هنا الى التدخل في كنيسته، لان المشكلة المطروحة ما زالت حالية. ففي رسل ٦: ٢-٤، نجد تعارضا مشابها بين خدمة الكلمة وخدمة الموائد. ولسنا بصدد اعادة النظر في موضوع خدمة الموائد؛ غير ان المشكلة هي في الاعتراف بان هناك اولويات بين الخدمتين. فيسوع يأخذ على مضيفته ارتباكها الذي لا ينسجم قط مع الاستعداد النفسي للمؤمن الحقيقي (١٢: ٢٥-٢٦)، فهي، فيما تعطي الاولوية لخدمة المائدة، نرى يسوع يؤيد مريم في انها جعلت الاصغاء الى كلامه يتفوق على كل اعتبار. فأَنْ يكون المرء تلميذا ليسوع، فمعناه انه يختار الامر الضروري الوحيد. أليس هذا هو معنى ان نحب الرب من كل القلب وكل النفس وكل القوة؟ ولوقا، بترتيب روايته كما فعل منذ الآية ٢٥، انما يقترح على قارئه السير في هذا الاتجاه.

هل كان من المفيد التوضيح بانه بوسع امرأة ان تصبح تلميذة، على مستوى واحد مع الرجل، ولا تكون مجمّدة في خدمة المائدة؟ لا شك في ذلك. فالتأكيد الذي بموجبه يكون "هذا النصيب الافضل لا يتزع منها"، ألا يتعارض مسبقا مع موقف الكثير من المسيحيين الذين، على مثال مرتا، يصعب عليهم القبول بان تسمع امرأة الكلمة وتصبح خادمتها؟

تعليم عن الصلاة (١:١١ - ١٣)

- ١ ١١ وكان يُصَلِّي في بَعْضِ الْأَمَاكِينِ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ لَهُ أَحَدُ تَلَامِيذِهِ: ((يَا رَبِّ، عَلَّمْنَا أَنْ نُصَلِّيَ كَمَا عَلَّمْتَ يَوْحَنَّا تَلَامِيذَهُ)) .
- ٢ فقال لَهُمْ: ((إِذَا صَلَّيْتُمْ فَقُولُوا: أَيُّهَا الْآبُ لِيُقَدِّسَ اسْمُكَ لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ .
- ٣ أَرْضُقْنَا خُبْرَنَا كَفَافَ يَوْمِنَا
- ٤ وَأَعْفِنَا مِنْ خَطَايَانَا فَإِنَّا نَعْفِي نَحْنُ أَيْضًا كُلَّ مَنْ لَنَا عَلَيْهِ وَلَا تَتْرُكْنَا نَتَعَرَّضُ لِلتَّجْرِبَةِ)) .
- ٥ وقال لَهُمْ: ((مَنْ مِنْكُمْ يَكُونُ لَهُ صَدِيقٌ فَيَمْضِي إِلَيْهِ عِنْدَ نِصْفِ اللَّيْلِ، وَيَقُولُ لَهُ: يَا أَخِي، أَقْرِضْنِي ثَلَاثَةَ أَرْغِفَةٍ،
- ٦ فَقَدْ قَدِمَ عَلَيَّ صَدِيقٌ مِنْ سَفَرٍ، وَلَيْسَ عِنْدِي مَا أَقْدِمُ لَهُ،
- ٧ فَيُجِيبُ ذَاكَ مِنَ الدَّخَالِ: لَا تُرْعِجْنِي، فَالْبَابُ مُقْفَلٌ وَأَوْلَادِي مَعِي فِي الْفِرَاشِ، فَلَا يُمَكِّنُنِي أَنْ أَقُومَ فَأُعْطِيكَ .
- ٨ أَقُولُ لَكُمْ: وَإِنْ لَمْ يَقُمْ وَيُعْطِهِ لِكُونِهِ صَدِيقَهُ، فَإِنَّهُ يَنْهَضُ لِلجَّاجِيَةِ، وَيُعْطِيهِ كُلَّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ .
- ٩ ((وَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِسْأَلُوا تُعْطُوا، أَطْلُبُوا تَجِدُوا، اِقْرَعُوا يَفْتَحْ لَكُمْ .
- ١٠ لِأَنَّ كُلَّ مَنْ يَسْأَلُ يَنَالُ، وَمَنْ يَطْلُبُ يَجِدُ، وَمَنْ يَقْرَعُ يَفْتَحْ لَهُ .
- ١١ فَأَيُّ أَبٍ مِنْكُمْ إِذَا سَأَلَهُ ابْنُهُ سَمَكَةً أَعْطَاهُ بَدَلَ السَّمَكَةِ حَيَّةً؟
- ١٢ أَوْ سَأَلَهُ بَيْضَةً أَعْطَاهُ عَقْرَبًا؟
- ١٣ فَإِذَا كُنْتُمْ أَنْتُمْ الْأَشْرَارَ تَعْرِفُونَ أَنْ تُعْطُوا الْعَطَايَا الصَّالِحَةَ لِأَبْنَائِكُمْ، فَمَا أَوْلَى أَبَاكُمْ السَّمَاوِيِّ بِأَنْ يَهَبَ الرُّوحَ الْقُدُسَ لِلَّذِينَ يَسْأَلُونَهُ)) .

منذ صلاة التسييح التي رفعها يسوع الى الآب (١:١٠: ٢١-٢٢)، سعى الفصل العاشر، باشكال شتى، الى تصوير الموقف الذي يجب على التلميذ ان يتخذه تجاه الله. وان مجرد كون يسوع يصلي -وقد ذكر ذلك لوقا مرارا- أستخدم هنا نقطة انطلاق لطلب يقوم به التلاميذ. والتعليم المعطى يتألف من ثلاثة اقسام: صلاة الرب، مثل الصديق اللجوج، وتطبيقه.

١. صلاة الرب (١:١١ - ٤)

لسنا بصدد الصلاة في حد ذاتها، ولا بصدد كيف نقوم بالتأمل كي نصبح في حالة اصغاء لذلك الآخر. وهوذا تلميذ يطلب الى يسوع نص صلاة بوسعها ان تُضاف الى

الصلوات الرسمية في الحياة اليهودية وتكون الطابع المميز لفريقه، على مثال الصلاة - وإن كنا نجهلها- التي كان المعمدان يستخدمها مع اخصائه. ففي قمران، كان قانون جماعة الاسينيين يتضمن، في هذا المجال، نشيدا يُستخدم في احتفال القبول لاعضاء جدد في عيد العنصرة (١ مخطوطات قمران، عمود ١١، الاسطر ٢-١٥).

وصيغة صلاة الرب التي تلقاها لوقا هي اقصر من صيغة متى ٩: ٦-١٣؛ اها تتضمن نداء وأمينتين وثلاث طلبات. والتلاميذ هم، اولا، مدعوون ومخوّلون للتوجه الى الله، مستخدمين اللفظة التي يستخدمها المعلم في صلاته: "ايها الآب" (راجع ١٠: ٢١)؛ ألم تكن علاقتهم العميقة بالله قد كشفتها لهم (راجع ١٠: ٢٢)؟ ومن ثم يُعبّر عن امنيّتين، لهما ما يوازيهما في الصلاة اليهودية "قديش": "تقدّيس الاسم (ان يتدخل الله ويكشف عن ذاته اها بوجه مكشوف، وان يُعترف به هكذا!) ومجيء الملكوت (ليأت الله بشخصه ويُظهر حضوره السيادي والفاعل!). وهكذا، عبر شكلين مختلفين، صيغ الطلب الملحّ: "تعال ايها الآب!"; ذلك ان الله هو "الموضوع" الوحيد للصلاة الموجهة اليه (٢ آ).

وفي وقت ثانٍ فقط، يتقدم التلاميذ بطلبات ثلاث لانفسهم، بصفتهم يؤلفون جماعة (استخدام ضمير المتكلم الجمع، آ ٣-٤). فالاولى تتعلق بالخبز الذي هم بحاجة اليهم يوميا لمواصلة السير. وكان هنالك قديما تلميح الى المنّ، خبز السماء الذي كان قد سند شعب الله ابان الخروج؛ وكان هذا الخبز، وفق الانتظار اليهودي، مزمعا ان يُعطى من جديد بمثابة طعام لجماعة الازمنة الاخيرة. وخبز الحياة هذا، يُدعى التلاميذ، بحسب لوقا، الى طلبه لكل يوم. وفي المرتبة الثانية، يُطلب من الله ان يرتضي بغفران خطايانا! تلك حاجة ماسة لكي يتسنى لنا ان نلتقي الله الآتي، من دون ان نُصعق بقداسته المهيبة. والغفران الالهي هو عطية مجانية لا يمكننا البتة ان نستحقها، شريطة ان نكون اهلا لاستقبالها. لذا، فاننا حين نرفض ان نغفر للآخر، ألا نعرّض انفسنا لخطر الانغلاق على غفران الله؟ وهناك طلبة اخيرة: ألا نكون معرّضين لتجربة النكران والتخلي عن المسيح يسوع (راجع ٨: ١٣؛ ٢٢: ٤٠).

وان ما يدهش بالاكتر في صلاة الرب هو اها، باهتمامها الكبير في وضع الآب في المركز، لا تقول كلمة عن الابن الذي ارسله. كما ان غياب الكريستولوجيا امر ذو معنى: ذلك ان يسوع، وقد تخلى عن كل اهتمام في التركيز على ذاته، اصبحت عيناه موجّهتين كليا الى الآب. لنلاحظ ايضا صمنا آخر: فيما كانت اكثر الصلوات اليهودية شمولية، صلاة "قديش"، تذكر "بيت اسرائيل"، واحيانا "مدينة اورشليم"، و"المقدس" و"الارض"

المقدسة، لا نجد هنا اية اشارة جغرافية. ذلك ان الاماكن المقدسة قد زالت؛ واصبح بوسع كل الشعوب ان تتلو هذه الصلاة.

٢. مثل الصديق اللجوج (١١: ٥-١٣)

وفيما ينفرد الانجيلي، عبر هذا المثل التالي، هوذا يسلم الضوء على وجه من صلاة الرب: اها صلاة الطلب. وفي هذا المجال، يجب على الانسان ان يتعلم كيف يبرهن على موقف الصمود تجاه الله؛ وهذا الامر هو من الاهمية بمكان، في نظر لوقا، بحيث نراه يكرر هذا التعليم في ١٨: ١-٥ عبر مثل آخر.

ان سؤال البداية اضطر السامع ان يتبناه، ويقوم بحكم شخصي على ذاته، في الوقت الذي كان يسوع مزماً ان يقدم، بشكل واضح، تطبيقاً لهذا المثل (راجع آ ٨). وهكذا ندرك بان الرواية برمتها تلقي الضوء على علاقات الانسان بالله في الصلاة. وسيكون من الخطأ ان نعزل كلاً من عناصرها، وتنخيل، على سبيل المثال، بان الصلاة البشرية توظف الله، او ان الله لا يستجيب لها الا ليتخلص من اللجوجين! ها نحن بازاء ثلاثة اشخاص. فالرجل الوقح، له صديقان لا يعرف احدهما الآخر. وإن هو ذهب يطرق، في الليل، باب احدهما كي يقترض منه خبزاً، فلأن صديقاً آخر يسكن بعيداً جاءه على حين غرة، طالبا منه الضيافة. وكان هذا المسافر قد اخذ الطريق في المساء وحتى اول الليل، ليتجنب حر النهار. ولنقلها للحال: الصديق الذي شاء النائم ان يصرفه، لم يطلب لنفسه شيئاً؛ وانما اصبح وصول الضيف المفاجئ سبب متاعب له! وها هو يستند الى الصداقة التي تربطهما كي يحصل على ثلاث خبزات، الا ان صديقه رفض ان يستجيب له؛ فهو لا يسميه "صديقاً" ويرفض ان يوظف اولاده بنهوضه. والخلاصة التي يخرج بها يسوع، تنطلق بالتحديد من رفض السلوك بدافع الصداقة؛ وهناك دافع آخر سيقود النائم/ المستيقظ الى ان يعطي ما يحتاج اليه الاخر: انه الطابع الوقح لهذه الخطوة الليلية. إذ ان المثابرة تؤدي إلى نتيجة.

٣. تطبيق المثل (١١: ٩-١٣)

ويواصل يسوع تعليمه بشكل احتفالي (آ ٩أ) حين اخذ يوسّع حقل القصة التي رواها في المثل -ويرقى هذا التعليم هنا الى مصدر الاقوال. انه يدعو التلاميذ الى الصلاة (آ ٨) انطلاقاً من معطى سابق من الحكمة البشرية (آ ٩). فلفظة "بحث" يستخدمها الكتاب المقدس في الحديث عن الصلاة (راجع مز ٢٤: ٦؛ ٢٧: ٨). وكما كان بوسع حكيم ان يفعل، اخذ يسوع يعدد ثلاثة اشكال من الطلب: طلب، بحث، قرع، ويعطي

من ثم نتيجة كل منها. ونرى ان التشديد ليس هو على مثابة الانسان، بل على العطية الالهية؛ وهناك ثلاثة افعال بالمجهول تفيد عن عمل الله: **يُعطي** (وليس "استحصلون!")، **يُفتح** (على دفعتين). فعلى الانسان ان يضع ثقته في الذي يُعطي ويفتح.

وهناك توضيحيان لتبرير مثل هذه الثقة (آ ١١-١٢). فكما كان في المثل، هناك سؤال خطابي يأتي ليناشد السامع مباشرة: **اي اب منكم...**؟ ومن هنا نجد انتقالاً تم من من الروابط بين الاصدقاء التي برّزها المثل، الى الروابط بين الاب وابنه. والبرهان الاكبر الذي يقود من السلوك الغامض الى السلوك الناضج، يستند الى التشابه الظاهري بين حية وسمكة، وبين عقرب وبيضة. فلا احد من الالباء على الارض يخيب امل ابنه إن هو تلاعب بهذا التشابه الخدّاع. أليست تلك هي الخبرة اليومية لكل منا؟

ويجب ان نستخرج الدرس (آ ١٣) بتفسير المقارنة بين الآب السماوي والآب الارضي. فان جودة الله لا مثل لها ولا يمكن ان تُقارَن مع جودة الوالدين. لذا يجب ان نُخلص الى القول بان عطاياه هي افضل بما لا يقاس من عطايا الوالدين. وحيث يؤكد مصدر الاقوال -ومنه استقى الانجيلي الآيات ٩-١٣- بان "الله يعطي ما هو صالح للذين يسألونه" (متى ٧: ١١)؛ فالعطية العظمى التي يعطيها الآب لاولاده، موضحة لدى لوقا: الروح القدس. وبالفعل، سيبدو الروح، في سفر الاعمال، بصفته عطية الله المميزة في آخر الازمنة (رسل ٢: ٣٣، ٣٨).

يسوع وبعلازبول. آية يونان (١١: ١٤-٣٦)

- ١٤ وكان يَطْرُدُ شَيْطَانًا أُخْرَسَ. فَلَمَّا خَرَجَ الشَّيْطَانُ تَكَلَّمَ الْأَخْرَسُ فَأَعْجَبَ الْجُمُوعَ.
- ١٥ على أَنَّ أَنَا سَأَسْأَلُ مِنْهُمْ قَالُوا: ((إِنَّهُ بِيَعْلَ زَبُولَ سَيِّدِ الشَّيَاطِينِ يَطْرُدُ الشَّيَاطِينِ)).
- ١٦ وَطَلَبَ مِنْهُ آخَرُونَ آيَةً مِنَ السَّمَاءِ لِيُحَرِّجُوهُ.
- ١٧ فَعَرَفَ قَصْدَهُمْ فَقَالَ لَهُمْ: ((كُلُّ مَمْلَكَةٍ تَنْقَسِمُ عَلَى نَفْسِهَا تَخْرُبُ وَتَهَارُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ.
- ١٨ وَإِذَا انْقَسَمَ الشَّيْطَانُ أَيْضًا عَلَى نَفْسِهِ فَكَيْفَ تَثْبُتُ مَمْلَكَتُهُ ؟ فَإِنَّكُمْ تَقُولُونَ إِنِّي بِيَعْلَ زَبُولَ أَطْرُدُ الشَّيَاطِينِ.
- ١٩ فَإِنْ كُنْتُ أَنَا بِيَعْلَ زَبُولَ أَطْرُدُ الشَّيَاطِينِ، فِمَنْ يَطْرُدُهُمْ أَبْنَاؤُكُمْ؟ لِدَلِكْ هُمْ الَّذِينَ سَيَحْكُمُونَ عَلَيْكُمْ.
- ٢٠ وَأَمَّا إِذَا كُنْتُ يَابِصِعَ اللَّهُ أَطْرُدُ الشَّيَاطِينِ، فَقَدْ وَا فَاكُم مَلَكُوتُ اللَّهِ.

- ٢١ إذا كَانَ الْقَوِيُّ الْمَتَسَلِّحُ يَحْرُسُ دَارَهُ فَإِنَّ أَمْوَالَهُ فِي أَمَانٍ.
- ٢٢ وَلَكِنْ إِذَا فَاجَأَهُ مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنْهُ وَعَلْبَهُ، يَتَرَعَّعُ مَا كَانَ يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ مِنْ سِلَاحٍ، وَيُورَعُّ أَسْلَابَهُ.
- ٢٣ ((مَنْ لَمْ يَكُنْ مَعِيَ كَانَ عَلَيَّ، وَمَنْ لَمْ يَجْمَعْ مَعِيَ كَانَ مُبَدِّدًا)).
- ٢٤ إِنَّ الرُّوحَ النَّجِسَ، إِذَا خَرَجَ مِنَ الْإِنْسَانِ، هَامَ فِي الْقِفَارِ يَطْلُبُ الرَّاحَةَ فَلَا يَجِدُهَا
فَيَقُولُ: أَرْجِعْ إِلَى بَيْتِي الَّذِي مِنْهُ خَرَجْتُ.
- ٢٥ فَيَأْتِي فَيَجِدُهُ مَكْنُوساً مُزِيناً.
- ٢٦ فَيَذْهَبُ وَيَسْتَصْحِبُ سَبْعَةَ أَرْوَاحٍ أَخْبِتَ مِنْهُ، فَيَدْخُلُونَ وَيُقِيمُونَ فِيهِ، فَتَكُونُ حَالَةُ ذَلِكَ الْإِنْسَانِ
الْأَخِيرَةِ أَسْوَأَ مِنْ حَالَتِهِ الْأُولَى)).
- ٢٧ وَبَيْنَمَا هُوَ يَقُولُ ذَلِكَ، إِذَا امْرَأَةٌ رَفَعَتْ صَوْتَهَا مِنَ الْجَمْعِ فَقَالَتْ لَهُ: ((طوبى لِلْبَطْنِ
الَّذِي حَمَلَكَ، وَلِلثَدْيَيْنِ اللَّذَيْنِ رَضِعْتَهُمَا !))
- ٢٨ فقال: ((بل طوبى لِمَنْ يَسْمَعُ كَلِمَةَ اللَّهِ وَيَحْفَظُهَا))).
- ٢٩ وَاحْتَشَدَتْ الْجُمُوعُ فَأَخَذَ يَقُولُ: ((إِنَّ هَذَا الْجِيلَ جِيلٌ فَاسِدٌ يَطْلُبُ آيَةَ، وَلَنْ يُعْطَى
سِوَى آيَةِ يُونَانَ.
- ٣٠ فَكَمَا كَانَ يُونَانٌ آيَةً لِأَهْلِ نِينَوَى، فَكَذَلِكَ يَكُونُ ابْنُ الْإِنْسَانِ آيَةً لِهَذَا الْجِيلِ.
- ٣١ مَلِكَةُ التَّيْمَنِ تَقُومُ يَوْمَ الدَّيْنُونَةِ مَعَ رِجَالِ هَذَا الْجِيلِ وَتَحْكُمُ عَلَيْهِمْ، لِأَنَّهَا جَاءَتْ مِنَ
أَقْصَى الْأَرْضِ لِتَسْمَعَ حِكْمَةَ سُلَيْمَانَ، وَهَهُنَا أَعْظَمُ مِنْ سُلَيْمَانَ.
- ٣٢ رِجَالُ نِينَوَى يَقُومُونَ يَوْمَ الدَّيْنُونَةِ مَعَ هَذَا الْجِيلِ وَيَحْكُمُونَ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُمْ تَابُوا بِإِنذَارِ
يُونَانَ، وَهَهُنَا أَعْظَمُ مِنْ يُونَانَ)).
- ٣٣ مَا مِنْ أَحَدٍ يُوَقِّدُ سِرَاجًا وَيَضَعُهُ فِي مَخْبَأٍ أَوْ تَحْتَ الْمِكْيَالِ، بَلْ عَلَى الْمَنَارَةِ، لِيَسْتَضِيَ بِهِ الدَّاخِلُونَ.
- ٣٤ سِرَاجُ جَسَدِكَ هُوَ عَيْنُكَ. فَإِذَا كَانَتْ عَيْنُكَ سَلِيمَةً، كَانَ جَسَدُكَ كُلُّهُ نَيْرًا. وَأَمَّا إِذَا
كَانَتْ مَرِيضَةً، فَجَسَدُكَ كُلُّهُ يَكُونُ مُظْلِمًا.
- ٣٥ فَانظُرْ هَلِ النُّورُ الَّذِي فِيكَ هُوَ ظَلَامٌ.
- ٣٦ فَإِنْ جَسَدُكَ كُلُّهُ نَيْرًا وَلَيْسَ فِيهِ جَانِبٌ مُظْلِمٌ، كَانَ بِإِجْمَاعِهِ نَيْرًا كَمَا لَوْ أَنَارَ لَكَ السِّرَاجُ بِضَوْئِهِ)).

يوحّد لوقا، مرة أخرى، مواد تقليدية في مجمل واسع: طرد شيطان (آ ١٤) يقود
الى مجاهمة مضاعفة ضده (آ ١٥، آ ١٦)؛ وينطلق ردّ المعلم عبر مرحلتين (آ ١٧-٢٨؛ آ
٢٩-٣٦).

١. معارضة مضاعفة ضد يسوع (١٤: ١٦-١١)

هوذا رجل مصاب بالكم؛ وخلافا لحالة زكريا (٢٠: ١)، كان هذا الكم بسبب شيطان خاص يُعرف بـ "بعزبول" رئيس الشياطين. تبدأ الرواية، اذن، بعملية طرد، الا انها حُكيت بطريقة غير مألوفة. ليس هناك اية اشارة الى الظروف، ومع اقتضاب الشفاء في حد ذاته، تلت ردود فعل مختلفة لدى الحاضرين. فمن الجمع الذي اصبح منقسما، ظهرت المعارضة للمرة الاولى. من اين ليسوع هذا السلطان؟ واذا كان كثيرون معجبين، هناك آخرون يتهمون يسوع بالسحر، فيما يريد آخرون ان يمتحنوا يسوع مطالبين اياه باوراق اعتماد! وسوف يردّ يسوع فورا على التهمة الواردة في آ ١٥، ولكن يترتب علينا ان ننتظر ١١: ٢٩ كي يُجاوب الى طلب الآية الوارد في آ ١٦. هذه البنية تثير جيدا وظيفة المعجزات ابان الصعود الى اورشليم (٩: ٥١-١٩: ٢٨). فقيما كانت المعجزات، في القسم السابق، تقود المشاهد الى طرح السؤال حول هوية يسوع (على سبيل ٨: ٢٥)، يبدو هدفها منذ الآن "اثارة الجدل، ومن ثم الكشف عن الدوافع العميقة وراء الرفض والمقاومة" (ج. ن. آلتي).

يؤخذ على يسوع انه يستخدم القدرات الشيطانية كي ينجح في طرد الشياطين. هناك تقليد يهودي من القرن الثاني يفسر هذا الاعتقاد بالشكل التالي: "لقد مارس السحر، وسحر اسرائيل وجعل منه كافرا" (التلموذ، السنهدريم ٤٣: أ) والنص البيبلي القريب من هذا الاتهام، نجده في تث ١٣: ٢-٦: "فعرض عليكم آية او خارقة، ولو تمت الآية او الخارقة التي كلمك عنها، وقال لك: لنسُر وراء آلهة اخرى (لم تعرفها) فلا تسمع كلام هذا النبي... ويُقتل لانه نادى بالتمرد على الرب الهكم". هكذا، اذن: فان مقياس الحكم على نبي، ليس عظمة العجائب التي يصنعها، وانما امانة تعليمه على الايمان بالله الواحد؛ فاي طرد لشيطان يعدل بالشعب عن هذا الايمان، لا يمكنه ان يأتي من الله، باي حال من الاحوال.

ومن دون ريب يقبل يسوع، تماما، بالبينة التي قدّمها سفر التثنية. وسيكون هذا المرجع ذاته في خلفية رد الآيتين ١٩-٢٠. فكما نحكم على الشجرة من ثمارها (٦: ٤٣-٤٥)، يجب الحكم على حالات الطرد والشفاءات الاخرى بمقدار ارتباطها بمجيء الملكوت.

٢. الجواب المتعلق بعزبول (١٧: ١١-٢٦)

يبدأ يسوع في التشديد على ما ليست لديه حالات طرد الشياطين، ويشجب أن يتهم بأنه يقوم بالطرد بواسطة بعزبول (١٧-١٩). وفيما توحى صورتان بالنتائج التي

تخلّفها حرب اهلية على مملكة ما او على اسرة مالكة ما، تبيّن ان الانتقاد الوارد في آ ١٥ - وقد اورده يسوع في آ ١٨ب- غير منطقي: فالانقسام يؤدي الى الخراب. فكما هي الحال في اي مجتمع كان، لا يمكن لبعزلبول (من لفظة **بعل** "امير"، وهو اسم آخر للشيطان) ان يتساهل مع انقسام كهذا في صفوفه (آ ١٧-١٨). ومن جانب اخر، نسي خصوم يسوع بان هناك أناساً من عندهم يقومون بتعزيزات ناجحة، دون ان تُلصق بهم تهمة "عملاء الشيطان"! وهنا ايضا يجب ان نكون منطقيين ونعترف، بان هناك، في الحالتين، من هو وراء العمل: الله!

ونجد في الآيات ٢٠-٢٣ تشديداً على فريدة حالات الطرد التي يجريها يسوع. هناك، اولاً، حديث عن **"اصبح الله"**؛ وهذه العبارة من العهد القديم، وترقى اصولها الى خر ٨: ١٥، تعني تدخل الله المباشر والواقعي في العالم. ونلاحظ من ثم ضمير **"الأنا"** الاحتفالي ليسوع: **"وافاكم مُلك الله"**، وهو يخاطب محدثيه عبر عمله القدير، وليس عبر عمل سائر المعزّمين اليهود. والبرهان الاعظم الذي يدلّل على ان يسوع لا يعمل باسم الشيطان، هو ان كرازته تتمحور حول **مُلك الله** - وهذا على العكس تماماً من الدعوة الى الكفر (راجع تث ١٣: ٢-٦، وقد اثبتناها اعلاه)! وكما في ١٧: ٢١، فان الملكوت وعمل الله الفاعل ليس هو امر مستقبلي للذين يحيطون بيسوع، وانما يعمل في ما بينهم (آ ٢٠). والتعليم الاقصى يُعطى في صيغة مثل يعبر عن انتصار يسوع على الشيطان (آ ٢١-٢٢). فالشيطان هو **ذاك الرجل القوي المسلح الذي يحرس قصره** بعناية، اي مملكته التي ترمز الاموال فيها الى الناس **"المسوسين"** من قبل سادتها الشياطين. ونجد انتصار **من هو اقوى** - عبر عملية الطرد - مفضلاً؛ وتجدر الاشارة الى ان العبارة ذاتها كانت تقصد يسوع في ٣: ١٦. والتحذير الاخير ينتمي الى عين السجل العسكري ويستخلص مردودات هذا الصراع بين يسوع والشر (آ ٢٣). الا انه يختلف كلياً عن الكلام الوارد في ٩: ٥٠، إذ ان سياقه مختلف بالتمام. وازاء هذه الحرب الاسكاتولوجية، والنهائية - وفيها يبرز التضاد بين **مُلك الله** و**مُلك الشيطان** - يستحيل موقف الحياد، ويترتب على كل انسان ان يختار معسكره. فمن لا يصطف الى جانب يسوع يكون قد قام بالخيار السيئ.

يختّم يسوع جوابه لمتهميه بتحذير (آ ٢٤-٢٦) يفعل فيه مفهومًا شعبياً شبيهاً بالمفهوم الذي لقيناه في ٣١: ٨-٣٣. كيف التأكد من ان انساناً أُخرج منه **روح نجس**، واصبح من ثم كل شيء لديه مرتّباً، لن يعود يسقط ثانية، وبالاكثر، لن يقع في قبضة فريق **اكثر شراً**؟ الرقم **سبعة** يشير الى الطابع التدرجي في المسّ الشيطاني، ويذكر القارئ، في

الوقت ذاته، بان هذا المسّ ذاته لن يخرج عن قدرة يسوع الشفائية (راجع مريم المجدلية في ٢:٨). فلا يكفي، اذن، ان يكون الانسان قد تحرر من قبضة الشيطان، وانما يترتب عليه ان يكون من جانب يسوع (راجع آ ٢٣)، وان يتلقى ملكوت الله الذي تشير الشفاءات بقوة الى مجيئه.

٣. السعادة الحقيقية (١١: ٢٧- ٢٨)

حينئذ تبرز امرأة بين الجمع بردّ فعل هو على العكس من المعارضين والمتشككين الذين لقيناهم في ١١: ١٥-١٦. انما، فيما أعجبت بكراسة يسوع، صرّحت بان **طوبى للبطن الذي حمّله وللثديين اللذين رضع منهما** - وكلاهما طابعا الامومة اللذان يلوّحان إلى مريم. فيسوع، دون ان يرفض هذه الطوبى التي تصدي لـ ١: ٤٨، يعرض طوبى اخرى، ذات اولوية، تذكّر بما كان يعلمه من قبل: لا يكفي ان **نسمع الكلمة**، وانما ينبغي ان **نحفظها** (٦: ٤٦-٤٩؛ ٨: ١٥؛ وبالاخص ٨: ١٩-٢١).

وفي الواقع، أليست الطريقة الحقة لتجنب اية عودة للروح النجس تقوم في **تطبيق** هذه الكلمة. وعلى العكس، أليست الرغبة في الحصول على آية من السماء يجتريها يسوع (راجع آ ١٦) هي المؤشر الواضح الى الذي سمع الكلمة ولم يحفظها، على مثال الحبة التي لا تتوصل الى النضوج (راجع ٨: ١٤).

٤. الجواب الثاني: آية يونان (١١: ٢٩- ٣٦)

فيما كانت **الجموع قد ازدحمت**، هوذا يسوع يجيب الان الذين يطالبون بآية باهرة تؤيد رسالته بصفة مرسل (راجع آ ١٦)، فيما تناشدهم بالتالي بشكل قاس: فلفظه "جيل"، على لسان يسوع، كما هي الحال غالبا في الكتاب المقدس والنصوص اليهودية، هي ذات رنة سلبية، وهي، كما في تث ١: ٣٥، تستخدم لفصح عدم الايمان. والله يرفض ان يعطي آية لهذا الجيل، الا آية يونان (آ ٢٩).

وسفر يونان هو بمثابة امثلة روائية يبدأ فيها البطل برفض الاستجابة الى المهمة التي يعهدا اليه الله، ويسكن من ثم في بطن سمكة كبيرة - وتوحي هذه الرواية "بالرحلة الى مركز الارض" بقلم جول فيرن! وبالتالي، نرى الرجل، مرغما، وليس بطيب خاطر، يركز بالتوبة في نينوى. وبخلاف القراءة التي قام بها متى ١٢: ٤٠، ليست لآية يونان هنا اية علاقة مع اقامته الغريبة في بطن هذا المسخ البحري، ولا علاقة لها، بالتالي، مع قيامة ابن الانسان في فجر الفصح. وفي التفسير المعطى (آ ٣٠)، ليست الآية قط سوى النداء الى التوبة الذي اطلقه يونان لاهل نينوى - وهم احد الاقوام الوثنية المعروفة بالقسوة في

العصور القديمة؛ وها هو النداء يُسفر عن نجاح تام: فالملك، والرجال، وحتى الحيوانات قاموا بالتوبة وصاموا ووضعوا الرماد على رؤوسهم! هكذا الحال مع هذا الجليل الذي لن يُعطي آية سوى آية ابن الانسان وكرازته؛ فالآية الوحيدة هي الدعوة الى الاهتداء. وهذا لا يعني ان نطلق الاحكام مسبقا بان الله ومسيحه يبخلان بالآيات! فان مثل الغني ولعازر سوف يشدد بحق على ان الذي لا يهتدي لدى سماعه كلمة الله، لن يهتدي بالاكثر اذا ما رأى ميثا يقوم (٣١:١٦)...

هناك تشبيهان يبينان ذلك: يسوع يعلم ان كرازته لن يكون لها الفاعلية التي كانت لكرازة يونان. الا ان الآيتين ٣١-٣٢ تذهبان الى ابعد. فيسوع يرجع اولا الى امل ١٠: ١٣-١: ملكة سبأ لا تصدق ما تسمعه عن حكمة الملك، ابن داود، وها هي تأتي لتمتحنه بالالغاز. هذا الموقف الاولي هو موقف الذين يطالبون يسوع بأية (١٦:١١)؛ غير ان الملكة سرعان ما اعترفت بان سليمان يفوق حكمة عما سمعت عنه. لذلك، فحين ستقوم في الدينونة الاخيرة، ومعها الاسرائيليون الذين يكونون قد رفضوا الاصغاء لاقوال يسوع، سيحكم الله على هؤلاء، مشبها رفضهم الاعتراف بالحكمة الآتية من السماء في يسوع، باسراع الملكة الى الاعتراف بحكمة سليمان البشرية. وهكذا ايضا سينقلب موقف النينويين الايجابي ضد معاصري يسوع. وهناك ستمتان يجب ملاحظتهما في كل هذا: الواحدة تشدد على شمولية الخلاص، إذ ان الوثنيين يتجاوبون، افضل من اسرائيل، مع النداء الى الاهتداء (راجع ايضا ٧: ٩؛ رسل ١٣: ٤٤-٥٢؛ ٢٨: ٢٣-٢٩)؛ وللحال، فعلى العكس من الاعتقاد اليهودي، سيكونون هم الذين "يدينون" اسرائيل في الدينونة الاخيرة! اما السمة الثانية، فهي في خدمة الكريستولوجيا التي يُعبر عنها عبر مقارنات: مجيء الملكوت وحدث يسوع هما اعظم من سليمان ومن يونان. ويسوع هو "اعظم" من الملك الاكثر حكمة، واعظم من نبي.

لقد اختار لوقا ان يختتم جواب يسوع حول آية يونان بقولين "مصوّرين" يجمعهما موضوع السراج والنور (آ ٣٣-٣٦). الاول (آ ٣٣) هو تكرار لـ ٦: ٨؛ الا ان السياق السابق، المركز حول عظمة ابن الانسان، يحدث تغييرا كاملا في معناه. ذلك ان الكرازة بالملكوت وشخص يسوع ممثّلان بسراج موضوع في مكان عال كي يشع نوره على الذين يدخلون في البيت؛ ولا حاجة لآية اخرى من السماء لتثبيت صحته (راجع ١١: ٢٩). اما القول الثاني (آ ٣٤-٣٦)، فهو موجّه بالمخاطب المفرد، وفقا للسياق، الى كل واحد من الذين يبحثون عن آيات. فالنور يعطى للجسد البشري بواسطة العين التي يمكن مقارنتها بسراج؛ وكل شيء يرتبط بنوعية العين.. فليختبر، اذن، كل واحد نفسه،

ويتفحص اذا ما كان النور الداخلي الذي يعتقد انه يمتلكه، ظلاماً! فمن كان حقاً شفافاً للنور، من دون اي اثر ظلمة، فذاك يقبل ان يستنير بكلمة الله. فبمقدار الجليل الذي يبحث عن آية، يتوجب على المسيحي ان يعتبر نفسه معنيا ويتساءل اذا ما كان فيه اي جزء مظلم.

ضد الفريسيين وعلواء الشريعة (١١ : ٣٧ - ٥٤)

- ٣٧ و بَيْنَمَا هُوَ يَقُولُ ذَلِكَ، دَعَاهُ أَحَدُ الْفَرِيسِيِّينَ إِلَى الْغَدَاءِ عِنْدَهُ. فَدَخَلَ بَيْتَهُ وَجَلَسَ لِلطَّعَامِ.
- ٣٨ وَرَأَى الْفَرِيسِيُّ ذَلِكَ فَعَجِبَ مِنْ أَنَّهُ لَمْ يَغْتَسِلْ أَوْلًا قَبْلَ الْغَدَاءِ.
- ٣٩ فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ ((:أَيُّهَا الْفَرِيسِيُّونَ، أَنْتُمْ الْآنَ تُطَهَّرُونَ ظَاهِرَ الْكَأْسِ وَالصَّحْفَةِ، وَبَاطِنَكُمْ مُمْتَلِئٌ نَهَبًا وَخُبْنًا.
- ٤٠ أَيُّهَا الْأَغْيِيَاءُ، أَلَيْسَ الَّذِي صَنَعَ الظَّاهِرَ قَدْ صَنَعَ الْبَاطِنَ أَيْضًا؟
- ٤١ فَتَصَدَّقُوا بِمَا فِيهِمَا، يَكُنْ كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ طَاهِرًا.
- ٤٢ وَلَكِنَّ الْوَيْلَ لَكُمْ أَيُّهَا الْفَرِيسِيُّونَ، فَإِنَّكُمْ تُؤَدُّونَ عُشْرَ النَّعْنَعِ وَالسَّنَدَابِ وَسَائِرِ الْبُقُولِ، وَتُهْمَلُونَ الْعَدْلَ وَمَحَبَّةَ اللَّهِ. فَهَذَا مَا كَانَ يَجِبُ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِ مِنْ دُونِ أَنْ تُهْمَلُوا ذَاكَ.
- ٤٣ الْوَيْلَ لَكُمْ أَيُّهَا الْفَرِيسِيُّونَ، فَإِنَّكُمْ تُحِثُونَ صَدْرَ الْجِلْسِ فِي الْمَجَامِعِ وَتَلْقِي التَّحِيَّاتِ فِي السَّاحَاتِ.
- ٤٤ الْوَيْلَ لَكُمْ، أَنْتُمْ أَشْبَهَةُ الْقُبُورِ الَّتِي لَا عَلَامَةَ عَلَيْهَا، يَمْشِي النَّاسُ عَلَيْهَا وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ.))
- ٤٥ فَاجَابَهُ أَحَدُ عُلَمَاءِ الشَّرِيعَةِ: ((يَا مُعَلِّمُ، بِقَوْلِكَ هَذَا تَشْتُمُنَا نَحْنُ أَيْضًا.))
- ٤٦ فَقَالَ: ((الْوَيْلَ لَكُمْ أَنْتُمْ أَيْضًا يَا عُلَمَاءَ الشَّرِيعَةِ، فَإِنَّكُمْ تُحْمَلُونَ النَّاسَ أَهْمَالًا ثَقِيلَةً، وَأَنْتُمْ لَا تَمَسُّونَ هَذِهِ الْأَهْمَالَ بِأَحْدَى أَصَابِعِكُمْ.
- ٤٧ الْوَيْلَ لَكُمْ، فَإِنَّكُمْ تَبْنُونَ قُبُورَ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَبَاؤُكُمْ هُمُ الَّذِينَ قَتَلُوهُمْ.
- ٤٨ فَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ عَلَى أَنْكُمْ تُوَافِقُونَ عَلَى أَعْمَالِ آبَائِكُمْ: هُمْ قَتَلُوهُمْ وَأَنْتُمْ تَبْنُونَ قُبُورَهُمْ .
- ٤٩)) وَلِذَلِكَ قَالَتْ حِكْمَةُ اللَّهِ: سَأُرْسِلُ إِلَيْهِمُ الْأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ، وَسَيَقْتُلُونَ مِنْهُمْ وَيَضْطَهِدُونَ،
- ٥٠ حَتَّى يُطَالِبَ هَذَا الْجِيلُ بَدَمَ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِي سَفِكَ مِنْذُ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ،
- ٥١ مِنْ دَمِ هَابِيلَ إِلَى دَمِ زَكَرِيَّا الَّذِي هَلَكَ بَيْنَ الْمَذْبَحِ وَالْهَيْكَلِ. أَقُولُ لَكُمْ: أَجَلُ، إِنَّهُ سَيَطَالِبُ بِهِ هَذَا الْجِيلُ .
- ٥٢)) الْوَيْلَ لَكُمْ يَا عُلَمَاءَ الشَّرِيعَةِ، قَدْ اسْتَوْلَيْتُمْ عَلَى مِفْتَاحِ الْمَعْرِفَةِ، فَلَمْ تَدْخُلُوا أَنْتُمْ، وَالَّذِينَ أَرَادُوا الدُّخُولَ مَنَعْتُمُوهُمْ.))

٥٣ فلَمَّا خَرَجَ مِنْ هُنَاكَ، بَلَغَ حَقْدَ الْكُتْبَةِ وَالْفَرِيسِيِّينَ عَلَيْهِ مَبْلَغًا شَدِيدًا، فَجَعَلُوا يَسْتَنْدِرِجُونَهُ إِلَى الْكَلَامِ عَلَى أُمُورٍ كَثِيرَةٍ،
٥٤ وَهُمْ يَنْصُبُونَ الْمَكَائِدَ لِيَصْطَادُوا مِنْ فَمِهِ كَلِمَةً.

يسوع مدعو الى الغداء لدى فريسي. وكما في ٣٦:٧ + ١٤:١، كانت فرصة له ليعبر عن اختلافه. ففي هذا الاطار الروائي (آ ٣٧-٣٨؛ آ ٥٣-٥٤)، وجه يسوع اولاً، تأنيبات الى الفريسيين (آ ٣٩-٤٤)، ومن ثم، وبعد تدخل عالم شريعة، تابع انتقاده باتجاه الكتبة (آ ٤٥-٥٢). وبالنسبة الى هذين الفريقين، يندرج تدخل المعلم في اسلوب ادبي هو اسلوب "الويلات" الذي صادفناه في ١٠:١٣ بشأن مدن البحيرة، ولا سيما في ٦:٢٤-٢٦ في الوجه السالب للتطويات.

كان سلوك يسوع نقطة انطلاق. فهو، حين لم يمارس طقس غسل الايدي (راجع ايضا مر ٧:١-٥)، يكون قد اهمل حركة فرضها التقليد. ذلك ان هذا الطقس، بالنسبة الى الفريسيين، ليس موضوعاً صحياً بالمعنى العصري، انما هو دواء ديني لنجاسات طقسية، او تلوثات مختلفة، فيها من العدوى الى حد ما. ويسوع نفسه، ألم يتلوث بتعامله مع ممسوس (٤:١١) ومع الجمع (١١:٢٩).

١. تأنيبات تجاه الفريسيين (١١:٣٩-٤٤)

اخذ الرب يتدخل في مشكلة الطهارة هذه (آ ٣٩-٤١). والعنوان الذي يعطيه لوقا في بدء هذه المنازلة يؤكد على سلطته التعليمية بشأن ملف لا يزال ساخناً في المسيحية الاولى. والمأخذ يدور حول التضاد بين الخارج والداخل، وينتقل من الممارسة الطقسية الى السلوك الاخلاقي. ويسوع، ازاء العناية المعطاة للطقس الخارجي والمادي -وقد تم الانتقال من غسل الايدي الى غسل ادوات الاكل-، اظهر التضاد مع موقف الفريسيين غير المباليين بالنجاسة (النهب والخبث) التي تسكنهم. مع العلم ان الخزاف يصنع، في وقت واحد، داخل الجرة وخارجها؛ والخالق يهتم، هو نفسه، بداخل كيان الانسان كما بخارجه. واخيراً -ونجدنا بازاء لمسة لوقاوية جدا- يؤكد المسيح ان الصدقة تتخذ مكان كل قواعد الطهارة؛ فمن يعطي الفقراء، يصبح كل شيء طاهراً. انه يطبق على مجال الطهارة الطقسية ما كان طويلاً قد اكده حين قال: "الصدقة تطهر من كل خطيئة" (طو ١٢:٩). لذا لم يبق لمؤمن القرن العشرين من ثم سوى ان يصغي الى ما يقوله روح المسيح للكنايس: وهكذا تتخذ الصدقة منذ الآن، مختلف اشكال التضامن الحالية.

في الويلات الثلاثة التالية، يعدد يسوع ثلاثة مواقف تذهب بالفريسيين الى هلاكهم، هم الذين يقومون بقراءة سيئة للشريعة. اهم يُبدون غيراً حين يُؤدون العشر -

ضريبة تقدم للهيكل) عن نباتات بقولية صغيرة لم ترد في القوانين القديمة (نح ١٣: ١٠-١٣)؛ ولكنهم يهتمون المتطلبات الاخلاقية والدينية في الشريعة (راجع ١٠: ٢٧). ويسوع، من دون ان يردل، في هذه النقطة، التعليمات التي ادلى به التقليد الشفهي، ذكر بطابعها الثانوي (آ ٤٢). وعلى مستوى ثانٍ، يفاخر الفريسيون بالاعتراف الشعبي بممارساتهم الخارجية او الزائدة، ولكن لا استحقاق لهم طالما اهم يهتمون الاساسي (آ ٤٣). واخيرا، نجد المآخذ الموجه اليهم في آ ٣٩ - وتلقي عليه الضوء صورة القبور (آ ٤٤) - في صيغة "ويل". فالقبر هو موضوع نجس بشكل خاص بسبب الجثة التي يحتويها؛ واذا لم يكن هناك البتة ما يشير الى وجودها على سطح الارض، فان عابر السبيل يمشي عليها دون ان يعلم، وبالتالي يكون قد تعرّض لنجاسة جسيمة (عد ١٩: ١١-١٦). وهكذا فان ظاهر الفريسيين الذي لا لوم عليه، قد ينسي بان "داخلهم" الخبيث مُعدٍ. الا ان كلمة "مراعاة" - وهي تعني بالضبط عدم التوافق بين الخارج المغربي، وبين الداخل، اي القلب، البعيد عن الله - لم تُلفظ بعد؛ وستُعلن في ١٢: ١.

٢. تأنيبات تجاه علماء الشريعة (١١: ٤٥-٥٢)

لقد اهتم يسوع اتمامه لاولئك الذين يمارسون الشريعة، بمحافظتهم، بكثير من الوسواس، على ما هو ثانوي، واهمهم ما هو جوهرى. وهوذا عالم شريعة، اي واحد من الاختصاصيين في الشريعة الذين تنظّم تفسيراتهم حياة الفريسي اليومية، يشعر، وبحق، انه معني بمرافعة يسوع (آ ٤٥). وها هو يسوع يرفع الدعوى على المتشددين، مستخدما عين الولايات، من جديد، وعلى ثلاث دفعات. ذلك ان علماء الشريعة، في عملهم الدؤوب لتفسير الشريعة، أولا، يخلقون تعقيدات في القوانين المفصلة اكثر فاكثر، إلى جانب مجموعة من الوصايا تقيد الشعب كله؛ ولكنهم لا يفعلون شيئا لمد يد العون الى الذين يرزحون تحت حمل الشريعة المفسرة بهذه الطريقة (آ ٤٦). ألم يكن من واجبه ان يساعدهم حين يبينون لهم، أولا، ما هو في اصل الشريعة: حب الله لشعبه؟

والسلوك الثاني الجامد (آ ٤٧-٤٨) مع التوسّع الذي استُخرج منه (آ ٤٩-٥١) يستندان الى تقليد يهودي شفهي هام يتعلق بالاضطهاد والقتل اللذين اترفهما شعب اسرائيل بحق انبيائه. وينقل لنا الكتاب المنحول في "حياة الانبياء" ان اشعيا نُشر الى قسمين، وارميا مات برجم الشعب، وعاموس قُتل الخ... (راجع عب ١١: ٣٢-٤٠) كما يذكر ايضا مقتل زكريا ابن يوياداع (راجع ٢: ٢٤-٢٢)، ويجعل قبره في اورشليم مع قبر اشعيا. ويسوع احتج على الذين يبنون اضرحة على قبور عدد من الانبياء الكبار، وقد استشهدوا على يد اجدادهم. ومثل هذه البنائيات، عوضا عن ان تعبر عن توجه

البنائين، كانت تشير إلى ان الناطقين الحقيقيين الوحيديين باسم الله، هم، في نظرهم، الانبياء الاموات الذين كانوا يعترفون... الاجيال السالفة.

كتبة وفريسيون

تجربة كل الزمان

ازاء عظماء الكهنة (الارستقراطية الكهنوتية) والشيوخ (الارستقراطية العلمانية)، يسعى الكتبة الى ان يصبحوا، في القرن الاول، الطبقة العليا. لقد جاءوا من كل طبقات المجتمع - وكان هناك كهنة بينهم-، ويستمدون سلطتهم من معرفتهم؛ فمن معلمهم تلقوا التقليد في مجال التشريعات الدينية ويسلمونه الى تلاميذ. وهم بذلك يتخذون قرارات في المسائل المتعلقة بهذا التشريع وبقانون العقوبات. واذا كان عدد كبير من الكتبة ينتمي الى التيار الفريسي، فان البعض الآخر ينتمي الى تقليد دينية مختلفة (الصدوقيون على سبيل المثال).

والفريسيون هم بمثابة حركة تقوية، اعضاؤها من العلمانيين في الغالب - ولم تكن للكهنة الذين ينضمون اليهم، اية امتيازات خاصة- وهي معدة لانشاء "الجماعة المقدسة" الحققة في اسرائيل. لذا، فان قواعد الطهارة الطقسية التي فرضتها الشريعة على الكهنة في الخدمة، سرعان ما جعلوها تشمل كل الشعب اليهودي وكل ظروف الحياة. واذا كان قادة الحركة كتبة، الا ان الكثيرين من اعضائها لم يتلقوا مثل هذه التنشئة ويكتفون بالامتثال بالقواعد التي تتعلق بالاعشور وبالطهارة الطقسية.

ولكم شخصت النصوص الرايبينية، وعلى دفعات متعددة، الانحرافات التي تُفسد سلوك الفريسيين. "هناك سبعة اشكال من الفريسيين: الفريسي الذي يتباهى بنفسه [= ذو التقوى النظاهرية]، والفريسي المحاسب [= وهو يحسب الارباح والخسائر المتأتية من الوصايا المتممة ومن التعدييات المقترفة]، والفريسي الذي يكسب الوقت [= مبرراً نفسه بحجة الواجب الديني الذي ينتظره، كي يتماهل في اعطاء عماله طعامهم]؛ والفريسي الذي لا يهتم سوى شخصه؛ والفريسي الذي يقول: ما هو الالتزام المفروض عليّ كي اذهب واكمله؛ والفريسي الذي يعتريه الخوف الشبيه بخوف ايوب؛ وفريسي المحبة الشبيهة بمحبة ابراهيم" (أفوت رابي ناشان، أ ٣٧، ب ٤٥). وهكذا نرى ان اكثر من ثلثي هذا التعداد يهتم بـ "القروح" التي ترافق السلوك الفريسي؛ لا بل ان هدف الحركة بوسعه، في الواقع، أن يوصل الى مثل هذه التجاوزات.

بعد كل هذا، من الواضح ان "الفريسية" والشريعةانية اللتين شجبهما يسوع هما انحرافان دينيان ليسا وقفيا على بعض اليهود من معاصري يسوع. واذا اورد لوقا باسهاب هذه الانحرافات، فلأنها تهدد المسيحي ايضا. فليس هدف النص ان يطلعنا على الانحرافات القديمة، وانما ليحذرنا من قروح قد تصيبنا جميعا، بكثير او قليل.

وكان مشروع الحكمة الازلية ان تبعث انبياء ومرسلين، أي رسلا يدعون الشعب الى الاهتداء؛ مشروع لن يفشل بسبب قتلهم؛ علماً بان مقتل الانبياء كان واقعا مستمرا في التاريخ. فلقد كان اول نبي شهيد هو هايل (تك ٤: ٨)؛ وفي التقليد الشفهي، أُستشهد على يد اخيه قاثين لأنه أكد على ان الله عادل وسيقيم الاموات. وهكذا، فان هذا الموضوع، في نظر يسوع، متواصل منذ الصفحات الاولى من الكتاب المقدس العبري (التكوين) والى الصفحات الاخيرة (٢أخ ٢٤: ٢٢: مقتل نبي في الهيكل اسمه زكريا). والكريستولوجيا، مع تحفظها، حاضرة في هذا المقطع: يسوع، النبي الاخير، المرسل بكل معنى الكلمة، سيلقى مصير اسلافه. انه في الواقع "النبي"، طالما هو الوسيط بين الله والبشر في نقل رسالة الخلاص. ويجب ان تتوضح الامور: اذا لم يقطع هذا الجليل صلاته مع سلوك الاجداد الاجرامي، سترتب عليه من ثم ان يجيب عن دم كل الانبياء! فالله سينتقم لشهدهائه ويحكم على قاتليهم. وهكذا تستتب العدالة!

هوذا يسوع يُطلق تأنيبا اخيرا (٥٢١). فان علماء الشريعة، بحكم معرفتهم بالاسفار المقدسة، قبضوا على المفتاح الذي يفتح الطريق الى معرفة الله ومخططه الخلاصي. وبالتالي، لم يدخلوا هم انفسهم الى ملكوت الله الذي اتى في وسطهم حسب؛ وانما عملوا، فضلاً عن ذلك، كل ما في وسعهم لمنع الآخرين من الدخول اليه! ويجتم الاطار الروائي هذه الرواية بشكل تهديد (٥٣١-٥٤): بلغ حقد الكتبة والفريسيين عليه مبلغا شديدا. وعوضا عن ان يهتدوا، مستخلصين الدرس من كل ما سمعوه، نراهم يبادرون الى السير في الطريق التي سلكها اجدادهم. انهم سوف يلعبون دور المثيرين وينصبون المكائد للنبي الاخير كي يوقعوا به.

الاعتراف دون خوف بابن الانسان (١: ١٢- ١٢)

١ ٢ **وَاجْتَمَعَ فِي أُنَاءِ ذَلِكَ أُلُوفٌ مِنَ النَّاسِ، حَتَّى دَاسَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَأَخَذَ يَقُولُ لِتَلَامِيذِهِ أَوَّلًا: ((إِيَّاكُمْ وَخَمِيرَ الْفَرِيسِيِّينَ، أَيِ الرِّبَاةِ.**

٢ **فَمَا مِنْ مَسْتَوْرٍ إِلَّا سَيُكْشَفُ، وَلَا مِنْ مَكْتُومٍ إِلَّا سَيُعْلَمُ.**

٣ **فَكُلُّ مَا قُلْتُمُوهُ فِي الظُّلُمَاتِ سَيُسْمَعُ فِي وُضْحِ النَّهَارِ، وَمَا قُلْتُمُوهُ فِي الْمَخَابِي هَمْسًا فِي الأُذُنِ سَيُنَادِي بِهِ عَلَى السُّطُوحِ.**

٤ **((وَأَقُولُ لَكُمْ يَا أَحِبَّائِي، لَا تَخَافُوا الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ ثُمَّ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَفْعَلُوا شَيْئًا بَعْدَ ذَلِكَ.**

- ٥ ولكنني سأبين لكم من تخافون: خافوا من له القدرة بعد القتل على أن يلقي في جهنم. أقول لكم: نعم، هذا خافوه.
- ٦ أما يُباع خمسة عصافير بفلسين، ومع ذلك فما منها واحد ينساه الله.
- ٧ بل شعر رؤوسكم نفسه معدود بأجمعه. فلا تخافوا، إنكم أئمن من العصافير جميعاً.
- ٨ ((وأقول لكم: كل من شهد لي أمام الناس، يشهد له ابن الإنسان أمام ملائكة الله.
- ٩ ومن أنكرني أمام الناس، يُنكر أمام ملائكة الله.
- ١٠ ((وكل من قال كلمة على ابن الإنسان يُغفر له. وأما من جدف على الروح القدس، فلن يُغفر له.
- ١١ ((وعندما تُساقون إلى المجامع والحكام وأصحاب السلطة، فلا يهتمكم كيف تُدافعون عن أنفسكم أو ماذا تقولون،
- ١٢ لأن الروح القدس يعلمكم في تلك الساعة ما يجب أن تقولوا)).

إذا كان السامعون يتغيرون (تلاميذ: آ ١ و ٢٢؛ جموع: آ ١٣-١٥ و ٥٤)، فان نص لو ١:١٢ الى ٩:١٣ يؤلف خطاباً طويلاً للمسيح طُرحت فيه عدة مواضيع. الا ان التغيير في السامعين لا يتوافق دوماً مع ظهور موضوع جديد؛ فالتعليم بشأن الثروات يبين ذلك جيداً، إذ انه يبدأ امام الجمع (آ ١٣-٢١) ويتواصل مع التلاميذ وحدهم (آ ٢٢-٣٤). كما ان التحذير من الخوف يتوزع على موضوعين: الاضطهاد والثروات. فمن اجل وضوح اكبر، اخترت بالتالي ان اقسام هذه المجموعة، من ٦٨ آية (١:١٢-٩:١٣)، الى ستة مقاطع.

١ - نبذ المراءاة والثبات في الاضطهاد (١:١٢-١٢)

الجدال الذي جرى اiban دعوة الى الغداء (راجع ١١: ٣٧-٥٢) قاد يسوع الى تحذير مضاعف موجّه الى تلاميذه. وإخطاره يتعلق اولاً بمراءاة الفريسيين (راجع ١١: ٣٩-٤١، ٤٤): فالسلوك الذي شجبه يسوع قبل قليل، هو نموذج جيد لما ينبغي على التلاميذ ان يتجنبوه (آ ١-٣). والموقف العدائي الذي اظهره كتبة وفريسيون منذ الآن (راجع ١١: ٥٣-٥٤)، كان الفرصة ايضا لاعداد احصائه لاتخاذ موقعاً في ما بين الانبياء والرسل المضطهدين (راجع ١١: ٤٩)؛ وبالرغم مما قد يُخيّل اليهم انه نجاح عظيم احرزته الكرازة باتجاه الجمع (راجع آ ١)، فان عليهم ان يجابهوا الذين يقتلون الجسد ويسوقوهم امام السلطات القضائية (آ ٤-١٢).

فلمراءاة التي شبهت بالخميرة -وهي المخفية في العجين، ويوحى عملها بالفساد، وبالتالي بالنجاسة- هي هنا مشخصة بوضوح، وللمرة الاولى (آ ١)؛ إذ انها، في الفصل

١١، كانت قد وُصفت فقط. فليعلم التلاميذ: ان هذا الانحراف الديني ليس وقفا على فريق يهودي معاصر ليسوع؛ إذ بوسعه ان يُفسد الحركة المسيحية. ومن هنا كانت الاقوال ذات التهديد في الآيتين ٢-٣: ذلك ان الكيان العميق لكل شخص لن يبقى خفيا على الدوام؛ وفي النهاية، سيكشفه الله على مرأى من الجميع. ويجدر بنا ان نلاحظ بان آ ٢ هي تكرار لـ ١٧:٨؛ وما الاختلاف في معناهما الا بسبب سياقهما المختلف لا غير. وخلافا لما يوازي متى ١٠:٢٧، لا يوجد اي اعزاز في الآية ٣ للكراسة بالانجيل: فكل كلمة مرائية، حتى وإن كانت مُتَمَتمة، سيكون لها صدق في كل مكان.

وتتغير النبرة. هناك مناشدة ملحة الى عدم الخوف، مطبوعة بتوجهها الى الاصدقاء، نجدها تتواصل حتى ١٢:٣٤. وان مصدر الخوف (آ ٤، ٥، ٧، ٣٢) او القلق (آ ١١، ٢٢، ٢٥، ٢٦) مضاعف: عداوة العالم وعدم الاستقرار في ما يتعلق بالخيرات الضرورية للحياة. فالتلميذ مدعو، اولاً، الى الحزم والثبات تجاه الاضطهادات المقبلة (آ ٤-١٢)، لانه حين تأتي هذه الاضطهادات، فقد يتعرض الى اخفاء ايمانه بيسوع خوفاً من البشر.

يعطي يسوع، اذن، وصية يفعلها عبر العودة الى الخبرة، على دفتين (آ ٤-٧). انه يدعو المؤمن الى عدم الخوف من البشر الذين ليس بامكانهم ان يطالوا، على اكثر تقدير، سوى الحياة البيولوجية، بل ان يخشى مردودات نكران محتمل. وهكذا نجد التشديد على سيادة الله الذي سلطانه على الحياة الحقبة ابدية هو -وقد اصبح الوادي المسمى **جيحون**، جنوب اورشليم، مرادفاً، منذ ايام ارميا (ار ١٩)، لـ "مكان العذاب"؛ اما بالنسبة الى لوقا، فال**جحيم** هو المكان الذي يُرسل الله اليه الاشرار بعد موتهم، وقبل الدينونة الاخيرة، كي يدوقوا العذاب. وبعد هذه التوصية الداعية الى مخافة القدير، بالاحترام الواجب، يشدد النداء الى الاختبار، بالعكس، على الثقة الواجبة تجاه جودته وعنايته. والمقارنة مع العصفير، والتأكيد على ان **شعر رؤوسكم نفسه معدود** يعينان بان كل ما يجري هو في وفاق مع الارادة الالهية. فذاك الذي لا ينسى عصفورا واحدا ويهتم بأصغر الامور، لن يترك شهود الانجيل، الشهداء، في النسيان وصمت الموت. انه سوف ينصفهم ويدخلهم في حياته.

يذكر يسوع، وللمرة الثانية (راجع ٩:٢٦)، بالطابع الحاسم الذي تتسم به الامانة تجاهه، ويعلن عن مردوداتها الاسكاتولوجية (آ ٨-١٠). وهكذا نرى ان الوعد والتحذير يتناوبان. فمن اعترف علنا بهوية يسوع الحقيقية، سيُدخله ابن الانسان في ملكوت الله، بمراًى من البلاط السماوي. اما الذي يكون قد انكره، فسيكون لله تجاهه موقف مشابه. وحين يشخص يسوع ذاته في آ ٨، بطريقتين مختلفتين -**انا/ ابن الانسان**- فذلك يعني انه

يقيّم، في نظر لوقا، دوره بصفته ديانا في آخر الازمنة، وهو الدور الذي يمارسه بصفته ابن الانسان (راجع ٢٢:٦٩).

حينذاك تنطلق بقوة الآية ١٠ التي تقيم تضادا بين من يجذّف على الروح القدس - وذلك لا يُعْفَر - وبين من يقول كلمة على ابن الانسان - وذلك يُعْفَر. ماذا يعني ذلك في سياق طلب يسوع من المؤمنين ان يلتزموا جذريا الى جانبه؟ ستضعنا تنمة الرواية اللوقاوية على الطريق حين ستذكر نكران بطرس الشهير (٢٢:٣٤، ٥٧، ٦١)، ونكران سكان اورشليم (رسل ٣:١٣-١٤). كان اهل اورشليم قد عملوا ذلك بجهالة، وهم مدعوون الى ان يرجعوا الى الله كي تحمى خطاياهم (رسل ٣:١٧-١٩). اما بطرس، ابان الآلام، فهو لم يتخلّ داخليا عن يسوع وبقي تلميذا، كما تشهد له دموعه المريرة (٢٢:٦٢). ويعرف لوقا ايضا حالة تلاميذ أرغهم شاول على التجديف، اي على لعن اسم يسوع (رسل ٢٦:١١). وكل هذا، ولا سيما حالة بطرس، قاد الانجيلي الى التوضيح بان هناك فرقا بين نكران ونكران. فالخطيئة التي لا تُعْفَر، انما هي قساوة القلب، مقاومة الروح القدس (رسل ٧:٥١). أن يُجذّف على الروح، فمعناه رفض تدخل الله الخلاصي في تاريخ شعبه؛ وتلك هي ثمرة قساوة القلب، وليس الضعف العابر او الجهل. ففيما يطالب المسيح اخصاءه بشهادة شجاعة، نراه يعترف هو ذاته بان الغفران لن يُحجب الى الابد عن الذين يكونون قد تصرفوا بضعف او بجهل.

والسبب الحاسم الذي يدفع التلميذ الى عدم القلق حين يمثّل امام محكمة يهودية او امام سلطة رومانية ما: الروح القدس هو الذي يساعده في الدفاع عن نفسه (آ ١١-١٢). وسيحدد يسوع هذا الوعد في ٢١:١٢-١٥؛ وسيختبره من ثم بطرس واسطفانس في رسل ٤:٨؛ ٧:٥٥. ذلك ان الروح الذي يمنحه الله (راجع ١١:١٣)، يبدو هنا بصفته ذاك الذي يمنح المؤمنين القوة للشهادة للانجيل في عالم معاد. فالتجديف على الروح، هو ايضا بالتالي انكار امكانية الشهادة.

٢- الموقف تجاه خيرات هذا العالم (١٢:١٣-٣٤)

- ١٣ فقال له رجلٌ من الجمع: ((يا مُعَلِّم، مُرْ أَخِي بِأَنْ يُقَاسِمَنِي المِراثِ)) .
- ١٤ فقال له: ((يا رَجُل، مَنْ أَقَامَنِي عَلَيْكُمْ قَاضِيًا أَوْ قَسَامًا ؟))
- ١٥ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: ((تَبَصَّرُوا واحذروا كُلَّ طَمَعٍ، لِأَنَّ حَيَاةَ المَرءِ، وَإِنْ اغْتَنَى، لا تَأْتِيهِ مِنْ أَمْوَالِهِ)) .
- ١٦ ثُمَّ صَرَبَ لَهُمْ مَثَلًا قَالَ: ((رَجُلٌ غَنِيَ أَحْصَيْتَ أَرْضَهُ،
- ١٧ فقال في نفسه: ماذا أعمل؟ فليس لي ما أخزُنُ فيه غِلاي.

- ١٨ ثم قال: أعمل هذا: أهدمُ أهراي وأبني أكبرَ منها، فأحزنُ فيها جميعَ قمحي وأرزاقِي.
- ١٩ وأقولُ لِنَفْسِي: يا نَفْسِ، لكِ أرزاقٌ وافرةٌ تكفيكِ مؤونةَ سنينَ كثيرةٍ، فاستريحِي وكلي واشربي وتنعمي.
- ٢٠ فقال له اللهُ: يا غبيّ، في هذه اللَّيلةِ تُستردُّ نَفْسُكَ منك، فلمن يكون ما أعددتَه ؟
- ٢١ فهكذا يكونُ مصيرُ من يَكْنِزُ لِنَفْسِهِ ولا يَغتني عِنْدَ اللهُ ((.
- ٢٢ وقال تلاميذه: ((لذلك أقولُ لكم: لا يُهمُّكم للعيش ما تأكلون، ولا للجسدِ ما تلبسون،
- ٢٣ لأنَّ الحِياةَ أعظمُ مِنَ الطَّعامِ، والجسدَ أعظمُ مِنَ اللِّباسِ.
- ٢٤ انظروا إلى الغربانِ كيف لا تزرعُ ولا تحصدُ، وما من مخزنٍ لها ولا هُري، واللهُ يرزُقُها، وكم أنتم آمنٌ مِنَ الطيورِ !
- ٢٥ ومن منكم يستطيعُ، إذ اهتمَّ، أن يضيفَ إلى حَيَاتِهِ مقدارَ ذراعٍ واحدةٍ ؟
- ٢٦ فإذا كنتم لا تستطيعون ولا إلى القليلِ سبيلاً، فلماذا تكونون في همٍّ من سائرِ الأمورِ ؟
- ٢٧ انظروا إلى الزَّنابقِ كيف لا تعزلُ ولا تنسجُ. أقولُ لكم إنَّ سليمانَ نفسه في كلِّ مجده لم يلبسْ مثلَ واحدةٍ منها.
- ٢٨ فإذا كانَ العُشبُ في الحقلِ، وهو يُوجدُ اليومَ ويُطرحُ غداً في التَّنورِ يلبسه اللهُ هكذا، فما أحرأكم بأن يلبسكم يا قليلي الإيمانِ ؟
- ٢٩ فلا تطلبوا أنتم ما تأكلون أو ما تشربون ولا تكونوا في قلقٍ،
- ٣٠ فهذا كُلُّه يسعَى إليه وتنبؤ هذا العالمِ، وأمَّا أنتم فأبوكم يعلمُ أنكم تحتاجون إليه.
- ٣١ بل اطلبوا ملكوته تُزادوا ذلك.
- ٣٢ ((لا تخفُ أيُّها القطيعُ الصَّغيرِ، فقد حَسُنَ لدى أبيكم أن يُعِمَّ عليكم بالملكوتِ.
- ٣٣ بيعوا أموالكم وتصدَّقوا بها واجعلوا لكم أكياساً لا تبلى، وكثراً في السمواتِ لا ينفدُ،
- ٣٤ حيثُ لا سارقٌ يدينو ولا سوسٌ يفسدُ.
- فحيثُ يكونُ كثركم يكون قلبكم.

بعد محادثة المعلم مع تلاميذه على انفراد، هوذا الجمع يظهر من جديد (راجع آ (١). ويسوع، على طلب شخص ما، يسلط الضوء على الموقف الذي يجب اتخاذه ازاء خيارات هذا العالم، محذراً من كل طمع (آ ١٣-٢١). وتلي محادثة ثانية مع التلاميذ تتواصل حتى ١٢: ٥٣. فالموضوع الاول المطروح يواصل التعليم للجموع، الا ان النبرة تغيرت: من الطمع، ننتقل الى القلق بشأن الغد (آ ٢٢-٣٤) - وهو شعور متجذر بعمق في الكائن البشري، وقد سبق ان حذر منه في المحادثة الاولى!

أ. للجمع: احذروا كل طمع (١٢: ١٣- ٢١)

هوذا رجل يطلب إلى يسوع ان يتدخل في مشكلة إرث. ليس يسوع رايًا كالأخرين الذين يقوم دورهم في معالجة امور قانونية. مهمة يسوع هي ان يعلن بشرى الملكوت السارة ويدعو الى الاهتداء؛ فهي، اذن، دعوة للذهاب الى جذور الخلاف بين الاخوين (آ ١٣-١٥)؛ ومن هنا كان رفض الدور الذي انتظره منه هذا المجهول، وكان من ثم التوجه الى الجمع. فما عدا التذكير بالشرعية ("لا تشتت بيت قريبك... ولا شيئاً مما لقريبك"، خر ٢٠: ١٧)، فحن بصدد تحذير ضد الرغبة الجامحة في الحصول على أكثر، او حتى لامتلاك ما هو فوق الضرورة. وهوذا قول حكيمى يقدم الاسباب: ليس بوسع الخيرات المادية ان تمنح الامان الحقيقي؛ وليست الحياة مضمونة بفعل الوفرة (راجع مسبقا ٩: ٢٥). وندرك من ثم ان رفض يسوع في ان يكون حَكَمًا او ان يقوم بالقسمة لا يعنى قط انه يؤيد، بواقع الفعل، الظلم.

ويأتي مثل الغني الغني ليوضح الامر (آ ١٦-٢١). انه ملاك قرر ان يوسع اهراءه ليخزن فيها الغلة الوفرة ويجعل منها لنفسه مؤونة يستطيع ان يعتمد عليها بأمان ولسنين مديدة. وهكذا راح يهدم اهراء اعتبرها ضيقة، وكان بوسعها ان تفيد آخرين... انه بكليته مُنصَّب على مشروع اناني لا يستند الا على الحياة الحاضرة، وفي حله مشكلته، لم يحسب للموت حسابا، وموته بالذات. وفي هذا، بدا الرجل غيبا، لانه الله، سيد الحياة، سيأخذ منه حياته - في تلك الليلة ذاتها؛ وهكذا يكون الرجل قد نقصه الذكاء، إذ لم يضمن لنفسه سعادة ثابتة. والآية ٢١ تطبق المثل حين تحذر من تصرف اناني كهذا (يخزن لنفسه). وفي الواقع، يجب ان يغتنى الانسان من اجل الله؛ وهذا الدرس، مع انه لغزي الى حد ما، فسوف يستنير بشكل تام بالخلاصة التي تحتتم التوسع، في الآيتين ٣٣-٣٤.

ب. للتلاميذ: الثقة بدل القلق (١٢: ٢٢- ٣٢)

ان تكديس الثروات المادية هي طريقة (وهمية) لمواجهة القلق بشأن الغد. لذا، فبعد التأنيب الموجه للجمع، استعاد يسوع المشكلة في جذورها عبر محادثة على انفراد مع تلاميذه. فهو، فيما طالب التلاميذ بإيمان قوي بالعناية الالهية، اعطى امتداداً لموضوع هو، لدى اسرائيل، في اصل السنة السبتية (أح ٢٥: ٢-٧). ففي السنة السابعة التي تُعطى فيها الارض استراحة، يجب الاعتماد على ان الله يُعنى بشعبه. والى السؤال: "ماذا نأكل في السنة السابعة إن لم نزرع ولم نجمع غلاتنا؟" يجيب الله: "انه يأمر ببركته لهم في السنة السادسة فُتغَلّ لثلاث سنين" (أح ٢٥: ١٨-٢٤). وبعد التنويه (آ ٢٢) الى عدم الاهتمام

بالحد الأدنى من الضروري (قوت وكسوة)، هوذا يسوع يقدم السبب (آ ٢٣): طالما ان الله اعطى الحياة التي هي الخير الاعظم، فكم بالحري يوفرّ الغذاء واللباس، وهما اقل قيمة!

اي موقف تجاه المال

١. لوقا، منذ مجلده الاول، بين مرارا كثيرة بان يسوع يضع المؤمن امام خيار في ما يتعلق بالملكية. وهذا واضح جدا في موضوع التطويبات حيث يلعب الفقر والغنى دورا مركزيا (٦ : ٢٠+). وما عدا التوسع الحالي (١٢ : ٣٤)، ستعود القضية في مثل المدعوين (١٤ : ١٦ - ٢١)، وستتكرر بشكل معمق في الفصل ١٦.

٢. في خلفية اللوحة، يجب ان نعرف بان كثيرا من المؤمنين اليهود كانوا يعتبرون الرخاء علامة نعمة الله (راجع اي ١ : ١٠ : ٤٢ : ١٠-١٧). وليست بقليلة النصوص النبوية التي تنتقد الاغنياء (راجع عا : اش ٥ : ٨-١٠).

ان التفاوت الذي كان موجودا في الزمن يصعب علينا فهمه اليوم. ويمكننا ان نشبهه الى حد ما بالمالك الكولومبي للمخدرات الذي، لكي يحرر ابنه المختطف، اقترح ان يوفي ديون البلد العامة! وهكذا هي الحال اليوم في البرازيل حيث الممتلكات الكبرى من الاراضي الزراعية (latifundia) تمتد على بضعة آلاف من الكيلومترات. ولما كان الملاكون بعيدين، كان العمال الزراعيون يتعاملون مع مزارعين وسطاء (راجع لوقا ١٦ : ١+ : ٢٠ : ٩).

٣. بالنسبة الى تلميذ يسوع، كان بوسع الموقف تجاه الخيرات المادية ان يتخذ، بحسب لوقا، صيغتين مختلفتين.

- بعضهم يترك كل شيء ليتبع يسوع (٥ : ١١)؛ تلك حالة لاوي العشار، على سبيل المثال (٥ : ٢٨). وهذا الوجه نجده موسعا الى حد كبير في الخطاب الذي يلي الاخفاق في دعوة الغني (١٨ : ١٨-٣) ففي هذا الخط تندرج الشركة في الخيرات في رسل ٢-٤.

- الطريقة الاعتيادية في الاستجابة الى الاهتداء، هي تلك التي طالب بها يوحنا المعمدان كل واحد : اقتسام ما لديه (٣ : ١٠-١١). ويندرج اهتداء زكا في هذا الخط عينه : بعد ان يكون قد رد اربعة اضعاف عن الظلم الذي اقترفه، هوذا يعطي المساكين نصف امواله (١٩ : ٨). ويختلف سلوكه، اذن، عن سلوك لاوي. اما النساء التلميذات، فكن يساهلن باموالهن، يسوع وفريقه (٨ : ٣).

وهكذا يبدو لوقا انه يميز بين ممارستين : الاقتسام الذي يفرض نفسه على كل المؤمنين، والتخلي عن كل شيء، وهو اختياري ولا يشمل سوى بعض التلاميذ (راجع رسل ٥ : ٤). الا ان المطلوب، في كلا الحالين، يبقى جذريا، طالما ان رفض الاقتسام يعني التخلي عن المكوث.

ملاحظة : ليس الاقتسام والصدقة كل شيء. إذ ان المسيح يذكر بان شريعة موسى تحتفظ بكل قيمتها في ما يتعلق بالمال وبالفقر (١٦ : ١٧). لذا، فالى جانب العطايا الفردية والعون الذي يترتب على كل واحد ان يقدمه، يذكر العهد القديم ايضا بنى اجتماعية كانت في خدمة الفقير (راجع اح ٢٥ والسنة السبتية).

والمعلم، لكي يبرر نزع القلق، يلفت الانتباه الى امور من الخبرة اليومية، مستقاة من الطبيعة، ليبين ان الله يوفر الطعام (آ ٢٤-٢٦) واللباس (آ ٢٧-٢٨). وأحد هذه الامثلة يلمح الى المثل السابق: انه يضع الغريبان التي ليس لها اهراء مقابل الغني ذي الاملاك. وكما في آ ٢٣، فان براهين دامغة تسمح بالانتقال من الطيور او النباتات الى الكائنات البشرية. ويسوع، باسلوب ساحر، يذكر بان مجرد القلق لن يقوى البتة على اضافة لحظة على حياة بشرية (إن لم يقصرها بالاحرى!). انه يأسف ان التلاميذ هم اناس قليلو الايمان (وهو الاستخدام الوحيد في انجيل لوقا): أن يشكك بالحماية الالهية، فذلك دليل على ايمان غير كافٍ. وها هو يستخلص النتائج العملية (آ ٢٩-٣٢) لما قاله قبل قليل حين شدد على نقطة: لا تطلبوا ما تأكلون او ما تشربون، كما يفعل اولئك الذين لا ايمان لهم بالله الامين. أن نؤمن، معناه ان نكون على يقين من ان الله الذي يعرف حاجاتنا سوف يسدها؛ وأن نتذكر بان الملكوت هو القيمة العظمى التي يجب البحث عنها (راجع ١١: ٢). وكل ما هو ضروري للحياة هو ثانوي، وسوف يمنحنا الله اياه. وهناك نقطة اخيرة تجدر بالذكر: كما هي الحال في صلاة الرب (١١: ٢)، فان موضوع الملكوت هو ذو صلة وثيقة جدا بالرباط البنوي بين التلاميذ والله؛ وحين يأتي هذا الملكوت، فسيعتن الله بصفته اباهم.

ويسوع، بعد ان شدد على دور الانسان الذي يجب ان يضع اهتمامه في البحث عن الملكوت، هوذا يقدم هذا الملكوت، في الآية ٣٢، بصفته عطية من الآب؛ انه يعد التلاميذ بانهم سيحصلون على خيرات الخلاص. فليستند كل واحد، اذن، على هذا اليقين كي يعيش في مطابقة مع تعليم المعلم بشأن الغنى.

جـ. خلاصة للتلاميذ (١٢: ٣٣-٣٤)

التعليم بشأن الموقف الذي يجب اتخاذه تجاه خيرات هذا العالم، يبلغ ذروته في مشورة واقعية وجذرية اعطيت للتلاميذ: **بيعوا اموالكم وتصدقوا بها** - وسوف يجسد لوقا، في جزئه الثاني، تطبيق هذا القول في ممارسة الجماعة الاولى (رسل ٢: ٤٥؛ ٤: ٣٤-٣٧)، وسيعرضها بصفته مشورة وليس قاعدة (رسل ٥: ٤). فأن يعطي الانسان خيرات للفقراء (سواء بكاملها او اقتسامها على الاقل، راجع الاطار: اي موقف تجاه المال)، معناه انه **يغتني لاجل الله** (راجع آ ٢١)، وانه يكثر لديه **كثرا لا ينفد**؛ وباختصار، يضمن لنفسه تعويضا ابديا. ومع ذلك، فليست المكافأة هي الاهم، وانما يجب ان يكون مجيء الملكوت، بالتالي، دافع المؤمن، بحيث يستولي على قلبه. وتلك هي القيمة الوحيدة.

٣- اوثلة بشأن السهر (١٢: ٣٥-٤٨)

- ٣٥ ((لَتَكُنْ أَوْسَاطُكُمْ مَشْدُودَةً، وَلَتَكُنْ سُرُجُكُمْ مُوقَدَةً،
- ٣٦ وكونوا مثل رجال ينتظرون رجوع سيدهم من العرس، حتى إذا جاء وقرع الباب يفتحون له من وقتهم.
- ٣٧ طوبى لأولئك الخدم الذين إذا جاء سيدهم وجدهم ساهرين. الحق. أقول لكم إنه يشد وسطه ويجلسهم للطعام، ويدور عليهم يخدمهم.
- ٣٨ وإذا جاء في المزيج الثاني أو الثالث، ووجدهم على هذه الحال فطوبى لهم.
- ٣٩ وأنتم تعلمون أنه لو عرف رب البيت في أية ساعة يأتي السارق لم يدع بيته ينقب.
- ٤٠ فكونوا أنتم أيضاً مستعدين، ففي الساعة التي لا تتوقعونها يأتي ابن الإنسان)).
- ٤١ فقال بطرس: ((يا رب، أَلنا نضرب هذا المثل أم للناس جميعاً؟))
- ٤٢ فقال الرب: ((من ثراه الوكيل الأمين العاقل الذي يقيمه سيده على خدمه ليعطيهم وجبتهم من الطعام في وقتها؟
- ٤٣ طوبى لذلك الخادم الذي إذا جاء سيده وجدته منصرفاً إلى عمله هذا.
- ٤٤ الحق أقول لكم إنه يقيمه على جميع أمواله.
- ٤٥ ولكن إذا قال ذلك الخادم في قلبه: إن سيدي يبطئ في مجيئه، وأخذ يضرب الخدم والخدامات، ويأكل ويشرب ويسكر،
- ٤٦ فيأتي سيده ذلك الخادم في يوم لا يتوقعه وساعة لا يعلمها، فيفصله ويجزيه جزاء الكافرين.
- ٤٧ ((فذاك الخادم الذي علم مشيئة سيده وما أعد شيئاً، ولا عمل بمشيئة سيده، يضرب ضرباً كثيراً.
- ٤٨ وأما الذي لم يعلمها، وعمل ما يستوجب به الضرب، فيضرب ضرباً قليلاً. ومن أعطي كثيراً يطلب منه الكثير، ومن أودع كثيراً يطالب بأكثر منه.

فيما واصل يسوع حديثه مع التلاميذ بمفردهم، تطرق الى موضوع جديد: السهر والامانة. وبينما هو في الطريق الى اورشليم حيث سيتم خروجه، كان عليه ان يعد تلاميذه للوضع الذي سيختبرونه بعد القيامة: انتظار ربه الذي غاب. ورواية الصعود (رسل ١: ٩-١١) تعني، بشكل خاص، بان زمن الكنيسة هو زمن غياب المسيح، الزمن الذي فيه نصلي: "تعال ايها الرب يسوع!". وخلال هذا الزمن، يترتب على كل المؤمنين ان يكونوا مستعدين (آ ٣٥-٤٠)؛ لكن التلاميذ المدعويين الى مهمة خاصة، مهمة المسؤولين في الجماعات، فافهم مدعوون بشكل خاص الى ان يكونوا امناء (آ ٤١-٤٨). ولذلك، سوف يعرض يسوع امثالا تقدم سلوكا يحتذى، وبشكل مباشر.

أ. الخدم الساهرون. الوكيل الساهر (١٢: ٣٥ - ٤٠)

يبدأ يسوع بدعوة التلاميذ بأسرهم الى البقاء في وضع العمال؛ وفي اعقاب الصعود، بعد ان يكونوا قد واصلوا التفرغ لمهامهم، سيتوجب عليهم ان ينتظروا الوقت الذي فيه **يفتحون** الباب لربهم (آ ٣٥). فلقد شُبِّهوا حينذاك (آ ٣٦-٣٨) بخدم كان سيدهم قد ذهب الى عرس، وبوسعه ان يعود في اي وقت من الليل؛ فالمثل الاول، قد سبقه تطبيقه (وهذا ما لا يحدث في الغالب). وعلى دفتين، يعلن يسوع **الطوبى للخدم** الذين **سيخدمهم السيد ساهرين**؛ وسيكون لهم نصيبهم على مائدته. وان التلميح الى المائدة الاسكاتولوجية التي اعدّها الله لشعبه (راجع اش ٢٥: ٦-٨) سوف يوضّح، مع ١٣: ٢٩، وبالاكثر مع ٢٢: ٣٠، حين يعلن المسيح ان اخصّاءه **سيأكلون ويشربون على مائدته في ملكوته**. وعلاوة على ذلك، فان المكافأة **سُعيّر** عنها بالاكثر في انقلاب الادوار: فالسيد هو الذي يتخذ وضع الخادم ليقوم بالخدمة. وهنا ايضا، نجد كلمة ليسوع تحمل -اذا كانت هناك حاجة- النور: انه في **وسطهم كالذي يخدم** (٢٢: ٢٧).

ولتوضيح هذا الموضوع ذاته عن السهر، يذكر المثل الثاني بان رب البيت لا يعرف ابدا في اية ساعة سيفاجئه السراق. ومن المستحيل ان يستيقظ في الوقت المناسب! والدرس الذي يُستخرج منه -ان نكون دوما على أهبة- هو، هذه المرة، تطبيق واضح على اعضاء الكنيسة في انتظار المجيء، مجيء **ابن الانسان** الاخير. واذا اختص يسوع هنا لنفسه هذا اللقب، وليس لقب الرب، على سبيل المثال، فالأنة يشدد على دوره بصفته ديانا شاملا (راجع ٢١: ٣٦)، ويؤكد على الطابع المفاجئ كليا لمجيئه (راجع ١٧: ٢٣-٣٦).

ب. الوكيل الامين (١٢: ٤١ - ٤٨)

ويأتي سؤال على لسان بطرس ليجعل تطبيق المثل اكثر شفافية: الى من يتوجه المثل؟ للجميع -بما فيهم الجمع- ام للتلاميذ وحدهم (آ ٤١)؟ ولوقا، وبشكل مليء بالمعاني، يلاحظ بانه **الرب، سيد الكنيسة، هو الذي يجيب عبر مثل ثالث**. والوضع الذي يعكسه المثل هو ولا شك وضع ما بعد القيامة: فالافعال هي في صيغة المضارع، ولا سيما الفعل الذي يروي مهمة الوكيل. وتذكر الآيات ٤٢-٤٤، والى حد ما، بالآيات ٣٦-٣٨: يسوع يضع على المسرح **خداما سيخدمه سيده حين يعود**، **مثابرا في عمله**، ويعلن له **الطوبى**. الا ان هناك ما هو جديد: فنحن **بصدد خادم/ وكيل مسؤول** عن توفير الطعام للخدم الآخرين. فاذا اتمّ هذه المهمة بشكل سليم، فمعنى ذلك انه **امين**، وجدير بالثقة، لا

بل هو حكيم يعرف ان الحياة الابدية تتحقق في العمل اليومي. ومكافأة لهذا الرجل، ستوكل اليه مهمة اعظم: ادارة كل املاك سيده.

اما الآيتان ٤٥-٤٦، فتقدمان توضيحا ذا شأن. ما أن عرف الخادم/ الوكيل ان السيد يطيء قدومه، واذا به يستغل الفرصة ليتلاعب بالسلطة الموكلة اليه. ونجد هنا تلميحا واضحا الى المهلة التي، في الكنيسة، تمتد بين صعود الرب ومجيئه الثاني في منتهى الازمان (راجع رسل ١: ٦-٨؛ ٢ بط ٣: ٨+). وهذا الوكيل نراه، لا فقط يُخَلِّ بمهمته -وها هو يأكل بنهم ويسكر-، بل يعامل بقسوة الخدام والخادمت الذين كان إطعامهم موكلا اليه. وما أن ذكر بموضوع عودة السيد غير المنتظرة، واذا بالعقوبة تحل: هوذا السيد يعزل الرجل ويضعه في صفوف غير الامينين، خارجا عن جماعة المؤمنين. وها هي الآية ٤٧ تعرض حالة اخرى: الاهمال المتعمد؛ ومثل هذا العصيان سوف يُعالج بقسوة. في حين ان الشخص الذي يرجع اهماله غير الارادي الى عدم الجدارة، فسوف يخضع لحكم ادبي (آ ٤٨أ).

وهكذا، فان سؤال بطرس قاد يسوع الى التطرق الى نقطة خاصة. فبعد تحذيرات الآيات ٣٦-٤٠ الموجهة الى المؤمنين جميعا، يطالب هنا بموقف امين لدى عدد من التلاميذ، اي اولئك الذين يمارسون مسؤولية راعوية على سائر الاخوة في الجماعة. ومع ذلك، لن ننسى ان المسيح يتحدث هنا بأمثال: وليس بوسع كل السمات ان تصح في الاستعارة، دون الوقوع في معنى مضاد-الضربات على سبيل المثال (آ ٤٧-٤٨أ). ومع ذلك، فالتعليم يبقى واضحا: المسيح ينتظر الكثير من مسؤولي الجماعات، كما يشير الى ذلك المثل الشعبي الذي يستند اليه (آ ٤٨ب). اهم، بحكم الوظائف التي يعهد بها الله اليهم، في وسط شعبه، يترتب عليهم دون انقطاع، واكثر من كل المؤمنين، ان يكونوا مستعدين لاعطاء جواب عن تصرفاتهم امام المعلم الذي يظهر بغته.

٤- لهاذا جاء يسوع (١٢: ٤٩-٥٣)

- ٤٩ ((جئت لألقي على الأرض نارا، وما أشد رغبتي أن تكون قد اشتعلت !
- ٥٠ وعلى أن أقبل معمودية، وما أشد ضيقي حتى تتم!
- ٥١ ((أتظنون أنني جئت لأجل السلام في الأرض؟ أقول لكم: لا، بل للانقسام.
- ٥٢ فيكون بعد اليوم خمسة في بيت واحد منقسمين، ثلاثة منهم على اثنين واثنان على ثلاثة:
- ٥٣ سينقسم الناس فيكون الأب على ابنه والابن على أبيه، والأم على بنتها والبنت على أمها، وأحماة على كنيها وكنته على حمايتها)).

أظهرت التوجيهات المعطاة للتلاميذ (راجع ١٢: ٢٢) الالتزامات المطلوبة منهم. وقد بلغت ذروتها حين كشفت عن ان الانتماء الى الجماعة المسيحية سيضعهم امام مواقف عسيرة جدا. وبالفعل، فان معنى رسالة يسوع التي يدور عليها الكلام اولا (٤٩ آ-٥٠) لها مردودات مباشرة على التلاميذ (آ ٥١-٥٣).

ما هي هذه النار التي جاء يسوع يلقيها على الارض، وما هي هذه المعمودية التي يجب ان يقبلها؟ هذا الحديث يذكر بحديث يوحنا المعمدان حين كان يقدم المسيح بصفته ذاك الذي، بالفعل، سيعمّد المؤمنين بالروح القدس والنار (٣: ١٦). ولكنه من الصعب ان نعلم إن كانت تلك النار هنا تشير الى الدينونة ام الى الروح، في سياق النص اللوقاوي. هناك ولا شك معمودية من نوع جديد تنتظر المسيح ذاته: الاستشهاد. ومن البديهي ان يسوع لا تسكنه رغبة في الموت؛ ولكنه، في الوقت ذاته، لا يخاف الاستشهاد. لا بل يسير نحوه، اذ ان المحنة التي سوف تطبع خاتمة رسالته الارضية كانت ضرورية قبل ان يأتي الروح القدس - بصورة ألسنة من نار، رسل ٢: ٣- ويبدأ زمن الكنيسة، وهو زمن محنة لكل الذين سيؤمنون به.

ويسوع، كي يتم برنامج المسيح المتألم، لا يتجاهل ايضا، وبطريقة منطقية جدا، الاعتقاد بمسيح ملك السلام (راجع اش ٥: ٩). والصراع الذي يحمله معه ليس، في الواقع، لا حربا بين شعوب، ولا حربا اهلية؛ انه يتعلق بالأسر. والكتاب المقدس، مع الديانة اليهودية، يعرفان جيدا ولا شك موضوع الانقسام بين الأسر ابان نهاية الازمنة؛ ولكنهما ينتظران مثل هذه المحن للزمن الذي يسبق مجيء المسيح. "في زمن الجليل الذي فيه سيأتي ابن داود... ستقوم الابنة على امها، والكنة على هامتها، ووجه الناس سيصبح شبيها بوجه الكلاب. والابن لن يستحي قط من عمل الشر امام ابيه" (تلموذ، السنهدريم ٩٧ أ). والمسيح يسوع، هو ذاته يبيّن بان وضع الامتحان هذا مرتبط بمجيئه ذاته، وسوف يتواصل. ذلك ان لرسالته اثرا في الانقسام، وهي تتم نبؤة مي ٧: ٦ المتعلقة بأخر الازمنة: سيكون للمرء اعداء من بيته الخاص.

ويثير النداء الانجيلي انقسامات: فعوضا عن ان يصلح بين الأسر (خلافًا لنبؤة ملاخي ٣: ٢٤ التي اوردها لوقا ١: ١٧!)، سوف يعمل، في كل منها، على انفجارها وتجزئتها، بين المؤمنين وغير المؤمنين، في شكل من صراع الاجيال. وهذا الانقسام الذي انبأ به سمعان الشيخ (٢: ٣٤) سيكون وضعاً مألوفاً للرسالة المسيحية في القرن الاول (راجع اقور ١١: ١٨-١٩). وهكذا يصبح تحذير يسوع واضحا: ذلك ان اقتحام الله للتاريخ ("مجيء الملكوت") لن يجعل من زمن الكنيسة عصر سلام. فان المضايقات ستكون

نصيب المؤمنين (١ قور ٤: ٨-١٣). ولوفا يرينا بولس وبرنابا يشددان عزائم التلاميذ ويحثانهم على الثبات في الايمان: "يجب علينا ان نجتاز مضايق كثيرة لندخل ملكوت الله" (رسل ١٤: ٢٢).

٥- علامات الازمنة (١٢: ٥٤-٥٩)

- ٥٤ وقال أيضاً للجموع: ((إذا رأيتم غمامة ترتفع في المغرب، فقلتم من وقتكم: سيزل المطر، فيكون كذلك.
- ٥٥ وإذا هبت الجنوب فقلتم: سيكون الجو حاراً، فيكون ذلك.
- ٥٦ أيها المرأون، تحسبون تفهم منظر الأرض والسما، فكيف لا تحسبون تفهم الوقت الحاضر؟
- ٥٧ ولم لا تحكمون بالعدل من عنديكم؟
- ٥٨ فإذا ذهبت مع خصمك إلى الحاكم، فاجتهد أن تنهي أمرك معه في الطريق، لئلا يسوقك إلى القاضي، فيسلمك القاضي إلى الشرطي، ويلقيك الشرطي في السجن.
- ٥٩ أقول لك: لن تخرج منه حتى تؤذي آخر فليس)).

وحينئذ يلتفت يسوع باتجاه الجموع الحاضرة منذ ١٢: ١؛ وباستثناء تحذير ضد الطمع -وقد جسده مثل (١٢: ١٢-٢١)- لم يكن قد وجه اليها الكلام بعد. وها هو يفعل وببنرة قاسية. والجموع، على العكس من التلاميذ، لم تدرك بعد ان الزمن قد تغير جذريا واتخذ اضافة. بمجيء يسوع، وان زمن النهاية قد لاح.

وعلى مثال كل الفلاحين، يمتلك فلاحو الجليل احساسا لا خطأ فيه بشأن المناخ الذي يطراً؛ وان تكهناتهم لا تقل صحة عن تكهنات عالم الرصد الجوي. فلماذا هم عاجزون عن تفسير علامات الازمنة بشكل مناسب (آ ٥٤-٥٦)؟ وان صفة "المرائين!" تشير الى ان يسوع يرى فيهم اناسا من دون ايمان ولا شريعة، أي كفارا بقدر ما هم منافقون. وهكذا يضع الاصبع على ما يمنعهم من تمييز هذا الزمن، ومن تقييم سليم لمجيء النهاية ولجيء مرسل الله.

ويترتب على كل واحد ان يكون قادرا على الحكم بنفسه، وعلى الاجابة بشكل صحيح عن تحدي الساعة وخطورتها، دون ان يحتاج الى مثل يؤكد له فيه يسوع على ضرورة ما ينبغي عليه فعله (آ ٥٧-٥٩)! ونجدنا في وضع انسان سوف يمثل قريبا امام المحاكم؛ وحين يكون عالما بالمرودات المتوقعة الناتجة عن حكم فعلي، فمن مصلحته ان ينهي القضية مسبقا مع خصمه ويتصالح معه سريعا. فان المهلة الباقية له لتجنب المسائل القضائية، انما هي في الطريق الى المحكمة. وتلك هي الحاجة الملحة للاهتداء.

ويحمل هذا المثل تعليماً آخر ثانوياً. فإن التغيير الجذري في السلوك الذي تقتضيه الساعة، إنما له صيغة واقعية جداً ويومية: فحين اتصالح مع ذاك الذي كنت اعتقد حتى الآن أنه خصم، فإنا أدلل باني قد ادركت جيداً صفة الزمن الذي فتحه يسوع، وهي صفة جديدة جذرياً.

٦- ضرورة التوبة؛ مثل التينة العقيمة (١٣: ١-٩)

- ١٣ ١ وفي ذلك الوقت حصر أناسٌ وأخبروه خبرَ الجليليين الذين خلطَ بيلاطسُ دماءَهم بدماءِ ذبائحهم.
- ٢ فأجابهم: ((أتظنون هؤلاء الجليليين أكبرَ خطيئةً من سائرِ الجليليين حتى أصيبوا بذلك؟
- ٣ أقول لكم: لا، ولكن إن لم تتوبوا، تهلكوا بجمعكم مثلهم.
- ٤ وأولئك الثمانية عشر الذين سقطَ عليهم البرجُ في سلوامَ وقتلهم، أتظنونهم أكبرَ ذنباً من سائرِ أهلِ أورشليم؟
- ٥ أقول لكم: لا ولكن إن لم تتوبوا تهلكوا بجمعكم كذلك)).
- ٦ وضربَ هذا المثل: ((كان لرجلٍ تينةٌ مغروسةٌ في كرمه، فجاءَ يطلبُ ثمراً عليها فلم يجد.
- ٧ فقال للكَّرام: ((يأتي منذُ ثلاثِ سنّواتٍ إلى التينةِ هذه أطلبُ ثمراً عليها فلا أجد، فأقطعها! لماذا تُعطلُ الأرض؟))
- ٨ فأجابته: ((سيدي، دعها هذه السنّة أيضاً، حتى أقلبَ الأرضَ من حولها وألقيَ سماداً.
- ٩ فلربّما تثمرُ في العامِ المقبلِ وإلاّ فنقطعها)).

ويدخل إلى المسرح أشخاص جدد ابلغوا يسوع خبر الجزرة التي اقترفها حاكم اليهودية - وبيلاطس يعرفه المؤرخون على أنه استطاع أن يجمع أقل تحرك للشعب. ففي فلسطين القرن الأول، كانت تعتبر غالباً الشرور التي تصيب الناس بمثابة عقاب على خطيئة (راجع يو ٩: ٢-٣). هل شاء هؤلاء الأشخاص أن يطرحوا على المعلم سؤالاً بشأن ذنب مواطنيه الذين هلكوا بشكل مأساوي؟

ويسوع، انطلاقاً من مثل هذه الجزرة - وهي مسؤولية الإنسان - أضاف عليها حادثاً طراً عند أسفل السور الجنوبي الشرقي في اورشليم - وليس لحث البشر وارادتهم، هذه المرة، دور. إنه يشدد، لا على براءة الضحايا، بل على ذنب مماثل يقترفه الأحياء الباقون من الجليليين الآخرين أو من سكان اورشليم الذين تسير حياتهم دون واعز. واجابته، في الواقع، لا تهدف البتة اعطاء جواب لاهوتي عن معضلة الشر، وإنما الدعوة

بالحاح، ومن جديد، الى التوبة. ذلك ان يسوع يريد ان يتوصل الى ان يرى محدّثيه يغيرون وجهة حياتهم؛ فليس هو هنا ليلقي درسا في اللاهوت الاساسي!

يندرج هذا المشهد، اذن، وبشكل تام، في اشكالية المقطع السابق. فان طريقي الموت القاسي الذي يدور عليه الحديث، يجب ان تُستخدم بمثابة تحذير باتجاه اولئك الذين لا يهتمهم ان يعجّلوا الخطى لتغيير سلوكهم والتخلي عن آرائهم وانتظاراتهم الحاطفة. وكما ان المأساتين الوردتين في البداية لا تتعلقان بمخاطبة خاصة من لدن الضحايا، هكذا لا ينبغي، بالاولى، ان يُفسّر غياب المأساة وكأنه علامة على البراءة "للباقيين" على قيد الحياة. فالكل خطأ، ويجب عليهم ان يتوبوا قبل ان تفاجئهم في حياتهم دينونة الله. وهكذا على الدوام، وقبل الحادث، حين تكون الحياة صافية، اقله ظاهريا، يجب ان يتوب المرء ويتقبل كلمة الله المخلصة التي ينادي بها يسوع. ولا جدوى من بعد في الندم!

نعم، ولكن، وقبل كل شيء، ليس كل شيء محتملاً! "ليس الموت مخرجاً مقدراً، بل هو نتيجة زلة. وحالة الهلاك التي تمثل عقوبة الحياة، تذكّر بالشكل الجدي في نظرة الله الى ما نفع. وبين الهلاك الحاضر والموت المقبل، يمنح الله امكانية تاريخ جديد، هو تاريخ الاهتداء..." (ف. بوفون). وهذا ما سوف يوضحه مثل التينة العقيمة (آ ٦-٩)، وهو يصدي هنا الى كرازة يوحنا المعمدان (راجع ٣: ٨-٩). هوذا كرام يحصل على مهلة كي يكون بوسع تينة عقيمة - كانت مغروسة في كرم ولكنها تُفقر الارض - ان تثمر اخيراً. واذا لم ينطلق الحكم على الفور، فلأن الله يمنح بسخاء فرصة اخيرة للتوبة، وليس لانه راضٍ على افعالنا. "الزمن الحاضر هو المجال لمهلة اخيرة قبل الدينونة". "وكما لم يكن للمتخاصمين، في طريقيهما الى القاضي، سوى وقت قصير للمصالحة (١٢: ٥٨-٥٩)، هكذا توقف اقتلاع التينة العقيمة التي، بفعل جود لا تُفهم، تبقى مهددة بالزوال إن لم تثمر في السنة التالية" (د. ماركيرات). وهكذا يصبح المأخذ على التينة - وهي غير منتجة - تحذيراً لسامعي يسوع: عليهم ان يتوقفوا عن إرجاء الاساسي الى الغد، ويقرروا للحال الانضمام الى الله كي يعطوا ثمراً (راجع ٦: ٤٣-٤٤).

شفاء عليّة وامثال الملوك (١٣: ١٠-٢١)

- ١٠ وكان يُعلّم في بعضِ المَجامعِ يومَ السَّبْتِ،
- ١١ وهناك امرأةٌ قد استولى عليها رُوحٌ فأمرَضَها منذُ ثَماني عَشْرَةَ سَنَةً، فَكَانَتْ مُنْحَنِيةً الظَّهْرَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْتَصِبَ عَلَى الْإِطْلَاقِ.
- ١٢ فَرَأَاهَا يَسُوعُ فَدَعَاها وَقَالَ لَهَا: ((يَا امْرَأَةَ، أَنْتِ مُعَافَاةٌ مِنْ مَرَضِكَ)).

- ١٣ ثم وَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهَا، فَانْتَصَبَتْ مِنْ وَقْتِهَا وَأَخَذَتْ تُمَجِّدُ اللَّهَ.
- ١٤ فاستأنا رئيسُ المجمع، لأنَّ يسوعَ أجرى الشفاءَ في السبتِ، فقالَ للمجمع: ((هناك سِتَّةُ أَيَّامٍ يَجِبُ العَمَلُ فيها، فتعالوا واستشفوا خِلالها، لا يَوْمَ السَّبْتِ)).
- ١٥ فأجابَه الرَّبُّ: ((أيُّها المُرَاوُونَ، أَمَا يَحُلُّ كُلُّ مِنْكُمْ يَوْمَ السَّبْتِ رِبَاطَ ثَوْرِهِ أَوْ حِمَارِهِ مِنَ المَذودِ، ويَذْهَبُ بِهِ فيسقيه؟
- ١٦ وهذه ابنةُ إبراهيمَ قد رَبَطَها الشَّيْطَانُ مُنْذُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً، أَمَا كَانَ يَجِبُ أَنْ تُحَلَّ مِنْ هَذَا الرِّبَاطِ يَوْمَ السَّبْتِ؟))
- ١٧ ولَمَّا قَالَ ذَلِكَ، خَزِيَ جَمِيعُ خُصومِهِ وَابْتَهَجَ الجَمْعُ كُلَّهُ بِجَمِيعِ الأَعْمَالِ المَجِيدَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْجُرِي عَنْ يَدِهِ.
- ١٨ وقال: ((مَاذَا يُشْبِهُ مَلَكوتُ اللَّهِ وبِمَاذَا أُشْبِهُهُ؟
- ١٩ مَثَلُهُ كَمَثَلِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ أَحَدَهَا رَجُلٌ وَأَلْقَاهَا فِي بُسْتَانِهِ، فَتَمَّتْ وَصَارَتْ شَجَرَةً تُعَشِّشُ طُيُورَ السَّمَاءِ فِي أَغْصَانِهَا)).
- ٢٠ وقالَ أَيضاً: ((بِمَاذَا أُشْبِهُ مَلَكوتَ اللَّهِ؟
- ٢١ مَثَلُهُ كَمَثَلِ خَمِيرَةٍ أَحَدَتْهَا امْرَأَةٌ، فَجَعَلَتْهَا فِي ثَلَاثَةِ مَكَائِلَ مِنَ الدَّقِيقِ حَتَّى اخْتَمَرَتْ كُلُّهَا)).

لم يرو لوقا معجزة منذ ٩: ٥٠، ولن يروي سوى ثلاث معجزات من الآن الى نهاية الرحلة (١٩: ٢٨). ولم تعد الغاية من سرد الشفاءات، في الواقع، حمل المشاهدين على ان يطرحوا على انفسهم السؤال حول هوية يسوع (راجع ١١: ١٤+). وهذا الشفاء الذي ينفرد به لوقا - كما كانت الحال مع المقطع السابق عبر الرقم ١٨ الذي يربط بينهما (٤١، ١١، ١٦) - هو بالاكثير الفرصة لجدال يتعلق بالسبت. وهذه الاشارة الزمنية، وهي اساسية ولا شك، تلتقي مع موقع ليس اقل ايجاء: ففي مجمع، يوم سبت، هيذي ابنة لابراهيم، عضو في شعب الله، قد خلصت من مرضها، وخررت من العبودية التي احضعها لها الشيطان.

ان رواية الشفاء في حد ذاتها قصيرة نسبيا (١٠٠٦-١٣). وللمرة الاخيرة في الانجيل، نرى يسوع يعلم في مجمع. وهذه امرأة تشكو من علة نسبت الى روح مرض منعها من الوقوف منتصبة؛ انها لا تستطيع ان ترفع الرأس على شبه كائن حر، بل هي منحنية، قد ربطها الشيطان، كما سيفسر يسوع ذلك. وها هو، بشكل عفوي، يعلن لها انها محررة من مرضها، ولكن من دون ان يأمرها، كما يفعل عادة: "قفى!"؛ انه يتمم حركة ترتبط

غالبا بطقس طرد شيطان (راجع ٤: ٤٠). **وللحال انتصبت:** والفعل، كما هي الحال في الغالب، هو في صيغة المجهول ليشير الى عمل الهي. وهذي المرأة التي لا تكاد تصدق، اخذت تمجد الله في هذا الشفاء الذي حرّك فيها مشاعر الشكر. وخلافا لروايات معجزات سابقة، نراها وحدها في ردة الفعل هذه؛ وتفسير يسوع للمعجزة سوف يُخرج الجمع من تحفظه (راجع آ ١٧).

وحينذاك انتصب السؤال حول **يوم السبت** (آ ١٤-١٦). ذلك ان رئيس الجمع استاء من الشفاء الذي اعتبره وكأنه عمل. ولما لم يجروا على التهجم على يسوع وجها لوجه، اخذ ينتقد الشعب... وهو لم يحضر هنا قط من اجل طلب الشفاء (على العكس من ١٥: ٥؛ ١٨: ٦). وراح الرجل يذكر بان تحريم اي عمل في يوم السبت هو جزء من مخطط الله الازلي (راجع خر ٢٩: ٩). **يجب العمل ستة ايام فقط** (للبحث عن المعنى اللاهوتي لكلمة "يجب"، راجع الملاحظات بشأن ٢: ٢٩، وكذلك الاطار: موت يسوع: مخطط الله ام جريمة البشر؟؛ وفي ما يتعلق بالسبت، راجع تفسير ١: ٦).

ولما كان الجواب صادرا عن من هو الرب، سيد السبت، فقد كوى المرائين: رئيس الجمع و**كل الخصوم الآخرين** هم من اولئك الناس الذين يرفضون ان يميزوا جديد الازمنة (١٢: ٥٦). ويعكس يسوع سلوك كل منهم حين **يحل، يوم السبت**، حيوانا لكي يمكنه من الاقتراب مما هو ضروري للحياة: الماء - وقد افترض التشريع الرايبي ذلك بالفعل. وبرهان لا يقبل الرد يطبق هذا الفعل الاسبوعي على حالة المرأة التي كانت هي الاخرى **مربوطة**.

وفي الوقت الذي كشف فيه يسوع عن ذاته نيبا - إذ انه علم كم دامت علّتها - هوذا يذهب الى ابعد: ان ارادة الله لا تقوم فقط في شفاء هذه المرأة. وفيما كرر بسخرية عبارة "يجب" التي استخدمها الرئيس الديني، أكد بان مثل هذا الشفاء الذي تم **يوم السبت** ينتمي الى تاريخ الخلاص. لماذا يؤمر الانسان، يوم السبت، بالتوقف عن اي عمل: "انت... وخادمتك وثورك وحمارك" (تث ٥: ١٤)؟ أفليس لكي "تتذكر انك كنت عبدا في ارض مصر، فاخرجك الرب الهك" (تث ٥: ١٥)؟ فيسوع هو رب السبت (راجع ٦: ٥)، لانه يعلم ان سلامة الكائن البشري تفوق الالتزام الواجب بالوصية (٦: ٩)؛ لكنه يكشف عن المعنى الحقيقي لهذه الوصية: تحرير الكائن البشري من كل إكراه. فحين بادر هو نفسه الى **حل** هذه المرأة، في هذا اليوم بالذات، من عبودية **الشیطان** (وهذا هو الفعل الثالث بصيغة المجهول)، فلأن الله واصل لصالحها عمل التحرير الذي بدأه في الخروج؛ فييسوع، مرسله، يمنح الله، من جديد، **ابنة ابراهيم** هذه، هويتها بصفتها امرأة حرة.

وإذا أثار الشفاء احتجاج الرئيس الديني، إلا ان تصريح يسوع احدث انقساماً في السامعين (راجع ٢: ٣٤)؛ انه شفاء ملاً خصومه خزيا (راجع اش ٤٥: ١٦)، بينما ابتهج الجمع كله - ما لم تحدّثه المعجزة بعدُ في آ ١٣.

وقال، اذن... وهوذا مثلان مترابطان (آ ١٨-٢١) نجدهما ملتصقين جدا بما سبق، ادرجهما لوقا بشكل غريب، وبمقدمة مكررة تشير الى موضوعهما: ملكوت الله. هناك امران يلاحظان في حياة الجليل اليومية: حبة الخردل الصغيرة تنمو لتصبح شجرة بثلاثة امتار، وحميرة تخمّر العجين. وصفٌ مبالغ به: ذلك ان ربة البيت وضعت حميرة في ثلاثة مكاييل من الدقيق، اي حوالي ٤٠ كغم؛ وحبّة الخردل اصبحت شجرة تعشش في اغصانها طيور السماء - وذلك تلميح الى دا ٤: ٧-١٩. يمكن من التفكير بالملكة الكبرى القادرة على جمع شمل كل الامم، اسرائيل والوثنيين سواء بسواء. والكنيسة التي يعرفها لوقا، المنتشرة في حوض "بحرنا" البحر الابيض المتوسط، قد احتضنت مسبقا عددا كبيرا من النساء والرجال الذين يبحثون عن الخلاص. وفي قلب هذين المثليين، نجد حركة نمو ونضوج، سوف يجسدها لوقا في سفر الاعمال: اتساع الكرازة الانجيلية المدهش.

وهكذا يعلم يسوع بان مجيء الملكوت يبدأ بشكل بسيط، من دون ضجة، ولكن الحركة التي يطلقها تتواصل بشكل لا رجعة فيه عبر الجماعة المسيحية. وان تحرير امرأة، يوم سبت، كان قد ربطها الشيطان، هو علامة متواضعة -عليلة واحدة من بين آلاف من المرضى في العالم الذين سيقيمون محطّمين... - ولكنها علامة اكيدة، على ان الزمن قد تغير لونه: فاذا طُرد الشيطان، فمعناه ان الملكوت اقترب من البشر (٩: ١٠، ١٨؛ ١١: ٢٠). فكل اشكال المراءاة والمعاكسات التي تعترض طريق المنادين بالبشرى السارة -يسوع اولا، ومن ثم جماعة المسيحيين من بعد القيامة- لن يكون بوسعها ان تمنع التحرير الكامل والحاسم من ان يواصل مسيرته.

ثانياً: المرحلة الثانية نحو اورشليم

(لو ١٣: ٢٢-١٧: ١٠)

رفض محدثي يسوع ونداء الى الوثنيين (١٣: ٢٢ - ٣٠)

- ٢٢ وكان يَمُرُّ بِالْمَدْنِ وَالْقُرَى، فَيُعَلِّمُ فِيهَا، وَهُوَ سَائِرٌ إِلَى أُورُشَلِيمَ.
- ٢٣ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: ((يَا رَبِّ، هَلِ الَّذِينَ يَخْلُصُونَ قَلِيلُونَ؟))
- ٢٤ فَقَالَ لَهُمْ: اجْتَهِدُوا أَنْ تَدْخُلُوا مِنَ الْبَابِ الضَّيِّقِ. أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ سَيُحَاوِلُونَ الدُّخُولَ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ.
- ٢٥ ((وَإِذَا قَامَ رَبُّ الْبَيْتِ وَأَقْفَلَ الْبَابَ، فَوَقَفْتُمْ فِي خَارِجِهِ وَأَخَذْتُمْ تَقْرَعُونَ الْبَابَ وَتَقُولُونَ: يَا رَبِّ افْتَحْ لَنَا، فَيُجِيبُكُمْ: لَا أَعْرِفُ مِنْ أَيْنَ أَنْتُمْ، حِينَئِذٍ تَقُولُونَ: لَقَدْ أَكَلْنَا وَشَرَبْنَا أَمَامَكَ، وَلَقَدْ عَلَّمْتَ فِي سَاحَاتِنَا.
- ٢٦ فيقول لكم: لَا أَعْرِفُ مِنْ أَيْنَ أَنْتُمْ. إِلَيْكُمْ عَنِّي يَا فَاعِلِي السُّوءِ جَمِيعًا!
- ٢٨ فهُنَاكَ الْبُكَاءُ وَصْرِيْفُ الْأَسْنَانِ، إِذْ تَرَوْنَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ فِي مَلَكُوتِ اللَّهِ، وَتَرَوْنَ أَنْفُسَكُمْ فِي خَارِجِهِ مَطْرُودِينَ.
- ٢٩ وَسَوْفَ يَأْتِي النَّاسُ مِنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَمِنَ الشَّمَالِ وَالْجَنُوبِ، فَيَجْلِسُونَ عَلَى الْمَائِدَةِ فِي مَلَكُوتِ اللَّهِ.
- ٣٠ فهُنَاكَ آخِرُونَ يَصِيرُونَ أَوْلَى وَأَوَّلُونَ يَصِيرُونَ آخِرِينَ)).

الردة التي تفتتح المرحلة الثانية من الرحلة (آ ٢٢) لا تذكر فقط بهدفها الجغرافي؛
أما تعلن معلومة اساسية سوف تتوضح في المشهد التالي (١٣: ٣١-٣٥).

للو رواية التي نحن بصددتها مقدمة (آ ٢٣). ورُبَّ سائل يقول: بمن ينبغي ان نُؤمن.
هل بما يقوله الربانبة الذين يؤكدون بان الاسرائيليين جميعا، سيكون لهم نصيب في العالم
المقبل (مشنا، السنهدريم ١٠، ١)، او ما يقوله آخرون، يربو عدد المهالكين، في نظرهم،

على عدد المخلصين (عزرا الرابع ٩، ١٥)؟ والطريقة التي يتحدث بها يسوع عن ضرورة الاهتداء (١٣: ٣، ٥)، ألا تصنّفه في عداد الفريق الثاني؟

الا ان هذا السؤال المدرسي، في حد ذاته، لا يهم يسوع. فقبل ان يجيب عليه، نراه يعيد له اطاره، ويتوجّه الى كل المحيطين به (وهو اللعب المسرحي ذاته، كما في ١٣: ١٢-١٤)، مركّزا على الجهد: **اجتهدوا ان تدخلوا الى قاعة المأدبة الكبرى، من الباب الضيق** (آ ٢٤). فما يهمه، في الواقع، هو التغيير في السلوك لدى كل واحد. وبذات الفعل، لا يؤكد جواب يسوع على عدد المخلصين القليل، وانما على الجدية الذي يتّسم به الوجود البشري الحالي. ذلك ان كثيرين سيتراحمون على البوابة دون ان يتوصلوا الى العبور. فما عدا ضيق الباب الذي يقود الى فرح المأدبة، هناك، في الواقع، عامل ثانٍ يُضاف: المدة قصيرة، والباب سوف يُغلق. واذا بحث بعضهم عن الدخول، في الفوضى، وفي الدقيقة الاخيرة، كان الفشل نصيبهم.

والتحذير، فيما يوحي بالوقت الذي فيه يُغلق الباب، يصبح مهدّدا. ذلك ان غلق الباب هو بيد شخص مركزي، ربّ البيت الذي ليس سوى يسوع ذاته (آ ٢٥-٢٧). وحين يصل محدّثوه متأخرين، سيسعون الى ان يُفْتَحَ لهم، ولذلك سيتبححون بانهم كانوا ندماهم (راجع ٧: ٣٦؛ ١١: ٣٧؛ ١٤: ١) وانهم حضروا كرازته العلنية. الا ان الرد يتكرر مرتين: **"لا اعرف من اين انتم"** - وفي اللغة البيبلية، (راجع عا ٣: ٢) ذلك يعني: لم اختركم، لستم في عداد المختارين. وليس هناك، من جانب المعلم، اي موقف اعتباري: ذلك ان يسوع، عبر مرجع من المزمور ٦: ٩، يشير الى ان المتحدثين قد رُفضوا لانهم **يفعلون الشر**. فاذا كانت لنا مع المرسل علاقات -سطحية- فهي لا تنفع شيئا، طالما اننا لم نبلغ الى الاهتداء. فالخلاص ليس آليا. واذا كان الانسان منتميا الى الشعب الذي ابرم معه الله عهدا في سيناء، وكان اول من استفاد من البشرى السارة المعلنة في ساحاته وفي مجامعه، فذلك لا يمنحه بطاقة دخول الى ملكوت الله. فما ينبغي بالضرورة هو ان يهتدي الانسان ويستقبل هذه البشرى.

وهوذا يسوع يقوم بتأكيد مضاعف (آ ٢٨-٢٩). في نقطة اولى، سيكون الطرد من الملكوت الناتج عن الحكم المعلن في آ ٢٧، مدعاة الى **بكاء وصرير اسنان**، والى غضب وندم مرير لدى محدّثيه. وبغيظ، سيرون المؤمنين الحقيقيين في اسرائيل، يمثلهم الآباء و**كل الانبياء**، يتمتعون بالسعادة والسلام اللذين يميّزان الملكوت، بينما يقفون هم خارجا. وعوضهم -وتلك هي النقطة الثانية- **سيأتون** من الرياح الاربع: لها تلك الشعوب الوثنية التي ستدخل وتشارك في هذا الخلاص الذي لا نهاية له. ويسوع، فيما استعان بالموضوع

البيبلي بشأن الشعوب الصاعدة للحج في اورشليم لتقدم عبادة لله (راجع اش ٦٠:٣+)، يتحفظ من ذكر اسم المدينة؛ وبالفعل، لم تعد المدينة ذاك المكان الذي يريد الله ان يُعبد فيه: إذ ان الملكوت سماوي. الى هذه الصورة التي تطهّرت من كل رائحة قومية، اضاف يسوع صورة ثانية: السعادة غير المترجحة تجسّدت في المأدبة التي نصبها الله لاختصاصه -والاستعارة، هذه المرة، هي من اش ٦٥:٦. فالمأدبة في العالم الجديد تعبّر عن الشركة الكاملة بين البشر وبين الذي يخلصهم: "سيُدخل الله المختارين في ألفته ويجعل منهم اخصاء" (ج. سكلوسير).

وتصدي الخلاصة (آ ٣٠) لنبؤة سمعان الذي كان قد وصف رسالة يسوع بأنها تشير سقوط وهوض كثيرين في اسرائيل (٢:٣٤)، وهي تذكّر بان الملكوت سيحلب معه انقلابا في الاوضاع البشرية (راجع التطويات والويلات في ٦:٢٠-٢٦). فمن بين الذين أتوا في الآخر، هناك كثيرون سيصلبون عددا من القدماء، مع ان الانبياء اطلعوهم منذ القدم على مجيء الملكوت! فليس هنا، اذن، قاعدة عامة: والخلاصة تهمس بان من بين القدامى الاولين، من سيقتسمون المكان الاول مع آتين جدد من العالم اجمع. وهذا القول ليسوع هو بالتالي، في انجيل لوقا، في صالح اسرائيل اكثر مما يوازيه في مرقس ومتي.

يتوجه التحذير المهذد، اولاً، الى سامعي يسوع من اليهود، في اليهودية/ الجليل، في حدود السنوات ٢٨-٣٠؛ لم يكونوا، في نظر لوقا، كثيرا في الاهتداء والدخول في الملكوت، على مثال الاثني عشر والتلاميذ الآخرين. ومن بين هؤلاء السامعين، هناك من هم معنيون بشكل خاص، وهم ايضا قليلون، وقد بلغ بهم الامر الى اقرار الظلم الاعظم بمشاركتهم في قتل يسوع (راجع آ ٣١-٣٥). ولكن حذار من ان ننسى: تبقى هذه الاقوال الانجيلية آنية، وتعتبر نداء الى الاهتداء. وهكذا ايضا، لن يكون للمسيحين خلاص آلي اذا ارجأوا للغد اصلاح سلوكهم الذي يجب ان يتجدد دوما. فالباب ضيق للجميع: والذين منهم يقترفون الظلم، لن يكون بوسعهم المطالبة بألفة سطحية مع المسيح كي يُفتح لهم الباب حين يكون قد أُغلق.

يسوع امام موته القريب (١٣:٣١-٣٥)

٣١ في تلك الساعة دنا بعضُ الفريسيين فقالوا له: ((أخرج فاذهب من هنا، لأن هيرودس يريد أن يقتلك)).

٣٢ فقال لهم: ((اذهبوا فقولوا لهذا الثعلب: ها اني اطرُد الشياطين وأجري الشفاء اليوم وغداً، وفي اليوم الثالث ينتهي أمري.

٣٣ ولكن يجب عليّ أن أسير اليوم وغداً واليوم الذي بعدهما لأنّه لا ينبغي لسيّ أن يهلك في خارج أورشليم.

٣٤ أورشليم أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها! كم مرّة أردت أن أجمع أبناءك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحها! فلم تُريدوا.

٣٥ ها هوذا بيتكم يُترك لكم. وإني أقول لكم: لا تروني حتى يأتي يوم تقولون فيه: ((تبارك الآتي باسم الرب!))

يرتبط هذا المشهد بالمشهد السابق عبر الإشارة "في تلك الساعة". انها توضيح، في الواقع، لماذا سيُغلق رب البيت باب المأذبة الكبرى بوجه الكثير من معاصريه (٢٧-٢٥:١٣). يكشف يسوع لمحدثيه ما كان القارئ قد عرفه منذ التجلي (٩:٣١). والانكى، هو ان المدينة هي التي تسببت في موته (٣٥-٣٤ آ). فالظلم الذي بسببه سوف يُردّل كثيرون من محدثي يسوع، يكمن في قتل يسوع النبي في عاصمة الشعب المختار.

وهذا بعض الفريسيين ينصحون يسوع بان يمضي من هنا ويحملونه على ذلك. فمن الوجهة البشرية، تبدو النصيحة حكيمة: هيروُدس انتيباس، الشخصية الاولى في الجليل (١:٣) كان قد قطع رأس المعمدان، والفضول الذي ابداه تجاه يسوع (٩:٩) ألا يقوده الى الذهاب به الى الموت (١٢-٦:٢٣).

ويتعارض المخطط الالهي للخلاص مع هذه الحكمة، وقد ذُكر به ثلاث مرات: فيسوع الذي اقتاده الله الى الهدف (اورشليم)، الى نهاية حياته، يتحدث عن ضرورة (يجب... ألا ينبغي). فالوقت قصير بعد -وتتكرر تقريبا العبارة ذاتها مرتين: اليوم وغدا واليوم الثالث/ اليوم التالي- ولن يكون بوسع شيء او شخص ان يمنعه من ان يجر البشر من شرورهم؛ وبحسب المخطط الالهي، ليس امير الجليل، بل اورشليم، هي التي ستقتل النبي الاخير. فيسوع يندرج في خط الانبياء اسلافه (٤:٢٤). وكما في ٦:٢٢-٢٣ و ١١ و ٤٧:٥١-٤٧، سيختص يسوع المعتد التقليدي المتعلق بالمصير الذي يعاينه مرسلو الله.

ويأتي من ثم قول ينحي باللائمة على اورشليم مباشرة (٣٥-٣٤ آ). ويعدد المطلع (٣٤ آ) المآخذ: انه يقيم تضادا بين قتل مرسلي الله -ويعود الذنب فيه دوما الى عاصمة اسرائيل- وبين الجهود المستمرة عبثا التي بذلها يسوع؛ فلقد كان يريد ان يجمع ابناءها المشتتين ويميهم من الحكم الالهي الذي يهددهم. وهوذا القول النبوي الواضح يعلن العقاب (٣٥ آ): فما دام الدم البريء -وبالتالي دم المرسل الاخير بالذات- قد أُريق، يترك الله اورشليم وهيكلها، ويسحب بالتالي حمايته لشعبه (راجع حز ٨-١١). ولما كان ممثلو

الديانة اليهودية قد رفضوا عطية الخلاص الاخيرة (٢١:٥، ٣٠، ١٩:٣٩، ٤٧)، فالدينونة "لن تكون نتيجة فعل اعتباطي يقوم به الله، وانما تكريس مقاومة لا رجعة فيها تجاه عطية النعمة. فان مصير اسرائيل ليس نتيجة قدر، ولم يكن مفروضاً، بل مختاراً" (د. مار كيرت).

هذا العقاب، ايده يسوع بشكل احتفالي (خاتمة الآية ٣٥). فمعاصروه الذين رفضوا ان يعترفوا به بصفته ذلك الذي يجمع شمل اسرائيل، لن يروه البتة. واذا هُتف لمرسَل الله الملكي عبر المزمور ١١٨:٢٦، لدى دخوله اورشليم، فسيكون بضم جمع تلاميذه (١٩:٣٨). اما قاتلو الانبياء، فسيبتظرون ان يعود المرسَل الالهي على غمام السماء (٢١:٢٧)، كي يفوهوا بهذا الهتاف. وحينذاك سيتجلى، ليدين، لا ليجمع، وسيكون هتافهم متأخراً (راجع ١٢:٢٥-٢٧).

تناول طعام في بيت فريسي (١٤: ١-٢٤)

١ ١ ٤ وَدَخَلَ يَوْمَ السَّبْتِ بَيْتَ أَحَدِ رُؤَسَاءِ الْفَرِيسِيِّينَ لِيَتَنَاوَلَ الطَّعَامَ، وَكَانُوا يُرَاقِبُونَهُ.

٢ وَإِذَا أَمَامَهُ رَجُلٌ بِهِ اسْتِسْقَاءُ

٣ فَقَالَ يَسُوعُ لِعُلَمَاءِ الشَّرِيعَةِ وَالْفَرِيسِيِّينَ: ((أَيَحِلُّ الشِّفَاءُ فِي السَّبْتِ أَمْ لَا؟))

٤ فَلَمْ يُجِيبُوا بِشَيْءٍ. فَأَخَذَ بِيَدِهِ وَأَبْرَأَهُ وَصَرَفَهُ.

٥ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: ((مَنْ مِنْكُمْ يَقَعُ ابْنُهُ أَوْ ثَوْرُهُ فِي بَيْرٍ فَلَا يُخْرِجُهُ مِنْهَا لَوْ قَتَبَهُ يَوْمَ السَّبْتِ؟))

٦ فَلَمْ يَجِدُوا جَوَاباً عَنْ ذَلِكَ.

٧ وَضَرَبَ لِلْمَدْعُوعِينَ مَثَلاً، وَقَدْ رَأَى كَيْفَ يَتَخَيَّرُونَ الْمَقَاعِدَ الْأُولَى، قَالَ لَهُمْ:

٨ ((إِذَا دُعِيتَ إِلَى عُرْسٍ، فَلَا تَجْلِسْ فِي الْمَقْعَدِ الْأَوَّلِ، فَلَرُبَّمَا دُعِيَ مَنْ هُوَ أَكْرَمُ مِنْكَ،

٩ فَيَأْتِي الَّذِي دَعَاكَ وَدَعَاهُ فَيَقُولُ لَكَ: أَخْلِ الْمَوْضِعَ لِهَذَا. فَتَقُومُ خَجِلاً وَتَتَّخِذُ الْمَوْضِعَ الْآخِرَ.

١٠ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتَ فَامْضِ إِلَى الْمَقْعَدِ الْآخِرِ، وَاجْلِسْ فِيهِ، حَتَّى إِذَا جَاءَ الَّذِي دَعَاكَ، قَالَ

١١ لَكَ: قُمْ إِلَى فَوْقِ، يَا أَحْيَى. فَيَعْظُمُ شَأْنُكَ فِي نَظَرِ جَمِيعِ جُلُوسَاتِكَ عَلَى الطَّعَامِ.

١١ فَمَنْ رَفَعَ نَفْسَهُ وَضَعِ، وَمَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ رَفَعَ.))

١٢ وَقَالَ أَيْضاً لِلَّذِي دَعَاهُ: ((إِذَا صَنَعْتَ غَدَاءً أَوْ عَشَاءً، فَلَا تَدْعُ أَصْدِقَاءَكَ وَلَا إِخْوَتَكَ

وَلَا أَقْرَبَاءَكَ وَلَا الْجِيرَانَ الْأَغْنِيَاءَ، لِئَلَّا يَدْعُوكَ هُمْ أَيْضاً فَتَنَالَ الْمُكَافَأَةَ عَلَى صَنِيعِكَ.

١٣ وَلَكِنْ إِذَا أَقَمْتَ مَأْدُبَةً فَادْعُ الْفُقَرَاءَ وَالْكُسْحَانَ وَالْعُرْجَانَ وَالْعُمْيَانَ.

- ١٤ فطوبى لك إذ ذاك لأنهم ليس بإمكانهم أن يكافئوك فشكافاً في قيامة الأبرار)).
- ١٥ وسمع ذلك الكلام أحد الجلساء على الطعام فقال له: ((طوبى لمن يتناول الطعام في ملكوت الله)).
- ١٦ فقال له: ((صنع رجلٌ عشاءً فاجراً، ودعا إليه كثيراً من الناس.
- ١٧ ثم أرسل خادمه ساعة العشاء يقول للمدعوين: تعالوا، فقد أُعدَّ العشاء.
- ١٨ فجعلوا كلهم يعتذرون الواحد بعد الآخر. قال له الأول: قد اشتريت حقلاً فلا بُدَّ لي أن أذهب فأراه، أسألك أن تعذرني.
- ١٩ وقال آخر: قد اشتريت خمسة فدادين، وأنا ذاهب لأجربها، أسألك أن تعذرني.
- ٢٠ وقال آخر: قد تزوجتُ فلا أستطيع المجيء.
- ٢١ فرجع الخادم وأخبر سيده بذلك، فعضب رب البيت وقال لخادمه: أخرج علي عجل إلى ساحات المدينة وشوارعها، وأت إلى هنا بالفقراء والكسحان والعميان والعرجان.
- ٢٢ فقال الخادم: سيدي، ما أمرت به ولا يزال هناك مكان فارغ.
- ٢٣ فقال السيد للخادم: أخرج إلى الطرُق والأماكن المسيجة، وأرغم من فيها على الدخول، حتى يمتلئ بيتي،
- ٢٤ فإنِّي أقول لكم: لن يذوق عشاءي أحدٌ من أولئك المدعوين)).

في هذا المشهد الطويل نجد هدفاً واضحاً سبق ان صُوِّر ثلاث مرات: فكما في ٣٦:٧ و ٣٧:١١، نرى يسوع يحل ضيفاً على فريسي -وهنا نجدنا بازاء احد رؤساء الفريسيين- في احد غداءات اخوية الفريسيين، عشية السبت، حين كانت المناقشات الدينية تجري على قدم وساق. الا ان وراء هذه الدعوة مقاصد: ذلك ان علماء الشريعة والفريسيين يراقبونهم. وبالفعل، اهم، بعد التهجم المنظم الذي كانوا موضوعه في الغداء السابق، قرر الكتبة والفريسيون ان يثيروا الشعب ويوقعوا يسوع في الفخ (١١:٥٣-٥٤). وكانت الاحاديث المنوعة على المائدة تفسح المجال ليسر للتمييز بين ثلاثة اقسام في المشهد. وسرعان ما تتخذ هذه الاحاديث طابعاً جدالياً.

غالباً ما يفسح جو العيد المجال لمجادلة حول السبت (آ ١-٦)، وكانت المجادلة الثالثة والاخيرة مرتبطة بشفاء (راجع ٦:٦-١١ حين كان الكتبة والفريسيون قد بدأوا يراقبونهم؛ فيما كان نص ١٣:١٠-١٧ قد جعلنا بازاء رئيس مجمع). وكان هناك رجل يعاني من استسقاء، ولم يكن من بين المضيفين -وهو ليس من المدعوين، لانه سوف يُصرف ما أن يُشفى. ويسوع، قبل ان يبادر لتوّه الى اجراء الشفاء الذي يصبح مادة لاتهمه، اخذ يعيد السيناريو الذي كان قد اطلقه في ٩:٦: انه يطرح على خصومه سؤالاً.

وكان رئيس مجمع قد سبق ان اعطى رأيا سلبيا، حول هذه النقطة، في ١٣:٩، حين أكد انه لا ينبغي الجيء **لطلب الشفاء يوم السبت**. الا ان محدثي يسوع يعرفون الرد القاطع المعطى آنذاك في ١٣:١٥+؛ ولما لم يكن لهم ما يجيبونه، لزموا الصمت، وهذا يعني نوعا من الرضى.

حينئذ اخذ يسوع يشفي المريض ويصرفه. ومن ثم، ولمزيد من الكسب، طرح سؤالاً ثانياً، شبيها بالسؤال المطروح لدى شفاء المرأة المنحنية (١٣:١٥)؛ وكما في ٦:٩، كان الرهان يكمن في ان **تُخلَّص حياة ام ان تَهلك**. ولم يكن الكتبة والفريسيون ولا شك يشاطرون التزمّت الذي عكسته احدى الوثائق الاسينية في قمران: "اذا سقط حيوان في بئر او في حفرة، فلا يُسحب يوم السبت" (وثيقة دمشق ١١، ١٣-١٤). ومهما يكن من امر، فان يسوع مزج، بذكاء، بين اسعاف حيوان واسعاف حياة بشرية، ملمّحا الى امر في الشريعة يقول: "اذا رأيت حمار اخيك او ثوره واقعا في الطريق، فلا تتغافل عنه، بل افحصه معه" (تث ٢٢:٤). وكان الخصوم عاجزين عن الرد: فهم، إذ يرفضون ان يدعّموا هذا الشفاء المتنازع عليه، يقرون اهم، في حالة الضرورة، قد يتصرفون وفقا لما قاله يسوع.

ويسوع، إذ لم يعد بحاجة الى الدفاع عن ممارساته، راح يواصل المحادثة مع الكتبة والفريسيين. وحين لاحظ أن لديهم سلوكين فيهما ما يدعو الى الملامة، اعطى تعليمين مقتضيين، يتوجه احدهما الى المدعوين (٧-١١) والثاني الى المضيف (١٢-١٤). ولكن هل يُعقل اننا فقط بصدد قواعد تتعلق بطريقة قبول او تقديم الضيافة؟

القول الحكمي الاول، أثاره **اختيار المقاعد الاولى** - وكانوا يأكلون منبسطين في غداء عيدي. وكان يسوع قد سبق ان شجب هذا السلوك بشأن **المقعد الاول** في الجامع (١١:٤٣). وان ملاحظة المعلم تتعلق بالاهمية كما يفهمها: إذ ان علامات التقدير، مع قيمتها، هي تلك التي يعطينا اياها آخر، وليست تلك التي ننسبها الى ذاتنا! ومن الافضل ايضا ان نتوقع مجيء شخص مرموق على حين غرة... ففي بداية القرن الثاني، سوف يعطي احد الرايين قاعدة للسلوك تكاد تكون شبيهة: "اجلس في المكان الثاني او الثالث ما بعد المكان الذي يحق لك، وانتظر ان يُقال لك: اصعد! لا تبدأ انت في الصعود، فقد يمكن ان يقال لك: انزل! فمن الافضل ان يقال لك: اصعد، اصعد! مما ان يقال لك: انزل، انزل!" (تفسير احبار رابا ١). ولوقا، حين وصف هذا التعليم ذا الطابع الحكمي بانه "مثل"، فهو انما اراد القول انه يتجاوز مسألة اللياقة. وبالفعل، تضطرنا الآية ١١ الى الذهاب نحو الابدع. ففيه نجد، اولاً، انقلاباً في الاوضاع يميّز آخر الازمنة (راجع ٦:٢٠-٢٦؛ الخ...). وبلاكثر، يشير الفعلان في صيغة المجهول الى الله بصفته وراء حالة

الوضع والرفع. فهو وحده يمنح المجد الحقيقي، والشرف الحقيقي (راجع آ ١٠). والسلوك الذي يحسن تبنيه ابان مأدبة هو ذو شبه كبير مع التواضع الذي يطالب به الله الذين يريدون الدخول في ملكوته.

والتعليم الثاني ذو البنية الموازية للقول السابق يتعلق باختيار الندماء المدعويين. وهو، فيما يدعو الى عدم البحث عن اية معاملة بالمثل في هذه الحياة، يذكّر بالتعليم الوارد في ٣٢: ٣٥. فعلى مثال الملاحظة في الآية ١٤ وبعدها، ينطلق هذا التعليم من واقع: النخبة الاجتماعية المؤلفة من علماء الشريعة والفريسيين يتبادلون الدعوات في ما بينهم. واللغة الحكمية التي يستخدمها يسوع في آ ٢١، ليست هي الاخرى دون مواز لها في الادب الارامي: "استقبل في دارك الذي هو دونك منزلة ودونك غنى؛ فاذا ذهب ولم يردّ لك، فالله هو الذي يردّ لك" (حكمة احيقار ٣: ٣١). الا ان الموضوع هنا اكثر جذرية: فهو يدعو الى عدم دعوة الاصدقاء الذين لهم قدرة (طبيعية ومالية وثقافية او روحية) على ان يردّوا بالمثل، والالتفات الى المهمشين. والفئات الاربع من المساكين المذكورين، لا مال لهم ولا قدرات؛ إذ ليس لهم مكان بين الناس الميسورين. هناك كتاب اسبيني من قمران، استنادا الى أح ٢١: ١٧-٢١ و٢صم ٨: ٥، اوضح بشكل مميز بان مثل هؤلاء المرضى مُبعدون عن طقس جماعة الاعيان. وسيكون لهم مكان في المثل التالي: فالفئات الاجتماعية ذاتها التي ذكرت في ٣: ١٤ سنجدتها في ٢١: ١٤.

وتأتي تطوية ذات طابع متناقض في قسمها الاول (آ ١٤ أ، لانهم ليس بامكانهم ما يردونه لك): الوضع التعس بشريا هو السبب الذي من اجله تعطى الطوبى! ومثل هذا المطلب سوف يعلن اعتبارا من ١٤: ٢٥+. وخلاصة (آ ١٤ ب) تعلن، مع ذلك، عن تعامل بالمثل؛ غير ان المدعويين، لما كانوا مجردين من كل وسيلة، فالله هو الذي سيكون المدين؛ وسوف يصفّي الدين باقامته الابرار. وهكذا فالمكافأة الوحيدة التي ينبغي ان نبحت عنها، هي تلك التي تأتي من لدن الله في آخر الازمنة.

وذكر قيامة الابرار يُذكر حينذاك احد المدعويين بان هذه القيامة ستمكّن من المشاركة في الوليمة الكبرى التي سيقمها الله (راجع ١٣: ٢٩). وها هو يصوغ طوبى، على العكس من طوبى يسوع في آ ١٤، ليس فيها ما يبدو متناقضا (آ ١٥). فهي تفسّر البعد الاسكاتولوجي للملازم للتعليم السابق، وتوضح بان ما يلي يعكس العلاقات بين البشر وملكوت الله.

يصادق يسوع، عبر مثل الوليمة الكبرى، على هذه الطوبى، ولكنه يطرح سؤالاً غير مباشر على المدعو: "هل تكون انت من بين اولئك الذين سيرفضون الاشتراك في هذه

المائدة؟". وهذا المثل الذي فيه يتجلى بديهيها اهتمام لوقا بالفقراء، يكرر مجددا موضوع المشاركين في وليمة الملكوت، وقد قُدِّم له في ٢٩:١٣؛ انه يتناول قبول الانسان او رفضه الدخول في الملكوت، وهذا الخيط سوف يتواصل حتى ١٧:١٠.

وتحكي الآيات ١٦-٢١ أ مجرى الدعوة -وقد كررت مرة ثانية، الآن، اي يوم الخلاص- والرفض الذي تلقته، بصوت واحد، لدى الجميع. وهذا الرفض يعكس اعداءً تتعلق بما لم يكن متوقعا، الى جانب رفض خُطط له طويلا: مزارعان وضعا خدمة المال قبل خدمة الله (راجع ١٦:١٣)، بينما العريس الجديد اعطى الاولوية لعروسه -وهو أمر تسمح به الشريعة (تث ٢٤:٥)، ولكن لا الضرورة الانجيلية (راجع ١٤:٢٦).

في القسم الثاني (٢١أ-٢٤)، هوذا رب البيت يتراجع مرتين كي يتوجه الى مدعوين جدد. ووفق سيناريو زمني يعكس تاريخ الخلاص، يبدأ بالفقراء والمرضى الذين يجروُن اذيالهم على الساحات وشوارع المدينة؛ فهؤلاء المواطنين والمعاصرون ليسوع هم الهامشيون والمبعدون عن المجتمع الديني السليم. ونفهم، عبر عملية تأوين، بان الآية ١٣ تدعو الى ان نعكس في تصرفنا اليومي الطريقة التي بها يدعو الله الى مائدة الملكوت.

ومن ثم، ها هوذا يبحث عن الذين هم خارج المدينة، في الطرق والاماكن المسيحة: اي الوثنيين. وهذا النداء على مرحلتين -اليهودي اولا، ومن ثم اليوناني (روم ١٦:١)- سيجعله لوقا موضوع تنفيذ في الجزء الثاني من كتابه (رسل ١٣:٤٦). ذلك ان الدعوة الثانية التي اطلقتها كرازة الكنيسة مُعدَّة لكي تجعل البيت ممتلئا. (آ ٢٣). ولكن علينا الحذر من التشديد على صيغة "ارغم الناس على الدخول" التي بوسعها ان تصبغ، في اثر القديس اوغسطينس، طريقة بانسة لارغام الهراطقة بالقوة على العودة الى حضن الكنيسة! ولوقا، بالتالي، لا يتردد من القول بان تلميذي عماوس أُلحًا على يسوع (٢٤:٢٩). فنحن هنا بصدد استخدام طرق الاقناع مع الوثنيين الذين لا يعتبرون انفسهم، ولا عجب، اهلا لمثل هذه الدعوة. وفي الختام نجد من جديد الانقلاب في الاوضاع الذي اكدت عليه الآية ١١.

عكس المثل الرفض الذي كان يسوع ضحيته من لدن النخبة الاجتماعية والدينية. انه يحذّر علماء الشريعة والفريسيين الذين لهم، بحسب لوقا، عقارات ومترلة اجتماعية مرموقة؛ فقد يحدث ان يُبعدوا عن الحياة مع الله، ويتمنون، مع ذلك، ان يشاركوا فيها. ونجد هنا اشارة كريستولوجية ضمنية: ستكون لمقاومة كرازة يسوع الآن مردودات ابدية. الا ان المثل يذكر ايضا بان المبعدين مدعوون بشكل غير منتظر الى الاشتراك في الملكوت،

ويبين كيف يجب على الانسان ان يتصرف تجاه الفقراء، اقتداءً بتصرف الله. وهكذا نجدنا بازاء عنصرين اساسيين. اولاً، لا احد يبلغ الى الملكوت دون دعوة من الله - إذ لا يخلص الانسان نفسه بنفسه. ومن ثم، فالذي يُعَد عنه، ليس عليه سوى ان يلوم نفسه - إذ بوسع الانسان ان يرفض عطية الله العظمى؛ فالله لم يُعَدّ احداً مسبقاً، ومنذ الازل، لان يرى باب الوليمة الكبرى موصداً بوجهه! ولما كانت القاعدة الاولى تقوم في ان نفسر نصوص الإنجيلي ما على ضوء بعضها البعض، فان هذا المثل يسمح بان نفسر بشكل سليم ما قيل بشأن الباب الضيق (١٣: ٢٤).

نداء الى التجرد (١٤: ٢٥ - ٣٥)

- ٢٥ وكانت جُموعٌ كثيرةٌ تَسِيرُ مَعَهُ فَالْتَفَتَ وَقَالَ لَهُمْ:
- ٢٦ ((مَنْ آتَى إِلَيَّ وَلَمْ يُفَضِّلْنِي عَلَى أَبِيهِ وَأُمِّهِ وَإِمْرَأَتِهِ وَبَنِيهِ وَإِخْوَتِهِ وَأَخَوَاتِهِ، بَلْ عَلَى نَفْسِهِ أَيْضاً، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَكُونَ لِي تَلْمِيزاً
- ٢٧ وَمَنْ لَمْ يَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتَّبِعْنِي، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَكُونَ لِي تَلْمِيزاً.
- ٢٨ فَمَنْ مِنْكُمْ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يَبْنِيَ بُرْجاً، لَا يَجْلِسُ قَبْلَ ذَلِكَ وَيَحْسُبُ التَّفَقُّةَ، لِيَرَى هَلْ يَإِمَّاكَه أَنْ يُتِمَّهُ،
- ٢٩ مَخَافَةً أَنْ يَضَعَ الْأَسَاسَ وَلَا يَقْدِرَ عَلَى الْإِتْمَامِ، فَيَأْخُذَ جَمِيعَ النَّاطِرِينَ إِلَيْهِ يَسْخَرُونَ مِنْهُ وَيَقُولُونَ: هَذَا الرَّجُلُ شَرَعَ فِي بِنَاءٍ وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِتْمَامِهِ.
- ٣٠ أَمْ أَيْ مَلِكٍ يَسِيرُ إِلَى مُحَارَبَةِ مَلِكٍ آخَرَ، وَلَا يَجْلِسُ قَبْلَ ذَلِكَ فَيَتَفَكَّرُ لِيَرَى هَلْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَلْقَى بَعِشْرَةَ آلَافٍ مَنْ يَرْحَفُ إِلَيْهِ بِعِشْرِينَ أَلْفاً؟
- ٣٢ وَإِلَّا أَرْسَلَ وَقَدَّأ، مَا دَامَ ذَلِكَ الْمَلِكُ بَعِيداً عَنْهُ، يَسْأَلُهُ عَنْ شُرُوطِ الصُّلْحِ.
- ٣٣ وَهَكَذَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ لَا يَتَخَلَّى عَنْ جَمِيعِ أَمْوَالِهِ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَكُونَ لِي تَلْمِيزاً.
- ٣٤ ((إِنَّ الْمَلْحَ شَيْءٌ جَيِّدٌ، وَلَكِنْ إِذَا فَسَدَ الْمَلْحُ نَفْسُهُ فَأَيُّ شَيْءٍ يُطَيَّبُهُ؟
- ٣٥ إِنَّهُ لَا يَصْلُحُ لِلْأَرْضِ وَلَا لِلزَّبَلِ، بَلْ يُطْرَحُ فِي خَارِجِ الدَّارِ. مَنْ كَانَ لَهُ أُذُنَانِ تَسْمَعَانِ فَلْيَسْمَعْ!)).

ها نحن بازاء تغيير جذري في المشهد. ذلك ان الرحلة تتواصل. ويختفي الخصوم لفترة قصيرة؛ ويوجه يسوع الى الجموع الكثيرة التي تسير معه تعليماً "مسيحياً" بشأن التلمذ. وتبدو كلماته متناقضة مع المثل السابق، طالما انها تضع في الاولوية موضوعاً كان قد ظل تحت الصمت: فالذين يقبلون الدعوة للدخول في الملكوت، يتوجب عليهم ان يخضعوا لبعض الالتزامات.

وُفُتِّحَ التعليم بقولين يرسمان الشروط لمن يريد ان يكون تلميذا؛ إذ لا يكفي ان يأتي المرء الى يسوع (آ ٢٦-٢٧). والشرط الاول يطالب ان **يغض** المرء اسرته، وحتى **حياته** (آ ٢٦). لقد عرفت اليهودية ولا شك عددا من الرجال المتزوجين الذين كانوا يتركون كل شيء ليصبحوا في خدمة معلم ويتعلموا الشريعة على يده، حتى ان احدى الخدمات التي يقدمونها كانت تقوم في مرافقة الراي في تنقلاته (راجع كيف كان الإشاع يتبع ايليا ويخدمه، ١ مل ١٩: ٢١). وهكذا تبدو فريدة الكلمة الانجيلية مضاعفة. اولا، يُطلب التجرد، عبر مفردات جذرية ("يغض")، على مثال يسوع (٨: ١٩-٢١؛ ١١: ٢٧-٢٨)، عن كل رباط عائلي يكون عقبة (لاحظوا كلمة "زوجة"، راجع ١٤: ٢٠). وكل هذه الروابط الشرعية تماما، لا ينبغي ان تتخذ الاولوية، وكذلك الحب تجاه الحياة، وهو الآخر شرعي. اما الجدة الثانية: ليس هدف الانفصال عن الاسرة التفرغ لدراسة الشريعة، وانما يتيح التعلق بشخص يسوع واتباعه نحو اورشليم ومقامته مصيره. فالتلميذ الحقيقي هو وحده ذلك الذي بوسعه ان يتخذ هذا القرار الجذري والصعب: التخلي عن كل ما يمنعه من الاقتداء بالمسيح. وحينذاك تأتي الكلمة بشأن الاتباع على درب الآلام، وهي تعرض شرطا مزدوجا: حمل الصليب واتباع يسوع. وكما هي الحال في الكلمة الموازية لـ ٩: ٢٣، هناك تلميح الى نوع الموت الذي سيخضع له يسوع. ولا نجد يسوع، لدى لوقا، في اي مكان، يتكلم عن صلبه.

وهوذا مثلان، ألقا بما سبق بحرف "ف"، يدعون الى التفكير الجاد: لا يمكن ان نتبع يسوع بشكل سطحي، او القيام بالامور بنصف التزام، بل يجب ان نكون على يقين من اننا نستطيع السير بالقضية حتى الهدف (آ ٢٨-٣٢). والصور هي من المستوى ذاته: يجري الحديث عن سواتر (بوج) وعن قوى مسلحة؛ فأن يصبح الانسان تلميذا، معناه، الى حد ما، الانخراط في جيش في زمن الحرب...

هناك كلمة، مع انها تطبيق واضح للمثلين، تحمل شرطا جديدا وعزيزا جداً على لوقا: على التلميذ ان **يتخلي عن كل امواله** (آ ٣٣)؛ وقد شدد على صلة هذا الشرط بالالتزامات السابقة عبر تكرار القول ذاته: "من لا يفعل هكذا، لا يستطيع ان يكون لي تلميذا" (آ ٢٦، ٢٧، ٣٣). فمن ليس مصمماً على التجرد عن كل شيء، وحتى عن حياته، يتعرض لهزيمة مخزية. فأن نحسب مقتنياتنا وقوانا، فذلك يعني، عبر مفارقة، التخلي عن كل ما يعيق.

ويختم الخطاب بقول حكمة شعبية (آ ٣٤-٣٥). كان الملح، في القدم، وسيلة لحفظ الاطعمة بقدر ما كان يعطيها طعما. ولما كانت له قدرة على حفظ الاطعمة من

الفساد، أصبح رمزا للبقاء؛ لذا لم يكن يُستغنى عنه في الذبائح (أح ٢: ١٣). وفي فلسطين، كانوا يستخدمون عادة ملحاً من نوعية دونية، ممتزجاً بعناصر غريبة، بحيث كان يفقد خواصه في زمن قصير. وفي الواقع، الملح الذي يُمَلِّحُ الاطعمة كما يُمَلِّحُ، في آن واحد، على سبيل المثال، ذبيحة البخور، لم يكن بوسعها ان يُملح بملح آخر؛ فاذا حدث أن فقد قدرته، فليس بوسعها ان تعود اليه. والحال ان هذا القول عن الملح قد جاء في خاتمة تعليم بشأن وضع التلميذ. وبسبب المعنيين اللذين تحملهما اللفظة الآرامية الملازمة، فان الآية اللوقاوية تُقرأ "حتى لو أصبح الملح دون معنى" ("بلا ملح" لدى مرقس ٩: ٥٠)، بحيث تُيسر هذه الاضغاء النفسية تطبيقها. اذا كانت الروابط بين التلميذ وسيده تتحلل، لا بل تنفطر، فكيف يمكن اعادةها؟ وهكذا يكون المؤمن الفاتر من دون معنى؛ وما لا يصلح لشيء، يُطرح، إذ ليس بوسعها ان يكون تلميذاً (آ ٣٣). فالأفضل، اذن، ألا نسلك الطريق وراء المعلم، مما ان نسلكه ناقصاً او نتوقف في نصف الطريق (راجع آ ٣٢-٢٨).

هكذا يقول مسيح سفر الرؤيا: "اني عليم باعمالك، فلست بارداً ولا حاراً! وليتك بارد او حاراً! اما وانت فاتر، لا حاراً ولا بارداً، فسأتقيأك من فمي" (رؤ ٣: ١٥-١٦). والتحذير الختامي (آ ٣٥ ج-؛ راجع ٨: ٨) يدعونا الى العمل، كي نحتفظ بطعمنا وحرارتنا، كما يأمر يسوع.

امثال عن الفرح الجماعي بعد اللقيا (١: ١٥-٣٢)

- ١ ١٥ وكان الجبأة والخاطئون يدنون منه جميعاً ليستمعوا إليه.
- ٢ فكان الفريسيون والكتبة يتدَمَّرُون فيقولون: ((هذا الرجل يستقبل الخاطئين ويأكل معهم!))
- ٣ فضرب لهم هذا المثل قال:
- ٤ ((أي امرئ منكم اذا كان له مائة خروف فأضاع واحداً منها، لا يترك التسعة والتسعين في البرية، ويسعى إلى الضال حتى يجده؟
- ٥ فإذا وجده حمّله على كتفيه فرحاً،
- ٦ ورجع به إلى البيت ودعا الأصدقاء والجيران وقال لهم: إفرحوا معي، فقد وجدتُ خروفي الضال!
- ٧ أقول لكم: هكذا يكون الفرح في السماء بخاطئي واحد يتوب أكثر منه بتسعة وتسعين من الأبرار لا يحتاجون إلى التوبة.
- ٨ ((أم أيتها امرأة اذا كان عندها عشرة دراهم، فأضاعت درهماً واحداً، لا تُوقد سراجاً وتكنس البيت وتجد في البحث عنه حتى تجده؟

- ٩ فإذا وَجَدْتَهُ دَعَتِ الصَّدِيقَاتِ وَالْحَارَاتِ وَقَالَتْ: اِفْرَحْنَ مَعِي، فَقَدْ وَجَدْتُ دِرْهَمِي الَّذِي أَضْعُتُهُ!
- ١٠ أَقُولُ لَكُمْ: هَكَذَا يَفْرَحُ مَلَائِكَةُ اللَّهِ بِخَاطِي وَاحِدٍ يَتُوبُ.))
- ١١ وقال: ((كَانَ لِرَجُلٍ ابْنَانِ.
- ١٢ فَقَالَ أَصْغَرُهُمَا لِأَبِيهِ: يَا أَبَتِ اعْطِنِي التَّصِيبَ الَّذِي يَعُودُ عَلَيَّ مِنَ الْمَالِ. فَقَسَمَ مَالَهُ بَيْنَهُمَا.
- ١٣ وَبَعَدَ بَضْعَةَ أَيَّامٍ جَمَعَ الْإِبْنُ الْأَصْغَرُ كُلَّ شَيْءٍ لَهُ، وَسَافَرَ إِلَى بَلَدٍ بَعِيدٍ، فَبَدَدَ مَالَهُ هُنَاكَ فِي عَيْشَةٍ إِسْرَافٍ.
- ١٤ فَلَمَّا أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ، أَصَابَتْ ذَلِكَ الْبَلَدَ مَجَاعَةٌ شَدِيدَةٌ، فَأَخَذَ يَشْكُو الْعُوزَ.
- ١٥ ثُمَّ ذَهَبَ فَالتَّحَقَّ بِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ الْبَلَدِ، فَأَرْسَلَهُ إِلَى حُقُولِهِ يَرْعَى الْخَنَازِيرَ.
- ١٦ وَكَانَ يَشْتَهِي أَنْ يَمْلَأَ بَطْنَهُ مِنَ الْخُرْنُوبِ الَّذِي كَانَتْ الْخَنَازِيرُ تَأْكُلُهُ، فَلَا يُعْطِيهِ أَحَدٌ.
- ١٧ فَرَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ وَقَالَ: كَمْ أَجِيرٌ لَأَبِي يَفْضُلُ عَنْهُ الْخُبْزُ وَأَنَا أَهْلِكُ هُنَا جُوعًا!
- ١٨ أَقُومُ وَأَمْضِي إِلَى أَبِي فَأَقُولُ لَهُ: يَا أَبَتِ إِنِّي خَطَبْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَإِلَيْكَ.
- ١٩ وَلَسْتُ أَهْلًا بَعْدَ ذَلِكَ لِأَنْ أُدْعَى لَكَ ابْنًا، فَاجْعَلْنِي كَأَحَدِ أُجْرَانِكَ.
- ٢٠ فَقَامَ وَمَضَى إِلَى أَبِيهِ. وَكَانَ لَمْ يَزَلْ بَعِيدًا إِذْ رَأَاهُ أَبُوهُ، فَتَحَرَّكَتْ أَحْشَاؤُهُ وَأَسْرَعَ فَأَلْقَى بِنَفْسِهِ عَلَى عُنُقِهِ وَقَبَلَهُ طَوِيلًا.
- ٢١ فَقَالَ لَهُ الْإِبْنُ: يَا أَبَتِ، إِنِّي خَطَبْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَإِلَيْكَ، وَلَسْتُ أَهْلًا بَعْدَ ذَلِكَ لِأَنْ أُدْعَى لَكَ ابْنًا.
- ٢٢ فَقَالَ الْأَبُ لِخَدَمِهِ: أَسْرِعُوا فَأَتُوا بِأَفْخَرِ حُلَّةٍ وَأَلْبَسُوهُ، وَاجْعَلُوا فِي إِصْبَعِهِ خَاتَمًا وَفِي قَدَمَيْهِ حِذَاءً،
- ٢٣ وَاتُوا بِالْعِجْلِ الْمُسَمَّنِ وَادْبَحُوهُ فَنَأْكُلْ وَنَتَنَعَّمُ،
- ٢٤ لِأَنَّ ابْنِي هَذَا كَانَ مَيْتًا فَعَاشَ، وَكَانَ ضَالًّا فُوجِدَ. فَأَخَذُوا يَتَنَعَّمُونَ.
- ٢٥ وَكَانَ ابْنُهُ الْأَكْبَرُ فِي الْحَقْلِ، فَلَمَّا رَجَعَ وَاقْتَرَبَ مِنَ الدَّارِ، سَمِعَ غِنَاءً وَرَقْصًا.
- ٢٦ فَدَعَا أَحَدَ الْخَدَمِ وَاسْتَحْبَرَ مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ.
- ٢٧ فَقَالَ لَهُ: قَدِمَ أَحْوَكُ فَذَبَحَ أَبُوكَ الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ لِأَنَّهُ لَقِيَهُ سَالِمًا.
- ٢٨ فَغَضِبَ وَأَبَى أَنْ يَدْخُلَ. فَخَرَجَ إِلَيْهِ أَبُوهُ يَسْأَلُهُ أَنْ يَدْخُلَ،
- ٢٩ فَأَجَابَ أَبَاهُ: هَا إِنِّي أَخْدُمُكَ مِنْذُ سِنِينَ طُولًا، وَمَا عَصَيْتُ لَكَ أَمْرًا قَطُّ، فَمَا أَعْطَيْتَنِي جَدِيًّا وَاحِدًا لِأَتَنَعَّمَ بِهِ مَعَ أَصْدِقَائِي.
- ٣٠ وَلَمَّا قَدِمَ ابْنُكَ هَذَا الَّذِي أَكَلَ مَالَكَ مَعَ الْبَغَايَا ذَبَحَتْ لَهُ الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ!
- ٣١ فَقَالَ لَهُ: يَا بُنَيَّ، أَنْتَ مَعِي دَائِمًا أَبَدًا، وَجَمِيعُ مَا هُوَ لِي فَهُوَ لَكَ.
- ٣٢ وَلَكِنْ قَدْ وَجِبَ أَنْ تَتَنَعَّمَ وَتَفْرَحَ، لِأَنَّ أَخَاكَ هَذَا كَانَ مَيْتًا فَعَاشَ، وَكَانَ ضَالًّا فُوجِدَ.))

في الفصول ١٥-١٩ نجد تعاليم كثيرة ليسوع هي، بالدرجة الاولى، في صيغة امثال تهدف قبل كل شيء الى تسليط الضوء على الاهتمام الذي يبديه الله تجاه اولئك المحتقرين والمبغدين في المجتمع الديني. تلك هي بوضوح الحالة في الامثال الثلاثة التي يتألف منها الفصل ١٥. فان حب الله لاولئك الذين لا يحبُّهم أحد ولا يحبُّون أحدًا، انما يحكم، بصورة غير مباشرة، على المساواة والخشونة اللتين يبديهما لهم اولئك الذين يعتبرون انفسهم اكثر "برًا".

في منطلق الفصل ١٥، نجدنا مع غداء جديد (آ ١-٣)، ولكن يسوع، في هذه المرة، هو الذي يستقبل -قد يكون على مائدته في بيته- **عشارين وخطأة** (وخطأة بالمعنى الاجتماعي للكلمة) **ويأكل معهم**. بينما يشجب **الفريسيون والكتبة**، وهم اناس ذوو منزلة في المجتمع، هذه البادرة التي من شأنها ان تكسر الحواجز التقليدية الموافقة للحكمة السبيلية (راجع مثل ١٠: ١-١٥)؛ وكما كانوا قد فعلوا ابان الغداء في بيت لاوي (٢٩: ٥-٣٠)، نراهم هنا ايضا يتذمرون. ويأتي جواب يسوع، في صيغة **المثل**، ليفسّر ذلك الجواب المقتضب والقاطع الذي كان قد اطلقه آنذاك (٣١: ٥-٣٢)؛ اما التضاد بين **الابرار وبين الخطأة** الذين **يهتدون**، فهو هو في ٣٢: ٥ كما في ٧: ١٥. ذلك ان هذه الامثال الثلاثة تقيم صلة وثيقة ما بين سلوك يسوع وموقف الله -وهنا يكمن ما هو جديد وجوهري فيها. انما كلها تُختم بمواضيع (الفرح، التوبة) وبعبارة (**ما كان ضائعاً قد وُجد**) التي نجدها تتخلل، بمثابة خيط احمر، الفصل كله. فالمثلان الاولان (آ ٤-١٠) يجسّدان بداية تأكيد يسوع "ما جئت لادعو الابرار بل الخاطئين" (٥: ٣٢أ)، فيما يجسّد المثل الاخير خاتمته: "الى التوبة" (٥: ٣٢ب).

ويسوع، لكي يبرر سلوكه، يبدأ بمثلين مبنيين بطريقة موازية (آ ٤-١٠). ونجد سؤالاً يفترض جواباً ايجابياً. شيء قد **ضاع** (وتتكرر اللفظة ٥ مرات) ومن ثم **وُجد** (٦ مرات). راع في يُسر مقابل ربة بيت فقيرة، يدعوان اصدقاء (صديقات) وجيرانا (جارات) الى المشاركة في فرحهما. فاذا تاهت غنمة، هناك درهم من اصل عشرة دراهم -معيشة يوم- اضاعته المرأة. وهكذا لا تهتم الامثال بالطريقة التي تم فيها "الضياع" في الماضي؛ وحتى اللقيا، فهي الاخرى ترجع الى الماضي. فالالحاح يتمركز حول النداء المكرر الى مقاسمة الفرح اكثر مما على البحث.

هذه الامثال التوائم (آ ٤-٦، ٨-٩) وتطبيقاتها -وهي لا تختلف في صيغتها الا قليلاً (آ ٧، ١٠)- تشخص **الخطأي** في الغرض الضائع. فمن الاساسي ألا نقرأ التفسير من دون المثل الذي يسبقه: فالصلة بينها تشدد على ان توبة الخطأي لا يمكنها ان تتم اذا لم

يذهب الله، اولاً، في البحث عنه. وفي النهاية، يتجلى الفرع الالهي بخاطئ واحد يتوب، فرح يقاسمه الله البلاط السماوي بأسره. وفي آ ٧ (ولكن ليس في آ ١٠)، هناك حديث عن ٩٩ صديقاً ليسوا بحاجة الى توبة. هل تلك سخريّة باتجاه الفريسيين والكتبة الذين كان عليهم ان يعلموا أن لا احد بارّ قدام الله (راجع روم ٣: ١٠+)، وانهم بحاجة، هم ايضاً، الى التوبة؟ أوليست تلك بالاحرى طريقة للتشديد، الى اقصى الحدود - كما في المثل ذاته، آ ٤ - على القيمة التي يعلّقها الله على كل فرد يلتفت نحوه.

وهكذا، فان مخالطة يسوع للمبعدين تصبح مبرّرة من خلال تصرف الله ذاته. ويسفر الخطاب بالامثال عن سؤال ضمني يُطرح على السامعين: هل يمكنكم ان تشاركوا في فرح المسيح، وانتم ترون الخطأ يقتربون منه ليستمعوا اليه؟

ان المثل بصدد الرجل الذي كان له ابنان (آ ١١-٣٢) يبدو وكأنه يقوّة ذات نافذتين، وضعت على المسرح الابن الاصغر، أولاً، ومن ثم البكر؛ وفي الحالتين، يلعب الاب الدور الحاسم. ولدى قراءتنا، حين نكتشف ان للمثل خلاصتين، لا بل "ضربتين"، تكون الثانية هي التي يسعى لوقا الى التشديد عليها.

تقدم النافذة الاولى الابن الاصغر تحت سماء قائمة (آ ١١-٢٤). فهو لا ينتظر وفاة ابيه كي يتصرف بحصته من الميراث، وبلاكثر، نراه يبددها بعيش ماجن. ونجده عاملاً لدى وثني، وصل به الامر الى حراسة الخنازير - وهو النموذج الامثل للحيوان النجس في الدين اليهودي - وكان مستعداً ان يملأ بطنه من طعامها. انه لم يقرر العودة الا بحكم الضرورة. وبوسعنا ان نراه ان الفريسيين والكتبة الذين كانوا يصغون الى هذه القصة، كانت لهم ولا شك، ازاء هذه الملامح، عين المشاعر تجاه ندماء يسوع! وتتغير النبوة مع التفكير الداخلي لدى الابن الضال (آ ١٧-١٩). ذلك ان المسعى الذي وضعه نصب عينيه كان دافعاً انتفاعياً، ولكنه سجل بداية اهتداء وعودة الى الله والى ابيه في الوقت ذاته. وحين يؤكد انه ليس اهلاً لأن يُدعى "ابناً"، ويطلب بأن يُعتبر واحداً من خدام ابيه، فهو لا يقوم بمناورة خسيسة؛ انه، وبكل واقعية، يحسب الثمن الذي عليه ان يدفعه لعودته.

اما موقف الاب، في هذه النافذة الاولى، فهو يثير الدهشة. انه لا يعارض طلب ابنه الاصغر. وهوذا يقسم ماله ويوزّع ثروته بين ولديه. فالاصغر حصل على الثلث الذي يعود اليه، بينما الثلثان العائدان الى البكر (راجع تث ٢١: ١٧) بقياً، حتى وفاة الاب، تحت ادارة البكر الذي يبقى سيد الملكية. فالاب اعطى الحرية التامة لابنه الاصغر، وبخلاف الراعي والمرأة في المثليين السابقين، لا يقوم بأي مسعى للبحث عن ابنه. غير ان

الحب الودود الذي به استقبل ابنه لدى عودته، من شأنه ان يثير فينا، نحن القراء، تدمرا شبيها جدا... بتذمر الفريسيين في آ ٢! وتخييل، كما تخيّل الابن الاصغر ذاته، ان الآب سوف يعامله، في احسن الاحوال، **كواحد من اجرائه** (آ ١٩)، ويطلب منه ان يعوّض عن اخطائه. إلا ان هذا الاب، على العكس تماما، وقد تحركت **احشاؤه**، نراه يتّضع الى حد انه ركض لملاقاة ابنه -وهذا الاسراع لا يليق برجل شرقي- وخصّه علنا بعلامات الودّ، وقبل ان يكون الابن قد جاهر باعترافه. ومن ثمّ، نراه يقطع هذا الاعتراف بوضع خاتم في اصبع ابنه، علامة على السلطة، وخذاء، وهو علامة مميزة للرجل الحر. انه يعيده بالكامل الى الحلقة العائلية وينظّم مأدبة كي يشترك البيت كله في فرحه.

الواقع هو ذاته لدى الراعي ولدى ربة البيت: **"لان ابني... كان ضائعا فوجد"**. ولكنه مفسّر هنا بشكل جديد: **"كان ميتا فعاش"**. والدعوة الى الفرح الموجهة الى كل المشاهدين -الى الخدم، ولكن ايضا الى الفريسيين، كما البنا- اتخذت صيغة دقيقة: **"لنأكل ونتنعم!"**. الا ان الفرح الذي كان يُفهم بشأن الخروف الضال، كما بشأن الدرهم المفقود، يبدو هنا مخيبا بسبب ذنب الابن الضال -وهذا موضوع غائب عن المثلين الاولين. وهذا الفرح سيقود الابن البكر الى التذمّر على شاكلة الفريسيين: ألسنا بالتالي بازاء دعوة الاب الى الاحتفاء مع خاطئ، والاكل مع نجس!

في النافذة الثانية، تكشف ملامح البكر عن الغضب والحسد والعدوانية (آ ٢٥-٣٢). فحين اكد انه **يخدم اباه منذ سنين طوال ولم يعص له امرا** (آ ٢٩)، فهو انما يجعل من علاقته بابيه علاقة يحددها الواجب اكثر من الحب. وموقفه بصفة "صديق" يشير الى موقف الفريسيين والكتبة. فعلى مثالهم، يُظهر المسافة التي تفصله عن الضال، مشخصا خطيئته (**اكل مع البغايا**)، ومشيرا اليه بصفته **"ابنك هذا"** -وليس "اخاه". انه يتهم اباه بالخباية، وبالتالي، يلومه على انه **ذبح له العجل المسمن**، وانه راح يأكل ويحتفل مع هذا الذي ليس سوى خاطئ.

ان ملامح الاب تنطبق على الصورة التي اعطيت عنه في النافذة الاولى. وهنا ايضا، ليست قواعد اللياقة الشرقية املت عليه موقفه، وانما حبه لابنه: **وها هو يخرج ويتوسل الى ابنه** (آ ٢٨). ولتبرير سلوكه هذا، نراه يقر تماما بان ابنه البكر لم يمت ولا ضاع، ويشدد على اتحادهما الوثيق. وان صيغة **"جميع ما هو لي، فهو لك"** تذكر بان الاب وبكره، منذ القسمة، تمّعا سوية بالحصة المضاعفة التي تعود الى البكر (راجع آ ١٢). هناك نقطتان يشدد عليهما باتجاه الابن البكر الغاضب: **كان يجب ان نتنعم ونفرح** -وذلك موقف يعود الى المخطط الالهي (راجع ٢: ٤٩)، كونه يستند الى تصرف الله ذاته (راجع آ ٧،

١٠). ومن ثم، فان "الابن" (آ ٣٠) هو ايضا "الاخ" للابن البكر... وبالتالي، هوذا الاب يكرر الدافع العميق لهذا التصرف، وقد اغتنى هذه المرة بتفسير لاهوتي (آ ٢٤، ٣٢): العبور من الموت الى الحياة.

ويبقى المثل مُشرِّعاً: فلا ندري اذا كان البكر قد استجاب لتوسّل ابيه وقرر ان يشارك في فرحة اللقيا، كما فعل اولئك الاصدقاء (الصديقات) والجيران في المثليين الصغيرين. هل يرتضى بان ياكل مع اخيه "النحس"، ام سيقى جامدا في غضبه؟ وأحدني، اذن، انا السامع او القارئ لهذا المثل، في وضع الابن البكر: يعود الي ان استجيب اولاً لتوسّل الاب. وسيكون صعباً الجواب الايجابي، إن لم نقل مؤلماً - ولا يقول المثل قط ان ذلك امر سهل. فان وضع الابن البكر الذي أقحمتنا فيه حاتمة الرواية، هو اكثر احراجاً مما تعرضه علينا الليتورجيات التوبوية؛ ذلك ان هذه الليتورجية تقتصر على النافذة الاولى وتقودنا هكذا الى ان نرى ذواتنا في الابن الاصغر - وهذا ولا شك اكثر سهولة! ولا غرو ان لوقا يشدد بالاكتر على النافذة الثانية. ومهما يكن من امر، فان الاضواء تُسلط على حب الاب ورافته تجاه كل واحد، وهما فاعلان على مدى الرواية. وهذا ما يجعل اهتداء الخاطئ ممكناً، ويدعوننا الى الفرح مهما بدا ذلك صعباً في بعض الاحيان.

مثل الوكيل الحاذق؛ افكار حول الهال (١٦: ١-١٣)

- ١ ١٦ وقال أيضاً لتلاميذه: ((كان رجلٌ غنيٌّ وكان له وكيْلٌ فُشِكِيَّ إِلَيْهِ بِأَنَّهُ يُبَدِّرُ أَمْوَالَهُ .
- ٢ فدعاهُ وقالَ له: ما هذا الذي أَسْمَعُ عَنْكَ ؟ أَدَّ حِسَابَ وَكَأَلْتِكَ، فلا يُمَكِّنُكَ بَعْدَ الْيَوْمِ أَنْ تَكُونَ لِي وَكِيلاً .
- ٣ فقالَ الوكيلُ في نَفْسِهِ: ماذا أَعْمَلُ ؟ فَإِنَّ سَيِّدِي يَسْتَرِدُّ الْوَكَالََةَ مِنِّي، وأنا لا أَقْوَى على الفِلاحة، وأُخْجَلُ بِالْأَسْتِعْطاءِ .
- ٤ قد عَرَفْتُ ماذا أَعْمَلُ حَتَّى إِذَا نَزِعْتُ عَنِ الْوَكَالََةِ، يَكُونُ هُنَاكَ مَنْ يَقْبَلُونِي فِي بُيُوتِهِمْ .
- ٥ فدعا مديني سيِّدهُ واحداً بَعْدَ الْآخَرِ وقالَ لِأَوَّلِ: كم عَلَيْكَ لِسَيِّدِي ؟
- ٦ قال: مائةٌ كَيْلَ زَيْتاً . فقالَ له: إِلَيْكَ صَكُّكَ، فاجلسْ واكْتُبْ علي عَجَلٍ: خَمْسِينَ .
- ٧ ثمَّ قالَ لِآخَرَ: وَأَنْتَ كم عَلَيْكَ ؟ قال: مائةٌ كَيْلَ قَمْحاً . قالَ له: إِلَيْكَ صَكُّكَ، فَاكْتُبْ: ثَمَانِينَ .
- ٨ فأثنى السَيِّدُ على الْوَكِيلِ الْخائِنِ، لِأَنَّهُ كانَ فُطْناً في تَصَرُّفِهِ . وَذَلِكَ أَنَّ أَبْناءَ هذهِ الدُّنيا أَكثَرُ فِطْنَةً معَ أَشْبابِهِمْ مِنَ أَبْناءِ النُّورِ .
- ٩ ((وَأَنَا أَقُولُ لَكُمْ: اتَّخِذُوا لَكُمْ أَصْدِقاءَ بِالْمالِ الْحَرَامِ، حَتَّى إِذا فُتِدَ قَلْبُكُمْ في الْمَساكِنِ الْأَبديَّةِ .

- ١٠ مَنْ كَانَ أَمِينًا عَلَى الْقَلِيلِ، كَانَ أَمِينًا عَلَى الْكَثِيرِ أَيْضًا. وَمَنْ كَانَ خَائِنًا فِي الْقَلِيلِ كَانَ خَائِنًا فِي الْكَثِيرِ أَيْضًا.
- ١١ فَإِذَا لَمْ تَكُونُوا أَمْنَاءَ عَلَى الْمَالِ الْحَرَامِ، فَعَلَى الْخَيْرِ الْحَقِّ مَنْ يَأْتُمْنُكُمْ؟
- ١٢ وَإِذَا لَمْ تَكُونُوا أَمْنَاءَ عَلَى مَا لَيْسَ لَكُمْ، فَمَنْ يُعْطِيكُمْ مَا لَكُمْ؟
- ١٣ ((مَا مِنْ خَادِمٍ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْمَلَ لِسَيِّدَيْنِ، لِأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ أَحَدَهُمَا وَيُحِبَّ الْآخَرَ، وَإِمَّا أَنْ يَلْزَمَ أَحَدَهُمَا وَيُزْدِرِيَ الْآخَرَ. فَاتُّمُّ لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَعْمَلُوا لِلَّهِ وَلِلْمَالِ)).

يختلف السامعون هنا عن اولئك العدائين في الفصل السابق: هوذا يسوع يتوجه الى تلاميذه، وهذا ما لم يحدث منذ ١٢: ٢٢-٣٠. وللحال، يحكي قصة (١٦: ١-٨) ويكمل تفسيرها ببضع كلمات (آ ٩-١٣). والمثل الذي توحى به احداث يومية، هو من الامثال التي يصعب علينا فهمها؛ وتتساءل، متشككين، كيف امكن يسوع ان يؤيد تصرفات احتيالية حين امتدح نصاباً، وفوق ذلك مزوراً. وسرني أن ليس هنا قلب الرواية التي فيها يصف يسوع الوكيل بوضوح، بانه ظالم (آ ٨). ولكي نُجَنَّب مثل هذا الوهم، هوذا الحديث يتواصل عبر تعليم بصدد المال.

تلقي صاحب مساحة زراعية واسعة تقريراً سلبياً عن الذي يدير املاكه؛ وها هو يستدعي الرجل وينذره بانتهاء وكالته، مطالباً اياه بتقديم حساباته. واصبح الوكيل ازاء وضع هو من الصعوبة بمكان، بحيث لن يسعه ان يقوم بعمل يدوي -وهكذا اصبح في حكم العاطل- ولا ان يستعطي. الا انه عرف كيف يتخذ قراراً يضمن له مستقبله؛ انه سوف يتصرف بشكل ذكي، بحثاً عن اناس يستقبلونه في بيوتهم. هذا القسم الاول (آ ١-٤) يقطع انفسنا حين لم ينقل لنا ما يعرفه الوكيل.

وهوذا الرجل، يدعو مديني الملاك ويعرض عليهم اعفاءهم من ديون ذات قيمة. فحين يكون المرء مدينا بـ ٣٧٠٠ لتر من الزيت، فديني يرحب بتخفيض ٥٠%... ويرى بعض المفسرين البيبليين ان الوكيل اكتفى باطفاء الفوائد والعمولات التي تعود اليه بشكل شرعي؛ ومثل هذه القراءة قد تذهب بنا الى تبرير تصرفه ووضع المثل في مستوى اخلاقي. الا ان لوقا لم يقرأه بهذا الشكل: اذا كان الوكيل ظالماً وغير نزيه (آ ٨)، فلأنه كان سخياً على حساب سيده! والسيد الذي يكيل الثناء، هو ولا شك الرب يسوع، وليس الملاك الغني. وهذا لا يعني مع ذلك بان يسوع يؤيد تزوير الحسابات؛ فان خاتمة الآية ٨ تقول بصراحة بان الثناء موجه الى الطابع الحاذق والذكي لهذا المسعى، وليس الى

عدم التزاهة. اما ما يتعلق بالذكاء في العلاقات المتبادلة، فان ابناء النور -هكذا كان يطيب للمسيحيين ان يسموا انفسهم، هم الذين اصبحوا يشعّون عبر سماعهم كلمة الله (١ تس ٥: ٥؛ راجع لو ١١: ٣٤+) - بوسعهم ان يفاضلوا انفسهم ازاء ابناء هذا العالم، اولئك الذين لا يقيمون وزنا للبعد الالهي في الوجود البشري! وحتى حين يتصرف ابناء العالم بشكل غير نزيه، فالمؤمن الحقيقي يعرف أن يميز لديهم بعض القيم التي من صالحه أن يعيشها هو ايضا.

اما الدرس من المثل الذي يقرأ في آ ٨، فنجدّه من ثم مفسراً عبر خلاصة ثانية اعطاها يسوع في آ ٩. انما مناقشة تحمل التلاميذ على استخدام المال بذكاء، في افق الملكوت. فاذا عرف الوكيل الظالم ان يستخدم خيرات هذا العالم كي يكون له اصدقاء، ويكون بهذا الشكل قد هيأ مستقبله على هذه الارض، فكم بالحري يتوجب على المسيحيين ان يُعدّوا مستقبلهم الابدي عبر الاقتسام مع الفقراء، من خلال الصدقة؛ وهكذا سيستقبلهم هؤلاء الفقراء (راجع ١٤: ٤) في مدينة الله -حيث يشعر الفقراء انهم في دارهم، وفقا للتطويات، ٦: ٢٠+. فأن يكون المرء ذكيا، معناه ان يعتبر المال وسيلة وليس غاية. فالمال هو ظالم، وحدّاع -هكذا وُصف الوكيل بعين الطريقة في آ ٨-، إذ بوسعه ان يصبح صنما يُعبَد؛ وهو، اذا ما شُبه بخيرات الملكوت -وهي خيرات حقيقية لا تفنى (راجع ١٢: ٣٣)- يمثّل قيمة وقتية لا يُعتمد عليها: انه يزول بالضرورة يوم يموت كل واحد منا ويُجرّد منه. إذ ان لمملكة المال نهاية.

والآية ٩، مع انما في حد ذاتها خلاصة ثانية لرواية الوكيل الحاذق، فهي تُعتبر مقدمة لتطبيقات جديدين تبدو صلتها مع هذا المثل واهية. فالاول يقوم، اولا، في ازالة اي سوء تفاهم، وهو يمنعنا بالتالي من ان نرى في هذه الرواية شبه دعوة الى الغش (آ ١٠-١٢). كما ان هذا التطبيق عوضا عن الظلم الذي اتصف به الوكيل والمال كلاهما، يعرض الامانة المطلوبة، يوما بعد يوم، في ادارة الخيرات الروحية والمادية على السواء. وهذه المناشدة، عبر ثلاثة تضادات، قد تكون موجهة، بالدرجة الاولى، الى مسؤولي الجماعات المسيحية: إذ ان الامانة المطلوبة من اولئك الذين يديرون الخيرات المادية، لا غنى عنها بالاكثر لدى الذين تقع عليهم مسؤولية خير اخوتهم الروحي. وهناك كلمة اخيرة، تتضمن مثلا صغيرا مع تطبيقه (آ ١٣)، تناولت ايضا العلاقة مع المال. فمنذ ان اقتحم الله العالم، اصبح الانسان امام خيار جذري؛ وعلى المسيحي ان يبيّن، عبر استخدامه للخيرات، انه ينتمي الى الله وحده.

تهجر جديد على الفريسيين. مثل لعازر والغني (١٦: ١٤ - ٣١)

- ١٤ وكان الفريسيون، وهم مُحبون للمال، يسمعون هذا كله ويهزأون به.
- ١٥ فقال لهم: ((أنتم تزكون أنفسكم في نظر الناس، لكن الله عالم بما في قلوبكم، لأن الرفيع عند الناس رجس في نظر الله.
- ١٦ ((دام عهد الشريعة والأنبياء حتى يوحنا، ومن ذلك الحين يبشر بملكوت الله، وكل امرئ ملزم بدخوله.
- ١٧ ((لأن تزول السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الشريعة.
- ١٨ ((كل من طلق امرأته وتزوج غيرها فقد زنى، ومن تزوج التي طلقها زوجها فقد زنى.
- ١٩ كان رجلٌ غنيٌ يلبس الأرجوان والكثان الثاعم، ويتعم كل يوم تنعمًا فاخرًا.
- ٢٠ وكان رجلٌ فقيرٌ اسمه لعازر ملقى عند بابه قد غطت القروح جسمه.
- ٢١ وكان يشتهي أن يشبع من فئات مائدة الغني. غير أن الكلاب كانت تأتي فتلحس فروحه.
- ٢٢ ومات الفقير فحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم. ثم مات الغني ودفن.
- ٢٣ فرجع عييه وهو في متوى الأموات يُقاسي العذاب، فرأى إبراهيم عن بعدٍ ولعازر في أحضانه.
- ٢٤ فنادى: يا أبت إبراهيم ارحمني فأرسل لعازر ليبل طرف أصبعه في الماء ويبرد لساني، فإني مُعذب في هذا اللهب.
- ٢٥ فقال إبراهيم: يا بني، تذكر أنك نلت خيراتك في حياتك ونال لعازر البلى. أما اليوم فهو ههنا يعزى وأنت تُعذب.
- ٢٦ ومع هذا كله، فبيننا وبينكم أقيمت هوة عميقة، لكيلا يستطيع الذين يريدون الاجتياز من هنا إليكم أن يفعلوا ولكيلا يعبر من هناك إلينا.
- ٢٧ فقال: أسألك إذا يا أبت أن ترسله إلى بيت أبي،
- ٢٨ فإن لي خمسة إخوة. فلينذرهم لئلا يصيروا هم أيضاً إلى مكان العذاب هذا.
- ٢٩ فقال إبراهيم: عندهم موسى والأنبياء، فليستمعوا إليهم.
- ٣٠ فقال: لا يا أبت إبراهيم، ولكن إذا مضى إليهم واحدٌ من الأموات يتوبون.
- ٣١ فقال له: إن لم يستمعوا إلى موسى والأنبياء، لا يفتنعوا ولو قام واحدٌ من الأموات ((.

ويتغير السامعون: يعود الفريسيون الى المسرح. الا ان لوقا يربط بعناية هذا المشهد بالمشهد السابق، حين اثار الى اهم كانوا يسمعون هذا كله. وتعليم يسوع بشأن استخدام ذكي للمال، مع انه موجه الى التلاميذ، الا انه غير مخفي عن الآخرين. والقول الاخير بصدد استحالة خدمة الله والمال معا، جعل الفريسيين -وليس بعضا منهم فقط- ينتقلون من التذمر (١٥: ٢) الى الاستهزاء. اهم، وفقا لفكرة شائعة، يعتبرون، بالفعل، ان الثروات هي علامة على رضى الله الذي يكافئهم بها على برهم. وفي الواقع، بما اهم اصدقاء المال، فهم عاجزون عن خدمة الله (راجع آ ١٣). ويعمم لوقا ولا يقيم وزنا للواقع: فالفريسيون كانوا، واقعيًا، من الطبقة الوسطى في اغلب الاحيان. الا ان لوقا، باستعماله افعالًا مضارعة، فهو انما يعكس وضعا يتكرر دوماً؛ وهكذا يصبح الفريسي نموذجًا للانسان الذي تُغلقه ثروته دون الرسالة الانجيلية.

ويأتي جواب المعلم بثلاث مراحل: يشجب، اولًا، البرّ المزيف لدى خصومه (آ ١٥) ويعلن ثلاثة اقوال بشأن الشريعة (آ ١٦-١٨)، ويحكي اخيرًا، وعلى الفور، مثلًا طويلاً (آ ١٩-٣١).

اول كلمة يقولها يسوع (آ ١٥) تدحض رأي الفريسيين وهي مقدمة للمثل التالي. "لا تتخيلوا ان غناكم يبرهن على استقامة سيرتكم. ليس لكم من البر سوى مظهره الخارجي". فالغنى لا قيمة له البتة طالما انه لا يعني، بأي شكل من الاشكال، رضى الله. هناك ما هو اعظم: ان قاعدة الانقلاب في الاوضاع تدرج في مخطط الخلاص؛ فالغنى الذي يرفض ان يخضع له ابان حياته، سيضطر الانصياع له في موته.

والاقوال المعنونة من ثم تجابه قضية القيمة التي للشريعة والانبياء، في التدبير المسيحي -وهما القسمان الاولان في الكتاب المقدس العبري اللذان يُوجزان هذا التدبير؛ وهكذا تكون هذه الاقوال قد هيأت خاتمة المثل الذي سيضع حدًا لهذه المناورة القصيرة بين يسوع والفريسيين. فالقول الاول (آ ١٦) يقسم تاريخ الخلاص الى حقيقتين كبيرين؛ ويوحنا المعمدان هو الصورة الانتقالية بين العالم القديم والعالم الجديد (راجع ٣: ٢٠-٢١). وان تدفق الله في التاريخ يطرح، بشكل ملحّ، مسألة اتخاذ موقف من المال (راجع آ ١٣)، ولأن الملكوت، بأولى حجة، قد ادخل في العالم قانون الانقلاب (راجع آ ١٥ ب). فمن بشرى الملكوت، ومن اعلان الرسالة المسيحية، تنساب دعوة ملحّة موجهة الى كل انسان. وعضوا عن ان نظن بان كل انسان يرغمه الله على الدخول في الملكوت (راجع ١٤: ٢٣)، يجدر بنا ان نقرأ، كما يبدو، بان كل واحد يبذل كل قوته للاجابة الى دعوة الدخول في الملكوت (راجع رسل ١٣: ٤٨).

هناك قول ثانٍ يوضح العلاقة بين الشريعة والملوكوت (آ ١٧). ولا ينبغي الاعتقاد بان تدفق الملوكوت يبطل الشريعة! فكرازة يسوع عن الملوكوت تتطابق مع ارادة الله كما تجلّت في شريعة موسى. كما ان الله، منذ سيناء، ينتظر من الغني ان يكون له موقف واضح من الفقير، ولن يتراجع عن ذلك، ولا بحرف واحد! اذ ان ارادته اكثر ثباتا من الكون! وهذا التأكيد يهيبُ الخاتمة التي سيخرج بها مثل لعازر والغني.

اما القول الاخير، فهو يشجب طلاق الرجل زوجته وزواجه من اخرى، كما يشجب ايضا الزواج الثاني لامرأة طلقها زوجها (آ ١٨). ويؤكد يسوع بان هذه الممارسات التي احازتها الشريعة (راجع تث ٢٤: ١-٤) توازي زنى -وهو فعل ادانته الشريعة (خر ٢٠: ١٤). وهكذا، لا يكون يسوع قد جاء بشريعة جديدة تخص الزواج -كما لم يشرّع قط بصدد المال. فهو لا يتجاوز المستوى القانوني ليؤكد على ان الزواج يخلق بين الرجل والمرأة وحدة ليس بوسع الشريعة، لا ان تبطلها ولا ان تحميها بشكل تام. وفي كل الاحوال، ازاء انفلات جنسي متفشٍ في العالم الوثني، يحتفظ تحريم الزنى باسم الشريعة، بكل قيمته.

واليهودي، حين كان يطلق امرأته، كان ملزما قانونيا بأن يصرف لها "كيتوبا" (كتاب)، وهو شبه نفقة زوجية؛ وهكذا كان بوسع الرجل، بواسطة المال، ان يخلي سبيل زوجته. ففي فصل تناول فيه لوقا موقف الانسان تجاه ما يملك، ألا نقرا فيه تذكيرا بان الرباط الزوجي ليس قضية مالية، وان المرأة ليست شيئا يمكن استبداله بالمال؟ وبكلمة، انها المساواة بين الرجل والمرأة (راجع آ ١٨ب).

اما الرواية النموذجية (آ ١٩-٢٦)، فتبدأ لتوّها، دون انتقال؛ وقد سبق لنا ان قلنا بان الآيتين ١٤-١٥ هما بمثابة مقدمة لها. وفيما كان مثل الآيات ١-٨ قد علّم كيف نستخدم الثروات، يعرض هذا المثل الوجه المعاكس، واضعا على المسرح شخصا لا يتعامل جيدا مع امواله. وهذا الشخص المجهول يمتاز بشيء واحد: انه غني، ويعيش في بجموحة، وبملابس فاخرة، ويقيم كل يوم **مآدب فخمة**. اما الفقير، فيحمل في جسمه قروحاً، وقد عرف الجوع: على مثال الابن الضائع، في ١٥: ١٦، الذي كان يشتهي ان يشبع من فضلات البشر. والرواية، لا تنني قط، لا على ما قد يكون قوة في النفس او تقوى محتملة. ذلك ان غنى لعازر -ما عدا ان اسمه مذكور في الرواية- انما هو، اذن... فقره الذي سيمكّنه من الدخول في الفرحة الابدي لدى موته. فالموت، لا يقرب بينهما من بعد حسب، بل يحتم بشكل حاسم، اللاتلاقي بينهما، وهو تلك الهوة العظمى التي تفصل

بينهما للايد: وهكذا فان الانقلاب في الاوضاع الذي اعلنته التطويبات والويلات في ف ٦، وهو ميزة زمن النهاية، يتحقق منذ الان، لدى موت كل منهما، ولا رجعة فيه.

والذين على شبهه لا يهتمون بدين الفقير، وانما رسل الله هم الذين يضعونه في المكان الذي ينتظر فيه الابرار القيامة، ويضعونه في مكان الشرف في ما بين آباءه-الآباء العظام- إلى جانب ابراهيم، اول الآباء؛ وهذا يعني السعادة التي يرثها. اما الغني، فسيكون حيث يقيم الموتى الذين تحكم عليهم خطاياهم بالعذاب، اي بالحر الشديد والعطش -وتلك صورة بليغة لمن يعرف صحارى الشرق الاوسط... وهو، فيما لم يترك الفتات للفقير الذي عضه الجوع، يفاخر بانتماؤه إلى نسل ابراهيم، ويتمنى الان ان يتلقى من لعازر قطرات الماء التي ترطب شفثيه في عذاب النار. الا ان جواب ابراهيم يؤكد بشدة على مبدأ انقلاب الاوضاع، والذي يتم لدى موت الانسان (آ ٢٦)، في صيغة تستلهم، بشكل اكيد، التطويبات والويلات الواردة في ٦: ٢٠؛+ وهنا يكمن التعليم الاساسي في هذا القسم الاول من الرواية. فالهوة العظيمة التي تنجز الانفصال بين الذين اخذوا يتنعمون حول ابراهيم، وبين الاموات المعذبين (آ ٢٧)، هي امتداد للهوة التي كانت تفصل بين الباب الذي كان لعازر واقفا عنده، وبين مائدة المأدبة، وهي هوة لم يفعل الغني، طيلة حياته، شيئاً ليملاًها.

من البديهي اننا سنقول بان هذا الغني لم يتلق الدعوة الملحة التي وجهها يسوع كي يستخدم ماله، فيجعل من لعازر المسكين صديقاً له (٩: ١٦). غير ان هذه الدعوة ليست بجديدة بحيث يكون للانسان عذر في تجاهلها! فلقد سبق ان حملتها الشريعة: "اذا كان هناك فقير من اخوتك في احدى مدنك... فلا تُفَسِّ قلبك ولا تقبض يدك عن اخيك الفقير... فانا أمرك: افتح يدك لـاخيكَ المسكين والفقير الذي في ارضك" (تث ١٥: ٧-١١). ولقد ذكّر بما الانبياء دون انقطاع. ففي ما يتعلق باستخدام ذكي للمال، يذهب تعليم يسوع بالشرعية والانبياء الى ذروتها (راجع آ ١٦-١٧).

في القسم الثاني (آ ٢٧-٣١)، هوذا الغني الميت يطالب بعلامة-قيامه لعازر- من شأنها ان تهدي اخوته الاغنياء الذين هم بعد في الحياة. بامكاننا ان نتساءل كيف يبقى في العذاب هذا الرجل الذي بدا الان ذا حب يعلن الحذر للآخرين، وقد دعاه ابراهيم "يا ابني"... الا ان رواية المثل لا تواجه هذه القضية. فالهدف من توسلات الغني هو ان تكون مقدمة لتأكيد ابراهيم المضاعف: على الاحياء ان يسمعوا موسى والانبياء، ويضعوا ما يسمعون موضع تنفيذ. واذا كان لوقا، في اماكن اخرى، قد اورد بان على التلميذ ان يسمع يسوع ويحفظ كلمته (٦: ٤٧؛ ٨: ١٥؛ الصوت الالهي في ٩: ٣٥)، فبالقابل،

ليست هناك البتة، في ما يتعلق باستخدام الثروات، ضرورة الى انتظار النداء الانجيلي: إذ ان هذا المطلب الالهي، وقد صيغ منذ بدايات الشعب، في الشريعة، ما انفك يذكر به انبياء عديدون. وهكذا، اذن، حين اوصانا يسوع، دون انقطاع، ان ندعو الفقراء الى مائدتنا (١٤: ١٢-١٤)، او ان نستخدم مالنا بذكاء (٩: ١٦)، فهو لم يأت بوصية جديدة؛ وانما ذكر بالشريعة التي لم تُبطل، وهي تحتفظ بكل قيمتها.

والغني الذي صاغ رأيا طالما سمعناه في هذا العالم الواسع، ظن ان معجزة كان بوسعها ان تحصل على ما لم تستطع الاسفار المقدسة الحصول عليه. يا للخطأ! فان معجزة، حتى وان كانت قيامة ميت، لن تقوى على هداية اولئك الذين يرفضون ان يتلقوا، في الايمان، رسالة الشريعة والانبياء. ويتخذ هذا التأكيد لسعة خاصة في الكنيسة التي تعترف بيسوع الذي مات ثم أُقيم! فكم مرة تخيلنا باننا لو تمتعنا ببضعة تراثيات للقائم من بين الاموات، لَكُنَّا احيرا قررنا ان نغير حياتنا... وهوذا الانجيل هنا، ليل نهار، في متناولنا! وكما في الامثال التي تتضمن "غائتين"، فالثانية هي التي يشدد عليها لوقا، اذ ان الدرس الرئيس من رواية لعازر والغني هو بالتحديد: **سماع** كلمة الله يقود الى **الاهتداء**. ولكن هناك ما هو اكثر: ما يورده لوقا بشأن استخدام المال، ليس جديدا في الانجيل، وانما هو نداء تقليدي كان حاضرا مسبقا في قلب الشريعة والانبياء.

وهكذا يتضح بان المثليين في ف ١٦ يؤلفان تعليما واحدا. فنحن بازاء تحذيرات، فيما تذكّر بالمشروعية الدائمة للاسفار المقدسة، تهدف الى حمل الاغنياء على مقاسمة ثرواتهم، منذ هذه الحياة، بحيث يُحْتَب الفقراء، منذ هذه الحياة، من وضع البؤس الذي هم فيه. فعوضا عن ان يتعرض الغني لانقلاب كارثي ابان الموت، من الافضل له ان يخضع اراديا لانقلاب يحمل اليه خيرا لا مثيل له، اذا ما اقتسم اليوم مع ذاك الجائع.

الحياة الاخوية (١٧: ١-٤)

- ١٧ وقال لتلاميذه: ((لا محالة من وجود أسباب العثرات ولكن الويل لمن تأتي عن يده.
- ٢ فلأن تُعلّق الرّحى في عنقه ويُلقَى في البحر أولى به من أن يكون حَجْرَ عَثْرَةٍ لِأَحَدٍ هَؤُلاءِ الصِّغار.
- ٣ فخذوا الحذرَ لأنفسِكُمْ.))

إذا خَطِيءَ إِلَيْكَ أَخُوكَ فَوَيِّخْهُ، وَإِنْ تَابَ فَأَغْفِرْ لَهُ.

٤ وإذا خَطِيءَ إِلَيْكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ فِي الْيَوْمِ، وَرَجَعَ إِلَيْكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ فَقَالَ: أَنَا تَائِبٌ، فَأَغْفِرْ لَهُ.))

يعود يسوع الى **تلاميذه**، الا ان موضوع الحديث القصير معهم ليس هو المال، كما في ف ١٦، بل عن الطريقة في عيش العلاقات الاخوية - وذلك في نقطتين.

يحدّر قول اول كل واحد (راجع آ ١٣) من **المعثرة** - وهي لفظة كانت تعني اصلا الحجر الذي يعثر به احد. فهذا المؤمن **الصغير** والضعيف، قد يعثر اذا ما رأى سلوك عضو آخر من الجماعة، بحيث يقوده الى عدم الامانة للمسيح، والى التخلي عن الايمان المسيحي (آ ١٣-١). لا شك ان رسائل بولس عكست هي الاخرى قضية مماثلة، حين كتب الرسول بصدد اللحوم المقرّبة للاصنام (راجع ١ قور ٨: ٩-١٣). غير ان الحالة هنا هي اكثر ضرراً؛ فالذين يقصدهم لوقا، لا بد انهم اولئك الذين يتكلمون **بالضلال بهدف همل التلاميذ على اتباعهم**، وقد يذهبون بهم الى الجحود (رسل ٢٠: ٢٩-٣٠). ومثل هذه فرص السقوط يصعب تجنبها في الحياة المسيحية، بفعل الشيطان ولا شك (راجع ٢٣: ٣ بالنسبة الى يهوذا). فالتلميذ الذي يدفع احاه الى خيانة الله، يوجّه اليه يسوع هذا الانذار "الويل!" فهو يوحى بالكارثة النهائية التي يجب ان يتوقعها ذاك الذي يوقع الآخر. ولذلك، يكون الافضل لمؤمن ان يهلك للحال من ان يكون سببا لجحود احد اخوته الاكثر ضعفا.

ويعلم يسوع من ثم كيف يتوجب على المسيحي ان يواجه اساءة شخصية يقترفها بحقه مؤمن آخر (آ ٣-٤). فيجب علينا، اولاً، ان نمارس الاصلاح الاخوي، اي ان نتحرراً فنكشف للآخر ما اساء به الينا، ولا نجتريّ او نخلق الاساءة بالصمت. فبهذه الطريقة يكون بوسع الآخر ان يعترف انه مخطئ فيتوب؛ وهذا هو الهدف الذي يجب ان نسعى إليه. وبعد ذلك لنقمّ بالغفران! ونجد، وراء هذا التوجيه، ممارسة يسوع ذاتها (٢٣: ٣٤) والطلبية الثانية من صلاة الرب (١١: ٤): فأنا ذاتي خاطئ غفر لي الله، واذا امتنعت عن ان اغفر لآخي، فقد اتعرض الى ان اغلق ذاتي عن الغفران الذي لا يبي الله يمنحه لي. وللحال، عليّ ان اغفر بقدر ما يتوب ذاك الذي يسبب لي الضرر.

قوة الايمان؛ مثل السيد والخدام (١٧: ٥ - ١٠)

- ٥ وقال الرُّسُلُ لِلرَّبِّ: ((زِدْنَا إِيمَانًا))
 ٦ فقالَ الرَّبُّ: ((إِذَا كَانَ لَكُمْ إِيمَانٌ بِمِقْدَارِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ، قُلْتُمْ لِهَذِهِ التُّوتَةِ: انْقَلِبِي وَأَنْعَرِسِي فِي الْبَحْرِ، فَأَطَاعَتْكُمْ.
 ٧ مَنْ مِنْكُمْ لَهُ خَادِمٌ يَحْرُثُ أَوْ يَرْعَى، إِذَا رَجَعَ مِنَ الْحَقْلِ، يَقُولُ لَهُ: تَعَالَ فَاجْلِسْ لِلطَّعَامِ!
 ٨ أَلَا يَقُولُ لَهُ: أَعِدْ لِي الْعِشَاءَ، وَاشْدُدْ وَسَطَكَ وَاحْدُمْنِي حَتَّى أَكُلَ وَأَشْرَبَ، ثُمَّ تَأْكُلُ أَنْتَ بَعْدَ ذَلِكَ وَتَشْرَبُ.

٩ أتراه يشكرُ للخادمِ أَنَّهُ فعلَ ما أمرَ به ؟

١٠ وهكذا أنتم، إذا فعلتم جميع ما أمرتم به فقولوا: نحنُ خدَمٌ لا خيرَ فيهم، وما كانَ يجبُ علينا أن نفعله فعلناه)).

ويتغير المتحدثون من جديد؛ أهم الرسل يتوجهون الآن الى رب الكنيسة. أنهم، باستثناء تأسيسهم (بصفتهم الاثني عشر رسولا، ١٣:٦)، دخلوا الى المسرح كي يُرسلوا في بعثة رسولية ويعودوا (١:٩، ١٠)، ومن ثم كي يطلبوا الى الرب، عبر بطرس، اذا كان مثل الخدَم الساهرين يقصدهم (١٢:٤١). وفي سائر الاوقات، نجدهم مندجين في جمع التلاميذ. اما هنا، فعلى لساهم، نحن بازاء سؤال يتقدم به مسؤولو الجماعة المسيحية. "ونجدنا حقا بازاء مطالب دون قياس يفرضها يسوع على تلاميذه باسرهـم" تتعلق بالحياة الاخوية: كيف يمكن ان نغفر دون انقطاع! لذا قلق الرسل بشأن "الوسائل لغيش مثل هذا البرنامج" (ب. هوزيه).

لا يجيب الرب (انه الاستخدام الثاني لهذا اللقب على مدى آيتين فقط) على طلب المسؤولين، بطريقة واضحة. انه يصوغ اولا قولاً شبيها (آ ٦) بالقول الذي يتعلق بالجمل وخرم الابرة (راجع ١٨:٢٥): فالمقصود في كلتا الحالتين هو الاشارة الى احداث خيالية. "اذا كان لكم ايمان في حد ادنى -وهذا الايمان تملكونه بصورة دائمة!- سيكون كافيا" لتحقيق ما يبدو فعليا غير ممكن! والصورة الرائعة عن تينة تطيع وتذهب لتُزرع في البحر تعني بان بوسع الايمان ان يحصل على المستحيل. لذا يجب ولا شك ان نفهم لفظـة "ايمان" بمعنى جواب الانسان الى مبادرة الله، وليس طريقة سحرية في ارغام الله على تحقيق خوارق!

من هنا، وفي زمن ثانٍ، يأتي مثل الخادم (آ ٧-٩) وتطبيقه (آ ١٠). ويذكر الوضع الذي تعرضه الآية ٧، في بعض الاوجه، بمثل الخدَم الساهرين الذين كانوا، كما هي الحال هنا، صورة لمسؤولي الجماعة (راجع ١٢:٣٦-٣٨). والنظرية التي بموجبها يكون بوسع الخادم ان يتناول طعامه على الفور، تبدو للحال غير واردة بسبب الدور الذي لعبه السؤالان الاولان اللذان من خلالهما، ناشد يسوع الرسل. وهنا، نجد رب العمل، هو الذي يُخدَم. والخادم، بعد ان يكون قد حرث ورعى، يترتب عليه الآن ان يخدم على المائدة، قبل ان يأكل هو بدوره. ونرى ان المسافات تتراكم وتتعارض مع السرعة غير الواقعية التي عكستها الآية ٧: "أعددُ لي... وبعد ان تشدّ وسطك، اخدمني حتى اكون قد اكلت وشربت؛ وبعد ذلك...". وحينذاك يطرح يسوع السؤال: "أترى السيد بيدي على الفور مشاعر الشكر، بعد ان تكون المهمة كلها قد أنجزت؟".

ومع التطبيق (آ ١٠)، هوذا الرسل، عبر المثل، مدعون، اولاً، الى ان يروا انفسهم في مكان رب العمل الذي يعطي الاجرة لخدام، سواء كان فلاحاً ام راعياً، وها قد اقتيدوا الآن الى ان يروا انفسهم في الوضع المعاكس: انهم خدم وضعاء، نافعون بالتأكيد، وليسوا لا شيء - "ما كان يجب علينا ان نفعله، فعلناه" - ومع ذلك ليسوا سوى خدام. وهكذا يرى السامع انه قد انتقل من قصة من الحياة اليومية الى تلميح الى العلاقات بين الله وبين الذين يخدمونه حين يرعون شعبه ويقاسمونه خبز حياته. لا ينبغي، اذن، على مسؤولي الجماعة المسيحية ان يتباهوا امام الله بالخدمة التي يؤدونها! - خدمة لا غنى عنها، ولكنها خدمة لا غير.

كيف يترابط المثل مع الجواب الاول المتعلق بالايمان؟ انه بمثابة برهان مبدئي. واليكم اعادة صياغة لجواب يسوع ازاء سؤال الرسل:

اذا كان مع القليل من الايمان الذي تشتكون منه

بوسعكم ان تحصلوا على نتيجة خيالية

(فكم بالحري، مع هذا القليل من الايمان)

بوسعكم ان تتمموا بشكل كامل

دعوتكم بصفة خدام

اذ تجدون في ممارسة الخدمة راحتكم التامة

دون ان تنتظروا تجلي جودة خاصة

من المعلم (ب. هوزيه).

ثالثاً. المرحلة الثالثة نحو اورشليم

(لو ١٧: ١١ - ١٩: ٢٨)

من عشرة برص، سامري يشكر (١٧: ١١ - ١٩)

- ١١ وَيَيْنَمَا هُوَ سَائِرٌ إِلَى أُورُشَلِيمَ، مَرَّ بِالسَّامِرَةِ وَالْجَلِيلِ.
- ١٢ وَعِنْدَ دُخُولِهِ بَعْضَ الْقُرَى، لَقِيَهِ عَشْرَةٌ مِنَ الْبُرَصِ، فَوْقَفُوا عَنْ بَعْدِ،
- ١٣ وَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ قَالُوا: ((رُحْمَاكَ يَا يَسُوعَ أَيُّهَا الْمَعْلَمُ!))
- ١٤ فَلَمَّا رَأَاهُمْ قَالَ لَهُمْ: ((امضُوا إِلَى الْكَهَنَةِ فَأَرَوْهُمْ أَنْفُسَكُمْ)) . وَيَيْنَمَا هُمْ ذَاهِبُونَ بَرِنُوا.
- ١٥ فَلَمَّا رَأَى وَاحِدٌ مِنْهُمْ أَنَّهُ قَدْ بَرِيَ، رَجَعَ وَهُوَ يُمَجِّدُ اللَّهَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ،
- ١٦ وَسَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ عِنْدَ قَدَمَيْ يَسُوعَ يَشْكُرُهُ، وَكَانَ سَامِرِيًّا.
- ١٧ فَقَالَ يَسُوعُ: ((أَلَيْسَ الْعَشْرَةُ قَدْ بَرِنُوا؟ فَأَيْنَ التَّسْعَةُ؟))
- ١٨ أَمَا كَانَ فِيهِمْ مَنْ يَرْجِعُ وَيُحَمِّدُ اللَّهَ سِوَى هَذَا الْغَرِيبِ؟))
- ١٩ ثُمَّ قَالَ لَهُ: ((قُمْ فَاْمضِ، إِيْمَانُكَ خَلَّصَكَ)) .

للمرة الثالثة، هيذي ردّة بشأن رحلة يسوع نحو اورشليم تحدد الرواية (آ ١١).
ويسوع، عوض عن ان يتابع الطريق نحو الجنوب، نراه ينحرف باتجاه الشرق، بين الجليل
والسامرة كي يلحق بوادي الاردن. وهذه الاشارة تجعل حضور سامري، بين فريق من
البرص، معقولا.

رواية الشفاء في حد ذاتها (آ ١٢-١٤) قصيرة، وتقترب من رواية ١٢: ٥-١٦
حين كان يسوع قد وجد نفسه، للمرة الاولى، ازاء واحد من هؤلاء المصابين والمبعدين
عن الجماعة. اهم، فعلا، لم يقفوا هنا على وجوههم، ولكنهم يجيئون يسوع بصفته المعلم
-وهي الصفة التي بها يدعو التلاميذ. اهم يوجهون اليه صلاة دون ان يطلبوا بوضوح، لا

الشفاء (قارن مع ١٢:٥)، ولا الصدقة. وهوذا يسوع يرسلهم الى الكهنة الذين، وفقا لتشريع أح ١٤:٢+، يترتب عليهم ان يتحققوا من الشفاء. مع العلم ان يسوع لم يصنع اية حركة شفاء، كما ان التطهير لم يتم في لحظة (قارنوا مع ١٣:٥). والرجال العشرة، التزاما بتعليمات يسوع، يرهنوا على ايمان هو مفارقة مع ايمان الضابط السوري نعمان (راجع ٤:٢٧) الذي كان قد بدأ برفض ما اوصاه به النبي اليسع (٢ مل ٥:١٠-١٢). وتم الشفاء من ثم، عن بُعد.

ركّزت الرواية، حتى الآن، على القدرة التي تمتعت بها كلمة يسوع، وراحت تُعدّ جوابه باتجاه الفريسيين (٢١:١٧). ولكن الرواية تنطلق من جديد: تكمن "لسعتها" في ما يحدث بعد التطهير، حين صوّرت المسافة الموجودة بين الشفاء والخلص. ففي الآيات ١٥-١٩، هوذا احد البرص المعافين يعود ادراجه، وقبل ان يطيع امر يسوع ووصية الشريعة: ففيما راح يمجّد الله، نراه يجثو -وهذا ما كان قد أهمل في الآيتين ١٢-١٣- وبالاخص يشكر يسوع. ونجدنا بازاء مفاجأة: هنا فقط، وبعد ان ادهشنا سلوكه وانترع اعجابنا، عرفنا انتماءه الاتني: انه سامري. والمفارقة بين هذا الرجل المتصف بمعرفة الجميل وبين نكران الجميل لدى التسعة الآخرين، رسمت خط الفصل بين اليهود وبين هذا الذي يسميه يسوع نفسه غريبا (فالسامريون، كاليهود، يعترفون بشريعة موسى، وبالتالي بسلطة قواعد سفر الاحبار في ما يتعلق بالبرص). وكما في مثل السامري الصالح (١٠:٣٠-٣٥)، وفي كرازة يسوع في الناصرة من قبل (٤:٢٤-٢٧)، تشدد الرواية على المحبة التي يبدئها الغرباء. وهكذا، يشجب يسوع الرؤية التي تتمحور حول الاتنية والتي بموجبها يبدو الله وكأنه لا يسمح ان يعرفه البشر الا عبر المؤسسات العبادية: يؤدّي المجد لله عند اقدام يسوع.

ويسوع الذي وضع الله دوما في القلب من اهتماماته، يأخذ على البرص التسعة انهم لم يؤدّوا مجدا لله. ولكن الرواية تبلغ ذروتها في الكلمة عن الايمان (آ ١٩). تسعة برص شُفوا، ولكن السامري وحده الذي شكر، أعلن انه خلص. فالخلص هو، اذن، اعظم من الشفاء الجسدي. والايمان التام الذي تجلّى لدى هذا العائد هو اعظم من الايمان/الثقة الذي دفع بالعشرة الى الذهاب لئيروا انفسهم للكهنة قبل ان يتطهروا. فالشفاء لن يسفر عن الخلاص الكامل للكائن البشري الا اذا اعترف الانسان بمبادرة الله المجانية تجاهه، وتجاوب معها بالالتزام بعلاقة حقيقية مع يسوع: ذلك هو الايمان الكامل.

يوم ابن الانسان. مثل القاضي الظالم (١٧: ٢٠- ١٨: ٨)

٢٠ وسأله الفريسيون متى يأتي ملكوت الله. فأجابهم: ((لا يأتي ملكوت الله على وجه يُراقب.

- ٢١ وَلَنْ يُقَالَ: هَا هُوَذَا هُنَا، أَوْ هَا هُوَذَا هُنَاكَ. فَهِيَ إِنْ مَلَكَوتَ اللهُ بَيْنَكُمْ)).
- ٢٢ وَقَالَ لِلتَّلَامِيذِ: ((سَتَأْتِي أَيَّامٌ تَشْتَهُونَ فِيهَا أَنْ تَرَوْا يَوْمًا وَاحِدًا مِنْ أَيَّامِ ابْنِ الْإِنْسَانِ وَلَنْ تَرَوْا.
- ٢٣ وَسَيُقَالُ لَكُمْ: هَاهُوَذَا هُنَاكَ، هَاهُوَذَا هُنَا، فَلَا تَذْهَبُوا وَلَا تَتَدَفِعُوا.
- ٢٤ فَكَمَا أَنَّ الْبَرْقَ يَرِيقُ فَيَلْمَعُ مِنْ أَفْقٍ إِلَى أَفْقٍ آخَرَ، فَكَذَلِكَ ابْنُ الْإِنْسَانِ يَوْمَ مَجِيئِهِ.
- ٢٥ وَلَكِنْ يَجِبُ عَلَيْهِ قَبْلَ ذَلِكَ أَنْ يُعَانِيَ آلامًا شَدِيدَةً، وَأَنْ يَرُدُّهُ هَذَا الْجِيلُ.
- ٢٦ وَكَمَا حَدَّثَ فِي أَيَّامِ نوحَ، فَكَذَلِكَ يَحْدُثُ فِي أَيَّامِ ابْنِ الْإِنْسَانِ:
- ٢٧ كَانَ النَّاسُ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ، وَالرِّجَالُ يَتَزَوَّجُونَ وَالنِّسَاءُ يَتَزَوَّجْنَ، إِلَى يَوْمِ دَخَلَ نُوحٌ السَّفِينَةَ، فَجَاءَ الطُّوفَانُ وَأَهْلَكَهُمْ أَجْمَعِينَ.
- ٢٨ وَكَمَا حَدَّثَ فِي أَيَّامِ لوطَ، إِذْ كَانُوا يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ، وَيَشْتَرُونَ وَيَبِيعُونَ، وَيَغْرَسُونَ وَيَنْوِنُونَ،
- ٢٩ وَلَكِنْ يَوْمَ خَرَجَ لوطُ مِنْ سَدُومَ، أَمْطَرَ اللهُ نَارًا وَكِبْرِيَةً مِنَ السَّمَاءِ فَأَهْلَكَهُمْ أَجْمَعِينَ،
- ٣٠ فَكَذَلِكَ يَكُونُ الْأَمْرُ يَوْمَ يَظْهَرُ ابْنُ الْإِنْسَانِ.
- ٣١ فَمَنْ كَانَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عَلَى السَّطْحِ وَأَمْتَعْتَهُ فِي الْبَيْتِ، فَلَا يَنْزِلْ لِيَأْخُذَهَا. وَمَنْ كَانَ فِي الْحَقْلِ فَلَا يَرْتَدِّ إِلَى الْوَرَاءِ.
- ٣٢ تَذَكَّرُوا امْرَأَةَ لوطَ!
- ٣٣ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَحْفَظَ حَيَاتَهُ يَفْقِدُهَا، وَمَنْ فَقَدَ حَيَاتَهُ يُخَلِّصُهَا.
- ٣٤ أَقُولُ لَكُمْ: سَيَكُونُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ رَجُلَانِ عَلَى سَرِيرٍ وَاحِدٍ، فَيُقْبِضُ أَحَدُهُمَا وَيُتْرَكُ الْآخَرَ.
- ٣٥ وَتَكُونُ امْرَأَتَانِ تَطْحَنَانِ مَعًا، فَتُقْبِضُ إِحْدَاهُمَا وَتُتْرَكُ الْآخَرَى))
- ٣٦ يَكُونُ اثْنَانِ فِي الْحَقْلِ فَيُؤْخَذُ الْوَاحِدُ وَيُتْرَكُ الْآخَرُ
- ٣٧ فَسَأَلُوهُ: ((أَيْنَ، يَا رَبِّ؟)) فَقَالَ لَهُمْ: ((حَيْثُ تَكُونُ الْجَيْفَةُ تَتَجَمَّعُ النَّسْرُ))).
- ١٨ وَضَرَبَ لَهُمْ مَثَلًا فِي وُجُوبِ الْمَدَاوِمَةِ عَلَى الصَّلَاةِ مِنْ غَيْرِ مَلَلٍ،
- ٢ قَالَ: ((كَانَ فِي إِحْدَى الْمُدُنِ قَاضٍ لَا يَخَافُ اللهُ وَلَا يَهَابُ النَّاسَ.
- ٣ وَكَانَ فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ أَرْمَلَةٌ تَأْتِيهِ فَيَقُولُ: أَنْصِفْنِي مِنْ خَصْمِي،
- ٤ فَأَبَى عَلَيْهَا ذَلِكَ مُدَّةً طَوِيلَةً، ثُمَّ قَالَ فِي نَفْسِهِ: أَنَا لَا أَخَافُ اللهُ وَلَا أَهَابُ النَّاسَ،
- ٥ وَلَكِنَّ هَذِهِ الْأَرْمَلَةَ تُرْعِجُنِي، فَسَأَنْصِفُهَا لِنَلَّا تَظَلَّ تَأْتِي وَتَصَدَّعَ رَأْسِي)).

- ٦ ثمَّ قَالَ الرَّبُّ: ((اِسْمَعُوا مَا قَالَ الْقَاضِي الظَّالِمِ.
- ٧ اَفَمَا يُنصِفُ اللهُ مُختارِيهَ الَّذينَ يُنادونه هُماراً وَّليلاً وهو يَتَمَهَّلُ في اَمْرِهِم؟
- ٨ اَقُولُ لَكُمْ: اِنَّهُ يُسرِعُ اِلى اِنصافِهِم. وَلَكِنْ، متى جاءَ ابنُ اِنسان، اَقْتِراهَ يَجِدُ اِيماناً على الارض؟))

لوقا هو الوحيد بين الازائيين الذي عرض رؤيويين، اي خطابين "اسكاتولوجيين" آخرويين، وباسهاب كبير، بصدد الاحداث المتعلقة بنهاية هذا العالم. فالخطاب الاول، مقتضب ومستقى، بشكل رئيس، من مصدر الاقوال، ويتمركز حول المحيي العتيد لابن الانسان، بينما الخطاب الثاني (٢١:٥-٣٦) الذي استعار بشكل واسع من انجيل مرقس، فقد ربط بين احداث تاريخية معاصرة -خراب اورشليم، اضطهاد التلاميذ- وبين النهاية الحاسمة بحصر المعنى. فالخطاب الاسكاتولوجي الاول الذي نحن بصددده هنا، يتألف من حديثين متفاوتي الطول و متميزين بوضوح؛ اما الخطاب الثاني فيتمخض عن مثل القاضي الظالم الذي هو بمثابة حاتمة له.

١. حضور الملكوت الآبي (١٧:٢٠-٢١)

في ١٧:٢٠-٢١، نجد ان ملكوت الله هو موضوع الحوار، وان المحاورين هم الفريسيون. ويسوع لا يعارض مبدئياً السؤال عن زمن مجيء الملكوت؛ انما ينتقد هنا غياب الايمان لدى محدثيه. وهؤلاء لا يرون سوى المحيي الكامل للملكوت الذي هو مسبقاً بمثابة بذرة، عبر اعمال يسوع واقواله، ولا يمكنه ان يتم على الفور؛ انهم عاجزون عن الفهم بان آلام ابن الانسان يجب ان تسبق هذا المحيي الكامل -وهكذا سيقال للتلاميذ (راجع آ ٢٥).

وكما هي الحال مع زمن مجيء الملكوت (٢٠ آ)، سيكون مكان تجليه ايضا موضوع تخمينات (٢٢ آ)، وكثيرون يتخيلون ان ذلك سيتم في اورشليم. ويشجب يسوع هذه الطريقة في تصور الامور (لن يقال: "هو هنا او هناك") ويؤكد انه هنا منذ الآن -وهكذا أبعدت جذريا مسألة الزمن- ومن دون اذار، انه في ما بين المتحدثين! فلقد باشر الله بالعمل في وسط شعبه ومن اجله. وهو الذي يعمل في شخص يسوع وفي نشاطه المسيحاني -وشفاء البرص العشرة هو احدث علامة. وليس للفريسيين بالذات عذر في ان يجهلوا ذلك، سيما وان المعلم سبق وعلم بوضوح هذه البشرى السارة الجوهرية (راجع ١١:٢٠). "فمن كان له ما يكفي من الايمان كي يرى، في شخص يسوع وفي رسالته...، دخول الله الى مسرح التاريخ، يكون قد اختبر الملكوت" (ج سكلوسير).

٢. مجيء ابن الانسان فجأة بشكل مأساوي (١٧: ٢٢- ٣٧)

يتخذ الخطاب الاسكاتولوجي حينذاك اتجاهها آخر (٢٢ آ- ٣٧): فالسامعون تغيروا -وقد عاد التلاميذ الى المسرح- وموضوع ملكوت الله الآتي يفسح المجال لموضوع المجيء الآتي والمفاجئ لابن الانسان، وللطابع المبالغت والمفاجئ للمسيح التي ستسبق مجيء الملكوت النهائي بعد تحقيقه الكلي. وابن الانسان هذا الذي سيظهر ليس هو، بديهيا، سوى يسوع بالذات، وقد مُجّد بعد آلامه (راجع آ ٢٥). واذا كان الرد على الفريسيين قد اكد على ان النهاية قد حضرت مسبقا، ولكن بشكل خفي، فان الخطاب باتجاه التلاميذ يذكر بان النهاية، في بعدها الكوني، وعبر طريقة اخرى، ستأتي لاحقا. فلا يتوهمن احد: ان خبرة الخلاص الحالية التي عرفوها في وجودهم الایماني ليست الجواب الالهي برمتها.

وبقدر ما سيكون التلاميذ (٢٢ آ- ٢٥) تواقين الى ان يروا تجلي ابن الانسان في المجد، سيحيون ازمة عسيرة -وتلك احدى ميزات الزمن الذي يسبق النهاية. الا ان انتظارهم سوف يجيب: ذلك اهم انفسهم لن يروا هذا اليوم (آ ٢٢). لذا ينبغي عليهم ألا يفسحوا المجال لان يضلّهم انبياء مسيحيون كذبة سيّدعون ان بوسعهم الاشارة الى مكان هذا الكشف وساعته (آ ٢٣)! وعلى شاكلة الملكوت (راجع الموازة مع آ ٢٠-٢١)، سيأتي ابن الانسان من دون ان يكون بمقدور اية مراقبة خارجية ان تدلّ عليه مسبقا. وستوضح تمة الخطاب لماذا رفض يسوع، الى هذا الحد، التخمينات الرؤيوية. فهي لا تختص معرفة ترجع الى الله وحده حسب (راجع رسل ١: ٧)، وانما تغذي بالاكتر هدفا غير معلن الى تناسي الطابع المبالغت والمفاجئ لمجيء ابن الانسان؛ فهي بالتالي طريقة لتجنب الشيء الوحيد المهم: ان يتصرف المؤمن، كل يوم، بصفة تلميذ، مستعد لكل الاحتمالات. وان التجلي الاخير لابن الانسان سيتم بطريقة تختلف عما يتخيله الانبياء الكذبة: انه، بتألقه ومباغتته، سيكون شبيها بالبرق (آ ٢٤). ويسوع، فيما اوجز (آ ٢٥) الكرازة التي قام بها في ٩: ٢٢، ذكر بضرورة الآلام، وعبر عن الطابع المهّد الذي يتعلق بمصيره هو -ومصير تلاميذه ايضا...

وايام النهاية هذه، تشبه حينذاك ايام نوح ولوط (آ ٢٦-٣٠). ويهدف هذا المثل المأساوي القصير الى التذكير بما يتعرض المسيحيون لنسيانه حين يتخيلون مجيء ابن الانسان بالمجد: فسيكون هذا اليوم يوم الدينونة الكبرى الحاسم. ويجب ان يحسبوا حسابا لكارثة مفاجئة لا يتوقعون حدوثها. ويُرسم زمن نوح بواسطة تك ٧: ٧، كما يرسم زمن لوط عبر المصير الذي حل بمدينة سدوم (تك ١٩: ٢٤). وكان التقليد اليهودي يرى في

معاصري نوح اكبر الخطاة، ونعرف سمعة السدوميين السيئة. ومع ذلك، كان المثل يسكت عن هذه الافعال المنحرفة. وهو، فيما يُعدّ الاهتمامات الاعتيادية في الحياة اليومية (الاكل والشرب والزواج والشراء والبيع والزرع والبنين)، الا ان له اضاءة مختلفة: فهو يبين كم كانوا عميانا في الماضي ازاء الكارثة المهذّدة (مياه الطوفان، النار التي سقطت على المدينة)، والى اي مدى كانوا لا يأهون لله. ولم يكن سوى لرجل واحد، في كل حالة، السلوك المناسب. وفي آ ٣٠ نجد اخيرا تطبيقا للمثل -ولكي يكون الدرس المستخلص اكثر وضوحا، فلقد صيغ مرة اولى، منذ الآية ٢٦-: وهكذا سيكون حين ستأتي النهاية. وسيكون يوم ابن الانسان على شبه يوم يهوه، خلاصا للابرار وهلاكا للاشرار، في آن واحد.

ويشير يسوع في آ ٣١-٣٥ الى السلوك الذي يجب تبنيه في اليوم الذي يتجلى فيه ابن الانسان ليحري الدينونة. هناك وضعان يقدمان لنا نموذجا اول: من كان على سطح بيته، عليه ان يهرب من دون ان يتزل ليأخذ "بقجته"؛ ومن كان يعمل في الحقل، لا ينبغي له ان يلتفت الى الوراء -وهذا ما فعلته، مع الاسف، امرأة لوط في تك ١٩: ٢٦- او يحاول ان يعود الى داره ليأخذ رداءه. فيسوع ينصح، اذن، بالهرب، باسرع ما يمكن، ازاء الولايات الجسيمة التي ستجري ابان النهاية. وها هو يختتم هذا التوسع القصير، باعلان، وللمرة الثانية في لوقا، عن المفارقة المتعلقة بالتضحية بالحياة (آ ٣٣). ولكن، فيما كان الحديث، في ٩: ٢٤، عن اتخاذ كل الوسائل لاتباع يسوع، بما فيها الاستشهاد، نجد ان لون الجملة هنا قد اصبح مغايرا. فمن يسعى الى الخلاص بنفسه، معتمدا على قواه الذاتية، فسوف يخسر كل شيء؛ وعلى العكس، من عرف ان يتخلى عن الحياة الارضية، دون ان يعتمد على ذاته وعلى امواله، سيضمن لنفسه الدخول في الحياة الابدية. وعلى مثال معلمه الذي تألم كثيرا (راجع آ ٢٥)، ينبغي للتلميذ ان يخسر حياته لكي يخلصها.

وهناك وضعان جديدان -زوجان في السرير، وزوجان على رحى- يقدمان مثلا ثانيا عن خط السير الذي يجب اتخاذه ازاء الطابع المفاجئ وغير المتوقع لـ "عودة" ابن الانسان، ولجئته في المجد، وقد يمكن ان يتم نهارا او ليلا، ابان النوم او في العمل. "اقول لكم...". وهكذا، بطريقة ثابتة، يوضح يسوع، هذه المرة، بان الدينونة ستفصل بين اشخاص كانوا متحدنين حتى الآن. فالنهاية ستكون كارثة ستفصل بين رجلين على سرير واحد، وبين امرأتين متحدتين في عمل صباحي واحد؛ فالله سيأخذ الواحد ويجنبه الهلاك، ويترك الآخر لمصيره، ويدعه يهلك. ولكن حذار من ان نسيء الفهم: فليس هناك اعتبارية؛ بل كل شيء يتعلق بالطريقة التي بها يكون كل واحد قد حدّد موقعه ازاء مفارقة

التضحية بالحياة! [الآية ٣٦ غائبة عن الإنجيل لوقا. والمخطوطة التي استُخدمت في القرن ١٦ لترقيم العهد الجديد على آيات، اضافت خطأ هذه الآية ٣٦، مستعارة من متى ٤: ٤٠].

ويختتم القسم المركزي من الخطاب الرؤيوي بسؤال غامض تقدم به التلاميذ، ومن ثم بجواب ليس اكثر وضوحا (آ ٣٧). فلقد سبق الخطاب ان تناول زمن النهاية ومكان اعتلائها (راجع آ ٢٠-٢٣). ويسوع، عبر مثل شعبي، كرر بانه ليس هناك علامة لتحديد المكان والزمان، ويترك المجال لندرك بان الساعة، متى اتت، "فسُيعرف المكان بعين السهولة واليقين اللذين بهما يشير تجمّع نسور الى وجود جثة" (ب. ريكو)، ولكن لا يعود اليه ان يكشف عن ذلك. ومهما يكن من امر، يجب ان نحفظ هذا التعليم الكبير: بوسع النهاية ان تأتي على حين غرة، دون اذار، وليس من علامة سابقة تنبه البشر.

٣. مثل القاضي الظالم (١: ١٨-٨)

يتواصل التعليم باتجاه التلاميذ من خلال مثل تتكرر فيه مواضيع الديونة (آ ٧-٨) ومجيء ابن الانسان (آ ٨ب)؛ وهكذا يُختتم الخطاب الاسكاتولوجي بشأن يوم ابن الانسان بمناشدة الى عدم الخوف، والى الصلاة والثبات. ولوقا، وقيل ان يبدأ برواية المثل، اعطانا مفتاحها (آ ١).

في المثل بجد ذاته (آ ٢-٥)، وضع لوقا وجهها لوجه: ارملة - على مثال اليتيم والغريب - تبدو نموذجاً بيبيليا للشخص الذي لا حول له، بازاء قاضٍ مهمته اقامة العدالة. وسوف يغيّر موقف الارملة المثابر من سلوك القاضي؛ وتقاسمنا الرواية هواجس هذا القاضي: فبدافع انابي لا غير - ان يتخلص من هذه المرأة، خوفاً من ان تأتي بالنهاية وتعنفه - قرر ان ينصفها.

وهوذا تطبيق الرواية يتخذ نبرة احتفالية: والرب هو الذي يعلن هذا التطبيق بسلطة. اذا كان قاضي الظلم الذي يهزأ بالشرعية الالهية وبمشاكل البشر، قد استجاب اخيراً للتوسلات الملحة لتلك الارملة، فكم بالحري الله، القاضي العادل، سيصغي الى توسلات المختارين وصرخاتهم غير المنقطعة (آ ٦-٨)؛ وهذا يعني ان الثبات في الصلاة يأتي بنتيجة! ونجد هنا الرسالة التي كان قد حملها مثل الصديق اللجوج (راجع ١١: ٥-٨). مع العلم ان الآيتين ٧-٨ توجهان الانظار ايضا في خط اكثر وضوحا. فالمسيحيون المدعوون هنا مختارين - وللمرة الوحيدة في لوقا - الاعمال - يصرخون كي تضع الديونة الاخيرة حدًا لمأساتهم. ومن يسعه ان يتخيل ان الله سيدهم ينتظرون، او انه يتأخر في انصافهم؟ ونجد هنا تلميحا الى المشكلة المطروحة على الكنيسة في ما يبدو، في نظر البشر، وكأن يوم

الرب قد تأخر (راجع ٢ بط ٣: ٨-١٠). ويجب يسوع الى هذا السؤال بيقين النبي: "اقول لكم... - وهذه الصيغة البعيدة عن الابتدال نجدها ثلاثا وثلاثين مرة على لسان يسوع في انجيل لوقا. وهذا يعني ان القاضي العادل سينصفهم، وبسرعة.

ونتوقع من ثم ان يتكرر هذا التعليم بشأن الصلاة المتواصلة في خاتمة هذا التطبيق (آ ٨ ب). وهو كذلك، ولكن بصورة غير مباشرة. وبالفعل، هوذا يسوع يذكر مجددا مجيئه بصفة ابن الانسان، في آخر الازمنة، وبنبرة مأساوية تميز مجيئه (راجع ١٧: ٢٦+). وهكذا يرتبط موضوع الصلاة (راجع آ ١). بموضوع الايمان، وموضوع الامانة الواقعية والثابتة. واذا كان المسيحيون، عبر التاريخ، يتعرضون لفقدان الشجاعة ابان صلاتهم، واذا لم تكن هناك استغاثة مستمرة تغذي حياة الايمان لديهم، فلن يجد يسوع اية امانة ما بين الذين يدعون انهم خاصته، حين سيعود - وستحل بهم تلك الكارثة التي كانت تهددهم (راجع ١٧: ٢٦+). وهكذا يتوجب على كل من اعضاء الكنيسة، على مدى الازمان، ان يجيب عن السؤال الذي طرحه يسوع هنا.

الفريسي والعاشر (١٨: ٩ - ١٤)

- ٩ وضربَ أيضاً هذا المثلَ لِقَوْمٍ كانوا مُتَيْقِنِينَ أَنَّهُمْ أبرار، وَيَحْتَقِرُونَ سائرَ النَّاسِ:
- ١٠ ((صَعِدَ رَجُلَانِ إِلَى الهَيْكَلِ لِيُصَلِّيَا، أَحَدُهُما فَرِيسِيٌّ وَالآخَرُ جَابِ.
- ١١ فانتصبَ الفريسيُّ قائماً يَصَلِّيُ فيقولُ في نفسه: ((اللَّهُمَّ، شكراً لَكَ لِأَنِّي لَسْتُ كَسائِرِ النَّاسِ السَّرَّاقِينَ الظَّالِمِينَ الفاسقين، ولا مِثْلَ هذا الجابي.
- ١٢ إِنِّي أصومُ مرَّتينِ في الأسبوعِ، وأؤدِّي عُشْرَ كُلِّ ما أَقْتَنِي ((.
- ١٣ أمَّا الجابي فوقفَ بعيداً لا يريدُ ولا أن يرفعَ عينيه نحوَ السَّماءِ، بل كان يقرعُ صدره ويقول: ((اللَّهُمَّ ارحمني أنا الخاطي!))
- ١٤ أقولُ لكم إنَّ هذا نزلَ إلى بيته مبروراً وأمَّا ذاك فلا. فكلُّ من رَفَعَ نَفْسَهُ وُضِعَ، ومن وَضَعَ نَفْسَهُ رُفِعَ ((

المثل الذي نحن بصدده موجه الى اناس كانوا متيقنين انهم ابرار. إنه مأخذ يسوع على الفريسيين في ١٦: ١٥، وهذا ما سيعكسه بالفعل سلوك الفريسي في هذه الرواية. ومع ذلك، فان لوقا اهمل اراديا ان يذكر الفريسيين في هذه المقدمة؛ إذ ان الموقف الموصوف هنا هو انحراف قد نجده من جديد لدى مؤمنين من الجماعة المسيحية. وكما في المثل السابق، تشير الآية الافتتاحية للحال الى المعنى الاخلاقي الذي يريد لوقا ان يضيفه

على الرواية: فالقارئ مدعو الى "ان يرى في موقف العشار نموذجاً معروضاً للاقتداء به، وفي موقف الفريسي نموذجاً عكسياً" (ج. شلوسير).

ان موضوع الصلاة -وهي تجري هنا في الهيكل (راجع رسل ١: ٣)- هو الذي يقيم الصلة مع المثل السابق. وعرض الشخصيتين بهذا الشكل، فيه من المفارقة اقصاها (١٠٧): فالبار التقي، الذي يعتد بنفسه، هو بازاء الممثل النموذجي للخطأة العلنيين (راجع ٥: ٢٧). وتوصف هيئة الاول ويُصدى لصلاته. والاسلوب الادبي هو ذاته مع الثاني، ولكن سلوكه ومحتوى صلاته هما على النقيض (١١٧-١٣). فالفريسي يوجه الى الله فعل شكر يعدد فيه لائحة بفضائله: الاخطاء التي لا يقترفها، ومن ثم التوصيتين اللتين يكملهما، بحيث انه ذهب الى ابعد ما تفرضه الشريعة (الصوم والعشر؛ راجع ١١: ٤٢). واللوحه المرسومة ليست كاريكاتير. فالرجل يعلم ما يجب عليه تجاه الله، ولا يختص لنفسه الاستحقاق بان يدعى صديقاً -وتلك نقطة سكت عنها لوقا في مقدمته للآية ٩. وحتى الطريقة التي بها يضع مسافة بينه وبين اللصوص والظالمين والزناة، فهي تصدي لصلاة المزامير. ومع ذلك، فان هذه الكراهية تجاه الخطأة وهذا النبذ -وان تضمنهما، على سبيل المثال، المزمور ٢٦- سيؤاخذ الله عليهما: فهذا البار يعلم تفوقه ويحتقر (راجع ٩ آ سائر الناس. وعلاوة على ذلك، فليس له ما يطلبه من العلي. اما العشار، فهو واع بحالته الخاطئة، ولذا لا يجرؤ على رفع عينيه الى السماء، وصلاته ليست نداء الى النجدة: انه يعترف بانه خاطئ ويستغيث برحمة الله. الا ان الرواية لا تقول لنا اذا كان قد وعد بان يعوّض عن اخطائه، كما سيفعل زكا (١٩: ٨).

ويسوع، بسلطة، يستخلص الدرس، من هذا الوضع، من وجهة نظر الله (١٤ آ) وهو درس لم يكن منتظرا. فالله اعلن ان احدهما بار، وقد استجاب صلاته وغفر له؛ بخلاف الآخر الذي لم يطلب شيئا. وهكذا حدث انقلاب في الاوضاع: فلقد صعد الى الهيكل، وهو خاطئ معروف، وها هو يتزل الى بيته، وقد اعترف الله، سرا، بانه بار، بينما ذاك الذي صعد باراً، ها هو يعود دون أن يعلم بان برّه لم يعترف به العلي. ويسوع يكشف علنا عن هذا الوضع الجديد؛ انه يدعو سامعيه الى ان يفهموا الموقف الالهي، قبل ان يدعوهم الى الاقتداء بجاي الضرائب. وان طابع المفارقة في هذه الرسالة الموجهة يحمل المرء على الاحتجاج: يُغفر للعشار من دون ان يكون قد عوّض مسبقاً عن مساوئته، ودون ان يكون قد تصالح مع قريبه. تلك هي رحمة الله تجاه الخاطئ، وقد سبق ان صوّرت (راجع ف ١٥)؛ وهكذا، وبشكل غير مباشر، يكون موقف يسوع، تجاه الخطأة والمبغدين، مبرراً من جديد (راجع ١٥: ١).

ولكي يعطي يسوع اساسا للحكم الذي اصدره، هوذا يعلن مقولة (آ ١٤ ب) سبق ان وردت في ١:١٤؛ انها بمثابة مقدمة لفكرة اخلاقية غائبة عن المثل ذاته - فالعشار لم يقيم بفعل اتضاع، بل اعترف بالواقع العاري - احدثت تعميما: التحذير لا يشمل معاصري يسوع حسب، وانما ايضا المسيحيين فيما بعد. لا ينبغي عليهم ان يشبهوا انفسهم بسرعة بجايي الضرائب؛ كما لا ينبغي ان يتخيلوا بان يستفيدوا من المثل باكتفائهم بوضع مسافة في صلاتهم... ففي هذه الخاتمة، يذكر لوقا بقاعدة الانقلاب في الاوضاع الذي يميز نهاية الازمنة (راجع ١:٥٢-٥٣؛ ٦:٢٠-٢٦). فالله يضع من يرفع نفسه، ويرفع من يضع نفسه. ذلك لان "افكاره ليست افكار البشر، وطرقه ليست طرقهم" (اش ٥٥:٨).

يسوع يستقبل الاطفال الرضع (١٨: ١٥-١٧)

- ١٥ وأتوه بالأطفال أيضاً ليضع يديه عليهم. فلما رأى التلاميذ ذلك انتهرهم.
- ١٦ فدعا يسوع الأطفال إليه وقال: ((دعوا الأطفال يأتون إليّ، لا تمنعوهم، فلأمثال هؤلاء ملكوت الله.
- ١٧ الحق أقول لكم: من لم يقبل ملكوت الله مثل الطفل لا يدخله.))

كان لوقا، حتى الآن، في تأليفه رواية الرحلة، قد استقى من مصدر الاقوال، مضميا عليه بشكل هائل ما كان لديه من تقاليد خاصة. اما هنا، فقد تبع سياق رواية مرقس، وكان قد تركها في ٤٩:٩-٥٠ (موازٍ لمرقس ٩:٣٨-٤٠).

لم ينفك يسوع من ان يبدو قريبا من الفقراء والخطاة والعشارين - راجع المثل السابق. وليس من المدهش ان نجد هنا رواية مركزة على الاطفال وقد برزت قولاً للمعلم بشأن الاولاد الصغار. فبالنسبة الى المعلم ومعاصريه، لم تكن بالفعل للطفل المكانة التي احتلها في العالم المعاصر. انه جزء من المهمشين والمحترقن. ويسوع ذاته، في مثل الاولاد على الساحة العامة (راجع ٧:٣١-٣٢)، ألم ير فيهم نموذجاً للعبث؟ والسبب في ذلك: عدم النضج الديني لدى الولد الذي لا يصبح بالغاً الا حين يستطيع، في الثالثة عشرة من عمره، ان يمارس الشريعة. لذلك اعتبر التلاميذ بان ليس ليسوع وقت يضعه في لمس الاطفال وجعلهم يستفيدون من نبع الجودة والشفاءات التي تجري على يده. فضلاً عن اهم لن يستطيعوا ان يصبحوا تلاميذ! لم يكن ردّ يسوع الاول (آ ١٦) تقييماً كبيراً للطفل. وانما اخذ على التلاميذ اهم نسوا بان شريعة الملكوت الآتي الاولى هو الانقلاب في القيم، وان كل شيء هو عطية مجانية من الله. فالملكوت مفتوح امام الاطفال، لانهم،

بالتحديد، ليست لهم اية صفة يتبححون بها للمشاركة فيه: فالدخول في الحياة غير مرتبط بالممارسة الدينية التي يقوم بها البشر.

اما الآية ١٧، فهي من معدن آخر؛ فكما كان الاطار الذي غلّف المثل السابق (راجع ٩: ١٤ب)، لم يعد الضوء مسلّطاً على عطاء الله المجاني، وانما على الموقف الذي يجب ان يتخذه الانسان ليتمكن من تلقي كلمة الملكوت. فالطفل هو رمز الكائن البشري، لان حياته تتعلق كلياً بالآخر، وهو يسلم ذاته للآخر. من اراد ان يدخل الملكوت، يترتب عليه ان يقتدي بسلوك الطفل وينتظر كل شيء بتواضع، من ذاك الآخر الذي هو الله. لذا، فيسبب الموقف الذي اتخذه العشار في المثل السابق، رجع الى بيته مبرراً.

الغنى والتجرد (١٨: ١٨ - ٣٠)

- ١٨ وسأله أحد الوجهاء: ((أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ، مَاذَا أَعْمَلُ لِأَرثَ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ ؟))
- ١٩ فقال له يسوع: ((لِمَ تَدْعُونِي صَالِحاً ؟ لَا صَالِحَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ.
- ٢٠ أَنْتَ تَعْرِفُ الْوَصَايَا:
- لَا تَزْنِ، لَا تَقْتُلْ،
- لَا تَسْرِقْ، لَا تَشْهَدْ بِالزُّورِ،
- أَكْرَمُ أَبَاكَ وَأُمَّكَ)) .
- ٢١ فقال: ((هَذَا كُلُّهُ حَفِظْتَهُ مِنْذُ صِبَايَ !))
- ٢٢ فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ ذَلِكَ قَالَ لَهُ: وَاحِدَةٌ تَنْقُصُكَ بَعْدُ: بَعْ جَمِيعَ مَا تَمْلِكُ وَوَزِّعْهُ عَلَى الْفُقَرَاءِ، فَيَكُونُ لَكَ كَثْرٌ فِي السَّمَوَاتِ، وَتَعَالَ فَاتَّبِعْنِي)) .
- ٢٣ فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ اغْتَمَّ لِأَنَّهُ كَانَ غَنِيًّا جَدًّا.
- ٢٤ فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ مَا كَانَ مِنْهُ قَالَ: ((مَا أَعْسَرَ دُخُولَ مَلَكُوتِ اللَّهِ عَلَى ذَوِي الْمَالِ.
- ٢٥ فَلِأَنَّ يَدْخُلَ الْجَمَلَ فِي ثَقَبِ الْإِبْرَةِ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ الْغَنِيُّ مَلَكُوتَ اللَّهِ)) .
- ٢٦ فقال السَّامِعُونَ: ((فَمَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَخْلُصَ ؟))
- ٢٧ فقال: ((مَا يُعْجِزُ النَّاسَ فَإِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ قَدِيرٌ)) .
- ٢٨ فقال له بَطْرُسُ: ((هَا قَدْ تَرَكْنَا نَحْنُ مَا عِنْدَنَا وَتَبِعْنَاكَ)) .
- ٢٩ فقال لَهُمْ: ((الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: مَا مِنْ أَحَدٍ تَرَكَ بَيْتاً أَوْ امْرَأَةً أَوْ إِخْوَةً أَوْ وَالِدَيْنِ أَوْ بَنِينَ مِنْ أَجْلِ مَلَكُوتِ اللَّهِ،
- ٣٠ إِلَّا نَالَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا أضعافاً، وَنَالَ فِي الْآخِرَةِ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ)) .

الحوار الدائر هنا بين يسوع وبين مختلف السامعين نجدّه موحّداً في موضوع ذي طابع لوقاوي لا غبار عليه، ولكنه لم يطرح منذ الفصل ١٦: التجرد الضروري تجاه الثروات. وهو، في الوقت ذاته، موضوع مرتبط جداً بالرواية السابقة.

المتحدث الاول هو رئيس مجهول (آ ١٨-٢٣). فلقد سمع يسوع يتحدث، قبل قليل، عن الشروط اللازمة للدخول الى الملكوت (آ ١٧)، وها هو يسأله عن السلوك الذي عليه ان يتخذه كي يرث الحياة الابدية؛ وبكلمات اخرى، انه يبحث، هو ايضا، عن الدخول الى ملكوت الله (آ ٢٤-٢٥). "ايها المعلم الصالح!" ويستفيد يسوع من هذه الصفة المعطاة له، للتذكير بان الله هو ينبوع الصلاح الوحيد؛ واذا كان هو صالحا، فلان صلاح الله يعمل فيه. وحينئذ يجيب الى السؤال المطروح، موجزا متطلبات الشريعة: وأخذ يعدد الوصايا التي تنظّم السلوك تجاه القريب (راجع خر ٢٠: ١٢-١٦؛ تث ٥: ١٦-٢٠). وكان الرجل نزيها حين اجاب بانه اطاع هذه الوصايا منذ بلوغه الثالثة عشرة (وهو العمر الذي فيه يصبح الالتزام بالشريعة واجبا على كل يهودي)، ولم يعارضه يسوع.

ومع ذلك، نجد الرواية تأخذ منحى آخر. كان يسوع قد اجاب عالم الشريعة الذي اوجز الشريعة: "افعل هذا فتحيا" (١٠: ٢٨). ولكن هنا، عوضا عن ان يقول له: "اذا واصلت العمل هكذا، سترث الحياة الابدية"، نراه يعرض عليه مطلبا خاصا يقود محاوره الى ابعده، الى وضع التلميذ بالذات. وهذا ما يعبر عنه المطلب المزدوج في ما يتعلق بالخيرات (آ ٢٢ ج-د) مع الدعوة الى اتباع المعلم. فالتجرد عن كل ما نملك هو الشرط الاول (راجع ٥: ١١، ٢٨؛ ١٤: ٣٣). والخيرات الحاصلة سوف توزع من ثم على فقراء - راجع ممارسة الجماعة المسيحية المثالية في رسل ٤: ٣٥. ذلك هو السلوك الذي يحقق كترا في السماء: ونجدنا بازاء تذكير بالتعليم الوارد في ١٢: ٣٣. اما بشأن "الاتباع"، فهو انما يعبر عن الوضع المسيحي على مدى الاجيال (راجع ٩: ٢٣). ولكن الواقع هو ان هذا الوجيه ذا الغنى الوفير، اخذه الحزن لما سمعه! "لم يمنعه غناه من ان يسمع نداء يسوع"، الا انه جعله "عاجزا عن ان يستجيب له" (ج. ديون).

ومع ذلك، لم يترك الوجيه المسرح؛ وها هو يصغي الى التعليم (آ ٢٤-٢٧) الذي اعدّه له يسوع، كما لغيره من السامعين المجهولين الذين هم في وضعه بالذات (راجع سؤالهم في آ ٢٦). ولكي يوضح المعلم بان الغنى يخلق عائقا قويا بوجه الحياة المسيحية، اطلق القول الشهير بشأن الجمّل - وهو الحيوان الاكبر في فلسطين - الذي يدخل من خرم الابرة - وتلك صورة عن امر مستحيل، لا بل يصعب تخيله. ويأتي سؤال السامعين لي طرح

موضوع الخلاص ويكشف بوضوح عن جواب يسوع: تجاه عجز الانسان عن التغلب على عائق الغنى، تتجلى قدرة الله الذي كل شيء لديه مستطاع. وهذا التأكيد -وقد التقيناه في رسالة الملاك جبرائيل بخصوص حبل اليصابات في ١: ٣٧- يصدي للسفر المقدسة (راجع تك ١٨: ١٤) التي تدعو الانسان الى الايمان. وهكذا يكون كل انسان مدعوا الى الايمان بان الله قادر ان يخلص الاغنياء ايضا. وسيكون لنا تجسيد لذلك في رواية الغني زكا (راجع ١٩: ٨-١٠).

ونجدنا ازاء مشهد اخير (آ ٢٨-٣٠) مع سؤال بطرس الناطق باسم التلاميذ، اولئك الذين سبقوا ان تجاوزوا مع مطلب يسوع الصعب في آ ٢٢. انه المطلب الذي يعكس سلوكاً يجب تبنيه للحصول على الخلاص الذي هو عطية من الله لا غير. وماذا ستكون مكافأة الذين سيمكنهم ان يقولوا: "ونحن الذين تبعناك، بعد ان تركنا املنا، وبعد ان تخلى كل منا عن ممتلكاته الخاصة...؟" وتتجلى المفارقة بين هؤلاء والغني من خلال الوعد بالحياة الابدية التي طالما تمنها الغني (آ ١٨) ووعدوا بها هؤلاء في العالم الآتي (آ ٣٠). وجواب يسوع لا يذكر التجرد فقط عن الخيرات المادية التي تكلم عنها بطرس؛ فما عدا البيت، يُعدّ الجواب كل الاشخاص الذين تخلى عنهم اولئك الذين تبعوا المعلم. وبترس وزملاؤه، وفقا للمتطلبات المطروحة في اللائحة (١٤: ٢٦)، قطعوا علاقتهم، ليس مع اسرهم حسب، بل ايضا مع زوجاتهم، لكي يمشروا بملكوت الله؛ وهذه السمة ينفرد بها لوقا كما سبق ان قلناه.

اما المكافأة الموعود بها، فهي ذات فائدة كبرى. فما عدا الحياة الابدية في العالم الآتي، وقد هيأتنا لها الرواية كلها، تكمن المكافأة ايضا في اسرة كبيرة، في هذا الزمن، اي في الحاضر. فبدلاً من الاسرة بحسب الدم -وغالبا ما اصبحت منقسمة، بسبب البشارة المسيحية، لا بل معادية بالتمام (راجع ١٢: ٥٢-٥٣)- سوف يرث التلاميذ اسرة جديدة، اكثر عددا، هي الاسرة التي تؤلفها جماعة المؤمنين، اي الاخوة والاختوات في المسيح. ومن الواضح ان الالتزامات التي طالب بها يسوع في هذه الرواية لم تكن موجهة فقط الى اولئك الذين، قبل القيامة، رافقوه في رسالته الجواله، اي خلال حياته بصفة انسان مطارّد. فهي تبقى آنية لكل الذين، على مدى الاجيال، يرتضون ان يصبحوا تلاميذ.

إنباء ثالث بالتلام (١٨: ٣١-٣٤)

٣١ وَمَضَى بِاللَّيْلِ عَشْرَ فَحَالَ لَهُمْ: ((هَا نَحْنُ صَاعِدُونَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، فَيَتِمُّ جَمِيعُ مَا كَتَبَ الْأَنْبِيَاءُ فِي شَأْنِ ابْنِ الْإِنْسَانِ:

٣٢ فسيُسَلِّمُ إِلَى الْوَثْنِيِّينَ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُ وَيَشْتَمُونَ، وَيَبْصُقُونَ عَلَيْهِ،
٣٣ وَيَجْلِدُونَهُ فَيَقْتُلُونَهُ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ يَقُومُ.))

٣٤ فَلَمْ يَقْهَمُوا شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ، وَكَانَ هَذَا الْكَلَامُ مُغْلَقاً عَلَيْهِمْ، فَلَمْ يُدْرِكُوا مَا قِيلَ.

يتضمن الإنباء الكبير الثالث بالآلام معطيات جديدة عديدة، مقارنة مع الإنباءات السابقة (٩: ٢٢ و ٩: ٤٤؛ و يجب ان نضيف اليها ١٧: ٢٥): انه إنباء باتجاه الاثني عشر، وليس باتجاه التلاميذ. انه يندرج في رواية الرحلة، ويسوع ذاته، وللمرة الاولى، يكشف بوضوح عن ان اورشليم هو المكان الذي سيقتل فيه؛ اما في السابق، فلم يكن يكشف لمحدثيه، الا بشكل غير مباشر، عن المدينة بصفتها المكان الذي ينبغي له فيه ان يلقي الموت (١٣: ٣٣-٣٤). وتتقدم رواية الرحلة طالما ان يسوع، وللمرة الاولى، استخدم فعل "صعد الى اورشليم" -ونعلم ان المدينة هي على علو ٧٧٠ م عن سطح البحر الابيض المتوسط، ويبدو الصعود اكثر اذا كان القدوم اليها، كما فعل يسوع (راجع ١٧: ١١)، من وادي الاردن الذي هو، قبل اريحا، على مستوى ٣٠٠ م تحت سطح البحر الابيض! نتذكر ان يسوع، في الثانية عشرة، كان قد صعد الى اورشليم (٢: ٤٢)، وكان صعوده بمثابة صورة لهذه المرحلة الاخيرة.

ونقرأ في الإنباء نبرة احتفالية: ففعل "يجب" الذي كان يشير حتى الآن الى المبادرة الالهية (٩: ٢٢؛ ١٣: ٣٣؛ ١٧: ٢٥)، نجد موضّحاً وموسّعاً: سيتم جميع ما كتب الانبياء بشأن ابن الانسان. ذلك ان المخطط الالهي لتاريخ الخلاص -وقد اعلنت عنه الاسفار المقدسة- سوف يتحقق. فمن بين المعطيات الجديدة، يُنْشِرُ الى نقطتين. اولاً، لم يعد يسوع يذكر من بعد دور السلطات اليهودية سوى بعبارة "سوف يسلم"، ولها هنا معنى اميني، وليس معنى لاهوتي (راجع الهامش بشأن تسليم ابن الانسان/ الإنباء الثاني)؛ فالتركيز هنا هو على دور الوثنيين في الآلام (راجع ايضا رسل ٢: ٢٣). من جهة اخرى، يُشَدِّد على الميزة النبوية للمعلم من خلال استخدام افعال تشير، في هذا الإنباء، الى مشاهد من الآلام (راجع ٢٢: ٦٣؛ ٢٣: ١١، ٣٦). ويسوع، كما في ٩: ٢٢، يتنبأ انه سيقوم في اليوم الثالث (وهذه المعلومة غائبة في ٩: ٤٤، كما في ١٧: ٢٥).

يُخْتَمُ المشهد بذكر ثلاثي لعدم فهم الاثني عشر. وهذا سوء الفهم المشار اليه في ٩: ٤٤ لم يكن يشمل سوى الآلام. اما هنا، فيشمل مخطط الخلاص برمته، مع القيامة ايضا، وقد كان خفياً عليهم؛ ولم يدركوا ما قيل. ونجد في ذلك علاقة مع عدم الفهم

لدى والذي يسوع في ٢: ٥٠. علما بان هذه الملاحظة اللوقاوية ليست انتقادا موجها الى الاثني عشر: فهو الله الذي يخفي عنهم معنى الكلام، إذ ان يسوع القائم وحده، وفقا للمخطط الالهي، سيستطيع ان يفتح اذهانهم (راجع ٢٤: ٤٥-٤٦).

شفاء اعمى في اريحا (١٨: ٣٥-٤٣)

- ٣٥ واقترَبَ مِنْ أَرِيحَا، وَكَانَ رَجُلٌ أَعْمَى جَالِسًا عَلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ يَسْتَعْطِي.
- ٣٦ فَلَمَّا سَمِعَ صَوْتَ جَمْعٍ يَمْشُرُ بِالْمَكَانِ، اسْتَحْبَرَ عَنْ ذَلِكَ مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ.
- ٣٧ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ مَارٌّ مِنْ هُنَاكَ.
- ٣٨ فَأَخَذَ يَصِيحُ فَيَقُولُ: ((رُحْمَاكَ يَا يَسُوعَ ابْنَ دَاوُدَا!))
- ٣٩ فَانْتَهَرَهُ الَّذِينَ يَسِيرُونَ فِي الْمَقَدِّمَةِ لَيْسَكُتَ. فَصَاحَ أَشَدَّ الصَّيْحِ قَالَ: ((رُحْمَاكَ يَا ابْنَ دَاوُدَا!))
- ٤٠ فَوَقَّفَ يَسُوعَ وَأَمَرَ بِأَنْ يُؤْتَى بِهِ. فَلَمَّا دَنَا سَأَلَهُ:
- ٤١ ((مَاذَا تُرِيدُ أَنْ أَصْنَعَ لَكَ)) فَقَالَ: ((يَا رَبِّ، أَنْ أَبْصِرَ)).
- ٤٢ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: ((أَبْصِرْ، إِيمَانُكَ خَلَّصَكَ!))
- ٤٣ فَأَبْصَرَ مِنْ وَقْتِهِ وَتَبِعَهُ وَهُوَ يُمَجِّدُ اللَّهَ، وَرَأَى الشَّعْبُ بِأَجْمَعِهِ مَا جَرَى فَسَبَّحَ اللَّهَ.

انها المرحلة الاخيرة قبل نهاية الرحلة: اريحا. هناك روايتان ألحقنا بها، ولهما نقاط مشتركة: العائق الذي يكمن في الجمع والذي يجب تخطيه كي يتم لقاء؛ والخلاص الذي يعلن يسوع عن مجيئه لرجلين عرفا ان يجدا الطريقة المناسبة للجواب على تحدّي الساعة. الاولى هي الاعجوبة الاخيرة التي جعلت الرحلة نحو اورشليم تتسم بالايقاع؛ ويجريها يسوع لصالح اعمى هو، بالصدفة، متسوّل؛ ومن جديد، نجد ان قدرته الشفائية تمارس باتجاه كائن تعيس بدرجة كبرى. اما الرواية الثانية، فهي تنقل لقاء من اكثر اللقاءات ايجابية بين يسوع وغني يتمتع بصحة جيدة (١٩: ١٠-١١).

نحن قبالة اعمى كان يصعب عليه ان يبلغ إلى يسوع (٣٥-٤٠ أ). وعلته لم تكن تسمح له، اولاً، الا بسماع جمع في مسيرة. ففي زمن اول، يلعب هذا الجمع دورا ايجابيا بمثابة وسيط، إذ اعلمه بمرور يسوع الناصري (من لفظة "ناصرين") -وهو لقب قدم اعطي للمعلم (هل هو "المنذور"؟ أم "الفرع" من السلالة الداودية؟)، يقربه لوقا من لفظة "الناصرى" من الناصرة (راجع ٤: ٣٤). ومن ثم يبرز عائق: انهم يهددونهم كي يفرضوا عليه الصمت -وهكذا كان التلاميذ قد "هددوا" اولئك الذين اتوا بالرضع (١٨: ١٥)؛

هل كانوا ينتمون الى فريق يتصف بهذا الموقف؟ اما المعاق، فنراه **يصيح** مرة اولى، ومن ثم **يصيح** **باعلى** **صوته**. واستغاثته المكررة مرتين توجهت الى ابن داود؛ وللمرة الاولى، يستخدم انسان هذا اللقب المسيحاني (راجع ١: ٣٢؛ ٢٠: ٤١) لكي يعبر باية ثقة ينتظر من يسوع ان يجدد معه ذاك الشفاء الذي سبق ان اجراه لآخرين (راجع ٧: ٢١؛ ٤: ١٨). ذلك ان الطابع الملوكي ليسوع، الملازم للقب "ابن داود"، سوف تُسلط عليه الاضواء في الفصل ١٩. واذا كانت صيحات الاعمى المتكررة ضرورية، الا ان امرا من يسوع جعل اقتراب هذا الاعمى منه ممكنا.

يبدأ القسم الثاني من الرواية (آ ٤٠ب-٤٣) بحوار. فعلى سؤال من يسوع، يجيب الاعمى، مناديا اياه "يا رب"، راغبا، دون دوران، في ان يستعيد البصر. ويجيب المعلم الى طلبه بشكل مباشر: "ابصر!". وهو يوضح الدافع الى هذا الشفاء عبر صيغة سبق ان أُستعملت مع الخاطئة (٧: ٥٠)، ومع المرأة التي كانت تعاني من نزف حيضي مستمر (٨: ٤٨)، ومع السامري الابرص (١٧: ١٩)؛ كان هذا النص الاخير كان قد ارشدنا الى ان الخلاص المقصود يتجاوز مجرد الشفاء الجسدي. وان التحقق من الشفاء، على الفور، يُسفر عن وضع ذي فريدة اكثر من المتوقع: ورأى الشعب كله بان الاعمى، بايمانه، ابصر. وفيما اخذ الشعب يسبح الله -لانه هو الذي فعل ذلك بواسطة مرسله- راح هو، كما فعل آخرون قبله (راجع ١٧: ١٥)، يلهج بمجد الله. وليس بقليل ان يكون الجمع المذكور في آ ٣٦ قد افسح المجال لشعب الله باجمعه! فالشعب الذي كان غائبا عن الرواية منذ ٩: ١٣، نراه يذكر غالبا في الفصول ١٩ الى ٢٤ مع التشديد على دوره الايجابي. وهكذا، بقدر ما اهتمت الرواية بشفاء معاق وخلاصه، نجد اهتمامها ينصبّ بالاكثر على التغيير الذي طرأ، وقد تحوّل من جمع من الناس الى شعب الله برمته. أليست تلك معجزة بعين القدر؟

اهتداء زكا (١٩: ١-١٠)

- ١ ١٩ ودخَلَ أريحا وأخذَ يَجتازُها.
- ٢ فإذا رَجُلٌ يُدعى زَكَّا وهو رَئيسٌ للعَشَّارينَ عَنِّي
- ٣ قد جاءَ يُحاولُ أن يَرى من هو يسوع، فلم يَستطعْ لِكَثرةِ الرِّحامِ، لِأنَّه كانَ قَصرَ القامةِ،
- ٤ فتقدَّم مُسرِعاً وصعدَ جَمِيزَةً ليراه، لِأنَّه أوشك أن يَمُرَّ بِها.
- ٥ فلمَّا وصلَ يسوعُ إلى ذلكَ المَكانِ، رَفَعَ طَرفَه وقالَ له: ((يا زَكَّا انزِلْ على عَجَلِ، فَيَجِبُ عَلَيَّ أن أقيمَ اليَومَ في بيتِكَ)).

٦ فترَل على عَجَلٍ وَأَضَافَهُ مَسْرُورًا.

٧ فَلَئِمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَالُوا كُلَّهُمْ مُتَذَمِّرِينَ: ((دَخَلَ مَتَرَل رَجُلٌ خَاطِئٌ لَيْبَتَ عِنْدَهُ!))

٨ فَوَقَّفَ زَكَ فَقَالَ لِلرَّبِّ: ((يَا رَبِّ، هَا إِنِّي أُعْطِيَ الْفُقَرَاءَ نِصْفَ أَمْوَالِي، وَإِذَا كُنْتُ ظَلَمْتُ أَحَدًا شَيْئًا، أَرُدُّهُ عَلَيْهِ أَرْبَعَةَ أَضْعَافٍ.))

٩ فَقَالَ يَسُوعُ فِيهِ: ((الْيَوْمَ حَصَلَ الْخَلَاصُ لِهَذَا الْبَيْتِ، فَهُوَ أَيْضًا ابْنُ إِبْرَاهِيمِ.

١٠ لِأَنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ جَاءَ لِيَبْحَثَ عَنِ الْهَالِكِ فَيُخَلِّصَهُ.))

سبق ان رأينا الروابط الوثيقة التي توحد هذه الرواية مع سابقتها. ويدور المشهد هذه المرة لدى المرور بالذات باريحا. والرجل هنا ليس مجهولا أو لا اسم له، وقد وُصف اولا بـمميزتين تتعلقان بوضعه الاجتماعي بحيث تحلمان القارئ على التردد بشأن خاتمة النص. ذلك ان زكا ينتمي الى طبقة الخطاة والعشارين المشهورين (لا بل هو رئيس عشارين!)، تلك الطبقة التي يتردد عليها يسوع ويقتسم معها الطعام (٢٩:٥+؛ ١٥:١+). انه واحد من هؤلاء الرجال الذين يقدمهم لوقا نموذجا للخاطي التائب (١٣:١٨-١٤). ولكنه، من جهة اخرى، غني، وكنا قد تحققنا، من خلال ١٨:١٨-٢٧ بصدد رئيس غني جدا، من العائق الذي يسببه المال ويجول دون الاستجابة الى النداء الانجيلي.

الا ان العائق الاول الذي يصطدم به زكا هو بالذات وجود جمع (٦-١). وكما في ٣٩:١٨، هوذا ازدحام الجمع يقترن مع قصر قامة زكا (وها نحن هذه المرة بازاء عوق طبيعي) فيمنعه من ان يرى من هو يسوع، وبالتالي من ان يراه يسوع. وها هو رئيس العشارين، على مثال صبي، ركض ليصعد على شجرة: لقد عرف في الوقت المناسب ما تفرضه الضرورة، وإن كان هذا التصرف لا ينسجم مع موقعه الاجتماعي وكرامته. وها هي النتيجة تتخطى الغاية التي حُدِّدت في البداية: هوذا يسوع يرفع نظره. وهذه المبادرة الاولى التي قام بها يسوع ستتبعها للحال اخرى: انه يدعو نفسه عند زكا. وبالتالي، يبدو ان زكا لم يكن يرغب فقط في ان يرى يسوع، وانما ان يرى من هو... الا ان كلام يسوع يتضمن معلومات لاهوتية اخرى ذات وزن. فأن يتعشى ويقضي ليلة عند عشار رئيس، فذلك يدخل ضمن مخطط الله الخلاصي (يجب...). وعبارة اليوم في هذه الزيارة -وقد شُدِّد عليها عبر تكرار فعل "استعجل"- تفسح المجال لاستشفاف معنى آخر لعبارة "اليوم"، اي الخلاص (راجع ٤:٢١؛ ٥:٢٦). وهكذا، حدث ما يثير فرح زكا!

و انتصب حينذاك عائق جديد يجب تخطيه (٧-١٠). فأن يكون يسوع قد دخل ليقيم عند رجل خاطي، فذلك اثار رد فعل: الكل تدمروا، واحتجوا على سلوك يسوع،

وقد جدّوا بذلك موقف الفريسيين والكتبة تجاه حالتين مشابھتين (٣٠: ٥؛ ١٥: ٢). وهؤلاء هم صورة مسبقة لما ستكون عليه ردة الفعل... لدى مسيحي اورشليم الذين سيلومون بطرس ويتقدونه على انه دخل عند غير المختونين واكل معهم (رسل ١١: ٢-٣). وهذا يعني ان الرسالة التي تحملها الرواية الانجيلية لا تفقد شيئا من آيتها في زمن الكنيسة.

وهوذا زكا، وللمرة الثانية، يتخذ، بعزم وعلى الفور، موقفا ملزما. انه قرار ذو صلة بالمال، وهو على مستويين. هوذا يتوجه بالكلام الى الرب معترفا به ربا -وهكذا فعل الاعمى (١٨: ٤١)، بخلاف الغني الوجيه الذي اكتفى بعبارة "ايها المعلم الصالح" (١٨: ١٨) - ليعلن، اولاً، بانه سوف يعطي المساكين نصف امواله. فهو لا يتبع المشورة باعطاء كل شيء (راجع ١٨: ٢٢)، وانما يلتزم بالاقتسام بشكل قاطع، وفقا لما كان يطلبه يوحنا المعمدان (راجع ٣: ١١-١٢)؛ وكان عليه ايضا، في الواقع، ان يردّ اربعة اضعاف، من النصف المتبقي، لمن يكون قد سبّب له ضرراً (راجع خر ٢١: ٣٧). وهكذا، فان الصدقة التي تُمارَس بهذا المستوى، والتعويض عن الاضرار الملحقّة بالغير، هما العلامة على اهتداء كامل. والمفارقة مع الغني الوجيه هي في منتهى الوضوح (راجع ١٨: ٢٣).

وفيما اخذ يسوع يتكلم من جديد (آ ٩)، توجه، في آن واحد، نحو الذين لا يحتملون ضيافة خاطئ، كما نحو زكا الذي اصبح تائباً. انه يتكلم من جديد عن "اليوم"؛ فليس هو اليوم الذي اقام فيه المعلم مؤقّتا في بيت زكا حسب، وانما هو يوم الخلاص للساكين فيه ايضا. ويستند هذا الخلاص الى التذكير بانتماء زكا الى ابراهيم: فالله، حين منح الخلاص لرئيس العشارين، كان اميناً على الوعد الذي قطعه مع ابي المؤمنين (راجع ١: ٥٥، ٧٣). كان زكا قد بدا مردولاً، وراء حاجز الجمع، وحيدا على شجرته؛ وما قراره باستخدام امواله بشكل جديد سوى برهان على انتمائه الى شعب الله. ويذكر يسوع بالتالي ما هي رسالته. انه ولا شك يقولها بمفردات قريبة من تلك التي استخدمها في ٣٢: ٥. ولكنه، هنا، يضيف تلميحا الى حز ٣٤: ١٦، وهو نصّ يبحث الله بموجبه عن النعجة الضائعة. ومهمة يسوع ليست سوى مهمة الله ذاتها (راجع ما قيل في ١٥: ٧).

وهكذا، فان الطريقة التي يفهم بها الدين اليهودي الغفران، يعبر عنها بالشكل التالي: يوم كيبور - "يوم التكفيرات"، اي الاحتفال الذي يستطيع فيه الخاطئ ان يحصل على غفران الله، راجع أح ١٦ - يمنح الغفران عن الخطايا التي اقترفها الانسان تجاه الله، ولكن بالنسبة الى الذنوب التي يقترفها الانسان تجاه قريبه، فلا يمكن ليوم كيبور ان يمنح الغفران اذا لم يحصل هذا الانسان من قريبه على المغفرة"، اي اذا لم يصلح الاضرار

الادبية والمادية التي سببها (مشنا، يُوما، ٩:٨). ففي نظر لوقا، هو الله الذي يبادر الى منح الخلاص (راجع ١٨:٢٧)؛ وهذا الخلاص، كي يصبح فاعلا، يترتب على الانسان ان يتلقاه بالاهتداء. والاهتداء يُعبّر عنه بالضرورة عبر مسعى واقعي تجاه الغير، وبالاخص تجاه الفقير. وهنا، اخذ يسوع المبادرة باسم الله، حين دعا نفسه عند زكا؛ وزكا اجاب على المبادرة بشكل موفق، لا فقط باستقباله يسوع (راجع آ ٦)، وانما بانفتاحه على الخلاص بواسطة التوبة (راجع آ ٨).

مثل الهلك (١٩:١١-٢٨)

- ١١ وبينما هم يُصغون إلى هذا الكلام، أضاف إليه مثلاً لأنه قَرَبَ مِنْ، أُورَشَلِيم، وكانوا يظنون أن ملكوت الله يوشك أن يظهر في ذلك الحين،
- ١٢ قال: ((ذهب رجلٌ شريفُ النسبٍ إلى بلدٍ بعيدٍ، ليحصلَ على المُلْكِ ثمَّ يعود.
- ١٣ فدعا عشرةَ خُدَّامٍ له، وأعطاهم عشرةَ أَمْناءٍ وقالَ لهم: تاجروا بما إلى أن أعود.
- ١٤ وكانَ أهلُ بلده يُبغضونه، فأرسلوا وفداً في إثره يقولون: لا تُريدُ هذا ملكاً علينا.
- ١٥ فلما رجعَ بعدَ ما حصلَ على المُلْكِ أمرَ بأن يُدعى هؤلاء الخُدَمُ الذين أعطاهمُ المال، ليعلمَ ما بلغَ مكسبُ كلِّ منهم.
- ١٦ فمَثَلُ الأوَّلِ أمامه وقال: يا مولاي، ربحَ منك عشرةَ أَمْناءٍ.
- ١٧ فقالَ له: أحسنتَ أيُّها الخادِمُ الصَّالح، كُنتَ أميناً على القليل، فليكنْ لك السُّلطانُ على عشرِ مُدُن.
- ١٨ وجاءَ الثَّاني فقال: يا مولاي، ربحَ منك خمسةَ أَمْناءٍ.
- ١٩ فقالَ لهذا أيضاً: وأنتَ كُنَّ على خمسِ مُدُن.
- ٢٠ وجاءَ الآخرُ فقال: يا مولاي، هُوذا منك قد حَفِظْتُهُ في مُنْذِلٍ
- ٢١ لأنِّي خِفْتُكَ، فأنتَ رَجُلٌ شَدِيدٌ، تأخُذُ ما لم تستودِعْ وتحصُدُ ما لم تزرع.
- ٢٢ فقالَ له: بكلامٍ فمِكَ أدينُك أيُّها الخادِمُ الشَّريرُ! عَرَفْتَنِي رَجُلًا شَدِيدًا، آخُذُ ما لم أستودِعْ وأحصُدُ ما لم أزرع،
- ٢٣ فلماذا لم تصعُ مالي في بعضِ المصارِفِ؟ وكنتُ في عودتي أستردُّه مع الفائدة.
- ٢٤ ثمَّ قالَ للحاضرين: خُذوا مِنه المِنا وأعطوه صاحبَ الأَمْناءِ العشرة.
- ٢٥ فقالوا له: يا مولانا، عنده عشرةُ أَمْناءٍ.
- ٢٦ أقولُ لكم: كُلُّ مَنْ كانَ له شيءٌ، يُعطى. ومَنْ ليسَ له شيءٌ يُنتزَعُ منه حتَّى الَّذي له.

٢٧ أَمَا أَعْدَائِي أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِيدُوا بِي مُلْكًا عَلَيْهِمْ، فَأَتُوا بِهِمْ إِلَى هُنَا، وَاصْرَبُوا أَعْنَاقَهُمْ أَمَامِي)).

٢٨ قَالَ هَذَا ثُمَّ تَقَدَّمَ صَاعِدًا إِلَى أُورُشَلِيمَ.

ان موقع هذا المثل في نهاية رواية الرحلة، واتساعه، وغنى المعطيات التي تضمنتها الآيات التي تحيط به، فضلاً عن الروابط التي توحدتها مع الرواية التي تليها (الدخول الملوكي الى اورشليم)، كل هذا يسهم في ابراز اهميته. فالمقدمة (آ ١١) تربط هذه الرواية بمشهد زكا: يسوع يتوجه الى الذين سمعوه يتحدث عن آتية (اليوم) الخلاص. كما تقدم من ثم سببين من اجلهما اضاف يسوع هذا المثل: **لانه قُرب من اورشليم**، ولان سامعيه **ظنوا ان ملكوت الله يوشك ان يظهر في ذلك الحين**، دون انقطاع. هذه الملاحظة هي بمثابة مفتاح تشير الى الطريقة التي يفهم بها لوقا بالتحديد هذا المثل.

والسامعون الذين يحملون مثل هذه الآراء، يشبهون التلاميذ. وتخييل للحال اولئك الذين سيأتون باسم يسوع قائلين: **"الزمان قريب"** (٢١: ٨)؛ كما نتخيل تلميذي عماوس اللذين سيعبران عن رجائهما المخيب: يسوع مات، بينما كان الاعتقاد بانه سوف يفتدي اسرائيل (٢٤: ٢١). وينتقل بنا الفكر ايضا الى اقرب معاوي يسوع، الرسل، الذين، قبيل الصعود، سيطرحون السؤال: **"يا رب، أفي هذا الزمن تعيد الملك الى اسرائيل؟"** (رسل ١: ٦)؛ لقد كان هذا الانتظار شرعياً ولا شك: فالملاك جبرائيل (١: ٣٣-٣٢) وذكريا (١: ٦٨+) كانا قد بشرّا بتحقيقه. ولكن هذا الانتظار، كان ينبغي ألا ينسى مخطط الله: فالمُلك المسيحاني يمر بالموت والرفع. وكان سوء الفهم لدى الاثني عشر بشأن هذه النقطة، قد شدّد عليه كثيرا في ١٨: ٣٣.

في هذا السياق، كانت احدى غايات المثل ان تحمل تصحيحاً، عبر التأكيد للسامعين بان الملكوت لن يتجلى بصيغته النهائية ابان دخول يسوع اورشليم. كما انه لن يباشر تدخّله فوراً بعد قيامة المسيح (رسل ١: ٦-١١)، ولا حتى فيما بعد، لدى خراب اورشليم (٢١: ٢٠-٢٨). لذا لا ينبغي لمسيحي كنيسة لوقا ان يتخيلوا بان النهاية تمت مسبقاً! فالملكوت، في بُعده التام، سيتزامن مع مجيء ابن الانسان للدينونة.

والمثل الذي يُدعى عادة "مثل الامناء" هو قريب من مثل الوزنات في متى ٢٥: ١٤-٣٠ الذي اتى من مصدر الاقوال. الا ان ما ينفرد به لوقا هو موضوع ذاك الذي يطالب بالملك ويصبح من ثم ملكاً (آ ١٢، ١٥) وما يتصل به من تفاصيل: المؤامرة (آ ١٤، ٢٧)، وكون الملك كافاً الخادمين الاولين باعطائهما **السلطة على مدن** (آ ١٧: ١٩). وسنعود لاحقاً الى الطابع الاستعاري للمثل اللوقاوي، بحثاً عن مفاتيح لتفسيره.

يتألف مجمل النص من مشهدين. في الاول (آ ١٢-١٤)، نجدنا بازاء المُطالب بالملوكية، وعشرة من خدمه، ومواطنين يتآمرون عليه. أما ضرورة ذهابه الى بلد بعيد ليحصل على المُلك، والوفادة المضادة التي تسعى الى افشال هذا المسعى، فان لهما سابقة تاريخية، إذ ان امبراطور روما، في الممالك التابعة، كان يعين في وظيفة "المُلك" أو يعزل منها من يطيع له. وفي عام ٤ ق. م. كان ارخيلاوس، ابن هيرودس الكبير، قد قام بمثل هذه الرحلة بعد وفاة ابيه، بينما ذهب خمسون موفدا، يدعمهم ٨٠٠٠ يهودي من روما، يطالبون بالاستقلال، في ظل ادارة حاكم روماني -وكانوا على اطلاع، في الواقع، بالمجازر التي اقترفتها ارخيلاوس في الهيكل. واذ لم يحصل على لقب "ملك"، عُين في منصب امير الربع على اليهودية والسامرة؛ الا ان قسوته قادت اليهود والسامريين الى ارسال بعثة جديدة حصلت من الامبراطور على عزله عام ٦ بعد المسيح (راجع فلافيوس يوسيفس، الحرب اليهودية، ج٢: ٨٠-٩٨؛ ١١١-١١٣). ومع الاهمية التي كان لموضوع "الملوكية" في هذا القسم الاول، لا ننس بان المُطالب بعرش اعطى عشرة امناء لخدمه، منا لكل منهم، كما ستوضحه تنتمه الرواية. والمبلغ المودع لا يكاد يساوي شيئا بالنسبة الى مرشح للمُلك (راجع آ ١٧): انه يمثل قيمة حوالي ثلاثة اشهر من عمل فلاح. الا ان المهم يكمن في أمر القيام بتجارة طيلة فترة الرحلة.

اما المفتوح الموسع للمشهد الثاني، فقد أُشير اليه بهذه الصيغة: "فلما رجع، بعد ما حصل على المُلك" (آ ١٥أ). ففي هذا القسم الثاني (آ ١٥-٢٧)، هوذا الملك الجديد، وقيل ان يأمر بضرب اعناق المتآمرين عليه، أراد ان يعرف ما بلغ مكسب كل من الخدم. وهكذا، في البداية، تتوقف الرواية طويلا على الخادمين الاولين (آ ١٦-١٩). وهذان الخادمان لم يتباهيا بنجاحهما: وانما الليرة الملكية هي التي تكاثرت... ويدهشنا جواب الملك: لم يكن المطلوب المهارة المالية لدى الخدم بقدر ما كانت الامانة للامر المعطى؛ اما الامناء، فلم تكن سوى الفرصة لذلك. لقد اختبر الملك الثقة التي كان بوسعه ان يمنحها لهؤلاء الرجال كي يعهد اليهم بمدن يحكمونها، ولذلك يشركهم في سلطته الملكية. وهو نفسه منح الثقة التامة لكلام هذين الرجلين: فهو لم يطلب ان يرى المبلغ الحاصل.

وتتناول الرواية بشكل مسهب حالة الخادم الاخير، مهملة الخدم السبعة الآخرين

(آ ٢٠-٢٤). وللحال، يعترف هذا الخادم بانه عصى الامر المعطى له: لقد ترك المبلغ في سبات. وها هو يقدم السبب: انه يخشى سيده، وهو رجل شديد، يأخذ ما لم يستودع، ويحصد ما لم يزرع. ويا للغرابة، فان هذا الحكم هو، في آن واحد صحيح -وقد تبناه الملك في آ ٢٢- ومخطئ: فلقد ترك للخادمين الاولين المنا الاصيلي (المعطى، آ ١٣) مع

الأمناء التي ربحها؛ أوليس هو الذي سيعطي الاول، علاوة على ربحه، ما استرجعه من الخادم الشرير (آ ٢٤)؟ فليست الرغبة في الربح، كما رأينا اعلاه، هي التي دفعت الملك في هذه القضية؛ وانما كان يريد بالاحرى ان يختبر ما هي الصورة التي يحملها عنه كل واحد. فلقد بدا سيدا صالحا في نظر الذين دخلوا معه في علاقة حقيقية، وقاسيا بالنسبة للذي، على الفور، جعل التفاهم مستحيلا.

نلاحظ بان ممارسة الحكم، وقد بدأ منذ آ ١٧، هي المهمة الملكية بامتياز. اما دهشة السامعين (آ ٢٥) التي اثارها قراره الاخير (آ ٢٤)، فهدفها التأكيد على القول المدهش في آ ٢٦ الذي ينسج على منوال المثل الشعبي: الاغنياء يزدادون دوما غنى، والفقراء يزدادون فقرا. وهذا التأكيد يرجع ولا شك الى جواب الملك، وسوف يتواصل في آ ٢٧؛ وحينئذ يصبح معناه: الذي لم يستفد من المال الذي وُضع تحت تصرفه، سيجد رأس المال قد أُنتزع منه. الا ان القول في آ ٢٦ يذهب في الوقت ذاته الى ابعد؛ ولا نجد في مقدمته عبارة "اجاهم"، بل "اقول لكم". ويسوع، كما في ١٨:٨، يتبنى هذا المثل. واية كانت الظواهر، فان كلامه لا يمكنه ان يتضارب مع انقلاب الازواج الشهير، وهو سمة نهاية الازمنة. (راجع التطويبات). ولا يجد هذا الكلام معناه الكامل الا على ضوء الحمل. واية قراءة اجتماعية-اقتصادية لهذا النص، يجب ان تُستبعد!

السمات الاستعارية في هذا المثل تتطلب مفتاحا. فالرجل الشريف النسب الذي ذهب الى بلد بعيد ليحصل على الملك، انما هو المسيح الذي، من وراء الموت، رُفِع الى السماء لكي ينصّبهُ الله ملكا مسيحا. فالله هو الذي يُولي يسوع، وليس الجموع المتحمسة او التلاميذ الذي يهتفون له؛ انه يحصل على مجده من ذاك الآخر. ولكن ما معنى هذه العودة التي هي بمثابة ركيزة المثل في آ ١٥؟ لا اعتقد انه يجب ان نرى فيها الجيء في آخر الازمنة. وان قيادة المدن تحيلنا الى مكافأة تدرج في التاريخ؛ وبعين الطريقة، لا ينبغي ان نرى في ضرب اعناق المتآمرين عقابا اسكاتولوجيا، وانما يوحى، ابان خراب اورشليم عام ٧٠، بالحكم على اولئك الذين رفضوا الاعتراف بمسيحية يسوع. وتمت عودة المسيح منذ ارتفاعه، حين جعله الله ربا ومسيحا (راجع رسل ٢: ٣٣-٣٦). اما بشأن الإشراف في الحكم، فبوسعنا ان نفكر بالخدمات المتعلقة بالتبشير الرسولي؛ وبالفعل، كان لوقا قد اظهر اهتمامه، في ١٢: ٤١-٤٨، بالدور الذي يلعبه، في الكنيسة، الخدام الوكلاء. وبالمقابل، تعيدنا آ ٢٦ الى الدينونة الاخرة (راجع فعلين في صيغة المستقبل): كل من كان له شيء، سيعطيه الله اكثر؛ ومن ليس له شيء، سيترع منه الله حتى الذي له. ففي زمن النهاية، ستتجاوز عطية الله كل انتظار لاولئك الذين سيجعلون كلمة المسيح المحيية التي وكلها اليهم تؤدي ثمارها. ولكن حذار للمسيحي الذي يكون قد خنق هذه الكلمة.

بعد كل ما قلناه، ليس لكل تفاصيل المثل معنى استعاري رمزي؛ وهكذا، فأن يطلب الملك بان تُضرب اعناق اعدائه امام عينيه، لا يحمل اية اضاءة على المسيح يسوع! ومن الصعب جدا ان نقرر في اية حال يتوقف التفصيل من ان يكون له معنى في حد ذاته. وعلى هذا النحو، في المثل الموازي لدى متى، نرى السيد، لدى مغادرته، يعطي خمس وزنات او اثنتين او واحدة، كل بحسب قدراته (متى ٢٥: ١٥)، وهذا ما يوحي بوضوح بالموهب المختلفة التي تلقاها كل واحد عبر الاقتسام؛ بينما نرى، لدى لوقا، ان كل خادم يتلقى منا واحدا، ومن الصعب ان نستنتج معنى رمزيا من هذا التفصيل.

يحدّر هذا المثل من ظهور قريب للملكوت في المجد، وانما يفتتح زمن غياب يسوع، اي زمن الكنيسة. وستبدو ضرورته بالاكتر حين نرى يسوع، في المشهد التالي، لدى وصوله اورشليم، يهتف له تلاميذه بصفته ملكا مسيحانيا. وهكذا، عبر مثل المطالب بالملك، نكون قد أُنذرنا: فالدخول الملوكي الذي سنشده على جبل الزيتون ليس اكتمالا. انه صورة نبوية مسبقة لما لن تراه عين بشرية: الارتفاع الفصحي ليسوع المصلوب الذي جعله الله ربا ومسيحا (رسل ٢: ٣٦). وبالتالي، نحن بازاء عودة المسيح، وقد ارتسمت واضحة لكل البشر.

بعد المثل، هوذا يسوع يتقدم تلاميذه صاعدا الى اورشليم. وتؤلف الآية ٢٨ بوضوح تطويقا لما قيل في آ ١١. فالهدف من هذه الرحلة هنا، لا يختم فقط الرواية الطويلة عن الصعود الى اورشليم (٩: ٥١-١٩: ٢٨)؛ وانما هو بمثابة نقطة الاطالة لمقطع (١٨: ٣١-١٩: ٢٨) الذي كان قد شدد على ان المدينة المقدسة هي، في آن واحد، مكان عذاب يسوع وقيامته (راجع ١٨: ٣١؛ ومشهد التجلي من قبل ٩: ٣١)، كما هي ايضا مكان مغادرته المؤقتة (راجع ١٩: ١٢+).

فلاخ اور ثلیر :

تعلیر، آلامر، قیامت

(لو ۱۹: ۲۹ - ۲۴: ۵۳)

أولاً. التليم في الهيكل

(لو ١٩: ٢٩ - ٢١: ٣٨)

موكب مسيحياني ورتاء على اورشليم (٢٩: ٢٩ - ٤٤)

- ٢٩ ولما قَرَبَ مِنْ بَيْتِ فَاجِي وَبَيْتِ عَنِيَا عِنْدَ الْجَبَلِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ جَبَلُ الزَيْتُونِ، أَرْسَلَ اثْنَيْنِ مِنْ تَلَامِيذِهِ،
- ٣٠ وَقَالَ لَهُمَا: ((اذهبا إلى القرية التي تَجَاهُكُما، تَجِدَا عِنْدَما تَدْخُلانِها جَحْشاً مَرْبُوطاً ما رَكِبَهُ أَحَدٌ قَطُّ، فَحَلِّا رِباطَهُ وَأْتِيا بِهِ.
- ٣١ فَإِنْ سَأَلَكُما سائِلٌ: لِمَ تَحَلِّانِ رِباطَهُ؟ فَقولا: لِأَنَّ الرَّبَّ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ)).
- ٣٢ فَذَهَبَ الْمُرْسَلانِ فَوَجَدَا كِما قالَ لَهُما.
- ٣٣ وَبَيْنَما هُما يَحَلِّانِ رِباطَ الْجَحْشِ، قالَ لَهُما أَصْحابُهُ: ((لِمَ تَحَلِّانِ رِباطَ الْجَحْشِ؟))
- ٣٤ فَقالا: ((لِأَنَّ الرَّبَّ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ)).
- ٣٥ فَجاءَ بِالْجَحْشِ إلى يَسوعَ، ووَضَعَا رِدايَهُما عَلَيهِ وأرَكبا يَسوعَ.
- ٣٦ فَسارَ وَالنَّاسُ يَبْسُطُونَ أَرْدِيَتَهُمَ على الطَّرِيقِ.
- ٣٧ ولما قَرَبَ مِنْ مُنْحَدَرِ جَبَلِ الزَيْتُونِ، أَخَذَ جَماعَةُ التَّلَامِيذِ كُلُّها، وَقَدِ اسْتَوَى عَلَيهِمُ الفَرَحُ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بِأَعلى أَصواتِهِمَ على جَميعِ ما شَاهدُوا مِنَ المَعجِزاتِ،
- ٣٨ فَكانوا يَقولونَ: ((تَبارَكَ الآتي، المَلِكُ بِاسْمِ الرَّبِّ! السَّلَامُ في السَّماءِ! والمَجْدُ في العُلَى!))
- ٣٩ فَقالَ لَهُ بَعْضُ الفَرِيسِيِّينَ مِنَ الجَمْعِ: ((يا مُعَلِّمُ انْتَهَرُ تَلَامِيذَكَ!))
- ٤٠ فَأجابَ: ((أقولُ لَكُم: لو سَكَتَ هؤُلاءِ، لَهَتَفَتِ الحِجارَةُ!)).
- ٤١ ولما اقْتَرَبَ فَرَأى المَدِينَةَ بِكى عَلَيها
- ٤٢ وَقالَ: ((لَيْتَكَ عَرَفْتَ أَنْتِ أَيْضاً في هَذا اليَوْمِ طَرِيقَ السَّلَامِ! وَلَكِنَّهُ حُجِبَ عَن عَيْنَيْكَ
- ٤٣ فَسَوْفَ تَأْتِيكَ أَيَّامٌ يُلْفُكُ أَعْدَاؤُكَ بِالْمَتارِيسِ، وَيُحاصِرُونَكَ وَيُضَيِّقُونَ عَلَيْكَ الحِناقَ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ،

٤٤ وَيُدْمَرُونَكَ وَأَبْنَاءَكَ فَيْكَ ، وَلَا يَتْرُكُونَ فَيْكَ حَجْرًا عَلَى حَجْرٍ، لِأَنَّكَ لَمْ تَعْرِفِي وَقْتَ افْتِقَادِ اللَّهِ لِكَ)).

يشكل لو ١٩: ٢٩-٤٤ انتقالا بين رواية الرحلة ورسالة يسوع في اورشليم (١٩: ٤٥-٣٨: ٢١): ففي الهيكل المطهر سيبدأ يسوع تعليمه (١٩: ٤٧-٤٨ يقابلها ٢١: ٣٧-٣٨). وعبر التضاد بين اعتراف التلاميذ بيسوع (او تلاميذ حدد) ورفض المسؤولين الدينيين له، تبدو الآيات ٢٩-٤٤ ولا شك مرتبطة مع ما سبقها، ولا سيما مع مثل الملك. ولكن لا يبدو جبل الزيتون، من جهة اخرى، ضمن الرحلة؛ انه يقع ضمن حدود اورشليم التي يمكن التنقل فيها يوم السبت (راجع رسل ١: ١٢)، ومن هذا الجبل بالتحديد، وليس من بيت عنيا، سيرفع يسوع (راجع ٢٤: ٥٠، رسل ١: ١٢). فلقد بلغت المسيرة هدفها، والوقت الذي كان يجب فيه ان يُرفع من هذا العالم (٩: ٥١) قد بلغ ذروته. اما المعلومة الثرية ودقة التفصيل الجغرافيتين اللتين انطوت عليهما الآيات ٢٩، ٣٧، ٤١، فاهما يسهمان في اثاره عنصر المفاجأة، حتى الدخول في الهيكل.

ويعرض مشهد الاستعدادات (٢٩٨-٣٥) نقاطا مشتركة مع هذا المشهد الذي سيجري قبل العشاء الاخير (٢٢: ٨: ١٣؛ انظر مشهد الاعداد للعشاء). والامر اللغزي الذي اعطاه يسوع (٣٠٨-٣١) هو غني بالمعاني. فهو، من جهة -وهذا هو الاساسي- يشدد على معرفة يسوع المسبقة التي بوسعها ان تفصل العلامة المطروحة للتلاميذ. وبالفعل، حين اشار لوقا الى المطابقة بين كلمة يسوع وبين الواقع (٣٢ آ)، وحين كرر الحوار (٣٣-٣٤)، فهو انما اكد على الطابع النبوي؛ ولذلك، فان تحقيق الإعدادات (٣٢-٣٥ آ) لا يبدو وكأنه تكرر للامر الاولي بتنفيذها (٣٠-٣١ آ).

وفي مرحلة ثانية، تستنير ايضا كلمة يسوع في ضوء نبوة زكريا ٩: ٩. والحق يقال، وخلافا لمتى ٥: ٢١ ويو ١٥: ١٢، لا يورد لوقا هذا القول النبوي الذي يعلن عن مجيء الملك المسالم في مدينته اورشليم: "ابتهجي جدا يا بنت صهيون واهتفي يا بنت اورشليم، هوذا ملكك آتيا اليك بارا مخلصا وضيعا، راكبا على حمار وعلى جحش ابن اتان. واستأصل المركبة من افرائيم والحيل من اورشليم، وتُستأصل قوس القتال ويُكلم الامم بالسلام" (زك ٩: ٩-١٠). ويذكر الانجيلي مع ذلك الملك، والجحش -جحش لم يركبه احد قط، كما يليق بحيوان مُعد للرب (اصم ٦: ٧). إذ ان الإعدادات تبلغ ذروتها في الدافع الملح الذي اعطاه يسوع (٣١ آ، وقد أُعيد في ٣٤ ب): ذلك ان هذا الجحش، يحتاج اليه الرب. انما المرة الوحيدة، في انجيل لوقا، يتكلم يسوع بهذه الطريقة، ملمحا إلى انه الملك المسيح.

اما مشهد الموكب الظافر (آ ٣٥ب-٣٨)، فهو يشدد على مفارقة. من جهة، نجد تأكيدا على ملوكية يسوع، وبطرق مختلفة. فالى جانب لقب الملك بالذات في هتاف الآية ٣٨ - وذلك تفصيل ينفرد به لوقا-، هناك استذكارات عديدة من تنصيب سليمان الملوكي (١ مل ١: ٣٨-٤٠): التلميذان يُركبان يسوع على الجحش؛ وهناك حديث عن النزول من جبل الزيتون، وعن فرح الجمع، وقد عبّر عنه بهتاف عال. اما بصدد حركة بسط الارضية على الطريق، فهي من جملة التكريمات الملكية التي صُنعت الى ياهو (٢ مل ١٣: ٩). واخيرا، يتضح ان السلام الذي انشدته الآية ٣٨ هو الخير المسيحاني الاكبر. ومن الجهة الاخرى -وهنا تكمن المفارقة- جماعة التلاميذ وحدها هي التي واكبت ملكها. ولا نجد هنا جمعا كبيرا خرج من اورشليم للقاء يسوع مع سعف النخل (راجع يو ١٢: ١٢). وان غياب اهل اورشليم التام سيقود يسوع بالتالي الى ان يوجه لوما شديدا الى المدينة (راجع آ ٤٢-٤٤). كما لا نجد هتافا يشيد "بالمملكة الآتية، مملكة ابينا داود" (راجع مر ١١: ١٠)؛ فلقد سبق لوقا، في ١١: ١٩، أن حذّر من فكرة تكون بموجبه قد أزفت ساعة مسيحانية ملوكية ظافرة. وزالت المفارقة ما أن عاد الى الذاكرة مثل الملك الذي رُوي من قبل: فالتنصيب الملوكي سوف يقوم به آخر من ثم (١٢: ١٥-١٩). وهنا ايضا لا نجدنا بازاء تلاميذ او جموع يقومون بتنصيب يسوع؛ ذلك ان الله ذاته هو الذي سينصّب يسوع، وفي المكان ذاته، حين سيُرفع يسوع الى السماء، من بيت عنيا (٢٤: ٥٠+). ومن جبل الزيتون (رسل ١: ١٢).

وجماعة التلاميذ، عبر تسييحها، تمت كلام يسوع الذي كان قد ختم اول قول نبوي له ضد اورشليم: "لن تروني حتى ياتي يوم تقولون فيه: تبارك الآتي باسم الرب" (١٣: ٣٥). وهذه الجماعة التي تمثل الجماعة المسيحية (راجع رسل ٦: ٢) تتبنى ايضا موقف الرعاة الذين، لدى مولد الطفل، مجدوا الله على كل ما رأوا (٢: ٢٠). فهي لا تكتفي بانشاد الزمور ١١٨: ٢٦ -وهي الآية التي كانوا يستخدمونها لتحية الحجاج الذين يبلغون الى الهيكل- وانما تقتدي بالليتورجيا السماوية التي يحتفل بها جمهور من الملائكة الذين كانوا يسبحون قائلين: "المجد لله في العلى والسلام في الارض للناس اهل رضاه!" (٢: ١٤). الا ان الهتاف يختلف مع ذلك: ففي ساعة اقتراب الآلام، لا يقيم السلام الا في السماء، وليس على الارض. فالدخول المسيحاني ليس حدثا سياسيا؛ فيسوع، وإن حياه احباؤه بصفته ملكا، الا انه، قبل كل شيء، حاج يستعد لان يتألم قبل ان ينتقل الى ابيه. والتنصيب الملوكي على جبل الزيتون هو بمثابة صورة رمزية مسبقة لما لن تراه عين بشرية:

الارتفاع الفصحي للمصلوب، الذي سيذهب من بيت عنيا، من جبل الزيتون حيث يكون قد عرف نزاعه (راجع ٢٢: ٣٩+).

وهوذا مشهد آخر يُفتح (٣٩-٤٠) حين ينتصب فجأة من الجمع، بعض الفريسيين، كما سبق ان حدث في ١٣: ٣١. انهم يظهرون للمرة الاخيرة في الانجيل؛ ولن يلعبوا اي دور في الآلام. فهتاف التلاميذ للملك المسيح هو، بالنسبة لهم، الفرصة لاحتجاج اخير ضد "حركة يسوع"؛ انهم يطلبون من المعلم ان ينتهر تلاميذه (بشأن هذا الفعل، راجع ٩: ٢١؛ ١٨: ٣٩). ويسوع يكشف لهم عنادهم حين أكد لهم بان الهتاف المسيحاني هو في محله: لن يتغير شيء حتى وان سكت التلاميذ. ذلك ان الحجارة ستهتف محتجة ضد الذين يرفضون يسوع مسيحا، ويريدون من ثم ان يكتفوا تلاميذه (راجع حب ٢: ١١). وبعد حراب اورشليم، ستكون تلك الحجارة المبعثرة على الارض (راجع آ ٤٤) هي التي تهتف للموكية يسوع.

اما الكارثة التي ستحل بالمدينة، فستكون موضوع ثلاث نبؤات تلتقي مع الانذار الموجه الى اورشليم منذ ١٣: ٣٤+. لما اقترب يسوع فرأى المدينة، بكى عليها وقال قوله النبوي الاول (آ ٤١-٤٤). وحين كان خارجا من محيط اورشليم وهو حامل صليبه، ستكون ساعة القول الاخير (راجع ٢٣: ٢٨-٣١). وبين القولين، سينبئ الخطاب الاسكاتولوجي الذي فاه به يسوع في الهيكل، بحصار المدينة وسقوطها (راجع ٢١: ٢٠-٢٤).

وفي مفارقة مؤثرة مع فرح التلاميذ، هوذا يسوع يبكي -وهي المرة الوحيدة في الانجيل الازائية. والقول الذي يلي يعطي معنى هذه الحركة النبوية (راجع ار ١٤: ١٧). انه يبدأ بالاعلان عن ان المأساة التي على الابواب لن تكون ثمرة الصدفة (آ ٢٢). وكان ينبغي على اورشليم بالذات ان تتلقى بشرى السلام، وتقبل بان يكون الملك المسيح المسالم هو رب الخلق اجمعين (راجع رسل ١٠: ٣٦)، وانه هو الذي يقيم السلام بين اليهود والوثنيين، مزبلا الحاجز الذي كان يفصل بينهم؛ ولكم كان يسوع يرغب في ذلك. واحتجت المدينة، في الواقع، على تلك الحاجة؛ غير ان تعاميتها الارادي كان في الوقت ذاته عمل الله (راجع الفعل في صيغة المجهول: "لكنه حُجِبَ عن عينيك" -ولفهم ماذا تعني المبادرة الالهية، انظر الاطار ادناه: المبادرة الالهية وحراب اورشليم). وتعدّد الآيات ٤٤-٤٤ خمسة افعال ستقوم بها القوات المعادية، منذ الحصار بحد ذاته وحتى اعمال العنف التي يسفر عنها السقوط: ذاك هو عقاب المدينة على رفضها. واذا كانت الملامح المرسومة قد استعيرت من نصوص ببيلية مختلفة (ولا سيما اش ٢٩: ٣: الحصار؛ مز

١٣٧:٩: (الابناء يسحقون)، فلأن لوقا يفكر بتحقيق هذه النبوة: الاعمال التي قام بها الجيش الروماني لمحاصرة اورشليم، وسقوطها في ٢٦ ايلول عام ٧٠، في اعقاب شهر من حرق الهيكل.

لم يكن يسوع اول وآخر من تنبأ على خراب اورشليم. فلقد سبق ان تنبأ ارميا وحزقيال قبل خرابها عام ٥٨٧ ق. م. وبحسب قول فلافيوس يوسيفس، اربعة اعوام قبل اندلاع حرب ٦٦-٧٠ ب. م. "كان شخص يدعى يسوع بن حنايا" راح يتنبأ ويصرخ في الهيكل: "صوت من الشرق، صوت من الغرب، صوت من الرياح الاربعة، صوت ضد اورشليم والمقدس... صوت ضد الشعب برمته!". ومنذئذ، وحتى تحت العصي، لن ينفك من التكرار "الويل لاورشليم"، وكان يضيف: "والويل لي انا ايضا!" وقد ضُرب بحجارة منجنيق روماني (الحرب اليهودية، ٤، ٣٠٠-٣٠٩). إلا ان فرادة يسوع الناصري تكمن، لا في اعلانه عن الكارثة، وانما في ما يدفع اليها في نظره. وعلى العكس من الذين شاهدوا إحياء ابن الارملة (راجع ٧:١٦)، رفضت المدينة ان تعترف بان الساعة التي اعلنتها الاسفار المقدسة وانتظرها اسرائيل قد أذفت؛ لا بل رفضت ان تؤمن بان يسوع، حين يركز ويعمل، وحين يدخل اورشليم بمتاف تلاميذه، فانما هو الله ذاته الذي يزور شعبه ليعرض عليه الخلاص.

المبادرة الالهية وخراب اورشليم

حين يُنبئ انجيل لوقا بان خراب اورشليم وهيكلها يعود الى المخطط الالهي، فهو لا يقوم بحركة معادية للدين اليهودي؛ انما يستقي من التقليد النبوي الكبير بشأن سقوط المدينة عام ٥٨٧ قبل الميلاد. ولكي نتأكد من ذلك، يكفي ان نقرأ في ار ٢٦ خطاب ارميا ضد الهيكل، مستشهدا بميخا ٣: ١٢: "سُحِرتْ صهيون كحقل وتصير اورشليم اطلالا وجبل البيت مشارفاً غاباً. وحزقيال، في رؤيا العربة الالهية، يصف الرب وهو يترك الهيكل (حز ١٠) ومن ثم المدينة المقدسة (١١: ٢٢-٢٣) مسلماً ايهاها في قبضة العدو البابلي.

وهذا ما تؤكد عليه رؤيا باروخ السريانية -وهو كتاب يهودي منحول يتأمل في خراب العام ٧٠، وقد وُضع قرابة عشرين عاما بعد انجيل لوقا. فهذه الكارثة، بالنسبة الى مؤلفه، هي بكليتها ثمرة مبادرة الهية، ولها سببان لاهوتيان: لقد قرر الرب ان يعاقب شعبه الخاطى ويعرف الوثنيين بكلمته بواسطة هذا التشتت الذي نتج عنها. وهكذا كانت الجيوش الرومانية

في خدمة الديان الالهي، وليست في الواقع هي التي خربت صهيون وحرقت اورشليم (رؤيا باروخ ٣: ٥)؛ وليس لها ان تفاخر بذلك (رؤيا باروخ ١: ٧)؛ انما هم ملائكة السماء الذين. بعد ان جمعوا بعناية اغراض الهيكل المقدسة، كانت مهمتهم ان يضرمو النار ويثقبوا الاسوار ويدعوا من ثم العدو للدخول في المدينة. وبهذه الطريقة، كان التشديد على المبادرة الالهية؛ وعلى العكس منها، كان التشديد على العجز المخزي للرومان المكروهين.

مثل هذه الطريقة البيبليية في اضاء معنى على الكارثة الكبرى، محيرة لنا نحن ابناء العصر؛ إذ تبدو وكأنها تنفي الحرية الانسانية وتضع القدر في المقدمة. الا انها، في نظريسوع واخوته اليهود، فهي تقول العكس.

فأن يقال بان الرومان سيستولون (او استولوا) على اورشليم، فذلك يحمل الشعب على اليأس؛ إذ ان مقياس القوى، كما ستيينه انتفاضة عام ١٣٥، لن يكون لصالح اسرائيل! وبالمقابل، أن نقرأ في الكارثة التي تهدد بالخطر، او حلت مسبقا، عقابا الهيا بسبب خطايا الشعب او عدم ايمانه، فذلك ينفي كل قدرية؛ وسوف يغفر الرب الذنوب، وسيأتي لنجدة احبائه (راجع مز ٧٩). وهكذا، حين نعترف بالمبادرة الالهية، فانما نعلن في الوقت ذاته بان هذه الحالة البائسة ليست من دون رجعة، وان الفشل الناتج عن الكارثة لن يكونا لهما الكلمة الاخيرة. وهكذا يصبح الحديث الآن بابا مفتوحا للرجاء.

تطهير الهيكل (١٩: ٤٥- ٤٨)

٤٥ ودَخَلَ الْهَيْكَلَ فَأَخَذَ يَطْرُدُ الْبَاعَةَ

٤٦ ويقولُ لَهُم:

((مكتوبٌ: سَيَكُونُ بَيْتِي بَيْتَ صَلَاةٍ،

وَأَنْتُمْ جَعَلْتُمُوهُ مَعَارَةً لِّصُورٍ!))

٤٧ وكان يُعَلِّمُ كُلَّ يَوْمٍ فِي الْهَيْكَلِ، وكانَ عَظَمَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ يُحَاوِلُونَ أَنْ يُهْلِكُوهُ، وكذلكَ أَعْيَانُ الشَّعْبِ،

٤٨ فلا يَهْتَدُونَ إِلَى مَا يَفْعَلُونَ، لِأَنَّ الشَّعْبَ كُلَّهُ كَانَ مَوْلَعًا بِالاسْتِمَاعِ إِلَيْهِ.

هوذا يسوع يدخل على الفور إلى الهيكل ، محققا بذلك نبؤة ملاخي (٣: ١ب):
ويأتي فجأة الى هيكله السيد الذي تلتمسونه، لكي يطهر الكهنوت والشعب؛ وهكذا
تصبح العبادة من جديد مرضية لله -والقسم الاول من الآية بشأن الرسول الذي
سيقدمه، كان قد طبّقه يسوع على المعمدان في ٧: ٢٧. فهو لا يأتي لكي يراقب الهيكل
ويرى ما لا يسير فيه جيدا (راجع مرقس)، وانما لكي يطهره، وبشكل مفاجئ، وبحركة
نبوية، من كل اعمال التجارة: بحيث يصبح بإمكانه ان يعلم فيه (راجع آ ٤٧). ذلك ان
الذي يأتي باسم الرب (١٩: ٣٨)، انما ياتي ليمسك بزمام بيت ابيه، وهو لم يكن قد
دخل اليه الا مرة واحدة، في عمر الثانية عشرة (٢: ٤٩).

ويبتهر يسوع الباعة الذين كانوا يعرضون، في باحة الهيكل، حيوانات معدة
للذبائح. ومثل هذه التجارة الرائجة، كانت ولا شك ضرورية للاحتفال بشعائر العبادة
التي تستند الى الذبيحة، ولم يشأ لوقا بالتأكيد ان يقدم لنا يسوع وكأنه مسيح يشجب
عبادة كهذه (راجع ٢: ٢٤). علما بانه كانت هناك في المدينة دكاكين تباع فيها لوازم
الذبائح، ولا سيما على جبل الزيتون. الا ان التجارة، في الباحة، كانت ذات أرباح اكبر،
وكانت في ايدي اسرة عظيم الكهنة... ويسوع نفسه اعطى تفسيراً لحركته حين استشهد
بالكتب (اش ٥٦: ٧ وإر ١١: ٧): انه يضع المسؤولية على السلطات الدينية التي شوهدت
الهدف الحقيقي من بيت ابيه، وتناست انه لا يمكن ان يُخدم الله والمال على حد سواء
(١٦: ١٣). وهكذا تكون هذه السلطات غير امينة على الدور الذي وُجدت من اجله: ان
تعذي شعب الله.

هذا الغداء، هو يسوع يقدمه حين يعلم كل يوم في الهيكل. والتطويق الذي نجده
بين ١٩: ٤٧-٤٨ و ٢١: ٣٧-٣٨ ملفت جدا؛ انه يساهم في توحيد مقطع يكون فيه
يسوع، في الهيكل وحتى نهاية الخطاب الاسكاتولوجي، قد اعلن البشرى السارة (٢٠: ١)
وعلم سبيل الله بالحق (٢٠: ٢١) دون ان يجري اية اعجوبة. واذا خرج يسوع من
الهيكل، فلن يفتي الليل في العراء، في جبل الزيتون (راجع ٢١: ٣٧) -وتلك طريقة
للتأكيد بانه لم يترك اورشليم. ولوقا، وبشكل مميّز، لم يتبع في وصف المشهد طريقة مرقس
التي بموجبها كان الرب يتنقل بين اورشليم وبيت عنيا ويلقي الخطاب الاسكاتولوجي على
جبل الزيتون.

لقد غاب عن المسرح الفريسيون (١٩: ٣٩)، وكذلك "الجموع" من قبل. ومنذ
آ ٤٧ب، لا نجد سوى عظماء الكهنة والكتبة، ومعهم وجهاء الشعب الذين اتضح

مشروعهم الاجرامي. اهم يتميزون بوضوح عن الشعب برمته الذي دخل الى المسرح اعتباراً من آ ٤٨. ذلك ان دور الشعب، خلافا للجموع، يبدو ايجابيا على الدوام: انه متعلق بيسوع ويسمع اليه بلذة (٤٨:١٩)، وحضوره بالذات هو عائق بوجه السلطات في البلوغ الى هدفها الاجرامي.

باية سلطة يعلن يسوع البشرى السارة؟ (٢٠: ١- ٨)

- ١ ٢٠ وكان ذات يوم يعلم الشعب في الهيكل ويُسِّرُهُ، فَأَقْبَلَ عِظَمَاءَ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةَ وَالشُّيُخَ
- ٢ وقالوا له: ((قُلْ لَنَا: بَأَيِّ سُلْطَانٍ تَعْمَلُ هَذِهِ الْأَعْمَالُ؟، بل مَنْ أَوْلَاكَ هَذَا السُّلْطَانُ؟))
- ٣ فَأَجَابَهُمْ يَسُوعُ: ((وَأَنَا أَسْأَلُكُمْ سُؤَالاً وَاحِداً، فقولوا لي:
- ٤ أَمِنَ السَّمَاءِ جَاءَتْ مَعْمُودِيَّةُ يُوْحَنَّا أَمْ مِنَ النَّاسِ؟))
- ٥ فتباحثوا فيما بينهم قائلين: ((إِنْ قُلْنَا مِنَ السَّمَاءِ، يَقُولُ: فَمَاذَا لَمْ تُؤْمِنُوا بِهِ؟
- ٦ وَإِنْ قُلْنَا: مِنَ النَّاسِ، فَالسَّعْبُ كُلُّهُ يَرْجُمُنَا، لِأَنَّهُ مُوقِنٌ أَنَّ يُوْحَنَّا نَبِيٌّ)).
- ٧ فَأَجَابُوا أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مِنْ أَيْنَ جَاءَتْ.
- ٨ فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: ((وَأَنَا لَا أَقُولُ لَكُمْ بَأَيِّ سُلْطَانٍ أَعْمَلُ هَذِهِ الْأَعْمَالُ)).

المجادلات الثلاث الاولى التي جرت في الهيكل، اثارها الخصوم. ولوقا، قبل ان يصدي للمجادلة الاولى، سعى الى التذكير بان ما يشكّل اهتمام يسوع المستمر لا يكمن في هذه المناظرات، وانما في انه يعلم الشعب ويعلم البشرى السارة (آ ١). ولكي يشخص لوقا اولئك الذين يطلقون الهجوم، يستخدم صيغة اكثر وضوحا من تلك الواردة في ٤٧:١٩: هذه المرة، نحن بصدد عظماء الكهنة والكتبة والشيوخ. لقد جاء ذكرهم في الإنباء الاول للآلام (٩: ٢٢)، وهم الفرق الثلاث التي يتألف منها السنهدريم الاعلى من ٧١ عضوا، مقرهم في دائرة الهيكل. وكان على رأس السنهدريم، الطبقة الكهنوتية العليا والمؤلفة في غالبيتها من الصدوقيين. وفيما يمثل فريق الشيوخ الارستقراطية العلمانية، يكون الكتبة اولئك العلماء في الشريعة (٥: ١٧) اي "الاختصاصيين" بالاسفار المقدسة؛ وهم ينتمون في غالبيتهم العظمى، الى حزب الفريسيين.

نحن، اذن، بازاء رجال يتمتعون باعلى سلطة، وقد تقدموا من يسوع ليسألوه باية سلطة يفعل هذا، ومن الذي اعطاه هذه السلطة، بمعنى من الذي فوضه (آ ٢). انما سلطة، كان يسوع يُظهرها، منذ بداية تعليمه (٤: ٣٢). وبالفعل، نرى، هنا ايضا، السؤال

المزدوج الذي طرحه الخصوم لم يكن بدافع تطهير الهيكل، بقدر ما هو بسبب الاعلان عن البشرى السارة الذي طالما اكدت عليه الآية ١. وهذا السؤال يُطرح بقوة اكبر، لان يسوع، خلافا للرايين الفريسيين الذين يعودون دوما الى سلطة معلم سابق (راي فلان قال ان... لا ينفك يقول "اقول لكم"! ويتضح ان السبب الرئيس الذي يقود الخصوم الى البحث عن طريقة لقتله (راجع ١٩: ٤٧) يكمن في هذه السلطة. وبالفعل، فان اعلان البشرى السارة (آ ١) مرتبط ارتباطا وثيقا بشخص يسوع بالذات (راجع ٤: ٤٣).

لا يجيب يسوع مباشرة على السؤال المطروح، ولا يبدو انه يشكك في سلطة محاوريه. انه يطرح عليهم سؤالاً مضادا (آ ٣-٤): سلطة المعمدان، هل جاءت من الله، ام انها ثمرة صدفة او مجرد سحر بشري (راجع الطريقة التي يتكلم بها غمالاتيل في رسل ٥: ٣٨-٣٩). "يوحنا، وليس اكثر مني، لم يكن في عداد الرايين الكبار، ولم تكن هيئته تدل على ذلك، هل كان ناطقا صادقا باسم الله حين دعا الى عماد توبة، مصرحاً: "يأتي من هو اقوى مني... سيعمّدكم في الروح القدس والنار" (٣: ١٦)؟ هل كان مرسل سابق من الله؟ وبكلمة، هل يمكنكم اكتشاف حضور الله خارجا عن البني الرسمية؟

وفهم الخصوم للحال بان اي جواب سيكون ملغوما (آ ٥-٧). فإن اعترفوا بسلطة المعمدان النبوية، سيلومهم يسوع على اهم رفضوا مخطط الله حين لم يقبلوا ذلك العماد (٣: ٧) ويحيلهم الى شهادة المعمدان له (راجع ٣: ١٦). واذا انكروها، سيرضون انفسهم لان يوجههم كل شعب الله، وهو الشاهد على هذا الجدال - وحينذاك ستكون تلك طريقة جذرية وحاسمة كي يخسروا سلطتهم الخاصة. الا انهم يخشون، اكثر من الرجم، ان يضطروا الى الاعتراف بان يوحنا كان حقا مرسل الله، وبان سلطة يسوع، باولى حجة، متأصلة في الله. ولكنهم، لما كانوا في موقف الدفاع، تظاهروا بالجهل، فاصبحوا في منتهى البلاغة! انه الاقرار بانهم عاجزون عن الحكم على يوحنا، وبالتالي على يسوع ايضا. لكنهم، في الوقت ذاته، راحوا يبحثون لاهلاك يسوع (راجع ١٩: ٤٧) وقيمون دعوى ضده (راجع ٢٢: ٢٦+)! وبهذا اصبحنا على علم بنفاقهم.

اما رد يسوع الاخير (آ ٨)، فهو صورة سابقة لما سيكون موقفه طيلة الدعوى (راجع ٢٢: ٦٧-٦٨)؛ انه يفتد جدارة خصومه ويعيدهم بشكل غير مباشر الى سلطته الذاتية التي مصدرها الهي. وهكذا كانت الردود الكريستولوجية لهذه المجادلة واضحة تماما.

مثل الكرامين القتلة (٢٠: ٩-١٩)

- ٩ وأخذ يضرب للشعب هذا المثل قال: ((غرس رجل كرمًا فأجره بعض الكرامين وسافر مدة طويلة.
١٠ فلما حان وقت الثمر، أرسل خادماً إلى الكرامين، ليؤدوا إليه نصيبه من ثمر الكرم،
فضربه الكرامون وصرّفوه فارغ اليدين.
١١ فأرسل خادماً آخر، وذاك أيضاً ضربوه وأهانوه وصرّفوه فارغ اليدين.
١٢ فأرسل خادماً ثالثاً، وذاك أيضاً جرّحوه وطردوه.
١٣ فقال رب الكرم: ((ماذا أصنع؟ سأرسل ابني الحبيب لعلهم يهابونه)).
١٤ فلما رآه الكرامون تشاوروا فيما بينهم قائلين: هؤذا الوارث! فلنقتله ليعود الميراث إلينا)).
١٥ فألقوه في خارج الكرم وقتلوه. فماذا يفعل بهم رب الكرم؟
١٦ سيأتي ويهلك هؤلاء الكرامين ويعطي الكرم لآخرين)). فلما سمعوا ذلك قالوا: ((حاش!))

١٧ فحدّق إليهم وقال: ((فما معنى هذه الآية:

الحجر الذي ردّله البناؤون

هو الذي صار رأس الزاوية.

- ١٨ كل من وقع على ذلك الحجر تهشم ومن وقع عليه هذا الحجر حطمه)).
١٩ فحاول الكتبة وعظماء الكهنة أن يبسطوا أيديهم إليه في تلك الساعة، لكنهم خافوا الشعب، فقد أدركوا أنه بهم عرض في هذا المثل.

المثل الذي اخذ يسوع يرويه موجّه ولا شك الى شعب الله الحاضر في الهيكل (٩ آ) وسوف يثير ردة فعل لديه (آ ١٦ ب). غير ان رؤساء اسرائيل الدينين الذين كانوا قد شرعوا يسعون لقتل يسوع (راجع ١٩: ٤٧)، فهموا جيداً انه يقصدهم أولاً، وانه قيل من اجلهم (آ ١٩). اما لدى مرقس ومتى، فالسلطات هي وحدها المقصودة في المثل؛ لقد أقحم لوقا الشعب، وسيطلب منا ان نفك معنى ذلك في ضوء الآية ١٦ ب.

وبالرغم من ان السمات الاستعارية لم يتم التشديد عليها في الآيات ٩ ب-١٢ حتى ان لوقا اكتفى بتلميح عابر الى اش ٥: ٢ (غرس الكرمة)، فان الرواية هي الى حد كبير استعارة لتاريخ الخلاص. ذلك ان صورة الكرم غالباً ما طبقت على اسرائيل في العهد القديم، والله هو مالك الكرم. ونجد الكرم هنا قد أجر وعُهد به الى كرامين، مهمتهم ان يجعلوه يعطي ثمرًا، ثمراً طالما كرر لوقا ان الله ينتظره من شعبه (راجع ٣: ٨-٩؛ ٦: ٤٣-٤٤؛ ٨: ٨؛ ١٣: ٦-٩). كما ان موضوع "السفر الطويل الى الخارج" الذي لقيناه من

قبل في امثال اخرى، لا يمكنه البتة ان يقصد هنا المهلة التي تفصل القيامة عن مجيء الرب الاخير في آخر الازمنة؛ فالحديث هو، على العكس، عن زمن الماضي. وفي الكرامين، نرى مسؤولي الشعب الذين غالبا ما عُنُقوا بقم الانبياء لانحرافاتهم الصارخة (وهكذا هي الحال مع حز ٣٤)؛ والانبياء مُمثّلون هنا بالخدم الذين ارسلهم صاحب الملك، واحدا بعد واحد، ولا يذكر لوقا مقتلهم (قارن مع مر ١٢: ٥). مع ان هذا الموضوع عزيز عليه (راجع ١٣: ٣٤)، ولكنه في جو من التوتر المتصاعد بالعنف، حفظ لنا موت الابن الوحيد. وهكذا يتخذ مقتل الابن اطارا مأساويا. والى جانب المعاملة السيئة يتضح فشل الرسالة ويكرّر: يُعاد الخدم فارغي الايدي (آ ١٠-١١) ويُطردون (آ ١٢).

ومع الآيات ١٣-١٥ أ تنطلق الاستعارة الكريستولوجية. هوذا رب الكرم يُصرّ على ابداء الصبر والامانة على العقد المبرم. وفي المونولوج مع نفسه -وهو يعبر اولا عن حيرته- هوذا يقوم بمحاولة احيرة، لانه لا يشاء ان ينفي احتمال نهاية سعيدة؛ لذا فكّر ان يرسل، ممثلا عنه، ذاك الاقرب اليه، الذي له قانونيا حقوق يطالب بها، ابنه الحبيب. وليست هذه الصفة مبتذلة؛ فلقد نسبت الى اسحق (تك ٢٢)، وهي، في الادب الرايبي، تعني دوما "ولدا وحيدا قُتل" (ر. ليدثو). وهنا يشير يسوع الى نفسه، عبر هذه المفردات، مضيفا اكثر من تفصيل الى كلمة "ابن" التي كان قد اختصها من قبل في ١٠: ٢٢؛ انه يطالب بكونه وارث الآب. ومن هنا تتأتى سلطته (راجع ٢٠: ١-٢). وهكذا، فهو يتنبأ بشكل صريح جدا عن موته في الآيتين ١٤-١٥: فالمسؤولون عن الدين اليهودي سيطردون المرسل الاخير ويقتلونه.

ان نزول المثل هو من المساوية. يمكن، وقد اثار ردة فعل الشعب (آ ١٥ب-١٦). ذلك ان الصبر الطويل لرب الكرم قد نفذ. فعلى ضوء نبوة يسوع في ١٩: ٤١-٤٤، يبدو إهلاك الكرامين تلميحا الى خراب اورشليم، وهو ذاك الحدث المأساوي الذي سيزيل عظماء الكهنة من مسرح التاريخ. اما الآخرون الذين سيُسلم اليهم الكرم، فقد يكونون الرسل الذين سيجدون انفسهم وقد أعطوا ان يرعوا شعب الله الجديد المؤلف من يهود ووثنيين. ولكن الله سيطلب، منهم ايضا، حسابا (راجع ١٢: ٤١-٤٨). اما رد فعل السامعين، فهو واضح (آ ١٦ب): انهم يرفضون احتمال وقوع الجريمة، واحتمال نزول العقاب. وازاء كارثة وطنية، يكون تضامن الشعب مع قادته كليا وحاسما؛ والكارثة هنا تمس كل سكان اورشليم.

حينذاك القى يسوع نظرة على هذا الشعب كما كان قد القى على بطرس (راجع ٢٢: ٦١)، وواصل الكلام (آ ١٧-١٨). لقد طرح سؤالاً على السامعين بشأن نص من

الكتاب المقدس (آ ١٧)؛ ولكنه لا يعطي، لا هو ولا السامعون، جوابا. فكل شيء مستور. كان الحديث بصدد نص من المزمور ١١٨ - وبالتحديد آ ١٨ - حين طبق يسوع على ذاته القاعدة الالهية بشأن انقلاب الاوضاع (راجع ٦: ٢٠+). فمقابل فعل "رذل" - وقد استخدمه يسوع مرتين في إنباءاته عن الآلام (٩: ٢٢؛ ١٧: ٢٥) - هناك حالة "رفع"؛ وهكذا لا تختتم الرواية بنبؤة عن موت الابن، طالما ان فجر القيامة اخذ يلوح. والرسول بطرس، بعد القيامة، سيستخدم عين النص البيبلي للاعلان عن ردّ اعتبار الله للمصلوب: فيسوع، عبر تنصيبه الملوكي الذي هو القيامة، يصبح **حجر الزاوية** للشعب الجديد (راجع رسل ٤: ١١). وان الاسفار المقدسة المعدة للكشف عن المخطط الخفي لله الذي سينصف ابنه، لن تتخذ معناها للانسان الا في ضوء القيامة؛ وسيكون التلاميذ انفسهم بحاجة الى ان يفتح القوائم اذهاهم كي يفهموه (٢٤: ٢٥-٢٧، ٣٢، ٤٥). الا ان الساعة لم تكن قد اتت بعد كي يقول يسوع ما كتب في المزمور ١١٨: ٢٢.

وتشدد الآية ١٨ على الجانب الآخر من الديونة الالهية حين تقيم مقاربة مع اش ١٤-١٥ - فالله هو، في الوقت ذاته، صخر يجب ان يتأسس عليه اسرائيل في الايمان، وهو صخرة عثار للشعب بمقدار عدم ايمانه - ومع دا ٢: ٣٤، ٤٤. وتوحي نتيجة هذه المقاربة بمثل رايبني: "اذا سقطت حجرة على قدح، فالويل للقدح؛ واذا سقط القدح على الحجرة، فالويل للقدح!" (مدراش استير). فالحجرة ليست القطعة الرئيسة في البناء حسب؛ وانما لها ايضا قدرة مزدوجة على التدمير، كما صورها المثل. وهكذا يترتب على السامع ان يتخذ جانب يسوع، وهو علامة التضاد (راجع ٢: ٣٤)؛ وتلك هي الطريقة الوحيدة كي لا يكون الانسان في عداد الذين يرفضون الايمان بالقائم، ولا من بين الذين سيأتي ليدينهم في آخر الازمنة. ولهذا التأكيد بعد عام جدا (**كل انسان**)؛ فعدم الايمان ليس حكرا على الرؤساء القتلة وحدهم. لتتذكر ان يسوع بكى، قبل قليل، على اورشليم (١٩: ٤١+).

ولن تستنير الآيتان ١٧-١٨ الا بعد القيامة. الا ان القراءة الاستعارية للمثل (آ ٩-١٦ أ) لم تحفَ على السلطات الدينية (آ ١٩) التي لن تتخلى قط عن مشروعها الاجرامي. فكانت هناك هوة عميقة تفصلها عن الشعب الذي تخشاه.

الله وقيصر (٢٠: ٢٠)

٢٠ فترصدوه وأرسلوا جواسيس يظهرون أنهم من أهل الورع، ليأخذوه بكلمة فيسلموه إلى قضاء الحاكم وسلطته.

٢١ فسألوه ((يا معلّم، نحن نعلم أنك على صواب في كلامك وتعليمك، لا تُحايي أحداً، بل نعلم سبيل الله بالحقّ.

- ٢٢ أَيْحَلُّ لَنَا أَنْ نَدْفَعَ الْجِزْيَةَ إِلَى قَيْصَرَ أَمْ لَا؟))
 ٢٣ فَفَطَنَ لِمَكْرِهِمْ فَقَالَ لَهُمْ:
 ٢٤ ((أَرُونِي دِينَاراً لِمَنْ الصُّورَةُ الَّتِي عَلَيْهِ وَالكِتَابَةُ؟)) فَقَالُوا: ((لِقَيْصَرَ)).
 ٢٥ فَقَالَ لَهُمْ: ((أَدُّوا إِذَا لِقَيْصَرَ مَا لِقَيْصَرَ، وَلِلَّهِ مَا لِلَّهِ)).
 ٢٦ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَأْخُذُوهُ بِكَلِمَةِ أَمَامِ الشَّعْبِ، وَتَعَجَّبُوا مِنْ جَوَابِهِ فَسَكَتُوا.

كان المحجوم السافر على سلطة يسوع قد قاد الكتبة وعظماء الكهنة (آ ١٩) الى الحيرة (راجع ٢٠: ١+)، وها هم يغيرون خططهم سعيا الى نصب فخر له (آ ٢٠-٢٢). كان الكتبة والفريسيون، منذ زمن طويل، يراقبون افعال يسوع وحركاته (٧: ٦) ولا سيما اقواله (١١: ٥٤)! وهنا، وبشكل خاص، اصبح الجواسيس مكلفين بانتزاع اية كلمة منه تكون بمثابة ثورة من الواجهة السياسية، بحيث توقع به وتصيح مأخذا عليه بمكثهم من تسليمه الى الحكم والى سلطة الحاكم الروماني. وسوف تتواصل هذه الخطة في ما بعد: غض الطرف عن المآخذ الدينية وابرار، امام بيلاطس، "الجرائم" السياسية.

والجواسيس، كي يصطادوا المعلم (آ ٢١-٢٢)، راحوا يستميلون، اولاً، جودته بكلمات معسولة. فلقد اضعفوا عليه صفتين: ليس له محابة، ويعلم بالحق طريقا للعيش وفق الارادة الالهية. وكان بوسع كل هذا ان يحملهم على الاستفادة بما لديه من انوار. ولكي يوقعوا بيسوع، سألوه اذا كانت الشريعة الالهية تسمح ان تدفع الجزية لقيصر، وهي تلك الضريبة المقيتة التي ترمز الى الخضوع لروما. فاذا اجاب يسوع بالايجاب، فسوف يفقد اعتباره في نظر كثير من اليهود، وسيبدو غير امين لله في نقطة حساسة؛ واذا، على العكس، رفض دفع الجزية، فسوف يعطي خصومه فرصة لكم حلموا بها؛ وتوقع هؤلاء مسبقا ان جوابه سيكون سالبا، نظرا الى المكانة المركزية التي يحتلها ملكوت الله في اهتماماته.

ولكنهم لم يتمكنوا من المعلم الذي بدا - كما سبق ان طالب تلاميذه (متى ١٠: ١٦) - حاذقا كالحيات ووديعا كالحمام (آ ٢٣-٢٥)! وطلب منهم، اولاً، ان يروا دينارا، وهي العملة التي تُستخدم لدفع الجزية. وهؤلاء "الصديقون" الذين يتجسسونه، كانوا يحملون في جيبيهم دنانير منها؛ وذلك اعتراف ضمني بانهم يستخدمون في مداولاتهم عملة رومانية تذكّرهم دوما بخضوعهم تجاه السلطة الرومانية؛ وهوذا يسوع من ثم يسألهم عن الصورة وعن الكتابة. فقالوا بان القطعة النقدية تحمل صورة قيصر (=امبراطور) طيباريوس. وهكذا أضطروا مرغمين الى التفوه بهذا الاسم البغيض!

"أدوا لقيصر ما لقيصر، والله ما لله". لقد حرص يسوع، في هذا الجواب الدامغ على عدم ذكر الجزية ولا الدينار. ومع ذلك ليس الجواب تهرباً. فهو الذي، منذ كلمته الأولى، ذكّر باولوية ابيه (٢: ٤٩)، لم يكن يوسعه قط ان يضع، على قدم المساواة، السلطة السياسية (السماح بدفع الجزية) وملكوت الله (الامانة لله). علما بان الموازة الساخرة للجملتين خداعة، إذ ان كل الثقل هو من جانب الجملة الثانية. فللامبراطور، نعطِ العملة التي هي على صورته - وهو المال الذي لكم ذكر يسوع بزواله (١٢: ٣٣)، وهو يشكّل عقبة تحول دون الحصول على الحياة الحقّة (راجع ١٨: ٢٣-٢٥)؛ ومثل هذا الواجب هو مؤقت، كما هي الحال مع امتلاك الغنى (راجع ١٢: ٢٠-٢١) ومع السلطة السياسية (راجع ٢١: ٣١). اما لله، فعلينا ان نعطيه ما هو على صورته، اي نحن انفسنا؛ فنحن مُلك له، طالما اننا صُنّعنا على صورة الله (تك ١: ٢٦-٢٧)! وتقدمة ذاتنا هذه لا نهاية لها: سوف نحمل فينا دوما صورة الله الحي. والطريقة التي يفهم بها لوقا قول يسوع هذا، سنجدها مجسدة في سفر الاعمال: وأيا كان احترام بولس للقانون الروماني (راجع ٢٥: ١٠-١٢)، الا انه، قبل كل شيء، ذاك المرسل الذي كان كله غيرة على المسيح القائم.

وهكذا استطاع يسوع ان يتابع تعليمه امام الشعب. والخصوم الذين صُعبوا لرؤيتهم انه أفلت منهم، لم يعودوا قادرين على اقتناصه بأية كلمة، واضطروا على التزام الصمت.

قيامه الاموات (٢٠: ٢٧-٤٠)

- ٢٧ وَدَنَا بَعْضُ الصَّادِقِينَ، وَهُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ بَأَنَّهُ لَا قِيَامَةَ، فَسَأَلُوهُ:
- ٢٨ ((يا مُعَلِّمَ، إِنْ مُوسَى كَتَبَ عَلَيْنَا: إِذَا مَاتَ لِمَرِيٍّ أَحٌّ لَهُ امْرَأَةٌ وَلَيْسَ لَهُ وَكِدٌ، فَلْيَأْخُذْ أَخُوهُ امْرَأَةً وَيُقِيمَ نَسْلًا لِأَخِيهِ.
- ٢٩ وَكَانَ هُنَاكَ سَبْعَةٌ إِخْوَةٌ، فَأَخَذَ الْأَوَّلُ امْرَأَةً ثُمَّ مَاتَ وَلَيْسَ لَهُ وَكِدٌ.
- ٣٠ فَأَخَذَهَا الثَّانِي
- ٣١ ثُمَّ الثَّلَاثِ، وَهَكَذَا أَخَذَهَا السَّبْعَةُ وَمَاتُوا وَلَمْ يُخَلِّفُوا نَسْلًا.
- ٣٢ وَآخِرَ الْأَمْرِ مَاتَتِ الْمَرْأَةُ أَيْضًا.
- ٣٣ فَهَذِهِ الْمَرْأَةُ فِي الْقِيَامَةِ لِأَيُّهُمْ تَكُونُ زَوْجَةً، لِأَنَّ السَّبْعَةَ اتَّخَذُوهَا امْرَأَةً)) ؟
- ٣٤ فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: ((إِنَّ الرِّجَالَ مِنْ أَبْنَاءِ هَذِهِ الدُّنْيَا يَتَزَوَّجُونَ وَالنِّسَاءَ يَزَوِّجْنَ.

- ٣٥ أَمَا الَّذِينَ وَجَدُوا أَهْلًا لِأَن يَكُونَ لَهُمْ نَصِيبٌ فِي الْآخِرَةِ وَالْقِيَامَةِ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ، فَلَا الرَّجَالَ مِنْهُمْ يَتَزَوَّجُونَ، وَلَا النِّسَاءُ يُزَوَّجْنَ.
- ٣٦ فَلَا يُمْكِنُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَمُوتُوا، لِأَنَّهُمْ أَمْثَالُ الْمَلَائِكَةِ، وَهُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ لِكُونِهِمْ أَبْنَاءَ الْقِيَامَةِ.
- ٣٧ وَأَمَّا أَنَّ الْأَمْوَاتَ يَقُومُونَ، فَقَدْ أَشَارَ مُوسَى نَفْسَهُ إِلَى ذَلِكَ فِي الْكَلَامِ عَلَى الْعَلِيقَةِ، إِذْ دَعَا الرَّبَّ إِلَهَ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهَ إِسْحَاقَ وَإِلَهَ يَعْقُوبَ.
- ٣٨ فَمَا كَانَ إِلَهَ أَمْوَاتٍ، بَلْ إِلَهَ أَحْيَاءٍ، فَهُمْ جَمِيعًا عِنْدَهُ أَحْيَاءُ ((.
- ٣٩ فَأَجَابَ بَعْضُ الْكُتَّابَةِ: ((أَحْسَنْتَ يَا مُعَلِّمُ!))
- ٤٠ وَلَمْ يَجْتَرِئُوا بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَسْأَلُوهُ عَنْ شَيْءٍ.

الهجوم الماكر التالي، قام به بعض الصدوقيين (آ ٢٧-٣٣). انما المرة الوحيدة التي فيها يدخل الى المسرح اعضاء من هذا "الحزب"، في انجيل لوقا؛ انهم سيتدخلون مرارا في سفر الاعمال؛ وكما هي الحال هنا، فان نكرانهم القيامة مُشدّد عليه (قبل كل شيء رسل ٢٣: ٦-٩؛ راجع ٤: ١)، ويتحدث لوقا عنهم وكأنه يتحدث عن حزب قريب من عظيم الكهنة (رسل ٥: ١٧). ولما كانوا تقليديين جدا، فانهم يقومون بقراءة حرفية لشريعة موسى ويعطون اولوية للاسفار الخمسة على حساب الانبياء وسائر الكتب. وهم، فيما يعتبرون بان الايمان بقيامة الاموات، ليس له في الشريعة ما يؤسسه، يرفضونها معتبرين اياها استحداثا - فلقد ظهر هذا الايمان بالقيامة في حدود السنة ١٦٥ ق. م. في سياق الانتفاضة المقابية حين تعرّض للاستشهاد الاسرائيليون الامناء لله.

ويعلم هؤلاء الرجال بان يسوع يؤمن بالقيامة، ومعه الفريسيون وغالبية الشعب. ولكي يرهنوا على غموض هذا الايمان بالقيامة، راح بعضهم يطرحون سؤالاً مدرسيا هدفه تبيان الى اية متاهات كان بوسع هذا الايمان ان يبلغ. لقد كانت شريعة اخي الزوج - وقد زالت في القرن الاول - تمكّن رجلا من الاقتران بزوجة اخيه حين تترمل من دون ولد، بهدف اقامة نسل لاخيه المتوفى؛ ويحمل البكر الذي تلده منه اسم اخيه الميت، ويعتبر قانونيا ابنا للميت (راجع تث ٢٥: ٥-١٠). وهذي الحالة المعروضة: امرأة عاقر اصبحت زوجة بالتتالي لسبعة اخوة، يموتون الواحد تلو الآخر من دون ان يخلفوا. وتموت هي الاخرى بدورها. وحين ستقوم - كما تؤمن انت والفريسيين - ستصبح اخيرا خصبة؛ ولكن من اي منهم ستكون حاملا؟ (آ ٣٣).

هذا السؤال، وهو في منتهى السداجة والخطأ، يُلقى ضوءا على الصورة التي يسخر بها الصدوقيون: مفهوم مادي يحدّد القيامة في الزمن السابق للملك المسيحي، قبل

الدينونة الاخيرة. والعودة الى الحياة ستسمح للموتى من الاجيال السابقة بان يكون لهم نصيب في هذا الملك، كما تسمح بأن يُدان الجميع. وفي هذا الخط، كان بعض الفريسيين يؤكدون بان البشرية الناهضة ستحصل على خصب خارق (انها الفكرة التي تختفي وراء سؤال الصدوقيين الناقد في آ ٣٣). هوذا الربان غملائييل يؤكد، في حدود العام ٩٠، "سيأتي زمن ستلد فيه المرأة مرة في اليوم"، معطيا البرهان من ان الدجاج تلد يوميا (تلموذ، شبّات ٣٠ب). وسيذهب راي آخر الى التخمين، حوالي عام ١٥٠، بان كل اسرائيلي، سيكون له من الاولاد بقدر الاسرائيليين الذين خرجوا من مصر ابان الخروج، اي ٦٠٠٠٠٠٠... وبكلمة، كانت القيامة وكأها إعادة الحياة الى الجسد الذي سيتمتع بخصوبة مذهشة ويستعيد النشاطات الارضية. ونحن، على مثال الصدوقيين، ننبذ بابتسامة هذا التصور. ويؤسفنا ان يكون بعض المسيحيين ذوي المعلومات الناقصة يحملون مثل هذا التصور؛ وعلاوة على ذلك، فان عددا من غير المؤمنين، على مثال الصدوقيين، يرفضون اليوم الايمان بالقيامة، لظنهم ان الايمان المسيحي هو على تلك الشاكلة.

ويأتي جواب يسوع (آ ٣٤-٣٨) على دفتين. فهو، فيما يرفض التصورات الشعبية والرايانية الساذجة بشأن وضع القائمين، أخذ يعرض مفهومه الشخصي عن القيامة (آ ٣٤-٣٦). فقال بان هناك فرقا جذريا بين الحياة الارضية والحياة الجديدة التي نرثها في القيامة. ففي هذا العالم، يولد البشر ويموتون؛ والعمل الجنسي يؤمن بقاء الجنس البشري. اما الذين سيحدهم الله، ابان الدينونة، اهلا للدخول في العالم الآتي، ويقمهم، فلن يروا الموت البتة. وهكذا سيلغي الخلود (عدم الموت) عملية الانجاب.

اما عبارة "كالملائكة"، فهي ذات مدلول عميق. ونجدها في العديد من النصوص الرؤيوية اليهودية للتأكيد على ان قيامة الاموات ليست عودة الى الحياة الارضية، وانما هي حلقة جديدة تفوق التصور، وتغيير جذري في الكائن البشري الذي، منذئذ، سيتشع بكل الاوجه حسب رغبته، منتقلا من الجمال الى البهاء، ومن النور الى تألق المجد (رؤيا باروخ السريانية ٥١). وهذه المعلومة الغنية جدا بشأن حالة القائمين من الموت تُختم بهذا التأكيد: "انهم ابناؤ الله، لانهم ابناؤ القيامة"؛ فلقد جعلتهم القيامة يولدون لوضع سماوي هو وضع الملائكة (راجع تك ٦: ٢)، وأقامتهم في حضرة الله الحي. وبحسب المفهوم الذي يعرضه يسوع هنا -وسيتبناه القديس بولس في اقول ١٥: ٣٥-٤٤- تكون القيامة نتيجة الدينونة، فهي تخص الصديقين إذ تمنحهم السعادة. وهناك صمت تام حول مصير "الكفرة"؛ فكل شيء يتم وكأن الله لم يمجدهم اهلا لان يُتشلوا من الموت ويُخلقوا من جديد.

وفي مرحلة ثانية، هوذا المعلم يؤكد على واقع قيامة الاموات بالذات (آ ٣٧-٣٨)، مؤسسًا اياها، على غرار الفريسيين، على نص من الشريعة: "اما ان الاموات يقومون، فلقد اشار موسى نفسه الى ذلك...". وهو يستند الى برهان نجده، بشكل يكاد يكون هو هو، في الاوساط الرايبينية: فالوعد، يجب ان يتحقق لاولئك الذين قيل لهم -وهذا يفترض انهم يقومون. ذلك ان العلاقة التي اقامها الله مع اعضاء شعبه، لا يمكنها ان تتوقف طويلا. ويستشهد يسوع بـ خر ٦:٣ حيث يُدعى الرب "اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب" - في زمن لم يكن الكتاب المقدس بعدُ قد قُسم الى فصول (وسيتم ذلك في القرن ١٣ الميلادي)، وتعتبر هذه الآية من ضمن المقطع الذي يتحدث عن العليقة. والصيغة تعيدنا الى حدث العهد الحاسم، حين التزم الله بان يعمل دون انقطاع من اجل خلاص اسرائيل. وتكمن الفكرة الاساسية في امانة الرب الاله لمختاربه؛ لذا فالموت ذاته، وهو عدو الله، لا يستطيع ان يفعل شيئا ضد هذه الامانة. وهكذا، نجد الدافع الى الايمان بقيامة الاموات، في امانة الله للعهد. اما الجملة الاخيرة "جميع الآباء وكل الابرار الذين هم عنده احياء"، فهي تلمح الى الايمان الذي كان ينعش الشهداء اليهود: فلقد كانوا على يقين بان الانسان، حين يموت في سبيل الله، فهو انما يجيا لله، كما يجيا ابراهيم واسحق ويعقوب وكل الآباء (٤ مقايين ١٦:٢٥).

لا نعجب من خاتمة الرواية (آ ٣٩-٤٠) التي ترينا بعض الكتبة يهنتون يسوع على جوابه؛ انهم فريسيون ابتهجوا بهزيمة ناكري القيامة. فالايان بالله الذي يجيي الاموات هو نقطة جوهرية طالما انها تمس صورة الله بالذات: هل هو عادل ومُنصف، نعم ام لا؟ وسيرينا لوقا فيما بعد (رسل ٢٣:٦-٩) كيف ان تأكيد بولس على ايمانه بقيامة الاموات سيثير الانقسام في السنهدريم، ويقود بعض الكتبة من حزب الفريسيين الى الدفاع عن الرسول. ومهما يكم من امر، فان مثل هذا الاعتراف بنوعية تعليم يسوع يسجل فشل محاولة ايقاعه في الفخ. لم يجترئوا بعد ذلك ان يسألوه عن اي شيء (آ ٤٠). وبالفعل، كانت المحادثة الاخيرة التي تلت، هذه المرة، مبادرة من يسوع، وهي مونولوج وليس مبارزة! ومنذئذ كان على الخصوم ان يبحثوا عن خطط اخرى.

الهسيح، ابن داود وربه (٢٠: ٤١ - ٤٤)

٤١ وقال لهم: ((كيف يقول الناس ان المسيح هو ابن داود؟

٤٢ فداود نفسه يقول في سفر الزمير:

((قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي. اجْلِسْ عَن يَمِينِي

٤٣ حَتَّى أَجْعَلَ أَعْدَاءَكَ مَوَظِنًا لِقَدَمَيْكَ)).

٤٤ فِدَاوُدُ يَدْعُوهُ رَبًّا، فَكَيْفَ يَكُونُ ابْنَهُ؟)).

كان على يسوع الآن، وهو لا يزال في الهيكل، ان يبادر وي طرح مسألة على السلطات الدينية، ولا سيما على الكتبة الذين وافقوه على تعليمه بشأن القيامة؛ وتتخذ هذه المبادرة صيغة سؤال مزدوج. هوذا يسأل اولاً عن اصل المسيح الداودي، ويعطي هو ذاته، على الفور، الجواب عبر الاستشهاد بالمزمور ١١٠:١. ومن ثم يأتي الى السؤال الثاني الذي يجيب ضمناً الى الاول.

ان نبوة يسوع الداودية ليست موضوع شك البتة للقارئ الذي كثيراً ما أطلع على هذه النقطة من خلال "إنجيل الطفولة"، ولا سيما عبر السلام الملائكي لمرثم (٣٢:١-٣٣) وعبر الانساب (٢٧:١؛ ٢:٤؛ ٣:٣١؛ ١:٦٩)؛ فان رسالة الملاك للرعاة، فيما اعلنت عن مولد رب في مدينة داود، سبقت فربطت بين لقبى **مسيح ورب** (٢:١١). وعلاوة على ذلك، هوذا اعمى عرف في يسوع **ابنا لداود** (١٨:٣٨-٣٩). اما في ما يتعلق بمسيحية يسوع، فهوذا بطرس قد اعترف بها؛ ويسوع، من دون ان يرفضها، فرض فقط الصمت وجاء بتتمة تقوم على الإنباء بآلام ابن الانسان ومقتله (٩:٢٠-٢٢).

اما هنا، فالمعلم يثير مسألة تتعلق بتفسير المزمور ١١٠، وهو احد النصوص الملكية الكبرى. ليس في النص العبري اية مشكلة: "**قول يهوه (الله) لسيدي**" (الملك الذي يُنصَّب): "**اجلس عن يميني**، في مكان الشرف"؛ والملك الجديد يدخل الى القصر الملكي، ويتلقى، من بين العطايا الالهية، النصر على الشعوب العدوّة. اما في الترجمة اليونانية للمزمور - وقد يكون في الارامية من قبل - فلقد استُبدل اسم الله الفائق الوصف بلفظة رب. ومن هنا جاءت صيغة "**قال الرب لربي**" التي قد توحى، في تفسير يسوع، بان الملك المسيحاني يشترك في ربوبية الله، وكذلك السؤال "كيف يمكن للمسيح ان يكون، في آن واحد، رب داود وابنه؟". وبصدد الطريقة الصحيحة التي بها طرح يسوع السؤال، يجب علينا ان نتذكر ان داود، بحسب التقليد، هو مؤلف نصف كتاب الزمير، وبالخاص المزمور ١١٠.

وهكذا كان لنا هنا مونولوج واضح، وبشكل مدهش، حتى ان السلطات الدينية التي لم يكن لها اي جواب تعرضه، وجدت فيه معلماً، في ما يتعلق بتفسير الاسفار المقدسة. ولكن هناك ما هو اعظم: فيسوع لم يعط مفتاح المرجع، كما لم يعطه من قبل

في ٢٠: ١٧-١٨؛ ولم يُجِبْ السؤال الثاني الذي اثاره، ولم يقل انه اشارة اليه هو ذاته! وهنا ايضا، يجب انتظار القيامة للبلوغ الى المعنى. فلتلميذي عماوس، أولاً، سيشرح القائم كيف، وفقاً للكتب، كان ينبغي للمسيح ان يتألم ويدخل في مجده (٢٤: ٢٦) ويجلس عن يمين الرب الاله. وفي يوم العنصرة، سيكون بوسع بطرس ان يذكر بالزمور ١١٠: ١ كي يدعم تأكيده: "المصلوب، جعله الله ربا ومسيحا" (رسل ٢: ٣٤-٣٦). ولكي نفهم فهما تاما علاقة يسوع بداود، يجب ان نتظر ان ينصّب الله. لذا، فالمفهوم التقليدي لمسيحانية سياسية وقومية يفسح المجال لسيادة يسوع القائم الفائقة؛ والاعداء الذين دُحروا، سيصبحون بمثابة موطئ قدم، ويجسّدون قوى الشر، ولا سيما الموت (راجع تفسير الزمور ١١٠: ١ بحسب القديس بولس في اقول ١٥: ٢٤-٢٧). وهكذا، سيكون بوسعنا القول بان الوعد الذي قطعه الله لداود بوريث (٢صم ٧: ١٢-١٦)، قد تحقق ابان قيامة يسوع وعوده (راجع رسل ١٣: ٣٢-٣٣).

ولا يتوقف ايمان الكنيسة عند هذا الحد. وانما يتوجب، في الواقع، القيام بعملية ربط الايمان الفصحي (الرب الاله ينصّب الرب يسوع) بايمان اسرائيل الذي هو ايمانها ايضا: "الرب الهنا هو الرب الوحيد" (تث ٦: ٤). ففي فجر الفصح، هوذا الله الواحد يكشف عن انه اب وابن وروح قدس.

احذروا من الكتبة؛ الازملة المسكينة (٢٠: ٤٥ - ٢١: ٤)

٤٥ وقال لتلاميذه بمسمع من الشعب كله:
٤٦ ((اياكم والكتبة، فإنهم يرغبون في المشي بالجيب، ويحبون تلقي التحيات في الساحات، وصدور المجالس في المجامع، والمقاعد الأولى في المآدب.
٤٧ يأكلون بيوت الأرملة وهم يظهرون أنهم يطيلون الصلاة. هؤلاء سينالهم العقاب الأشد)).

١ ٢١ ورفّع طرفه فرأى الذين يلقون هباتهم في الخزانة، وكانوا من الأغنياء.
٢ ورأى أرملة مسكينة تلقى فيها فلسين.
٣ فقال: ((بحق أقول لكم إن هذه الأرملة الفقيرة أَلَقَتْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ جَمِيعاً،
٤ لَأَنَّ هَؤُلاءِ كُلَّهُم أَلَقُوا فِي الْهَيَاتِ مِنَ الْفَاضِلِ عَنْ حَاجَتِهِمْ، وَأَمَّا هِيَ فَأَلَقَتْ مِنْ حَاجَتِهَا أَلَقَتْ جَمِيعَ مَا تَمْلِكُ لِمَعِيشَتِهَا)).

هوذا يسوع يرفع دعوى مقتضية ضد الكتبة تتكرر فيها بعض الانتقادات التي كان قد وجهها اليهم من قبل، كما الى الفريسيين. وفرادة هذه الدعوى تكمن في انها اصبحت

تحذيرا الى تلاميذه -هم الذين لم نجدهم منذ ١٩:٣٩- في محضر من كل الشعب الذي كان يصغي. "احترسوا من الاقتداء بسلوك هؤلاء المسؤولين الدينيين!". وكان قد طالب اخصاءه باتخاذ عين الحذر تجاه مراعاة الفريسيين (راجع ١٢:١).

يأخذ المعلم اولا على الكتبة اساليبهم المتنوعة في البحث عن الامجاد: **انهم يرغبون في المشي بالجلب** -وقد يكون المقصود الشال المستخدم في الصلاة- لفرض هيبتهم، **يجبون تلقي التحيات في الساحات العامة** و**صدور المجالس في المجامع** (راجع من قبل ١١:٤٣)، وكذلك **المقاعد الاولى في المآدب** (راجع ما سبق في ٧:١٤-١١). اما السلوكان اللذان يفضحهما يسوع من ثم، فهما اكثر حسامة. ذلك ان هؤلاء الرجال **يأكلون بيوت الارامل**، بطرق شتى، وعلى سبيل المثال، حين يتعهدون، وفق ارادة المتوفين، وعبر عمولات غريبة، العناية باملاك اراملهم. وقد يكون ايضا حين يذكرهن بان عليهن ان يبدين تقواهن عبر تقادم... وفي الوقت ذاته، **يتظاهرون** بانهم غائبون في صلوات طويلة، على مرأى من الناس. وهذا السلوك هو خدعة للعين! لذا، فان الله، يوم الدينونة، سيعاقبهم بشديد العقاب بصفتهم مسؤولين عن حياة الشعب الدينية، وقد استغلوا موقعهم.

لماذا يشجب يسوع بشكل مطوّل هذه السلوكيات الخطرة، وهي غير مقبولة لدى المسيحيين، لو لم تكن هناك مشكلة ما زالت للاسف قائمة في الجماعة الكنسية؟ وكان يسوع، قد سبق، في ٧:١٧-١٠ ان شعر بالحاجة الى تذكير الرسل أن ليس عليهم انتظار علامات تكريم خاصة من ممارستهم مهمتهم. وبالرغم من ذلك، فان هؤلاء الرسل انفسهم، منذ العشاء الاخير، راحوا يتنازعون لمعرفة من هو الاكبر بينهم (٢٢:١٤، ٢٤-٢٧)!

الرواية التالية (٢٠:١-٤) مرتبطة بشكل وثيق بالرواية السابقة: لم يكذب ينهي يسوع تحذيره، وها هو يرفع عينيه ليرى مفارقة صارخة. **فالتقادم** التي يقوم بها الاغنياء **لخزينة الهيكل**، ليس لها وجه شبه مع **تقدمة** وضبعة -قطعتين هما فلسان- **لأرملة مسكينة**. وها هو يسوع يصحح علنا هذا التقييم. فليس المهم المبلغ المعطى، وانما المبلغ الذي كان محفوظا لسد الحاجة؛ فعلى العكس من الاغنياء، هيذي الارملة تعطي كل ما كان لديها للعيش ولم تحتفظ بشيء.

هل يمكننا القول مع ذلك بان يسوع يمتدح هذه الارملة ويقدمها للتلاميذ مثلا يحتذى؟ نحن نعلم الاهتمام الدائم الذي يبديه يسوع، في انجيل لوقا، للمهمشين، ومن

بينهم الارامل (٤: ٢٥-٢٦؛ ٧: ١٢، ١٨: ٣، ٥؛ ٤٧: ٢٠)، وهن اللواتي غالبا ما يُهملهن مجتمع كان يسيطر عليه الذكور. وبلاكثر، سيساعدنا الربط بين هذا المشهد والمشهد السابق -النقد باتجاه الكتبة الذين يأكلون بيوت الارامل- لفهم كيف يفهم لوقا هذه الرواية. فيسوع هنا لا يمتدح الارملة البائسة بقدر ما يلوم الطريقة التي تُستغل بها؛ انه يشجب بشكل غير مباشر ممارسة شائعة لدى الكتبة كانت الارامل بموجها تُحمل على الافتقار من اجل منفعتهم. وهكذا لم يكن بوسع المدافع عن المستغلين سوى ان يشجب سلّم قيم يقود الى مثل هذا التشويه.

خطاب بشأن "هسيرة التحرير الطويلة" (٢١: ٥-٣٨)

- ٥ وقال بعضهم في الهيكل إنه مُزَيَّن بِالْحِجَارَةِ الْحَسَنَةِ وَتُحْفِ الثَّدُورِ، فقال:
- ٦ ((هذا الذي تنتظرون إليه سنأتي أيام لن يُترك منه حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُقْضَى.))
- ٧ فسألوه: ((يا مُعَلِّمَ، ومتى تكون هذه، وما تكون العلامة أن هذه كلها تُوشِكُ أَنْ تُحْدِثَ؟))
- ٨ فقال: ((إياكم أن يُصَلِّكُمْ أَحَدٌ! فَسَوْفَ يَأْتِي كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مُنْتَحِلِينَ اسْمِي فيقولون: أنا هو! قد حان الوقت! فلا تتبعوهم.))
- ٩ وإذا سَمِعْتُمْ بِالْحُرُوبِ وَالفِتَنِ فلا تَفْرَعُوا، فَإِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ حُدُوثِهَا أَوَّلًا، وَلَكِنْ لَا تَكُونُ النِّهَايَةُ عِنْدَئِذٍ.))
- ١٠ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: ((سَتَقُومُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ، وَمَمْلَكَةٌ عَلَى مَمْلَكَةٍ،
- ١١ وَتَحْدِثُ زَلَزَلٌ شَدِيدَةٌ وَمَجَاعَاتٌ وَأَوْبَةٌ فِي أَمَاكِنَ كَثِيرَةٍ، وَسَتَحْدِثُ أَيْضًا مَخَافٌ تَأْتِي مِنَ السَّمَاءِ وَعَلَامَاتٌ عَظِيمَةٌ.
- ١٢ ((وَقَبْلَ هَذَا كُلِّهِ يَسْطُرُ النَّاسُ أَيْدِيَهُمْ إِلَيْكُمْ، وَيَضْطَهِدُونَكُمْ، وَيُسَلِّمُونَكُمْ إِلَى الْمَجَامِعِ وَالسُّجُونِ، وَتَسَاقُونَ إِلَى الْمُلُوكِ وَالْحُكَّامِ مِنْ أَجْلِ اسْمِي.
- ١٣ فَيُتَاحُ لَكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الشَّهَادَةَ.
- ١٤ فَاجْعَلُوا فِي قُلُوبِكُمْ أَنْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ أَنْ تُعِدُّوا الدَّفَاعَ عَنْ أَنْفُسِكُمْ.
- ١٥ فَسَأُوتِيكُمْ أَنَا مِنَ الْكَلَامِ وَالْحِكْمَةِ مَا يَعْجِزُ جَمِيعَ خُصُومِكُمْ عَنْ مُقَاوَمَتِهِ أَوْ الرَّدِّ عَلَيْهِ.
- ١٦ وَسَيُسَلِّمُكُمْ الْوَالِدُونَ وَالْإِخْوَةُ وَالْأَقْرَابُ وَالْأَصْدِقَاءُ أَنْفُسَهُمْ، وَيُمَيِّتُونَ أَنَا سَاءَ مِنْكُمْ،
- ١٧ وَيُيَغْضِضُكُمْ جَمِيعُ النَّاسِ مِنْ أَجْلِ اسْمِي.
- ١٨ وَلَنْ تُفْقَدَ شَعْرَةٌ مِنْ رُؤُوسِكُمْ.

- ١٩ إنكم بنباتكم تكتسبون أنفسكم.
- ٢٠ فإذا رأيتم أورشليم قد حاصرتها الجيوش، فاعلموا أن خرابها قد اقترب.
- ٢١ فمن كان يومئذ في اليهودية فليهرب إلى الجبال، ومن كان في وسط المدينة فليخرج منها، ومن كان في الحقول فلا يدخلها،
- ٢٢ لأن هذه الأيام أيام نعمة يتم فيها جميع ما كتب.
- ٢٣ الويل للحواميل والمريضات في تلك الأيام، فستزل الشدة بهذا البلد ويترل الغضب على هذا الشعب،
- ٢٤ فيسقطون قتلى بحد السيف ويؤخذون أسرى إلى جميع الأمم، وتدوس أورشليم أقدام الوثنيين إلى أن ينقضي عهد الوثنيين.
- ٢٥ وستظهر علامات في الشمس والقمر والنجوم، وينال الأمم كرب في الأرض وقلق من عجاج البحر وجيشانه،
- ٢٦ وترهق نفوس الناس من الخوف ومن توقع ما يزل بالعالم، لأن أجرام السماء تتزعزع،
- ٢٧ وحينئذ يرى الناس ابن الإنسان آتياً في العمام في تمام العزة والجلال.
- ٢٨ وإذا أخذت تحدث هذه الأمور، فانتصبوا قائمين وارفعوا رؤوسكم لأن إفيداءكم يقترب)).
- ٢٩ وضرب لهم مثلاً قال: ((انظروا إلى التينة وسائر الأشجار.
- ٣٠ فما إن تخرج براعمها حتى تعرفوا بأنفسكم من نظركم إليها أن الصيف قريب.
- ٣١ وكذلك أنتم إذا رأيتم هذه الأمور تحدث، فاعلموا أن ملكوت الله قريب.
- ٣٢ الحق أقول لكم: لن يزول هذا الجيل حتى يحدث كل شيء.
- ٣٣ السماء والأرض تزولان وكلامي لن يزول.
- ٣٤ فاحذروا أن يتقبل قلوبكم السكر والقصوف وهوموم الحياة الدنيا، فباغتكم ذلك اليوم
- ٣٥ كأنه الفخ، لأنه يطبق على جميع من يسكنون وجه الأرض كلها.
- ٣٦ فاسهروا مواطنين على الصلاة، لكي توجدوا أهلاً للنجاة من جميع هذه الأمور التي ستحدث، وللثبات لدى ابن الإنسان)).
- ٣٧ وكان في النهار يعلم في الهيكل، ثم يخرج فيبيت ليلاً في الجبل الذي يقال له جبل الزيتون.
- ٣٨ وكان الشعب كله يأتي إليه بكرة في الهيكل ليستمع إليه.

بعد ان القى يسوع على التلاميذ، في نهاية الرحلة الى اورشليم (١٧: ٢٢-٣٧)، خطابا "رؤيويًا" اول، هوذا يلقي خطابا ثانيا اكثر اتساعا. وهذا الخطاب الذي يجري في الهيكل، هو خطاب عام (راجع آ ٥-٧، ٣٧-٣٨)، حتى وان كان موجها، بشكل رئيس، الى المسيحيين، كما سنطلع على ذلك من سياق الرواية (راجع آ ١٢٢-١٩ الخ...). ذلك ان الاسلوب الادبي لمثل هذا الخطاب، وتسميته "رؤيويًا" بالذات، بيدوان لغزيا للقارئ المعاصر: لماذا "الكشف" -وهذا هو معنى "رؤيا"- عن الاحداث التي تتعلق بالنهاية والتي ترافق انقلاب العالم القديم -علمنا- باتجاه العالم الجديد؟

هناك، في الاساس، قناعة اساسية في الكتاب المقدس: تاريخ الشعوب ليس غامضا، طالما ان الله يقوده نحو غاية معدة باعتناء... فسيسكن معهم وهم سيكونون شعوبه، وهو سيكون [الله معهم]، وسيمسح كل دمة من عيونهم، وللموت لن يبقى وجود بعد الآن، لان كل ما يتعلق بالعالم القديم قد زال" (رؤ ٢١: ٣-٤). ذلك هو الخلاص الذي سيسكّل الغاية القصوى، الابدية، لتاريخ البشرية.

وستنتج بعض التيارات اليهودية رؤى عديدة على مدى المئة والخمسين عاما التي تسبق العصر المسيحي وتليه. ولا نجد في اي من هذه النصوص، سواء كانت من اوساط يهودية او مسيحية -وبضمنها رؤيا يوحنا والنصوص القريبة منها، وفي الاناجيل الازائية بالاخص- وصفا لمصطلح الابدية، إلا ما كان منه بشكل قاطع (راجع رؤ ٢١: ٣-٤؛ ١ قور ١٥: ٢٨؛ ويكون الله كلاً في الكل). وبالمقابل، يبدو هؤلاء المؤلفون اكثر اسهابا بشأن علامات النهاية والاحداث التي سترافق الساعة التي فيها سينتهي الزمن وينكفئ في الابدية. والمسيح، في هذا الخطاب الذي نحن بصدده، نجده في الواقع اكثر بلاغة بشأن "مسيرة التحرير الكبرى" (ج. ديون) التي تنتظر البشرية مما بشأن الشكل الواقعي الذي سيتخذ هذا الفداء، في نهاية التاريخ.

وهكذا نكون قد فهمنا ان الغاية من لو ٢١، لا تقوم في تقديم وصف مسبق للقارئ عن مجرى التاريخ، بقدر ما تمنحه القوة على الصمود في وسط الحزن، وتذكره بان للوقت الحاضر قيمة ايجابية: فهنا يعطي الله اشارة. ومثل هذا الخطاب يتجاوز التجربة الرؤيوية التي تقوم في انكار التاريخ وعرض رجاء اخروي يعيد المؤمن الى ما يعيشه الآن هنا. ورجاء كهذا "لا يقلل من شأن المهمات الزمنية، وانما يسند بالاحرى اتمامها وبدواف جديدة" (الفاتيكانية الثاني).

في منطلق التعليم (آ ٥-٧) نجد ملاحظة **بعضهم** بصدد زينة الهيكل. ففي اعقاب التجديد الفخم الذي قام به هيرودس الكبير، بدءا من عام ٢٠ ق. م، اصبح الهيكل على درجة كبرى من الثراء، على حد تعبير المؤرخ اللاتيني تاقيطس. ولما كرر يسوع القول النبوي الذي سبق ان قاله عن المدينة في ١٩: ٤٤، مطبقا اياه على الهيكل، اخذ السامعون يسألونه عن زمن خرابه وعن العلامة التي تنبئ بقرب الحدث. قد نعتقد ان سؤالا كهذا يقصد حدثا تاريخيا فقط: فالهيكل حُرق فعلا في ٣٠ آب من عام ٧٠، اي بجوالي شهر فقط قبل سقوط اورشليم الكلي. اما في نظر مسيحيي بدايات الكنيسة، فلقد كان خراب اورشليم مرتبطا اشد الارتباط بالجيء وعودة المسيح الجيدة ليدين المسكونة ويقيم مُلك الله بشكل حاسم؛ وبالفعل، فان كثيرين من المسيحيين، وفي كنيسة لوقا بشكل خاص، رأوا في هذا الخراب علامة اقتراب المحييء.

لم يعترض يسوع على السؤال المطروح بهذا الشكل، وسوف يجيب عنه بالاعلان عن المراحل المتتابعة التي ستقود الى النهاية. لذا فهو يميّز ما بين المحييء وما بين الاضطرابات الكونية التي ترافقه (آ ٢٥-٢٧)، مع عدد من الاحداث التي تسبقه: الاضطهادات (آ ١٢-١٩)، الحروب والزلازل (آ ١٠-١١)، سقوط اورشليم (آ ٢٠-٢٤).

وقبل ان يتكلم المسيح بايجابية، نراه يبدأ خطابه بتحذير اولي (آ ٨-٩). لا ينبغي لسامعيه ان يتحمسوا بسرعة لاشخاص يُنبئون بشكل مبكر عن قرب الساعة - ذلك حماس كان شائعا في القرن الاول؛ وعليهم ان يتجنبوا اتباعهم! وبالفعل، كان هناك كثير من اليهود، بين موت هيرودس الكبير وخراب اورشليم (عام ٧٠، ومن ثم عام ١٣٥)، قد قدّموا انفسهم: إمّا بصفة النبي الاخير، وإمّا بصفة المسيح، وكان لهم اتباع كثر خابت آمالهم في آخر المطاف! وكان فلافيوس يوسيفس قد ميّز بين "اللصوص" و"السراق" الذين كان رؤساؤهم يدعون، إلى حدّ ما، الملوكية المسيحانية، وبين الذين يدعوهم "مضلّلين"، اي اولئك الذين جعل كل منهم من نفسه نبي الازمنة الاخيرة. ويعرف لوقا اثنين منهم: ثودس (رسل ٥: ٣٦) و"المصري" (رسل ٢١: ٣٨). وهكذا، فان تحذير يسوع من كل شخص ينتحل اسمه، تلاه تحذير ثانٍ: فسواء كنا بازاء مضلّلين وانبياء كذبة، او كانت هناك انقلابات سياسية، فتلك ظاهرات موسمية ليس بوسعها ان تنبئ بقرب النهاية: "فلا تخافوا!". علما بان هذا لا بد ان يحدث اولا؛ وهذه الصيغة المستعارة من دا ٢: ٢٨ تعني بان هذه الاحداث ذاتها تدرج في مخطط الله وتحمل معنى الى المؤمن.

ويسوع، ما ان ختم هذا التحذير المسبق، اخذ ينبئ بسلسلة من الاحداث (آ ١٠-٢٧): حروب واحداث مأساوية (آ ١٠-١١) تسبقها اضطهادات ضد المؤمنين (آ ١٢-٢٧).

١٩؛ ويتم من ثم خراب اورشليم (٢٠٠٦-٢٤)؛ وبالتالي علامات كونية ترافق تجلي ابن الانسان (٢٥-٢٧).

١. الاضطهادات (١٢٦-١٩) هي، اذن، اول الاحداث التي تندرج في التاريخ، في بدء نشوء الجماعة المسيحية في اورشليم (راجع رسل ٤)؛ وستكون ملازمة لزمان الكنيسة. لذا اهتم يسوع بتشجيع المسيحيين على الصمود. وهوذا يعطي لهم، ابان المحنة، اول دافع الى الثقة (١٢٦-١٥)، مرجعاً صدى تعليم سابق (راجع ١٢: ١١-١٢). ذلك ان التلاميذ، لدى مثولهم امام السلطات الدينية اليهودية، والملوك والحكام الرومانيين -وهي السلطات القضائية الثلاث المذكورة في محاكمة يسوع (٢٢: ٢٦-٢٣: ٢٥) وبولس من بعده (رسل ٢٣-٢٦)- سوف يتلقون، في الدفاع عن انفسهم، كلاماً وحكمة لا ردّ عليهما (اقرأ موقف اسطفانس في رسل ٦: ١٠). وهذه المهبة المنسوبة الى الروح في ١٢: ١٢ تُنسب هنا الى المسيح القائم الذي يمنح هذا الروح ذاته (راجع رسل ٢: ٣٣). وتنتج عن الطابع التاريخي للاضطهادات سمة لا نظير لها: فلوفا لا يعتبرها "بمثابة ضرورة لا مناص منها ويجب تحملها بسلبية، وانما يبحث عن اعفاء الكنيسة منها، عبر طرح دفاعي" (أ. جورج). ذلك ان بمقدور المسيحيين في الواقع ان يكون لهم كلام لن يكون بوسع اي عدو ان يقاومه او يردّ عليه: وهذا ما حدث لبيلاطس تجاه يسوع، ولقضاة رومانيين تجاه بولس، حين اقروا براءة المتهمين.

هناك دافع ثان للثقة، معروض على المؤمنين، من بعد لوحة قائمة الى حد كبير (١٦٦-١٩). فيسوع الذي واصل تعليمه بشأن انقسام الاسر (راجع ١٢: ٥١-٥٣)، يكشف عن ان المضطهدين لن يكونوا باجمعهم غرباء، بل من داخل حلقة الاسرة؛ ويُحتمل ان يضاف الى السجن (راجع رسل ٤: ٣؛ ٥: ١٨) عذاب الموت (راجع اسطفانس، رسل ٧: ٥٨-٦٠؛ ويعقوب، رسل ١٢: ٢). والمعلم، كي يبعث في اخصائه الشجاعة، يعد، عبر مثل سبق ان استخدمه في ٧: ١٢، بان الله لن يتوقف من حماية الذين سيكونون ضحايا انتقام البشر، بسبب تعلقهم بيسوع. وسيضع لوقا هذه المقولة على لسان بولس ايضاً (رسل ٢٧: ٣٤) مبيناً انها تتحقق (٢٧: ٤٣-٤٤). وهكذا يبلغ التحذير الى اذن كل واحد: المؤمنون يحصلون على الحياة الحقبة بثباتهم (راجع ٨: ١٥) ابان المحنة!

١ مكرر. في منطق الخطاب الزمني، تأتي هنا الآيتان ١٠-١١ (راجع: "وقبل كل هذا"، آ ١٢٦). وسوف يضاف الى الحروب والتراعات -وهي تلتقي مع تلك التي تحدثت عنها الآية ٩، ولكنها وُضعت هنا عبر تلميح الى سفر الاخبار (٢ أخ ٦: ١٥)- كوارث طبيعية، هنا وهناك، الى جانب ظاهرات في السماء (كسوفات، نيازك، مذنبات). ولكن،

لا ينبغي هنا أيضا ان نضل! فمهما كانت هذه الاحداث كوارثية، وحتى لو استغلها الانبياء الكذبة (راجع ايضا آ ٨-٩)، لا ينبغي للمؤمنين ان يفسروها بصفحتها علامات تنبئ بالنهاية. فالآيتان ١٠-١١ تشيران ولا شك الى العصيان اليهودي الذي ابتدأ في ربيع ٦٦، كما الى الازمة السياسية الكبرى التي مزقت الامبراطورية الرومانية في العام الذي تلا انتحار نيرون (٩ حزيران ٦٨). وهكذا فالاحداث التي تصدي لها الآيات ٨-٩ ليست العلامة المطلوبة في آ ٧: ولا تنبئ بقرب النهاية.

٢. من خلال الآيات ٢٠-٢٤، يعطي يسوع اول جواب عن السؤال المطروح، إذ تنبأ عن الاحداث المرتبطة بخراب اورشليم. فحين يكون حصار المدينة قد بدأ (في بداية عام ٧٠)، فسيكون بالامكان التحدث عن "قرب": ذلك ان اجتياح المدينة المقدسة، وخراب الهيكل الذي لا ينفصل عنها، اصبح وشيكا. وحين تكون اورشليم قد احتلت، فسيكون الهرب السريع الحل الوحيد؛ إذ بعد الاحتلال، سيكون قد فات الاوان! واية دوافع لتأجيل الهرب سيكون مأساويا؛ والويل الذي عبر عنه يسوع هنا (راجع آ ٢٣ أ-ب) سنجدّه مجددا لدى حمل الصليب (راجع ٢٣: ٢٨-٣١).

يُعتبر، خراب اورشليم بالفعل، مرحلة في عمل الله في العالم. ولذلك يُكثر الخطاب من العبارات المأخوذة من العهد القديم، وهي تصدنا فيما اذا لم نكن نعرف كيف نفسرها (راجع الاطار: المبادرة الالهية وخراب اورشليم): هناك حديث عن غضب الله (= حكمه بالاعدام، راجع أش ٥: ٢٥-٣٠)، ايام الانتقام، حيث ينتقم الله، بحسب ار ٤٦: ١٠، من اعدائه، متمما بذلك كل ما في الكتب (راجع على سبيل المثال الاقوال النبوية ضد اورشليم في ار ٦: ١-٨؛ ٢٦: ١-٩). وحتى تلك الصورة التقليدية بشأن المدينة التي تطأها اقدام الوثنيين (راجع زك ١٢: ٢-٣ اليوناني)، فهي تشير الى ان مثل هذا التدنيس، انما يأتي عقابا، وفق الارادة الالهية، على خطايا سكانها وتعاميهم (راجع ١٣: ٣٤؛ ١٩: ٤٢-٤٤). وهكذا يبدو وكأن الرومانيين الذين احتلوا المدينة اصبحوا منفذين لدينونة الله من دون وعي منهم.

ومع ان احداث سقوط اورشليم وحرق الهيكل، في نهاية صيف ٧٠، هي من الالهية بمكان، ولكنها لا تتزامن مع نهاية العالم ومجيء المسيح. فبين الاثنتين تتم ازمنة الوثنيين (آ ٢٤ د)، اي ساعة انتصار الوثنيين المؤقت؛ الا ان مدته لم تُحدّد.

٣. وتكون علامات في الشمس... تلك هي الاحداث المرتبطة بالمجيء، هذه المرة (آ ٢٥-٢٧). ويدهشنا وجود حرف "واو العطف" الذي يشير الى الربط: فالمسيح يمر من

ازمنة الوثنيين الى الاضطرابات الكونية، دون توضيح مدة الزمن الذي يفصل ما بين خراب عام ٧٠ وما بين النهاية. وهكذا يعطي لونا اسكاتولوجيا لدوس الوثنيين المدينة (آ ٢٤). نجدنا بازاء ألفي سنة تفصلنا عن الحدث!

اما **العلامات**، فهي هنا اكثر خطورة من تلك الواردة في آ ١١: انها ستحدث، في آن واحد، في الشمس والقمر والنجوم، وستخلف الكآبة على الارض المسكونة كلها. ذلك ان النظام الكوني سيهتز، كما لو انه يعود الى الخواء الاولي، مسجلا نهاية التاريخ. وهذه الاحداث تسبق مباشرة مجيء ابن الانسان، وهو يُذكر باقتضاب ومن دون وصف. وتساءل: الى ماذا يتجه التاريخ البشري؟ وتبدو اهميته محدودة في الخطاب الذي يذهب ثقله الى مكان آخر.

ويعمد يسوع الى تفسير يعطي مفتاح الخطاب (آ ٢٨-٣٢)؛ انه يربط الاحداث التي اعلن عنها بالاسئلة الاولي المطروحة بصدد التاريخ والعلامة (راجع آ ٧). هناك كلمة مركزية (آ ٢٨)، توضّح من خلال مثل (آ ٢٩-٣٠) وتفسيره (آ ٣١).

العلامة اولاً. الامور التي تحدث (ظهور البراعم في الاشجار، عبر المثل) تمكّن المؤمنين من ان يستنتجوا اقتراب نجاحهم الحاسمة (اقتراب الصيف، عبر المثل؛ اقتراب ملك الله، عبر التفسير). واذا كانت هذه الامور تشير الى اضطرابات كونية تسبق مجيء ابن الانسان، الا ان جيل المؤمنين الاخير وحده معنيّ باقتراب الخلاص النهائي. فلو لم يعط يسوع علامة سوى علامة اهتزاز الكون، من دون علامات خراب المدينة، لما كشف عن شيء تضمنته نصوص العهد القديم بصدد يوم الرب (راجع اش ١٣: ١٠، حج ٢: ٦). وتكمن العلامة، بالفعل، في الاحداث التاريخية التي مهّدت لخراب اورشليم (راجع آ ٢٠). اما بشأن الامر "انتصبوا قائمين وارفعوا رؤوسكم!" - وهو يعني بنوع خاص اناسا مضطهدين" (راجع آ ١٢ وما يتبعها)، فهو "لا يتوجه الى مسيحيين مجهولين سيكونون على قيد الحياة ابان المجيء، بقدر ما يتوجه بالاحرى الى معاصري الانجيلي" (ف. فيسكو)، ومن ورائهم، الى كل المؤمنين الذين سيسمعون او سيقروا الانجيل الثالث فيما بعد. وهكذا، فان اعضاء كنيسة لوقا -ومن ثم نحن اليوم- يترتب عليهم ان يعيشوا في اليقين من ان نجاحهم سائرة، وهي قريبة. وهذا ما كتبه الرسول بولس: "الخلاص اقرب الينا الآن منه يوم آتياً... فقد اقتراب اليوم" (روم ١٣: ١١-١٢).

وتجيب الآية ٣٢ من ثم، وبشكل احتفالي، على السؤال بصدد التاريخ: سيحدث كل شيء، بينما هذا الجيل -اي غالبية معاصري يسوع الناصري- ما يزال على قيد

الحياة. وبالتالي، فإن عبارة "كل" تشمل سلسلة الاحداث المقبلة والمعلنة برمتها، وبضمنها، وبدرجة اكبر، الحدث الاكثر اهمية" (ف. فيسكو)، المجيء، اي العلامات المقترنة بمجيء ابن الانسان. ولا يتردد لوقا من استخدام هذا القول التقليدي دون ان يجري عليه اي تغيير. وحين فعل الشيء ذاته في ٢٧:٩، عبر القول الذي يخص الذين لا يذوقون الموت قبل ان يروا ملكوت الله، فلقد كان السياق قد سمح له ان يحيلنا الى التجلي، ومن ثم الى الزمن المثالي الذي يفصل ما بين الفصح والصعود. اما القول الذي تتضمنه الآية ٣٢، فهو يذهب الى ابعد: يترتب على الجليل الذي شهد خراب الهيكل ان يرى المجيء ايضا. ذلك ان مجيء المسيح بالمجد يُشرف على كل وجود المؤمن، ولا يمكن ان يُسقط على مستقبل بعيد.

وهوذا يسوع، في خاتمة نبؤته، يؤكد على سلطة الوعد السابق ومصداقيته، كما على كل الخطاب الاسكاتولوجي (آ ٣٣): وهما سلطة ومصداقية اكثر ثباتا من الكون (راجع ١٦:١٧). وهكذا جعل يسوع مماثلة بين كلامه وكلام الله، وقد سبق اش ٥٥: ١٠-١١ ان ذكر بفاعليته.

ويُختم الخطاب بتحريض على السهر والصلاة (آ ٣٤-٣٦). انها ارشادات كان يسوع قد اعطاها للتلاميذ، وها هي تتوضح هنا: التحذير ضد الهموم، عبر تفسير مثل الزارع (٨: ١٤) والتعليم بشأن الموقف اللازم تجاه الخيرات المادية (١٢: ٢٢-٣٢)، والتأنيب ضد السكر عبر مثل الوكيل الامين (١٢: ٤٥-٤٦). ذلك ان الموقف الذي كان على كنيسة لوقا ان تواجهه لا يختلف كثيرا، حول هذه النقطة، عن الموقف الذي عرفته الجماعات البولسية. هناك ارشادات مماثلة جدا نقرأها في ١٠: ٤-٨ (وهي تتضمن -كما هي الحال هنا- احتمال مجيء يوم الدينونة، على حين غرة، وياغت المؤمنين)، وفي روم ١٣: ١١-١٣. ذلك ان النعاس يهدد الجماعات، إذ ان النداء يجلجل، سواء في انجيل لوقا ام في رسائل بولس، داعيا الى السهر والى النهوض من النوم.

هناك خطران متضادان، ولكنهما متداخلان، يهددان الكنيسة: امل ضعيف بمجيء المسيح القريب (راجع ٢٢: ١-٣) وخيبة الامل مع التجربة في فقدان اي رجاء بالمستقبل (راجع ٢ بط ٣: ٤). "بقدر ما كان انتظار المجيء اشبه بمجى، بقدر ذلك تكون الخيبة اكثر مرارة" (فيسكو)؛ ذلك ان الاوهام تشكّل خطرا على الايمان. ولوقا، يخشى ولا شك من الخطر الثاني على كنيسته -وهو الخطر ذاته الذي يهدد جماعاتنا الكاثوليكية الغربية في نهاية القرن العشرين!- ولذا يردّ عليه بشدة. ومن هنا، فيما ميّزت نبؤة المسيح بين خراب اورشليم والمجيء، إلا انها لم تفصل بينهما البتة. ومن هنا ايضا كانت تلك

في أورشلهم: الآلام، تعليمهم، قيامة

التأكيدات التي لقيناها: فمنذ هذا الخراب، أصبح خلاص المؤمنين قريبا؛ وكان على كل مؤمن في كنيسة لوقا -وعلى كل واحد منا- ان يعيش اللحظة الحاضرة، بحيث تكون له القدرة... على الوقوف منتصبا امام ابن الانسان.

وباتساع اكبر من الخطاب الرؤيوي، يختم لو ٢١:٣٧-٣٨ المقطع الذي كان قد افتتح في ١٩:٢٩، وبشكل ادق، يختم الحقبة التي بدأت في ١٩:٤٧-٤٨. ففي هذا الجمل كله، لم يعمد لوقا الى تقطيع نصوصه الى ايام (راجع مر ١١:١٢، ٢٠: حيث نجد اصل اسبوع الآلام). وهكذا نرى ان تعليم يسوع في هيكل اورشليم بدا ممتدا بوضوح علي فترة اطول من الزمن. وسبق لنا ان اشرنا الى ان الملحوظة (٢١:٣٧-٣٨) تشكل تطويقا، ولا سيما مع المقطع ١٩:٤٧-٤٨؛ انها تشدد على ان شعب الله بأسره يقضي كل أيامه في الاصغاء الى يسوع.

ثانياً: الآلام

(لو ٢٢: ١-٢٣: ٥٦)

فيما نفتح رواية الآلام بحسب لوقا، يحسن بنا ان نلفت انتباه القارئ الى عدد من السمات الادبية.

هناك مقاطع كثيرة لدى مرقس غائبة عن لوقا. تلك هي الحال، بشكل خاص، مع المسحة في بيت عنيا (مر ١٤: ٣-٩؛ راجع لو ٧: ٣٦-٥٠؛ ٢٣: ٥٦؟)؛ النبؤة بصدد معصرة التلاميذ وتشتتهم (مر ١٤: ٢٧-٢٨)، حدوث هذا التشتت (مر ١٤: ٥٠-٥٢)؛ وجود شهود زور نقلوا كلام يسوع عن الهيكل (مر ١٤: ٥٥-٦٠)؛ الالهانة تجاه يسوع الملك على يد الجنود الرومان (مر ١٥: ١٦-٢٠)؛ شرب الخمر المزوجة بمرارة (مر ١٥: ٢٣)؛ صرخة المزمور ٢٢ على لسان يسوع المنازع واللعب على الكلمات بشأن ايليا (مر ١٥: ٣٤-٣٦).

وعلى العكس من ذلك، فان للوقا مقاطع كثيرة ينفرد بها. هوذا المسيح يعطي تعليماً موسعاً قبل تأسيس الافخارستيا (٢٢: ١٥-١٦، مع اول كأس من الخمر في آ ١٧)، وما بعدها بالاحص (٢٢: ٢٤-٣٠، مع ما يوازيها لدى مرقس ومتى خارجاً عن الآلام؛ ٢٢: ٣١-٣٢، ٣٥-٣٨). الملاك وعرق الدم ابان التراع في البستان (٢٢: ٤٣-٤٤)، والامر بوقف المقاومة وشفاء الاذن المقطوعة (٢٢: ٥١)، ونظرة الرب الى بطرس (٢٢: ٦١ أ)، تفاصيل يعرفها القارئ جيداً؛ الا ان هناك تفاصيل تحمل معاني عميقة كالتى تخص الدافع الى اتمام يسوع من جانب اليهود (٢٢: ٢، ٥)، يقابله اعلان مثلث لبراءة يسوع يقوم به بيلاطس (٢٣: ٤، ١٤، ٢٢؛ راجع ايضا يو ١٨: ٣٨؛ ١٩: ٤، ٦). كما ان مثول يسوع امام هيرودس (٢٣: ٦-١٢) والحكم الاول من لدن بيلاطس (٢٢: ١٣-١٦) يؤلفان مشهدين دسمنين، وكذلك هي الحال مع لقاء بنات اورشليم على درب الصليب (٢٣: ٢٧-٣٢) والحوار مع اللص الصالح (٢٣: ٤٠-٤٣). كما نجد ايضا قولين اكثر اقتضاباً: الغفران الذي يطلقه المصلوب (٢٣: ٣٤) وصرخة المنازع، وهي تلاوة

للمزمور ٣١ (٤٦:٢٣ ب). وبالتالي، نجدنا بازاء حوالي ٥٠ آية، من مجموع ١٢٧ آية -وبينها اكثر من ٢٠ آية جاءت على لسان المسيح- انفرد بها لوقا.

بقي لنا ان نشير الى ظاهرة اخرى، قد لا تكون بديهية، ولكنها تحمل معنى كبيرا: هناط مقاطع موازية لدى لوقا ومرقس ليست بعين الترتيب في الانجيليين. واليكم لائحة اردناها مقتضبة. فالقول بشأن الشرب من ثمرة الكرمة في ملكوت الله، وُضع قبل تأسيس الافخارستيا؛ والاعلان عن خيانة يهوذا جاء بعد تأسيس الافخارستيا (بينما الترتيب معكوس تماما لدى مرقس). كما ان مثول يسوع امام السلطات اليهودية يتم وفق الترتيب التالي: ١. وصول يسوع (ومعه بطرس) عند عظيم الكهنة (٢٢:٥٤-٥٥)؛ ٢. نكران بطرس الثلاثي (٥٦-٦٢)؛ ٣. الالهانة تجاه يسوع النبي (٦٣-٦٥)؛ ٤. المثول امام السنهدريم (٦٦-٧١). اما لدى مرقس، فان ترتيب المقاطع يكاد يكون معكوسا: ١، ٤، ٣، ٢ -حتى ولو كان مر ١٥:١ موازيا مع لو ٢٢:٦٦. ونجد ذكر صليب المحرّمين منذ بدء مشهد الجلجلة (٢٢:٣٣؛ راجع ايضا يو ١٩:١٨)، بينما تأتي الكتابة على الصليب متأخرة (٣٨ آ) عن مرقس؛ اما حجاب الهيكل، فقد انشق قبل موت يسوع (٤٥ آ؛ بينما يتم بعد موت يسوع في مر ١٥:٣٨). واخيرا، نرى النساء يعددن الطيوب منذ مساء الصلب، قبل السبت (٢٢:٥٦؛ راجع يو ١٩:٣٩؛ بالتضاد مع مر ١٦:١).

وان مقارنة رواية لوقا للآلام مع رواية الانجيل الرابع تبدو ذات فائدة كبيرة، إذ انها تكشف عن قرى بينهما. لنقتصر على عدد من الامثلة، بالاضافة الى تلك التي اشيرنا اليها اعلاه: منذ البداية نلاحظ دخول الشيطان في يهوذا (لو ٢٢:٣؛ يو ١٣:٢٧) مع خطاب وداعي بعد العشاء. وفي الليل، لا يمثل يسوع لا امام قيافا ولا امام السنهدريم. وبيلاطس يقوم بمحاولات عديدة لاطلاق سراح يسوع؛ كما ان الجلد يسبق الحكم، وقد بدا بمثابة عقاب تعويضي عن الصلب. وفي الختام، يبدو حاكم اليهودية وهو يسلم يسوع الى المسؤولين اليهود كي يصلبوه.

ان هيكلية رواية لوقا، في خطوطها العريضة، هي اذن موازية لرواية مرقس؛ ومع ذلك، فهي تختلف عنها كثيرا. فاللوحة التي يرسمها لوقا تختلف كثيرا عن سابقه؛ والاختلافات معه في رواية الآلام هي الاكثر وضوحا مما في سائر الانجيل. "فإما اعاد لوقا النظر في مرقس، اكثر من المعتاد، او انه اعتمد رواية اخرى منافسة. الا ان التوافقات مع انجيل يوحنا تحملنا على الميل باتجاه التفسير الثاني" (ف. بوفون). ووفق هذه النظرية الاخيرة، يبدو لي ان لوقا عرف ايضا رواية مرقس واستخدمها ليغني روايته الخاصة.

لسنا البتة بصدد تقديم عرض لاهوتي متناسق لرواية الآلام اللوقاوية. وليسمح لنا مع ذلك ان نشدد على موضوعين مهمين، لكيما يكون بوسع القارئ -وقد اصبح على بيّنة- ان يرى بوضوح كم انهما حاضران وبكثافة.

احدهما كريستولوجي؛ فمن بين الملامح الكثيرة ليسوع بحسب لوقا، وهو يتمم بسكينة مخطط الله الخلاصي، نلاحظ ان براءته تم التأكيد عليها بكثافة. اما الموضوع الثاني، فهو من قبيل "الدرس العملي"، اي الحث الذي يوجهه الانجيلي الى القارئ. ذلك ان القارئ مدعو الى اعتبار نفسه معنيا بالرواية، وبالتالي الى التضامن، على مثال سمعان القيريني، في حمل الصليب خلف يسوع. اما الروابط التي توحد بين آلام المعلم والآلام التي سيعانيها شهوده، وبالاخص اسطفانس وبولس، في سفر الاعمال، فهي تدعو كل قارئ الى ان يجعل خطواته في اثر خطوات المسيح يسوع. وهكذا نجد ان الموضوعين يلتقيان: فموت يسوع هو استشهاد البار، وعلى التلاميذ ان يقتدوا بهذا النموذج.

موت يسوع: مخطط الله ام جريمة البشر؟

حدد يسوع، وعلى دفعتين، في مجمع الناصرة (٤: ١٨-٢١)، وابان اللقاء مع موفدي المعمدان (٧: ٢٠-٢٣)، برنامج عمل المسيح؛ وحققه هو ذاته بنوع خاص عبر المعجزات، حتى ان بطرس سيخرج بهذه النتيجة: **مرّ بنا يصنع الخير** (رسل ١٠: ٣٨). ولدينا ١١ شفاء عجائبيا و٣ افعال قوة في لو ٤-٩، و٥ شفاءات عجائبية ابان الرحلة من الجليل الى اورشليم، وشفاء ابان الاعتقال في بستان الزيتون (٢٢: ٥٤). اما **ملخصات الشفاءات** الاربعة، فنجدها ما بين ٤: ٤٠ و٨: ٢. فيسوع يحقق، اذن، البرنامج المشيخاني بشكل شحيح؛ يشفي بعض المرضى، وليس كلهم؛ يحيي ميتين، وليس كل الموتى. ولا يتناسب تقدمه في التبشير مع عمله وفقا للنبوة التي ذُكر بها في ٧: ٢٠-٢٣. وهكذا يبدو ان فشل يسوع الظاهري هو نتيجة الفرق، من جهة، بين اتساع برنامجه، وقدرته بصفته مرسلًا من قبل الله، ومن جهة اخرى، بين ضالة النتائج وكثافة الامل (ش. ديكوك).

ويبدو يسوع وكأنه لا يشاء ان يكمل البرنامج المشيخاني حين تنازل عن عمل الخير بما فيه من سحر، وعن نضال قد تحو مطلقيته حدود الوضع البشري. فيسوع، بكامل حريته، ومطابقة مع ارادة الله (مع المخطط الالهي للخلاص)، رفض العيش في ظل مشيخانية سياسية ظافرة تدعي انتزاع الشر من العالم. ذلك ان التاريخ لا يني يرينا اناسا يهدفون الى الخير ويريدون ان يحققوا العدالة، ومع ذلك يسهمون في توسع الشر؛ اما يسوع، فقد اختار طريق التواضع الذي لا يفرض الخير؛ حتى ان موته كان نتيجة اعماله الحسنة التي شاء ان تكون محدودة (ش. ديكوك). وطريق التواضع هذا يبدو لغزا لبني البشر الذين يرون الاحداث انطلاقا من سلم آخر للقيم.

وبالتالي، هل نحن بازاء مخطط الله ام جريمة البشر؟ كلاهما معا، إذ ان الواحد لا ينفي الآخر؛ وفي النظرة البيبية، كلاهما لا ينفصلان.

وتحدث عن مخطط الله ("يجب") للتأكيد، في جو من الايمان، بان طريق المسيح المتواضع، مهما كانت معاكسة لأعلامنا في القوة، هي وحدها في آخر المطاف، قادرة على ان تضع حاجزا دون الشر. فيسوع، بعد فترة من النجاح، وقد تمنى معها ان يحصل على اهتداء الشعب برمته، مني بالفشل لانه رفض ان ينحني امام الرغبة في القوة المشيحانية. وهو الذي، إذ اراد ان يكون امينا لارادة الله حتى النهاية، علم انه لن يفلت من مصير الانبياء اسلافه (١٢: ٣٤+). وقد ذهب الى القول لتلاميذه انه سيُسَلَم (الفاعل: الله) الى ايدي البشر (٩: ٤٥)؛ وبهذه الطريقة، انما أكد على ايمانه ورجائه: فما يسحقه، سيكون ذا نفع لتلاميذه، ولكل البشر (٢٢: ١٩-٢٠). وهكذا، من هذا الفشل البشري خرج خير اعظم: ففي فصح (قيامه) المسيح، جعل الله ملكوته يأتي ومنح الخلاص للبشر. فبالقيامه، انصفه الله!

اما مسؤولية معاصري يسوع، فلم تمنح البتة. فمن جهة، لم يكن هناك اي قرار الهي، مكتوب في السماء، يكون لاسرائيل بموجبه -بصفته شعبا مكوّنا مع سلطانه الدينية- الحق في رفض الاهتداء الى مسيحانية متواضعة؛ ومع ان مثل هذا التحول عسير جدا (راجع موقف التلاميذ انفسهم)، الا انه لم يكن مستحيلا في حد ذاته. ويسوع، حين عاين مقاومة النظام، راح يعلن بان موته اصبح لامناص منه، غير ان كلاً من خصومه، اذا ما أخذ لوحده، بوسعه ان يرفض الاصطفاف بين الذئاب. فلم يكن مكتوبا في السماء بان هذا العضو في السنهدريم وذلك يتحتم عليهم ان يقرروا موت يسوع، في حين ان عضو السنهدريم الآخر، يوسف من الرامة، لم يكن يوافقهم على قصدهم ولا عملهم (٢٣: ٥١). ولم يكن هناك "مصير" محتوم لكل من شخوص الآلام -حتى ولا ليهوذا! وان نص سفر الاعمال (١: ١٦-٢٠) الصعب، انما يشير الى مخطط الله وليس الى المصير المقدّر على يهوذا.

وان ما يقوله لوقا عن التلاميذ هو في غاية الفائدة بصدد صعوبة الاهتداء الى مسيح متواضع. انهم على الحدود، ولكنهم لن يتوصلوا الى عبورها. فهم يعترفون بمسحانية معلمهم، غير ان الإنبياء عن آلامه كان مقلقا عليهم ولم يدركوا معناه (٩: ٤٥)؛ ومع ذلك، فلقد كان لهم من الايمان ما مكنهم من الصعود الى اورشليم. ففي نهاية الرحلة، كان القول ذاته ما زال مخفيا عنهم. اما الصعوبة الكبرى، يوم الفصح، فستمكن في قبول مسيح يتألم ومن ثم يدخل الى مجده (٢٢: ٢٦).

وما قنّته للتوّ عن اليهود، من معاصري يسوع، يصحّ اليوم في كل البشر، وبضمنهم المسيحيين: ألا تكون مسحورين بالخير ونرفض ان نفرضه، تلك هي الصعوبة ذاتها. فإن نقبل الصليب، لا يعني ان نتلذذ بالآلام (ماسوشية)؛ وانما الايمان بان منطق المسحانية المتواضعة، بوسعه وحده، في آخر الامر، ان يسفر عن الحياة وليس عن الشر والفاء.

خيانة يهوذا (١:٢٢ - ٦)

- ١ ٢٢ وَقَرَّبَ عِيدَ الْفَطِيرِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْفِصْحُ.
- ٢ وَكَانَ عُظَمَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ يَحْتَوْنَ كَيْفَ يَقْتُلُونَ يَسُوعَ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَخَافُونَ الشَّعْبَ.
- ٣ فَدَخَلَ الشَّيْطَانُ فِي يَهُوذَا الْمَعْرُوفِ بِالْإِسْخَرْيُوطِيِّ، وَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ الْإِثْنِي عَشَرَ.
- ٤ فَمَضَى وَفَاوَضَ عُظَمَاءَ الْكَهَنَةِ وَقَادَةَ الْحَرَسِ لِيَرَى كَيْفَ يُسَلِّمُهُ إِلَيْهِمْ.
- ٥ فَفَرِحُوا وَأَتَّفَقُوا أَنْ يُعْطُوهُ شَيْئًا مِنَ الْفِصَّةِ.
- ٦ فَرُضِيَ وَأَخَذَ يَتَرَقَّبُ فُرْصَةً لِيُسَلِّمَهُ إِلَيْهِمْ بِمَعزِلٍ عَنِ الْجَمْعِ.

في الهيكل، أعلن يسوع الحكم على اورشليم (٢١: ٢٠)، وعلى مسؤوليها (٢٠: ١٩)؛ انها مبادرة تعود اليه، ومن ثم، سيكون بوسع المدينة ورؤسائها ان يتأمرؤا على يسوع ويهلكوه. والعيد الذي فيه كانوا يأكلون الخبز من دون خمير ويتناولون الحمل الفصحي، كان بمثابة حج الى الهيكل يستقطب شعبا كثيرا. وفيما حدّد لوقا هذا الزمن منذ الآية ١، فقد أبدى اهتمامه بمجريات الفصح. فهذا العيد الذي كان الدافع الى صعود يسوع الاول الى اورشليم (٢: ٤٠) يجيى ذكرى نجاة اسرائيل من عبودية مصر، وهو صورة لتلك الليلة الحاسمة التي فيها، بعد ان يكسر الله نير الحديد، يتجلى ليحرر (ترجوم حول خر ١٢: ٤٢) شعبه، والى الابد، من القهر ومن كل اشكال العبودية.

ولدى اقتراب هذا العيد، توقف عظماء الكهنة والكتبة عن المناظرات اللاهوتية (راجع الفصل ٢٠)، ولكنهم لم يتقدموا، قيد اثملة، منذ بدء التعليم في الهيكل (١٩: ٤٧ - ٤٨)، في ايجاد حل لمشكلتهم: كيف يصفون يسوع بالرغم من الشعب الذي يقف في الوسط بين المتناظرين؟ كيف يتصرفون بالرغم من خوفهم من الشعب (راجع ٢٠: ١٩)؟ وهوذا الحل يأتي من الشيطان الذي اخذ يعمل حتى بين حلقة الاثني عشر ذاتها! وان تدخل ذلك الذي يجسد قوى الشر في الآلام، يعتبر احدى نقاط التلاقي بين لوقا ويوحنا. فكما كانت خاتمة مشهد التجارب قد اعلنت عنه (٤: ١٣)، نرى ان صراع يسوع ضد القوى الشريرة سوف يتكثف مع الآلام: الشيطان يستحوذ على يهوذا (راجع ٢٢: ٣)، وسوف يزعرع بطرس ايضا (راجع ٢٣: ٣١). وبكلمة، يصبح عيد الفصح ساعة سلطان الظلمة (راجع ٢٢: ٥٣). ويترتب على يسوع ان يجابه قوى الشر ذاتها، كي يتغلب عليها في المحصلة النهائية.

فالخلاف ليس هو، اذن، اولاً، بين المعلم والرؤساء الدينيين في شعبه -ولا يدخل لوقا في تفاصيل المؤامرة. انه يكفي بالاشارة الى ما هو اساسي: العمل بمعزل عن الجمع يحتم تدخل احد الاثني عشر. اما دافع يهوذا، فلم يُكشَف عنه؛ ذلك ان المهم، في نظر لوقا، انما هو ما لعمل الشيطان من صلة مع المال (راجع ايضا رسل ٥: ١٣). وهوذا الاسخريوطي، احد الاثني عشر، اخذ يبحث عن فرصة -ذلك، الى حد الآن، موقف السلطات (١٩: ٤٧؛ ٢٢: ٢) - وسيكون الاول من سلسلة رجال سوف يسلمون يسوع، من يد الى يد. لنلاحظ دخول شخص جديد الى مسرح الاحداث: قادة حرس الهيكل -القائد والحرس، كلهم ينتمون الى الارستقراطية الكهنوتية - سيكونون في مقدمة الذين يلقون القبض على السجين (٢٢: ٥٢).

الاستعدادات لعشاء الرب (٢٢: ٧-١٣)

- ٧ وجاءَ يَوْمُ الْفِطْرِ، وفيه يَجِبُ ذَبْحُ حَمَلِ الْفِصْحِ.
- ٨ فَأَرْسَلَ بُطْرُسَ وَيُوحَنَّا وَقَالَ لَهُمَا: ((اذْهَبَا فَأَعِدَّا لَنَا الْفِصْحَ لِتَأْكُلَهُ)).
- ٩ فَقَالَا لَهُ: ((أَيَنْ تُرِيدُ أَنْ نُعِدَّهُ؟))
- ١٠ فَقَالَ لَهُمَا: ((إِذَا دَخَلْتُمَا الْمَدِينَةَ يَلْقَاكُمْ رَجُلٌ يَحْمِلُ جِرَّةَ مَاءٍ، فَاتَّبِعَاهُ إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي يَدْخُلُهُ،
- ١١ وَقُولَا لِرَبِّ الْبَيْتِ: يَقُولُ الْمُعَلِّمُ: أَيَنْ الْغُرْفَةُ الَّتِي آكُلُ فِيهَا الْفِصْحَ مَعَ تَلَامِيذِي؟
- ١٢ فَيُرِيكُمْ عُلْيَةَ كَبِيرَةً مَفْرُوشَةً، فَأَعِدَّاهُ هُنَاكَ)).
- ١٣ فَذَهَبَا فَوَجَدَا كَمَا قَالَ لَهُمَا، فَأَعَدَّاهُ الْفِصْحَ.

ان لتكرار الاشارة الزمنية -وقد استُخدمت بمثابة مفتاح لرواية العشاء الاخير - بُعدا لاهوتيا. فالعيد الذي كان يقترب (آ ١) قد جاء الآن (آ ٧): ذلك ان المخطط الالهي للخلاص -وقد عبّر عنه في الامر المعطى في خر ١٢: ٦- قد بدأ بذبح الحمل الفصحي ("كان ينبغي"). ومن ثم، نجدنا بصدد الإعداد للفصح واكله (آ ٨، ١١، ١٣، ١٥). وفي الاشارات الثلاث الى إعداد الفصح، لا توحى اية منها بان التلاميذ ذهبوا الى الهيكل لنحر الحمل. ومع ذلك، فأَنْ يكون يسوع قد استعد مع تلاميذه لأكل الحمل او لا، فالمهم، في نظر لوقا، ان العشاء الاخير (راجع ايضا مرقس ومتى، بالتضاد مع يوحنا)، هو عشاء فصحي يتناوله يسوع واخصاؤه في عين الوقت الذي يتناوله فيه يهود اورشلهم. وهكذا يكون فصح يسوع يتمم المائة الفصحية للعهد الاول.

وهوذا يسوع، بعد دخول الشيطان الى المسرح في المشهد السابق، يأخذ مبادرة الاحتفال بعشاء العيد؛ والرواية اللاحقة سوف تعطي له المعنى العميق. فحين ارسل بطرس ويوحنا للإعداد للعيد، فهو انما اختار رسولين كانا من ضمن ثلاثي تناط به ادوار هامة (١٠:٥؛ ٥١:٥؛ ٢٨:٩)، وسوف تُبرِّز مكانتهما في بدء سفر الاعمال (راجع الفصلين ٣ و٤). وعن سؤالهما بشأن المكان الذي يُعدّان فيه، يعطي يسوع جوابا موسَّعا جدا ذا نبرة نبوية، تبدو بينته شبيهة ببنية ١٩:٣٠-٣١ (البحث عن اتان للموكب المسيحاني).

ولكي يُتِمَّ مهمتهما، كانت في متناولهما وهما في الطريق، علامة تكمن فرادتها في رتابتها اليومية: رجل يحمل جرّة ماء (راجع اصم ١٠:٣-٥). واول حامل جرة الماء العائد من بركة سلوام يصادفانه، سيكون ذاك الذي ينبغي لهما ان يتبعاه. فلقد كانت العلامة المعطاة للرعاة (٢:١٢) قد عودتنا على ألاّ نبحث اولا عن علامات تخرج عن المألوف! وهذا الوسيط الذي يلتقي به التلميذان سيقودهما الى صاحب المنزل المجهول ليبلّغاه الرسالة. ومن الجدير بالذكر ان المعلم يطالب بغرفة الضيوف، ولا يستجديها. هناك، اذن، علامة تكمن في ان الغرفة تليق فعلا بمثل هذا العشاء، وان صاحبها ينحني للطلب. وان مثل هذه العلامات المبتذلة والتي ليس فيها ما يثير الاعجاب، تبين بان الآلام متوقّعة حتى في ادق التفاصيل، وان يسوع يعرف ذلك ويتقبله. وهكذا، فان هذا الفصح والمعنى الذي سوف يضيفه عليه يسوع، في الرواية التالية، يلتقيان بشكل تام مع ارادة الله.

خلافا لرواية الدخول المسيحاني الى اورشليم (١٩:٣٢-٣٥)، نرى ان تنفيذ الامر لم يستوجب سوى اشارة مقتضبة؛ ومع ذلك، فهو لا يكفي للتأكيد بان كل شيء يتم وفقا لتوقعات يسوع النبوية. وللسيناريو، هو الآخر، هدف يكمن في ان يهوذا لا يعلم مسبقا مكان العشاء - هو الذي سيعمل بمعزل عن الجمع (راجع آ ٦) - ولن يستطيع بالتالي ان يكشف عنه للسلطات.

عشاء الرب وخطاب الوداع (٢٢: ١٤-٣٨)

- ١٤ فلَمَّا أَتَتِ السَّاعَةُ جَلَسَ هُوَ وَالرُّسُلُ لِلطَّعَامِ.
- ١٥ فَقَالَ لَهُمْ: ((اِسْتَهَيْتُمْ شَهْوَةً شَدِيدَةً أَنْ أَكُلَ هَذَا الْفِصْحَ مَعَكُمْ قَبْلَ أَنْ أُنَاطَمَ.
- ١٦ فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ: لَا أَكُلُهُ بَعْدَ الْيَوْمِ حَتَّى يَتِمَّ فِي مَلَكُوتِ اللَّهِ)).
- ١٧ ثُمَّ تَنَاوَلَ كَأْسًا وَشَكَرَ وَقَالَ: ((خُذُوا هَذَا وَاقْتَسِمُوهُ بَيْنَكُمْ،
- ١٨ فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ: لَنْ أَشْرَبَ بَعْدَ الْيَوْمِ مِنْ عَصِيرِ الْكَرْمَةِ حَتَّى يَأْتِيَ مَلَكُوتُ اللَّهِ)).

١٩ ثمَّ أَخَذَ خُبْرًا وَشَكَرَ وَكَسَّرَهُ وَنَاوَلَهُمْ إِيَّاهُ وَقَالَ: ((هَذَا هُوَ جَسَدِي يُبَذَلُ مِنْ أَجْلِكُمْ. اصْنَعُوا هَذَا لِذِكْرِي)) .

٢٠ وَصَنَعَ مِثْلَ ذَلِكَ عَلَى الْكَأْسِ بَعْدَ الْعِشَاءِ فَقَالَ: ((هَذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بَدْمِي الَّذِي يُرَاقُ مِنْ أَجْلِكُمْ .

٢١ وَمَعَ ذَلِكَ فَهِيَ إِنْ يَدَ الَّذِي يُسَلِّمُنِي هِيَ عَلَى الْمَائِدَةِ مَعِي،

٢٢ فَابْنُ الْإِنْسَانِ مَاضٍ كَمَا قُضِيَ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّ الْوَيْلَ لِدَلِكِ الْإِنْسَانِ الَّذِي يُسَلِّمُ عَنْ يَدِهِ!))

٢٣ فَأَخَذُوا يَتَسَاءَلُونَ مَنْ تَرَاهُ مِنْهُمْ يَفْعَلُ ذَلِكَ.

٢٤ وَوَقَعَ بَيْنَهُمْ جِدَالٌ فِي مَنْ يُعَدُّ أَكْبَرَهُمْ.

٢٥ فَقَالَ لَهُمْ: ((إِنْ مُلُوكَ الْأُمَمِ يَسُودُونَهَا، وَأَصْحَابَ السُّلْطَةِ فِيهَا يُرِيدُونَ أَنْ يُدْعَوْا مُحْسِنِينَ.

٢٦ أَمَا أَنْتُمْ فَلَيْسَ الْأَمْرُ فِيكُمْ كَذَلِكَ، بَلْ لِيَكُنِ الْأَكْبَرُ فِيكُمْ كَأَنَّهُ الْأَصْغَرُ، وَالْمُتَرَسُّ كَأَنَّهُ الْخَادِمُ.

٢٧ فَمَنْ الْأَكْبَرُ؟ أَمَنْ جَلَسَ لِلطَّعَامِ أَمْ الَّذِي يَخْدُمُ؟ أَمَا هُوَ الْجَالِسُ لِلطَّعَامِ؟ وَمَعَ ذَلِكَ فَأَنَا بَيْنَكُمْ كَالَّذِي يَخْدُمُ.

٢٨ أَنْتُمْ الَّذِينَ تَبْتَوَا مَعِي فِي مِحْنِي،

٢٩ وَأَنَا أُوصِي لَكُمْ بِالْمَلَكُوتِ كَمَا أُوصِي لِي أَبِي بِهِ،

٣٠ فَتَأْكُلُونَ وَتَشْرَبُونَ عَلَى مَائِدَتِي فِي مَلَكُوتِي، وَتَجْلِسُونَ عَلَى الْعُرُوشِ لِتَدِينُوا أَسْبَاطَ إِسْرَائِيلَ الْإِثْنِي عَشَرَ)) .

٣١ وَقَالَ الرَّبُّ: ((سَمِعَانُ سَمِعَانُ، هُوَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ طَلَبَكُمْ لِغُرْبَلِكُمْ كَمَا تُغْرِبُلُ الْخِنْطَةَ.

٣٢ وَلَكِنِّي دَعَوْتُ لَكَ أَلَّا تَفْقِدَ إِيمَانَكَ. وَأَنْتَ تَبَّتْ إِخْوَانُكَ مَتَى رَجَعْتَ)) .

٣٣ فَقَالَ لَهُ ((يَا رَبِّ، إِنِّي لِعَازِمٌ أَنْ أَمْضِيَ مَعَكَ إِلَى السَّجْنِ وَإِلَى الْمَوْتِ)) .

٣٤ فَأَجَابَهُ: ((أَقُولُ لَكَ يَا بَطْرُسُ: لَا يَصِيحُ الدِّيكُ الْيَوْمَ حَتَّى تُنْكِرَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَنَّكَ تَعْرِفُنِي)) .

٣٥ وَقَالَ لَهُمْ: ((حِينَ أَرْسَلْتُكُمْ بِلَا كَيْسٍ دَرَاهِمَ وَلَا مِزْوَدٍ وَلَا حِنَاءَ، فَهَلْ أَعُوَزَكُمْ شَيْءٌ)) قَالُوا: ((لَا)) .

٣٦ فَقَالَ لَهُمْ: ((أَمَا الْآنَ فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ كَيْسُ دَرَاهِمَ فَلْيَأْخُذْهُ. وَكَذَلِكَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِزْوَدٌ. وَمَنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ سَيْفٌ فَلْيَبِيعْ رِداةَهُ وَيَشْتَرِهِ.

٣٧ فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ: يَجِبُ أَنْ تَتِمَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ:

وَأُحْصِيَ مَعَ الْمُجْرِمِينَ.

فَإِنْ أَمْرِي يَنْتَهِي)) .

٣٨ فَقَالُوا: ((يَا رَبِّ، هَهُنَا سَيْفَانُ.)) فَقَالَ لَهُمْ: ((كَفَى)) .

هذا النص الذي قرأناه ينتمي الى اسلوب ادبي مستمد من بعض التيارات اليهودية في غضون العهد المسيحي، هو اسلوب "الوصية". فحين يشرف شخص هام على الموت، يسلم تعليماً ذا لون تحريضي؛ قد يكون ابا يتوجه الى ابناؤه، او رئيساً يخاطب شعبه او خلفاءه. وهذه الصيغة الادبية تجذورها في نصوص ببليوية من مثل خطاب يعقوب الوداعي (تك ٤٩: ٢٩-٣٢) او بركات موسى (تث ٣٣). وها نحن بازاء الوصية، اي خطاب الوداع يوجهه المعلم الى رسله. وفي هذه المقدمة السردية (آ ١٤)، لا يقول لوقا شيئاً عن وجود تلاميذ آخرين، ونساء بالاختصاص (راجع ١: ٣-٨). وحين لم يذكر سوى الاثني عشر، فهو انما يشدد على دورهم بصفتهم شهداءً على عشاء الرب (آ ١٥-٢٠) ويهيئ للتعليم المعد للذين هم في وضع المسؤولية في الكنيسة (آ ٢١-٣٨).

تُفتتح الرواية، اذن، بالاحتفال بالعشاء الفصحي (آ ١٥-١٨)، يتلوه تفسير لهذا العشاء يقدمه يسوع (آ ١٩-٢٠).

ان الذكر يُلزم المؤمن اكثر بكثير مما تتطلبه الذكرى. وهكذا يُفسح العشاء الفصحي المجال لآحياء خبرة الاقدمين: "تُخبر ابنك في ذلك اليوم قاتلاً: هذا بسبب ما صنع الرب الي حين خرجت من مصر" (خر ١٣: ٨) - وكان على كل جيل ان يعتبر انه هو الذي خرج من مصر. وجاء في المشنا: "يجب علينا ان نبارك... ذاك الذي اخرجنا من العبودية الى الحرية، من الحزن الى الفرح، من النوح الى العيد، من الظلمات الى نور عظيم، من الاستعباد الى التحرير" (مشنا، فيساحيم ١٠، ٥). ومن جهة اخرى - وذاك هو المصب الثاني - فان آحياء خبرة التحرير يمكن من التبشير، بشكل مسبق، بالتحرير النهائي الذي سينعم به، في آخر الازمنة، كل المشاركين في مثل هذا العشاء.

ويحقق يسوع رغبته الحارة: ان يجعل من هذا العشاء الفصحي عشاء وداعياً قبل ان يتألم. لان العشاء بالتالي، قد اندرج، بشكل مضاعف، تحت علامة الموت: فيسوع لن يأكل قط (آ ١٥-١٦) ولن يشرب قط (آ ١٧-١٨) هنا على الارض. وفي المرتين، يعطي السبب: الفصح المقبل، سوف يتناوله على المائدة الاسكاتولوجية، في ملكوت الله حيث سيتم ما يعنيه الفصح - التحرير الكامل والنهائي. وهكذا الحال مع الخمر: يجب ان تتحقق الطلبة الثانية من صلاة الرب: "أبا، تعال!" (راجع ١١: ٢). فالمعلم، في آن واحد، يودع رسله معلناً عن موته ويؤكد يقينه بالانتصار على الموت: انه يعد نفسه بين المدعويين الى المادية الاسكاتولوجية، ومن بين الذين سيكون لهم نصيب في ملكوت الله.

ولكن ماذا عن مصير التلاميذ، اي اولئك الذين، عبر الاجيال، يكونون قد وضعوا ثقتهم (بإيمانهم) في يسوع المسيح، قبل ان يأتي الملكوت؟ وهنا يندرج، على لسان يسوع،

التفسير المجدد للعشاء الفصحى، اعني تأسيس عشاء الرب (آ ١٩-٢٠). فحين يقدّم الختفل بالعشاء خبزاً من دون خمير، فهو انما يعطيه المعنى التقليدي المتداول: "هذا هو خبز البؤس (راجع تث ١٦: ٣) الذي اكله آباؤنا حين خرجوا من مصر". ويسوع، وبعين الحركة، ولكنه يغير معناها عبر نبؤة رمزية -يكسر الخبز- ويفسرها من ثم: "هذا الخبز المكسور، هو انا ذاتي، أُسَلِّمَت الى الموت من اجل خيركم". فان موت المسيح هو علة خلاص لكل شعب الله (الآيتان ١٩-٢٠ هما الذكر الوحيد لدى لوقا). وحينذاك يدعو يسوع اخصّاه إلى ان يكرروا كسر الخبز لذكراه. والجماعة المسيحية المجتمعة بعد الفصح ستجد في ذلك، عشاء للزمن الوسيط الذي يفصلها عن مجيء ربها النهائي. وهكذا فالاتحاد بين يسوع واحبائه -ولكم عبّر عنه بشكل متميز من خلال شركة المائدة على مدى رسالة يسوع- سوف يتواصل حتى بعد موته على الصليب. فما يحمله كسر الخبز، انما هي هذه الشركة مع المصلوب الحي (راجع ٢٤: ٣٠-٣١).

بعد العشاء، اخذ يسوع كأساً اخرى من الخمر -وهي الكأس الثالثة المسماة "كأس البركة". وبين البركات المتلوّة على خبز الفطير وبين البركات على هذه الكأس الثالثة، يجري العشاء بالذات (حمل فصحى وخبز فطير وحشائش مرّة وعصير اثمار). أما صمت الرواية الانجيلية عما يقوم عليه العشاء -باستثناء الخبز وكأسين من اصل اربعة كؤوس من الخمر- فهو يبيّن بالكفاية بان التقليد الليتورجي الذي ورث عنه لوقا، ليس له اية اهتمامات آثرية؛ فما يهمه فقط هو العناصر التي هي بمثابة "ذكر" ليسوع، وهي تبقى آنية دوماً. فان عطية الخبز المكسور الافخارستية والخمر المسكوبة، بالنسبة الى المسيحيين، تحل محل الحمل الفصحى.

وهكذا نرى يسوع، بواسطة كأس، يُضفي عمقا على تفسير آلامه. انه يمثّل بين كأس الخمر والعهد الجديد بدمه، مشدداً على الطابع الذبائحي لموته: دمه (=حياته) يُراق كي نحصل نحن على الحياة. الا ان هذا الموت ليس من قبيل ذبائح العهد القديم (راجع خر ٢٤: ٨)، اي ذاك العهد الذي لم يكن يُطلب فيه رأي الضحية. فيسوع يعطي حياته بجرية تامة من اجل كل البشر -على مثال العبد المتألم كما هو موصوف في اش ٥٣- وينجز العهد الجديد الذي انبأ عنه ار ٣١: ٣١-٣٤: حين يجدد الله الكائن البشري ويكتب شريعته في قلب كل انسان؛ وكل واحد سيعرف الله. من يشرب من كأس الرب يكون له نصيب منذ الآن في هذه العطايا السماوية التي تسمّ الازمنا المقبلة.

ويتواصل الخطاب الوداعي (آ ٢١-٣٨)، تتخلله انقطاعات عدة. ففي زمن اول، ينبئ يسوع بخيانة واحد من هؤلاء الذين اشتركوا بالمائدة واخذوا الخبز والخمر الحاملين

معنى جديدا (آ ٢١-٢٣)، ولكن من دون ان يسميه. ولكي يعطي يسوع معنى لحدث معترّ وغامض - إذ ان تسليمه كان عمل رجل سبق ان عدّه من بين الاثني عشر - يأتي قولان في غاية الاهمية: يسوع يبنى بهذه الخيانة (آ ٢١) ويعلم انها تندرج في مخطط الله الخلاصي ("كما هو مكتوب"، آ ٢٢). ولنذكر بان الاحالة الى المبادرة الالهية لا تنفي البتة المسؤولية الانسانية (راجع الاطار: موت يسوع، مخطط الله ام جريمة البشر؟)؛ ولذلك، انطلقت، مرة اخرى، عبارة "الويل...!" (راجع ٦: ٢٤). ويأتي هذا التحذير المأساوي في اعقاب تأسيس الافخارستيا - بينما حرص مرقس ومتى على وضعه قبل التأسيس. ونجد هنا تحذيراً واضحاً باتجاه المسيحيين: إذ ان الاشتراك في مائدة الرب لا يشكّل ضماناً بوجه الخيانة والنكران! واذا كان التساؤل المتبادل بين الرسل (آ ٢٣) - وقد عبّر ولا شك عن شعور الكنيسة الاولى بجسامة "حالة يهوذا" - فهو يفسح ايضا المجال امام القارئ كي يطرح على نفسه السؤال: "ألست اليوم اسير على خطى يهوذا؟".

وهذا الرسل يتجادلون حول الاسبقية، مما اضطر يسوع الى توجيه تحريض طويل (آ ٢٤-٣٠). هذا ما كان يشغلهم بعد ان سمعوا يسوع، منذ بدء العشاء وحتى نهايته، يعلن لهم عن موته، وبعد ان كانت الكلمة الاخيرة التي قالها يسوع، بالتحديد، تسليم ابن الانسان (٢٢: ٢٢)! ومن المفارقة ذات المعنى ان اولي مشاجراتهم حول موضوع الاسبقية (راجع ٩: ٤٦) كانت قد تلت مباشرة عدم فهمهم ضرورة آلام ابن الانسان (راجع ٩: ٤٤-٤٥)؛ وكان يسوع آنذاك قد اجاب بوضع طفل بجانبه: "من كان الاصغر فيكم جميعا، فذلك هو الكبير" (٩: ٤٨).

اما هنا، فتختلف نقطة انطلاق الجواب، ولكن الفكرة هي ذاتها. فالتعليم بشأن الخدمة الموجه الى اولئك الذين سيكونون "خدّامه" في الجماعة الكنسية، انما يقيم، اولاً، تعارضاً بين سلوك الملوك الهيلينيين والتصرف الذي يجب ان يسود بين القادة المسيحيين (آ ٢٥-٢٦): "ليكن الاكبر فيكم كأنه الاصغر، اي من المعمّد الاكثر حداثة!". وهكذا يترتب على انقلاب القيم، وهو سمة الازمنة الاخيرة، ان يبدأ بالظهور في واقع الكنيسة. ويأتي سؤال خطابي مزدوج، مخاطباً الخبرة العامة (آ ٢٧): الذي على المائدة اعظم من الذي يخدم، وهذا امر يعرفه الجميع! وتأتي للحال صورة المسيح الذي يستمد عظمته -ملوكيته- من الذي يخدم. ليس للوقا ولا شك ما يوازي المشهد اليوحناي لتغسيل الارجل (يو ١٣: ٤-١٧)؛ ومع ذلك، فان مثل الخدم الساهرين (١٢: ٣٦-٣٨) وضعنا بازاء سيد يخدم على المائدة. والخدمة التي يقدمها يسوع هي، بشكل اكثر جذرية، عطاء حياته، وسفك دمه من اجل البشر (راجع ٢٢: ١٩-٢٠). وهذه المناشدة، فيما تُضاف

الى تحذير سابق وجهه يسوع الى الرسل (راجع ١٧: ٥-١٠) كما الى الانتقادات المتكررة تجاه سلوكية الفريسيين في هذا الشأن (راجع ١١: ٤٣؛ ١٧: ٧)، فهي انما تشهد لآنية المشكلة المطروحة في ممارسة السلطة في قلب الجماعة الكنسية وما تثيره من منافسات!

وهوذا يسوع يعد بالتالي الرسل الذين سيقون معه دوما في محنه، بانهم سيشاركون في السلطة الملوكية التي سيوليه الله اياها في القيامة (آ ٢٨-٣٠). فيا له من وعد مدهش في الوقت الذي اعلن فيه تواً خيانة احد الاثني عشر، وسينبئ من ثم عن نكران بطرس! واذا خسر يهوذا حقه لصالح تلميذ جديد يُضم إلى الاثني عشر (رسل ١: ١٥-٢٦)، الا ان وضع بطرس يشير، مع ذلك، الى ان يسوع يقيّم الامانة على المدى الطويل. والوعد المضروب هنا لن يتحقق بشكل كامل الا في آخر الازمنة، حين سيشارك الاثنا عشر في المأدبة المسيحانية ويكونون جلساء المسيح الديان. وهذا الوعد يجد تحقيقه، بالفعل، منذ تنصيب يسوع الفصحى في زمن الكنيسة. فالرسل الذين تمتعوا بالميزة التي بموجبها يكونون قد اكلوا مع المسيح وشربوا معه بعد قيامته من بين الاموات (رسل ١٠: ٤١)، يصبحون، بحسب سفر الاعمال، قادة كنيسة اورشليم التي هي اسرائيل المولود جديدا. وان لفظة "تدينون"، يجب ان تؤخذ، في الواقع، بمعناها البيبلي: "تقودون، وتمسكون بالسلطة".

ففي هذا السياق الذي يُشدّد فيه على السلطة الرسولية، يتوجه يسوع الى سمعان بطرس (آ ٣١-٣٤). وعلى غرار كل الرسل، سيتعرض للتجربة وستكون امانته موضوع امتحان - ذلك ان الشيطان سوف يكثف عمله باتجاه الرسل (راجع ٢٢: ٤٠)، كما كان قد سبق ان عمل مع واحد منهم (راجع ٢٢: ٣). وبالتالي، فان بطرس سيسقط اكثر من الآخرين؛ الا ان صلاة يسوع نالت له ألا يكون سقوطه، عبر الانكار، سوى سقوط مؤقت، وألا ينال من ايمانه. اما ان يكون بمقدور بطرس ان يتراجع عن عدم امانته، فالفضل كله يعود الى صلاة يسوع، وليس الى قواه الذاتية. ومن هنا نتجت، بالنسبة له، مسؤولية: سترتب عليه، في قلب الجماعة الكنسية، ان يثبت ويسند ايمان المؤمنين. وهذه المهمة، سيحملها ايضا آخرون، سواء كانوا مرسلين من قبل الكنيسة، من امثال بولس وبرنابا (رسل ١٤: ٢٢) او انبياء مسيحيين (رسل ١٥: ٣٢). الا اننا نجد هنا آثار اسبقية منسوبة بسمعان بطرس سبق ان تم الاعلان عنها في ١٥: ١٠: فالشاهد الاول على الخبرة الفصحية (٢٤: ٣٤) سيكون الواعظ الرئيس في كنيسة اورشليم، والمبشر الاكثر دينامية في فريق الاثني عشر.

واضطر يسوع، بسبب الادعاء الذي تقدّم به بطرس (آ ٣٣)، الى الكشف عن نبوة النكران الشهيرة (آ ٣٤). انه ينبئ عن ان بطرس سينكر انه يعرفه - لا بل سينكره (٢٢: ٢٢):

٦١). وستذكر القارئ هنا التحذير الذي كان يسوع قد وجّهه الى الذي يكون قد انكره قدام الناس (٩: ١٢). اما الرسول فلن يكون مدّعيا مرة ثانية (على العكس من مر ٣١: ١٤).

ويُختم الخطاب بتوصية، في نبرة قائمة جدا، يقيم فيها يسوع تضادا بين عهدين: انه يستذكر بكلمة ذاك الزمن السعيد -وهو الربيع الجليلي- حين كان قد ارسل الاثني عشر في بعثة رسولية (٩: ٣-٤) وكذلك الاثني والسبعين (١٠: ٤-٨) من دون مؤونة البتة؛ ولم ينقصهم اي شيء، آنذاك، إذ كان هناك دوما، في قرية او اخرى، احد اصدقاء السلام ليقدم لهم مأوى وقوتا. وعلى النقيض من هذا الماضي، يعرض يسوع حاضرا مجبول بأزمة يتسع مداها في آلامه، وستطال ايضا بالتالي التلاميذ في حاضر الكنيسة، وهو مطبوع بالاضطهاد (راجع ٨: ١-٩؛ ٩: ١-٢). ولذلك نرى يسوع يغيّر جذريا التوصيات الرسولية التي سبق ان اعطاها. فالذين سيعاينون ملك الله ويعلمون ما يختص بالرب يسوع (رسل ٢٨: ٣١) سيتوجب عليهم ان يأخذوا شيئا من المال، إذ لن تُقدّم لهم الضيافة؛ لا بل سيترتب عليهم ان تكون لهم حقيقية، إذ سيرفض الناس ان يبيعوا لهم ما هو ضروري. وستكون الازمة على درجة من الخطورة بحيث سيترتب على التلاميذ، عوضا عن العصا المعدّة للدفاع عن النفس -وقد سبق يسوع ان رفضها عليهم (٩: ٣)- ان يحملوا سيفًا دفاعيا، حتى ان حيازته ستكون اكثر حيوية من المعطف الذي لا غنى عنه، نهارا وليلا. والوضع الذي يُثار هنا، يمكن مقارنته مع المخاطر التي يتحدث عنها بولس في ٢ قور ١١: ٢٣-٢٧، وبالاحص **خطر السراق** خارج المدن، وقد يصعب علينا احيانا ان نتخيل مداه اليوم.

اما السبب، فتقدمه الآية ٣٧: المعارضة التي سيلقاها واعظو الانجيل ستكون شبيهة بالمعارضة التي لقيها يسوع: فهو سيكون شبيها **بالخارجين عن القانون**. ذلك انه، بصفته خارجا عن القانون، سيتلقى مصير العصاة (راجع ٢٢: ٥٢) والجرمين (٢٢: ٣٢). وشعاع الرجاء الوحيد يكمن في هذه الجملة: حين يرجع يسوع الى الاسفار المقدسة -وهي المرة الوحيدة في رواية الآلام برمتها- يؤكد ان هذه الازمة مطابقة للمخطط الالهي الخلاصي؛ انه، بتريده اش ٥٣: ١٢، يقدم نفسه، وإن بشكل خفي، بصفته خدام الله. ومع ذلك، يجب على التلاميذ ان ينتظروا القيامة كي يبلغوا الى الفهم (راجع رسل ٨: ٣٠-٣٥). **اما بالنسبة لي، فهي النهاية! ومن ثم، سيكون عليكم ان تبشروا وتلقوا الضربات...**

ويبلغ سوء التفاهم ذروته لدى الرسل الذين تحيلوا ان المعلم يريد ان يُعد نفسه للمقاومة المسلحة (آ ٣٨). اثم لم يفهوا ان الازمة التي تنقُص على ابن الانسان وتضع

حدا لرسالته، هي من قبيل مخطط الله، في الوقت الذي يستبق يسوع فيرى ان على التلاميذ ان يحملوا الكلمة الى اقاصي الارض (رسل ١: ٨)، بالرغم من المعارضة التي يلاقونها. ويبدو جواب يسوع هنا ساخرا ومكشوبا. فهو، بازاء سوء فهم التلاميذ "يرفض الافصاح بقدر اكبر، لانه يتحقق من ان عليه هو وحده ان يواجه مصيره. فلقد قال لهم ما كان يعتقد انه ضروري لاشعارهم بالازمة التي بدأت تلوح" (ج. أ. فيترماير).

في جبل الزيتون: صلاة وحن واعتقال (٢٢: ٣٩-٥٣)

- ٣٩ ثُمَّ خَرَجَ فَذَهَبَ عَلَى عَادَتِهِ إِلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ، وَتَبِعَهُ تَلَامِيذُهُ.
- ٤٠ وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ قَالَ لَهُمْ: ((صَلُّوا لِنَلَّا تَقَعُوا فِي التَّجْرِبَةِ)).
- ٤١ ثُمَّ ابْتَعَدَ عَنْهُمْ مِقْدَارَ رَمِيَةِ حَجَرٍ وَجَنَّا يُصَلِّي فَيَقُولُ:
- ٤٢ ((يَا أَبَتِ، إِنْ شِئْتَ فَاصْرِفْ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسَ... وَلَكِنْ لَا مَشِيئَتِي، بَلْ مَشِيئَتُكَ!))
- ٤٣ وَتَرَأَى لَهُ مَلَائِكٌ مِنَ السَّمَاءِ يُشَدُّونَ عِزْمَتَهُ.
- ٤٤ وَأَخَذَهُ الْجَهْدُ فَأَمَعَنَ فِي الصَّلَاةِ، وَصَارَ عَرْفُهُ كَقَطْرَاتِ دَمٍ مُتَخَثِّرٍ تَتَساقَطُ عَلَى الْأَرْضِ.
- ٤٥ ثُمَّ قَامَ عَنِ الصَّلَاةِ فَرَجَعَ إِلَى تَلَامِيذِهِ، فَوَجَدَهُمْ نَائِمِينَ مِنَ الْحُزْنِ.
- ٤٦ فَقَالَ لَهُمْ: ((مَا بِالْكُمْ نَائِمِينَ؟ قُومُوا فَصَلُّوا لِنَلَّا تَقَعُوا فِي التَّجْرِبَةِ)).
- ٤٧ وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذَا عِصَابَةٌ يَتَقَدَّمُهَا الْمَدْعُوُّ يَهُودًا أَحَدُ الْإِثْنِي عَشَرَ، فَدَنَا مِنْ يَسُوعَ لِيَقْبَلَهُ.
- ٤٨ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: ((يَا يَهُودًا أَبْقِبَلُهُ تُسَلِّمُ ابْنَ الْإِنْسَانِ؟))
- ٤٩ فَلَمَّا رَأَى الَّذِينَ حَوْلَهُ مَا أَوْشَكَ أَنْ يَحْدُثَ قَالُوا: ((يَا رَبِّ، أَنْضَرِبُ بِالسَّيْفِ؟))
- ٥٠ وَضَرَبَ أَحَدُهُمْ خَادِمَ عَظِيمِ الْكَهَنَةِ فَقَطَعَ أُذُنَهُ الْيُمْنَى.
- ٥١ فَأَجَابَ يَسُوعُ: ((دَعُوهُمْ! كَفَى!)) . وَلَمَسَ أُذُنَهُ فَأَبْرَأَهُ.
- ٥٢ ثُمَّ قَالَ يَسُوعُ لِلَّذِينَ قَصَدُوا إِلَيْهِ مِنْ عُظَمَاءِ الْكَهَنَةِ وَقَادَةِ حَرَسِ الْهَيْكَلِ وَالشُّيُوخِ: ((
- أَعْلَى لِيصَّ خَرَجْتُمْ تَحْمِلُونَ السُّيُوفَ وَالْعِصِيَّ؟
- ٥٣ كُنْتُ كُلَّ يَوْمٍ مَعَكُمْ فِي الْهَيْكَلِ، فَلَمْ تَبْسُطُوا أَيْدِيَكُمْ إِلَيَّ، وَلَكِنْ هَذِهِ سَاعَتُكُمْ! وَهَذَا سُلْطَانُ الظُّلَامِ!))

ما ان انتهى خطاب الوداع حتى تواصلت الاحداث عبر لوحة تجري في جبل الزيتون، تتألف من مشهدين. واذا لم يُذكر سوى هذا الاسم -دون التوضيح بانها الجتسمانية- فلكي يتاح التشديد على المفارقة بين التكريم الملوكي الذي حصل عليه يسوع

في هذا المكان، قبل قليل (١٩: ٣٦-٣٨)، والرفع القريب الذي سيتمه الاب في المكان عينه (راجع ٥٠: ٥١-٥٠؛ رسل ١: ٩، ٢١)، وبين اعتقاله الشبيه باعتقال لص (آ ٥٢).

في المشهد الاول، لم يكن الخصوم قد وصلوا بعد (آ ٣٩-٤٦). فباستثناء المكان، تعطي المقدمة (آ ٣٩) اشارتين. تذكر الاولى بان يسوع كان معتاداً ان يقضي الليل في هذا المكان (راجع ٢١: ٣٧)، وهو بالتالي المكان الذي يعرفه يهوذا. ذلك ان يهوذا كان يبحث عن المكان والساعة اللذين يمكنانه من تسليم المعلم الى السلطات في معزل عن الجمع (٢٢: ٦؛ راجع ١٩: ٤٨؛ ٢٠: ١٩)؛ وقد اقتصر هنا على التنويه إلى ذلك. اما المعلومة الثانية، فتكمن في ان التلاميذ حاضرون - وليس الرسل وحدهم - وقد وُصفوا بما يميزهم بشكل واضح: اهم يتبعون المعلم (راجع لو ٥: ٢٧-٢٨). اهم اولئك الذين يكونون قد ثبتوا دوماً معه في مِحْنِه (راجع ٢٢: ٢٨)؛ ولذلك لن يتم الحديث، لدى لوقا، لا عن تخل، ولا عن هرب (راجع مر ١٤: ٥٠). ومنذئذ، يجد القارئ نفسه مدعوًا الى "الاتباع" بالمعنيين... وتجدد الاشارة الى ان الثلاثي الرسولي - بطرس ويعقوب ويوحنا (٨: ٥١؛ ٩: ٢٨) - لم يأت ذكره هنا (قارن مع مر ١٤: ٣٣).

اما الصلاة ابان المحنة (آ ٤٠-٤٦)، فوظيفتها الرئيسية تقوم في تحريض التلاميذ ومسيحيي كل الازمنة على الاقتداء بالطريقة التي يتوجه فيها المسيح نحو الآب؛ وان تكرار الدعوة الملحة ذاتها، في البداية والنهاية (آ ٤٠، ٤٦)، يوضح ذلك جيداً. فبعد الامر "صلوا!" - وهو، باليونانية، وبكل وضوح، امر دائم، وليس وصية اعطيت بمناسبة هذا المساء الاخير - يكرر يسوع الطلبة الاخيرة من الصلاة التي علمها تلاميذه بشكل خاص (١١: ٤). فحين يمتحن الشيطان ثبات المؤمنين (راجع ٢٢: ٣١)، وحدها الصلاة الحارة تمنح القوة على تجنب السقوط تحت سلطان الشر، وعلى البقاء في الامانة ابان الازمة التي يتعرضون لها، وهي بمثابة امتحان لامانتهم. والاشخاص الذين يرد ذكرهم في سفر الاعمال، لن ينسوا ذلك قط (رسل ٤: ٢٣-٣١؛ ١٢: ١؛ ١٦: ٢٥+).

ولما كان يسوع نموذجاً للصلاة المسيحية، هوذا يعلمها بالكلام (آ ٤٠ ب، ٤٦ ب)، ولكن ايضا بالمثال (آ ٤١-٤٤). ولقد سبق لنا ان رأينا يصلي ابان الاوقات الكبرى من رسالته، ولا سيما على الجبل، كما هي الحال هنا (٦: ١٢؛ ٩: ٢٨). فصلاته الموجهة الى الآب (راجع ١١: ٢)، تبدأ بالتمني على الله كي يُبعد عنه المحنة والالم؛ ولدينا هنا ملحوظة كبرى: يسوع لا يرغب في الموت، ولا يشاء ان ينتحر! ويأتي من ثم قبول الارادة الالهية، عبر جملة معترضة هي الطلبة الثالثة من الصلاة الربية بحسب متى (٦: ١٠) - وهي غائبة عن لو ١١: ٢-٤. فنحن بازاء التأكيد الاساسي: المقصود هو ارادة الله، اي مخططه لخلاص

البشرية بأسرها، وليس قضاء اعتبارياً! ذلك ان خضوع يسوع النبوي - وقد كان على استعداد لمواجهة ما ينتظره الآب منه - انما هو تحمله مسؤولية تاريخ الخلاص.

والآياتان ٤٣ و ٤٤ اللتان ينفرد بهما لوقا - وهما غائبتان عن العديد من المخطوطات القديمة - تنتميان إلى صلب النص الانجيلي المتداول. وتلا صلاة يسوع، كما كانت الحال لدى عماده (راجع ٢١:٣-٢٢) وتجليه (٩:٢٨-٣١)، تجل سماوي هو بمثابة جواب لها؛ الا اننا هنا لسنا بازاء صوت الهى (خلافاً لـ يو ١٢:٢٧-٢٩). فان الله، كى يسند مرسله في استشهاده، ارسل اليه ملاكاً يشدد عزيمته، كما فعل من قبل مع ايليا (١ مل ١٩:٤-٨)؛ وهكذا نجدنا من جديد بازاء "نموذجية" تذكرنا بان يسوع هو النبي الاخير. وبعد ان استُجيب يسوع ولقي سنداً، لم يُعَفَ من الصراع الاليم - "التزاع" - الذي يلاقيه كل انسان لدى اقتراب الموت، وهكذا اصبحت صلاته اكثر حرارة. هناك عظة يهودية تتحدث، من وحي الاستشهاد، عن اولئك "المدافعين عن الشريعة، الذين يجاهدون حتى الموت، بثمر دمهم، وبثمر عرق نبيل" (٤ مقابيين ٧). قد يكون بوسعنا ان نقيم مقارنة محددة بين العرق والدم؛ علما بان الاختبارات الطبية هنا لا تعطي جواباً واضحاً. وان لفظة "مثل" تشير عادة الى ان الصورة المستخدمة ليست موافقة للواقع (راجع في ما يتعلق بالروح، ٢٢:٣؛ رسل ٢:٢-٣). ومهما يكن من امر، فان البعد الكريستولوجي للآيات ٤٢-٤٤ حاضر لا محالة، وهو مقترن، بمهارة، بالطابع التحريضي والتقوي العميق لمجمل المشهد.

وكان التلاميذ نائمين من شدة الحزن، وأتّبهم يسوع عليه (آ ٤٥-٤٦). ولقد حرص لوقا ألا يتحدث عن حزن يسوع (على العكس من مر ١٤:٣٤؛ متى ٢٦:٣٧-٣٨)، إذ ان اللفظة، بالنسبة له، توحى بالخيبة التي تسحق قوى الانسان (راجع ٢ قور ٧: ١١ وهي تضع تضاداً بين الحزن بحسب الله والحزن بحسب العالم). وهكذا، فان هذه الاشارة لن تبرر التلاميذ، كما يُخيّل غالباً للبعث. ذلك انهم لم يلتزموا بالنداء الى الصلاة؛ ونعاسهم الذي يعكس واقع رجال مقهورين يعبر عن عدم فهمهم لما سيجري.

ويرينا المشهد الثاني قدوم الخصوم (آ ٤٧-٥٣) الذين لا يُشخّصون في البداية: والشخص الوحيد الذي نشاهد، هو احد الاثني عشر على رأس العصاية! في مرحلة اولى، يتم لقاء بينه وبين يسوع (آ ٤٧-٤٨). ويتهيأ يهوذا ليحوّل علامة الحب الى حركة خيانية. وتجدر الملاحظة هنا الى ان هذه القبلة لم تكن علامة تشخيص (على العكس من مر ١٤:٤٤) طالما ان السلطات تعرف يسوع، وقد اشتهر منذ تعليمه في الهيكل. وهوذا المعلم يوقف يهوذا: كفى، كفى! وكما هي الحال في ٢٢:٢٢، يُضفي لقب ابن الانسان

معنى على الحياة الجبابة، بإدراجها، بشكل خفي، في مخطط الخلاص؛ فما سبق ان انبأ به يسوع، هوذا يتحقق.

في مرحلة ثانية يتم المشهد بين يسوع وتلاميذه (آ ٤٩-٥١). فالتلاميذ كلهم - وليس فقط ذاك المجهول الذي بادر الى الضرب (آ ٥٠)-، من خلال تساؤلهم بشأن المقاومة المسلحة، يستمرون في سوء التفاهم الذي كانوا قد أبدوه في ختام خطاب الوداع. لا ينقصهم الايمان حتما -فكما في ٢٢: ٣٨، نراهم يدعون يسوع "الرب"- غير ان مفهومهم المسيحاني لم يستوعب دوما موضوع الآلام؛ وكان بوسع الصلاة ولا شك ان تهَيَّئهم، اكثر من النوم، لقراءة ارادة الله في الاحداث! وهوذا يسوع يجيبهم بكلمة، ومن ثم بحركة. ولم يكن حديثه عن اللاعنف بمثابة موضوع مطلق، وانما ألا يفلتوا من الاستشهاد، كي يحققوا المخطط الالهي للخلاص (راجع آ ٤٢ب). وما هو يمارس للمرة الاخيرة سلطانه على صنع الخير وإجراء الشفاء (راجع رسل ١٠: ٣٨)، ولصالح عدو بالذات. وليس ثمة اية اعجوبة جرت منذ شفاء اعمى اريحا (١٨: ٣٥-٤٣)؛ إذ ان يسوع لم يصنع معجزة، لا في اورشليم ولا في هيكلها.

ويتوجه المعلم اخيرا الى الجمع (آ ٥٢-٥٣) وقد اصبح الآن مشخَّصا؛ فلسنا البتة بازاء اناس مرؤوسين (على النقيض من مر ١٤: ٤٣)، وانما بازاء السلطات ذاتها: **عظماء كهنة وقادة حرس الهيكل** (راجع ٢٢: ٤٤)) وشيوخ. انهم، اذن، اعضاء السنهدريم الذين يأخذون على انفسهم، لدى لوقا، مهمة الاعتقال الدينية! والكنية وحدهم غائبون هنا. كان يسوع، حتى هذا الوقت، حرا في حركته (راجع ٢٢: ٥٤ مقابل مر ١٤: ٤٦)، وسيد الاحداث، يفسرها بصفاء، مشددا -من اجل القارئ، وليس من اجل الخصوم الذين ليس بوسعهم ان يفهموا- على توافقها مع المخطط الالهي للخلاص. فهو يحتج على انه ليس **لصا** -اي واحدا من اولئك الثوار المسلحين، اعداء السلطة الرومانية المعلنين، وقد شاء الخصوم ان يمثّلوه بهم (راجع ٢٣: ٢، ٥، ١٤)؛ كما انه يذكر بان السلطات لم تجرؤ على اعتقاله في الهيكل حيث كان يتواجد يوميا (٢١: ٢٧أ). وهكذا، فان اختيار الساعة الليلية والمكان المعزول يوحيان بعمل شيطاني واضح. ذلك ان الصراع بين يسوع والشيطان، وقد اشتد منذ بدء الآلام (راجع ٢٢: ٣، ٣١)، يقترب من ذروته. فمنذ الآن، انه **سلطان الظلمة** الذي سوف يغطي الارض كلها (راجع ٢٣: ٤٤).

لدى السلطات الدينية: نكران بطرس وهساعة يسوع (٢٢: ٥٤ - ٢٣: ١)

٥٤ فقَبَضُوا عَلَيْهِ وَسَاقُوهُ فَدَخَلُوا بِهِ دَارَ عَظِيمِ الْكَهَنَةِ، وَكَانَ بَطْرُسُ يَتَّبِعُ عَنْ بُعْدٍ.

- ٥٥ وأوقدوا ناراً في ساحة الدَّارِ في وَسَطِهَا، وَقَعَدُوا مَعاً وَقَعَدَ بَطْرُسُ بَيْنَهُمْ.
- ٥٦ فَرَأَتْهُ جَارِيَةٌ قَاعِدًا عِنْدَ اللَّهَبِ، فَتَفَرَّسَتْ فِيهِ وَقَالَتْ ((وَهَذَا أَيْضًا كَانَ مَعَهُ!))
- ٥٧ فَأَنْكَرَ قَالَ: ((يَا امْرَأَةَ، إِنِّي لَا أَعْرِفُهُ)).
- ٥٨ وَبَعْدَ قَلِيلٍ رَأَتْ رَجُلٌ فَقَالَ: ((أَنْتَ أَيْضًا مِنْهُمْ!)) فَقَالَ بَطْرُسُ: ((يَا رَجُلُ، لَسْتُ مِنْهُمْ)).
- ٥٩ وَمَضَى نَحْوَ سَاعَةٍ فَقَالَ آخَرُ مُؤَكِّدًا: ((حَقًّا، هَذَا أَيْضًا كَانَ مَعَهُ، فَهُوَ جَلِيلِي)).
- ٦٠ فَقَالَ بَطْرُسُ: ((يَا رَجُلُ، لَا أَذْرِي مَا تَقُولُ))، وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ، إِذَا بِدِيكَ يَصِيحُ.
- ٦١ فَالْتَفَتَ الرَّبُّ وَنَظَرَ إِلَى بَطْرُسَ، فَتَذَكَّرَ بَطْرُسُ كَلَامَ الرَّبِّ إِذْ قَالَ لَهُ: ((قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ الدِّيكَ الْيَوْمَ، تُنْكِرُنِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ)).
- ٦٢ فَخَرَجَ مِنَ الدَّارِ وَبَكَى بُكَاءً مُرًّا.
- ٦٣ وَكَانَ الرَّجَالُ الَّذِينَ يَحْرُسُونَ يَسُخِرُونَ مِنْهُ وَيَضْرِبُونَهُ
- ٦٤ وَيُقَنِّعُونَ وَجْهَهُ فَيَسْأَلُونَهُ: ((تَنْبَأْ! مَنْ ضَرَبَكَ؟))
- ٦٥ وَأَوْسَعُوهُ غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الشَّتَائِمِ.
- ٦٦ وَمَا طَلَعَ الصَّبَاحُ، إِحْتَشَدَتِ جَمَاعَةٌ شُبُوحِ الشَّعْبِ مِنْ عُظَمَاءِ كَهَنَةِ وَكِنْيَةٍ، فَاسْتَحْضَرُوهُ إِلَى مَجْلِسِهِمْ
- ٦٧ وَقَالُوا: ((إِنْ كُنْتَ الْمَسِيحَ فَقُلْ لَنَا!)) فَقَالَ لَهُمْ: ((لَوْ قُلْتُ لَكُمْ لَمَا صَدَّقْتُمْ،
- ٦٨ وَلَوْ سَأَلْتُكُمْ لَمَا أَجَبْتُمْ.
- ٦٩ وَلَكِنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ سَيَجْلِسُ بَعْدَ الْيَوْمِ عَنِ يَمِينِ اللَّهِ الْقَدِيرِ)).
- ٧٠ فَقَالُوا جَمِيعًا ((أَفَأَنْتَ ابْنُ اللَّهِ إِذَا؟)) فَقَالَ لَهُمْ: ((أَنْتُمْ تَقُولُونَ إِنِّي هُوَ))،
- ٧١ فَقَالُوا: ((مَا حَاجَتُنَا بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الشَّهَادَةِ؟ فَقَدْ سَمِعْنَا نَحْنُ بِأَنْفُسِنَا كَلَامًا مِنْ فَمِهِ)).

٢٣ ١ ثمَّ قَامَتِ جَمَاعَتُهُمْ كُلُّهَا فَسَاقُوهُ إِلَى بِيلاطُسَ

تتألف رواية مثول يسوع امام السلطات اليهودية من ثلاث لوحات. تدور اللوحتان الاوليان ابان الليل: نكران بطرس الثلاثي (٥٤١-٦٢) والاهانات تجاه يسوع النبي (٦٣-٦٥)؛ واللوحة الثالثة في الصباح الباكر: جلسة السنهدريم (٦٦-٧١). وهكذا يختلف السيناريو اللوقاوي عن سيناريو مرقس حيث كانت هناك جلسات للسنهدريم عند عظيم الكهنة، احدهما -وقد تم التوسع فيها- جرت في الليل، والآخرى -مقتضبة جدا- في الصباح؛ كما يختلف عن السيناريو اليوحناي، وفيه أقتيد يسوع ليلا،

اولا، عند عظيم الكهنة حنان كي يطرح عليه اسئلة، ومن ثم عند عظيم الكهنة قيافا دون ان يمثل أمامه.

بطرس هو، اذن، في القلب من اللوحة الاولى (آ ٥٤-٦٢) حيث كان إعدادها (راجع آ ٣١-٣٤) قد اشار مسبقا الى اهميتها؛ ونسي بطرس الكلمات التي تبادلها، كما سنرى. فمنذ الآية الافتتاحية (آ ٥٤)، فيما أُقْتيد يسوع الى بيت عظيم الكهنة، في قلب المدينة، كان الرسول يتبع معلمه -تلك هي سمة التلميذ، راجع ٥: ٢٧-٢٨؛ ٢٢: ٣٩- ولكن عن بُعد... وفي فناء الدار حيث راح يتدفأ مع الخدم، تحدث معهم على ثلاث دفعات، مخلفاً ظهره ليسوع (آ ٥٥-٦٠). ومرة تلو الاخرى، وعلى دفعتين، انكر انه يعرف يسوع (آ ٥٧) وانه من بين تلاميذه (آ ٥٨). وهكذا سحب تضامنه مع المعلم كما مع سائر الرسل. وبطرس، في اجاباته الكاذبة، وكانت احداها موجهة الى خادمة، والاخرى الى رجل، قبل ضمينا وجهة نظر هذين الشاهدين: فأَنْ يكون مرتبطا بفريق يسوع، فذلك يستوجب اللوم، مما يعرضه الى تهمة الشريك في السوء. وبعد مضي ساعة، هوذا رجل آخر يؤدي الشهادة ذاتها، على غرار المرأة، مضيفا اليها دليلا (آ ٥٩): بطرس جليلي كما ان يسوع هو جليلي (راجع ٥: ٢٣-٦). الا ان التلميذ يدحض التهمة حتى انكر انه يفهم شيئا عن الموضوع. وهكذا يكون بطرس قد تعثر على ثلاث دفعات ابان المحنة التي كان عليه ان يمر بها (راجع ٢٢: ٣١). ومع ان لوقا تجنب القول بان بطرس حلف (على النقيض من مر ١٤: ٧١)، الا ان البنية المفخّمة للنكران الثلاثي الذي تم بمحضر شاهدين من الرجال (راجع تث ١٩: ١٥) تشير الى حسامة الفعل.

وتجعل الآيات ٦٠ب-٦٢ انذار الرب حاضرا، وقد تجدد عبر نظرتة. كما ان عبارة "الرب" التي تكررت مرتين في عين الآية لم ترد في مكان آخر من رواية الآلام. انها تشير إلى قدرة يسوع على الخلاص، وهي تستحث اهتداء الخاطيء. هوذا الرب يلتفت، وبنظرتة، يتخذ صياح الديك معنى لبطرس إذ يذكّره بالكلام الذي كان قد نسيه (راجع ٢٢: ٣٤)؛ ذلك ان الإنباء تحقق، عبر التأكيد على سمة يسوع النبوية. ومع ذلك، فان إنباء يسوع الآخر، حين كان سمعان قد اعترف بانه خاطيء (راجع ٥: ٨)، وقد اراده ان يصبح صيادا للناس (١١: ٥)... يبقى هو الآخر فاعلا ومحققا! وهكذا، فان صلاة يسوع (راجع ٢٢: ٣٢) تعمل، لا ألا يقع بطرس، بل ان يكون قادرا، بعد سقوطه، على الاعتراف بخطيئته، عبر بكائه، ولن يعود إليها، كي يتسنى له ان يمارس مهمته الرسولية. تلك هي قوة الاهتداء: فالذي انكر ربه غفر له (راجع ١٢: ١٠) وسيشهد له بقوة امام السنهدريم (رسل ٤-٥)، تماما كما سيصبح شاول المضطهد خادم الانجيل وشاهدا له (رسل ٢٦:

١٥-١٦). ذلك ان العلاقة بين يسوع وبطرس "بعد ان توقفت بالنسيان وترعزعت بالنكران، تُستعاد، اولاً، على صعيد الجسد [البكاء، الخروج من بيت عظيم الكهنة]، وفي الخفاء" (ج. ديلورم)، قبل ان تتجلى علناً في كرازة يوم العنصرة (رسل ٢).

وتقدم اللوحة الثانية الاهانات التي أُلحقت بيسوع على يد حراسه (آ ٦٣-٦٥). لقد كان بطرس بحاجة الى وقت ليتحقق من ان يسوع كان نبياً؛ والرجال الذين كانوا يجرسونه ادّعوا ذلك على الفور! اهتم شاءوا ان يلعبوا لعبة النبي/ الاحجية ليهزأوا به. ذلك ان مفهومهم عن النبوة هو من الخشونة بحيث لامس الكاريكاتير؛ هل رأينا في الكتاب المقدس تنبؤاً يتحقق في وقت اطلاقه بالذات؟ اهتم يجهلون ان تنبؤ يسوع عن ذاته ("يجب ان يهلك نبي في اورشليم"، ١٣: ٣٣) هو في طريقه الى التحقيق، كما جرى مع التنبؤ بشأن بطرس. وهوذا الحرس يشتمون يسوع (حرفياً: يحدّفون)؛ هل ستمنح لهم امكانية الاهتداء فيما بعد (راجع ١٢: ١٠)، كما مُنحت لبطرس؟ اما الآن، فهم لا يعرفون التعامل مع الحقيقة التي يدّعون المطالبة بها من يسوع النبي الذي كان صمته بمثابة تصديق على غياب تام للحوار.

اما اللوحة الاخيرة، فقوامها مقابلة السلطات اليهودية في صباح اليوم التالي (٢٢: ٦٦-٢٣: ١). هوذا يسوع يُنقل من دار عظيم الكهنة الى "الغرفة المنحوتة" في طرف الهيكل حيث تُعقد جلسات السنهدريم: الفرق الثلاث التي يتكون منها حاضرة (٦٦آ). وفي هذا المجلس الذي يطرح الاسئلة، ليس هناك من يرئس (انه عظيم الكهنة لدى مر ١٤: ٦١، ٦٣-٦٤)، ولا من يشهد (خلافاً لمر ١٤: ٥٨)؛ والشخص الوحيد المذكور هو يسوع.

كان الاستجواب في غاية الاقتضاب. ليس هناك اي تذكير بالنبوة العلنية التي اطلقها يسوع سابقاً بصدد خراب الهيكل والمدينة (راجع ١٩: ٤٤؛ ٢١: ٦؛ على العكس من مر ١٤: ٥٧-٥٨). فكل شيء يوحى بالكريستولوجيا؛ سؤال مضاعف يتعلق بشخص يسوع بالذات: مسيحانيته (آ ٦٧أ) وبنوّته الالهية (آ ١٧٠أ). وندرك ان الخصوم لا يبحثون عن الحقيقة الا ظاهرياً؛ واسلتهم لا تنتظر اجوبة حقيقية. ذلك ان هدفهم قد كشف: اهتم يترصدونه ليأخذوه بكلمة، فيسلموه الى قضاء الحاكم وسلطته (٢٠: ٢٠). فهم بصدد الرغبة في "سماع يسوع ينطق بشيء عن ذاته، وليس الاصغاء اليه. بمعنى قبول كلمة تحمل الحقيقة..." (ج. ديلورم).

وهوذا يسوع، من دون ان يناقش سلطة محاوريه، اخذ يفصح استحالة قيام حوار حقيقي معهم (آ ٧٦ب-٦٨). واذا اجاب مع ذلك الى سؤالهم، بتحويله، فلأنه يريد ان

يلزمهم بالاصغاء اليه. وهكذا، عوضاً عن ان يجيب عن صفته المسيحانية، نراه يتكلم عن ابن الانسان في صيغة جمعت بين دا ٧:١٣ ومز ١١٠:١. فهذا المزمور المسيحاني (راجع ٢٠:٤٢) يؤكد بان الملك الجديد يجلس، في الارض، عن يمين الله، اي في القصر الملكي الملاصق للهيكل. الا ان التذكير بابن الانسان بحسب دا ٧، حيث التنصيب يتم في السماء، فقد قلب الامور بشكل جذري: فبشكل حقيقي وليس صوري، سيجلس ابن الانسان عن يمين الله، مقلداً قدرة الله ذاتها. ذلك ان الزمن الذي افتتح (منذ الآن) هو الزمن الذي تتحقق فيه كل الإنبياءات السابقة عن ابن الانسان، الزمن الذي ينصف الله فيه يسوع منصباً اياه، عن يمينه، بصفة ابن الانسان؛ انه زمن الكنيسة بالذات، اي جماعة الذين يعترفون بحقيقة هذه الربوبية. وتجب الملاحظة هنا: الكلام يتعلق بتمجيد يسوع الفصحى، وهو على اهبة التحقيق، وليس بفكرة ان الذين يحكمون عليه اليوم سيرونه عائداً لإدانتهم يوم مجيئه (راجع مر ١٣:٦٢).

اما السؤال الثاني الذي خرج به اعضاء السنهدريم، فهو نتيجة منطقية لما سمعوه: "أفأنت ابن الله اذن؟" (٧٠٢). وهذا امر مدهش: كما كان الامر ابان البشارة الملائكية الى مريم، تأتي بنوة يسوع الالهية بعد ذكر مسيحانيته، مضية عليها عمقا جديدا هو سمة الايمان المسيحي (راجع ١:٣٢-٣٥). ويكون الخصوم قد اعطوا للعبارة المعنى الذي تعترف به كنيسة لوقا! وبسخرية، يرتضي يسوع بها وكأنه يقول لهم: لم ارغمكم على قولها! فلقد كنتم تنتظرون مني ان اعلن كرامتي، وهوذا، من دون وعيكم، نطقت بها شفاهكم. وهكذا ارفضت الجلسة بسرعة، ومن دون الحاجة الى دعوة شهود. ذلك ان اعضاء السنهدريم اعتبروا ان يسوع اجاب بالايجاب: وهذا يكفي لتبرير قرارهم برفع الملف امام سلطة الاحتلال الروماني (راجع ٢٠:٢٠). وتجدر الاشارة الى انه لم يكن في مثل يسوع امامهم اية تهمة بالتحديف (خلافاً لـ مر ١٤:٦٤) ولا اي حكم بالاعدام، ولا حتى مذكرة يكون يسوع بموجبه مستحقاً الموت (خلافاً لـ مر ١٤:٦٤). وانتهت الجلسة واقتيد يسوع الى امام ذاك الذي يمثل سلطة الاحتلال، وكانت له صلاحية قضائية. وهكذا سلّم ابن الانسان الى ايدي الوثنيين، كما سبق ان انبأ (راجع ١٨:٣٢).



لا تتعارض الرواية اللوقاوية مع ما نعرفه عن قوانين السنهدريم القضائية في قضايا الاجرام، طالما انها لم تعرض مشهد جلسة ليلية. وبالاخص، لما لم تكن الرواية تحمل اي حكم بالموت، بالمعنى القضائي، فهي لا تعرض للنقد لا السنهدريم الذي لم يعد يتمتع بصلاحية واسعة على اليهودية - وهي تحت الادارة الرومانية مباشرة - ولا النصوص التي

توصي بعقد جلستين منفصلتين في الليلة الواحدة، في القضايا الموجبة للموت. إلا أن المؤرخ، بالمقابل، سيلاقي صعوبة كبرى في الاعتقاد كيف أن السنهدريم توصل، بهذه السرعة وبالإجماع، إلى قرار تسليم يسوع إلى السلطة الرومانية (قارن مع رسل ٥: ٣٤+)؛ (٢٣: ٦-٩)؛ قد يكون بوسع المؤرخ على الأرجح أن يرى هنا اجتماع فريق مؤلف، بشكل رئيس، من عظماء كهنة وربما من شيوخ. إلا أن لوقا والأزائيين، في بنية رواياتهم، شاءوا أن يبرزوا مسؤولية السلطات الدينية المباشرة، بكل تياراتها.

وبقي أن نبحث عن الدوافع "القانونية" للحريمة. فلأخذ الأول الذي حفظه مرقس هو ما قاله يسوع، بالفعل، عن خراب الهيكل وضد الذين يخدمونه (وقد يضرون به). هؤلاء الذين كانوا يحصلون من هذه المؤسسة على مكائهم الاجتماعية، بحيث أن سلطاتهم ومحصولاتهم منه كانت تحتم عليهم أن يسكنوا هذا المشاعب الذي يهدد النظام. وهذا المأخذ الذي كان قد أُثير في ٢٠: ٢، لم يشأ لوقا أن يحتفظ به، هو أثر أن يركّز مثول يسوع أمام السلطات الدينية بصدد هويته - وهي التي تمهه بالأكثر. هذا المأخذ، سوف يستغله لوقا، بالمقابل، مع اسطفانس (رسل ٦: ١٣-١٤).

المأخذ الثاني هو أكثر اتساعاً ويحتوي المأخذ الأول. فلقد كانوا كثراً اليهود الذين، بين موت هيرودس الكبير (٤ ق.م.) وخراب أورشليم (٧٠ م)، طرحوا أنفسهم بصفتهم مرسلّي الله (راجع ٢١: ٨). ويميز فلافيوس يوسيفس بين "اللصوص" و"العصاة" الذين كثيراً ما طالب رؤسائهم بالملوكية المسيحانية، وبين الذين يسميهم "مضللين"؛ وكان كل من هؤلاء يدعي أنه نبي الأزمنة الأخيرة (راجع ثودس في رسل ٥: ٣٦)؛ والمصري في رسل ٢١: ٣٨). فيسوع، في نظر الأرستقراطية الدينية والعلمانية، بدا وكأنه "مضلل" أكثر من كونه مطالباً بالعرش، أو "نبياً كاذباً" كان بوسعه، على مثال كثيرين سبقوه، أن يثير بعض الفتن الشعبية المعارضة للنظام السائد - وهذا ما سوف يشرح من رواية لوقا لمشهد المحاكمة أمام بيلاطس، كما سنرى بعد قليل. ومن المحتمل أن تكون السلطات قد اكتشفت بوضوح أن الوجه الذي رسمه النبي يسوع عن الله ونادى به، يحمل في طياته خطراً كبيراً. وكان يكفي، في نظرهم، أن يسكنوا هذا الصوت كي يبددوا "حركة يسوع" كما زالت حركات أخرى من قبله...

لدى الحاكم الروماني وهيرودس: دعوى، حكر، اهانات (٢٣: ٢-٢٥)

٢ وَأَخَذُوا يَتَّهَمُونَهُ قَالُوا: ((وَجَدْنَا هَذَا الرَّجُلَ يَفْتِنُ أُمَّتَنَا، وَيَنْهَى عَن دَفْعِ الْجِزْيَةِ إِلَى قَيْصَرٍ، وَيَقُولُ إِنَّهُ الْمَسِيحُ الْمَلِكُ)) .

- ٣ فسأل بيلاطس: ((أَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ ؟)) فَأَجَابَ: ((هُوَ مَا تَقُول))
- ٤ فقال بيلاطس لِعُظَمَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْجُمُوعِ: ((لَا أَجِدُ فِي هَذَا الرَّجُلِ سَبَبًا لِاتِّهَامِهِ)).
- ٥ فقالوا مُلْحِنِينَ: ((إِنَّهُ يُثِيرُ الشَّعْبَ بِتَعْلِيمِهِ فِي الْيَهُودِيَّةِ كُلِّهَا، مِنْ الْجَلِيلِ إِلَى هَهُنَا))
- ٦ فلَمَّا سَمِعَ بيلاطس سَأَلَ هَلِ الرَّجُلُ جَلِيلِيٌّ.
- ٧ فلَمَّا عَرَفَ أَنَّهُ مِنْ وِلَايَةِ هِيرُودُسَ أَرْسَلَهُ إِلَى هِيرُودُسَ، وَكَانَ هُوَ أَيْضًا فِي أُورُشَلِيمَ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ.
- ٨ فلَمَّا رَأَى هِيرُودُسُ يَسُوعَ سُرَّ سُرُورًا عَظِيمًا، لِأَنَّهُ كَانَ يَتَمَنَّى مِنْ زَمَنٍ بَعِيدٍ أَنْ يَرَاهُ لِمَا يَسْمَعُ عَنْهُ، وَيَرْجُو أَنْ يَشْهَدَ آيَةً يَأْتِي بِهَا.
- ٩ فسأله بكلام كثير، أمّا هو فلم يجبه بشيء.
- ١٠ وكان عُظَمَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ يَتَّهَمُونَهُ بَعُنْفٍ.
- ١١ فاحتقره هيرودس وجنوده، وسخر منه فألبسه ثوباً برّاقاً، وردّه إلى بيلاطس.
- ١٢ وتصادق هيرودس وبيلاطس يومئذ وكانا قبلاً مُتَعَادِيَيْنِ.
- ١٣ فدعا بيلاطس عُظَمَاءَ الْكَهَنَةِ وَالرُّؤَسَاءَ وَالشَّعْبَ
- ١٤ وقال لهم: ((أَحْضَرْتُمْ لَدَيَّ هَذَا الرَّجُلَ عَلَى أَنَّهُ يَفْتِنُ الشَّعْبَ. وَهَذَا قَدْ حَقَّقْتُ فِي الْأَمْرِ بِمَحْضَرٍ مِنْكُمْ، فَلَمْ أَجِدْ عَلَى هَذَا الرَّجُلِ شَيْئًا مِمَّا تَتَّهَمُونَهُ بِهِ، وَلَا هِيرُودُسَ، لِأَنَّهُ رَدَّهُ إِلَيْنَا. فَهُوَ إِذَا لَمْ يَفْعَلْ مَا يَسْتَوْجِبُ بِهِ الْمَوْتَ فَسَأَعِاقِبُهُ ثُمَّ أُطْلِقُهُ)).
- ١٨ فصاحوا بِأَجْمَعِهِمْ: ((أَعْدِمْ هَذَا وَأَطْلِقْ لَنَا بَرَّابًا !))
- ١٩ وكان ذاك قد ألقِيَ فِي السَّجْنِ لِفِتْنَةٍ حَدَثَتْ فِي الْمَدِينَةِ وَجَرِيمَةٍ قَتَلَ.
- ٢٠ فحاطبهم بيلاطس ثَانِيَةً لِرَغْبَتِهِ فِي إِطْلَاقِ يَسُوعَ.
- ٢١ فصاحوا: ((اصْلِبْهُ، اصْلِبْهُ !))
- ٢٢ فقال لهم ثالثةً. ((فَأَيُّ شَرِّ فَعَلَ هَذَا الرَّجُلُ ؟ لَمْ أَجِدْ سَبَبًا يَسْتَوْجِبُ بِهِ الْمَوْتَ، فَسَأَعِاقِبُهُ ثُمَّ أُطْلِقُهُ)).
- ٢٣ فَأَلْحُوا عَلَيْهِ بِأَعْلَى أَصْوَاتِهِمْ طَالِبِينَ أَنْ يُصَلَّبَ، وَاشْتَدَّ صِيَاحُهُمْ.
- ٢٤ فقتضى بيلاطس بِإِجَابَةِ طَلِبِهِمْ.
- ٢٥ فَأَطْلَقَ مَنْ كَانَ قَدْ أَلْقِيَ فِي السَّجْنِ لِفِتْنَةٍ وَجَرِيمَةٍ قَتَلَ، ذَلِكَ الَّذِي طَلَبُوهُ، وَأَسْلَمَ يَسُوعَ إِلَى مَشِيئَتِهِمْ.

ثلاث لوحات ايضا تكوّن رواية الدعوى الرسمية. هوذا يسوع يمثل، اولاً، امام بنطيوس بيبلاطس ممثل سلطة الاحتلال الروماني، ويتحاور معه ومع السلطات اليهودية (آ ٢-٧). ومن ثم اقتيد امام الملك هيرودس حين بقي صامتا لم يقل كلمة واحدة (آ ٨-١٢). وبيلاطس، حين عاد اليه يسوع، اخذ يحاور عظماء الكهنة والرؤساء والشعب (آ ١٣-٢٥). الا ان هذه اللوحات الثلاث نجدتها موحدة بشكل وثيق عبر الخط الاحمر الذي يتخللها: الاعتراف ببراءة يسوع.

يُفتتح المثل الاول امام بيبلاطس (آ ٢-٧) **بالتهمة التي وجهتها اليه كل جماعة السنهدريم** (راجع آ ١). **والتهمة الموجهة هي ثلاث (آ ٢) وليس لها سوى علاقة غير مباشرة مع الاستجواب الذي جرى قبل قليل بشأن هوية يسوع.** لا شك ان صفة المسيحانية حاضرة هنا وهناك. ولكن، في الحالة الاولى، كان الجدل يدور مباشرة حول مشكلة كريستولوجية: علاقة يسوع بالله. اما هنا، فاعضاء السنهدريم يفسرون ما سمعوه ابان الاستجواب بعبارات سياسية: ما هي العلاقة بين يسوع، **مسيح ملك**، وبين قيصر سيد الامبراطورية الرومانية؟ اهم يتهمونه **بانه يفتن امة اليهود**؛ ويأخذون عليه، بشكل واقعي، معارضته **لدفع الضرائب** -وتلك نقطة حساسة جدا في نظر سلطات الاحتلال- ومنافسته **لقيصر**. اما القارئ، فهو على علم ببطلان هذه التهم. **يفتن الشعب؟ والسلطات اليهودية لم تكن قادرة ان تمسك على يسوع خطأ (٢٠: ٢٠)** ابان تعليمه في الهيكل؛ والخلاف بشأن الجزية يحمل تعليما واضحا في ما يتعلق بالتهمة الثانية (راجع ٢٥: ٢٥). اما بشأن المسيحانية، فقد حملت الإنباءات عن آلام ابن الانسان توازنا جديدا اضيف الى اعتراف بطرس (٩: ٢٠-٢٢)، وحرص لوقا كثيرا ألا يجعل من الدخول المسيحاني الى اورشليم حدثا سياسيا (١٩: ٣٥-٣٨).

وفيما بدا بيبلاطس وكأنه على علم ببطلان قهمة الجزية، نراه يتجاهلها ويسأل يسوع هل هو **ملك اليهود (آ ٣)**. وحين تلقى هذا الجواب **"هو ما تقول"**، ادرك ان الموضوع لا يتعلق بالملوكية السياسية، فقرر بالتالي بان المتهم ليس مذنباً. ومن ثم، لن يواصل الدعوى ولن يسأل يسوع قط: ذلك ان قناعته اعتمدت هذا الجواب وحده. وهكذا ختم المشهد الاول واسفر عن اعلان اول لبراءة يسوع (آ ٤) -بمحض من الشعب الذي بدا وكأنه الى جانب اعضاء السنهدريم. وان ما يهم لوقا كثيرا هو ان يبين بان يسوع وتلاميذه لا يشكّلون تهديدا للسلطة الامبراطورية: وسيكون لهذا المشهد ما يوازيه في التأكيد الثلاثي الذي سيطلقه المسؤولون الرومان في ما يتعلق ببراءة الرسول بولس (رسل ٢٣: ٢٩؛ ٢٥: ٢٥؛ ٢٦: ٣٠-٣٢).

اما الخصوم، فهم يلحون، مشيرين الى اتساع تعليم يسوع الجغرافي، وقد بدأ من الجليل (انظر الاطار: بدايات يسوع) حتى بلغ الى المدينة المقدسة. وان ذكر المقاطعة التي بدأ فيها الانجيل (راجع ٤: ١٤) مكن من الانتقال (آ ٥-٧) الى اللوحة التالية. ويغتنم بيلاطس وجود هيروودس انتيباس في اورشليم في عيد الفصح، على صعيد شخصي، وهو المسؤول عن هذه الامارة الخاضعة، اي الجليل (راجع ٣: ١): وهيروودس هو ايضا يمثل سلطة قضائية ذات صلاحية.

المشهد الثاني يجري بين هيروودس انتيباس، ابن هيروودس الكبير والتتراخس (امير الربع) على الجليل، وبين يسوع (آ ٨-١٢). فلقد أُعدّ لهذا المشهد منذ فترة طويلة، إذ ان الامير لم يكن **تائفا** اليوم، الى رؤية يسوع وتكوين فكرة عنه (راجع ٧: ٩-٩). وفعل "رأى" الذي سبق ان استخدم في ٩: ٩، نجده على ثلاث دفعات في ٢٣: ٨. فما يهم الامير هو ان يري آية يجترحها يسوع، اكثر من ان يسمع ما يقوله؛ فلقد كانت اسئلته خالية من المضمون: لذا لم يجب اليها يسوع. ويتذكر القارئ ان المعلم سبق ان رفض إجراء آيات على الطلب (راجع ١١: ١٦، ٢٩). وحينئذ اخذ هيروودس وجنوده يسخرون بالمتهم. واذا كان هناك، لدى عظيم الكهنة، اناس بدوا وكأهم بازاء نبي، الا ان الامير هنا اخذ يتعامل مع المتهم المحقر وكأنه مجسرة شخص ذي اهمية: لذا أُعيد متشحا بثوب براق.

ان وظيفة هذا المشهد الرئيسة لن تبرز الا في اللوحة التالية (راجع آ ١٥). فبالرغم من **الاهتامات العنيفة** التي اطلقتها السلطات الدينية، وقد رافقت المتهم عند هيروودس، فان هيروودس لم يُصدر اي قرار بالحكم عليه. كما ان لوقا، كل مرة يضع فيها هيروودس على المسرح، يعتني برسم ملامحه بصفة مضطهد للمعمدان (٣: ١٩-٢٠؛ ٩: ٩) وليسوع (١٣: ٣١؛ رسل ٤: ٢٧)؛ وهو هنا بالذات، يذكر الاحتقار والسخريات التي أُلحقت بالمتهم. ومع ذلك، اذا أُعيد يسوع الى بيلاطس، فذلك يعني ان هيروودس لم يجد عليه مأخذاً واعترف ضمنا ببراءته. وهذا المشهد هو ذو معنى على صعيد آخر. فلقد قام بيلاطس بمبادرة طيبة تجاه الامير التابع حين اعترف علنا بسلطته على الجليل. وقام الآخر باعادة المتهم اليه: إذ ان بيلاطس وحده يتمتع بحق اصدار الحكم في اليهودية. وهكذا اعترف كل منهما بسلطة الآخر، بحيث ان "براءة يسوع مكنت الحاكمين من الاعتراف المتبادل بسلطة كل منهما" (ج. ديپورم)، **ومن الصداقة** بينهما (آ ١٢). ففيما كان يسوع يعاني الآلام، حمل المصالحة الى اعدائه! واليكم الوظيفة الاخيرة في هذا المشهد: حين مثل يسوع، بالتتابع، امام السنهدريم وامام الملك اليهودي والحاكم الروماني، يكون قد استبق فرسم مسيرة بولس الذي سيمثل امام هذه السلطات الثلاث (راجع رسل ٢٣-٢٦)؛ ويكون هو اول من اختبر ما سبق وانبا به تلاميذه (راجع ٢١: ١٢).

في المشهد الثاني امام بيلاطس (آ ١٣-٢٥) يبلغ رفض مسيح اسرائيل ذروته، ما دام ان **عظماء الكهنة والرؤساء** تمتعوا، وللمرة الاولى، بمساندة الشعب، وليس الجموع فقط. ذلك ان الحاجز الذي كان يمنع السلطات اليهودية، حتى الآن، من العمل ضد يسوع (راجع ١٩:٤٧-٤٨؛ ٢٠:٦؛ ٢٠:٢٦؛ ٢١:٣٨) قد سقط بقوة: فشعب الله الذي في اورشليم يطالب بموت ذاك الذي أرسل إليها. "ليس بوسع احد ان يتجاهل الاحداث (راجع ٢٤:١٨) ويقول أن لا مسؤولية له البتة. ذلك ان مصير يسوع اصبح قضية تخص الجميع" (ج. ن. آيتي).

يبدأ هذا المشهد باعتراف علني، له براهينه، براءة يسوع (آ ١٣-١٦). فيبيلاطس اخذ يوجز مسار المحاكمة، مذكراً انه لم يجد ما يبرر الحكم، ولكنه اتبع علنا اصول المحاكمات القانونية. انه يستنتج بوضوح خلاصة اللقاء الذي كان لهيرودس مع المتهم: السلطة الجليلية لم تر من الضروري اتخاذ موقف قانوني ضد هذا الثائر المفترض. وهكذا تشهد السلطان القضائتان لبراءة يسوع. وتجدر الاشارة الى ان هناك شاهدين رسميين على هذه البراءة، كما تفرضه الشريعة (راجع تث ١٩:١٥). ومع ذلك، بلغت النتيجة ذروة الخطأ السياسي الجسيم: "سأعاقبه ثم اطلقه" (آ ١٦). لقد كان الجلد -وهو اول تلميح في رواية لوقا للآلام- محاولة جديدة من بيلاطس لاعفاء يسوع من حكم الموت (راجع ايضا يو ١٩:١-٥)، ولم يكن من ثم عذاباً يسبق الصلب بهدف إضعاف المحكوم عليه (في هذا المعنى، راجع مر ١٥:١٥). ولكنه ايضا يُعتبر اول ثغرة في موقف الحاكم. ذلك ان إخضاع الذي اعترف علنا ببراءته لعذاب السوط (راجع رسل ١٦:٢٢-٢٤؛ ٢٤:٢٢)، يعتبر اول تراجع. وفي الوقت ذاته نرى بيلاطس يتحدث عن "إطلاق سراح" يسوع. وهذه العبارة ذاتها سوف تقود الحاضرين الى المطالبة بـ"إطلاق" آخر.

لا وجود للآية ١٧ في انجيل لوقا. والترجمة اللاتينية (الفولكاتا)، مع المخطوطة التي كانت تُستخدم في القرن ١٦ -حين كان العهد الجديد قد قُسم الى آيات- أضافتا خطأ آية كانت تفسيراً لـ مر ١٥:٦ ["وكان في كل عيد يطلق لهم سجيناً اي واحد طلبوا"] وهكذا لم يكن في انجيل لوقا اي ذكر لهذه العادة (يوحنا ومتي) -وهي مجهولة في المصادر الاخرى- التي بموجبها يُطلق سجين في كل فصيح. لذا يتجنب الانجيلي الحديث عن سؤال بيلاطس بشأن ملك اليهود (مر ١٥:٩؛ يو ١٨:٣٩).

اما مقطع برأبا، فسوف يقود بيلاطس الى التصريح، للمرة الثالثة، براءة يسوع، وإن حمله مشهد برأبا بالتالي على اصدار قرار التنفيذ (آ ١٨-٢٥). ويلعب هذا المشهد

دورا نموذجيا للتأكيد على هذه البراءة، طالما انه شدد على عدم التوافق بين السلطات المختلفة. وهكذا يبرز بشكل فاضح، وعبر سخريه مأساوية، كذب السلطات الدينية وخلافاتهم: ففيما اهتم يسوع بالفتنة، نجد انها تطالب الآن، عبر صراخات عالية، باطلاق سراح مثير حقيقي للشغب، وهو قاتل ايضا، فيما تطالب بموت البريء (آ ١٨-١٩)! وهكذا يتضح بالاكتر زور الاتهامات الموجهة ضد يسوع ابان الجلسة الاولى من الدعوى (آ ٢٠، ٥). كما ان المقطع يسلط الضوء على المسؤولية التي يحملها كل سكان اورشليم الذين شاركوا في هذا الطلب المضاعف: صلب يسوع واطلاق المذنب؛ فهم، إذن، كما سيقول بطرس من بعد، **بمحضر من بيلاطس الذي كان قد عزم على تخليه سبيله، انكروا القديس البار، والتمسوا العفو عن قاتل** (رسل ٣: ١٣-١٤؛ راجع ١٣: ٢٨). ذلك ان اهل اورشليم، بمطالبتهم تخليه سبيل مجرم حقيقي، برهنوا على اهم لا يعرفون ان **يجدوا السلام**، ويميلون الى الثورة المسلحة ضد روما، وهي ستذهب بهم الى الهلاك (راجع ١٩: ٤٢+؛ ٢٣: ٢٨-٣١).

لقد عاش بيلاطس ايضا هذا التناقض (٢٠٠-٢٥). ففي الحوار الذي احتوته الآيات ٢٠-٢٢، كان دوره دور محام يدافع عن موكله اكثر منه دور الحاكم الذي يرئس المحكمة. انما السلطات اليهودية وسكان اورشليم هم الذين طالبوا بان يُخضع يسوع للعقاب الروماني الذي هو الصلب - وكانت الديانة اليهودية تستخدم الرجم (راجع ١٣: ٣٤؛ رسل ٧: ٥٨-٥٩). لقد كان فعل "صلب" غائبا عن إنباءات الآلام، وها هو يظهر هنا للمرة الاولى لدى لوقا. وفيما جاهر بيلاطس، للمرة الثالثة، ببراءة يسوع، كرر العبارة ذاتها: وهكذا نرى ان خاتمة آ ٢٢ هي عينها بالضبط في آ ١٦. ولما لم يعد لديه مبادرة اخرى، استجاب للضغط الصاعد وصادر القرار الرسمي (آ ٢٣-٢٤). ولوقا، فيما حدّد مجددا هوية برأبا القضائية، شدد على تناقض الحاكم الروماني الذي استسلم بسهولة، وقبل بجمانة ان يطلق سراح المشاغب، ويصدر الحكم بحق ذاك الذي اعلن هو ذاته براءته على ثلاث دفعات. لقد سلم يسوع الى ارادتهم. ويبدو كل شيء مرتبا لإعطاء الانطباع بان **عظماء الكهنة والمسؤولين** (راجع آ ١٣) هم الذين سيقودون يسوع الى العذاب ويرفعونه على صليب. وينبغي ان نتنظر آ ٣٦ كي نرى جنودا رومانيين يظهرن على مسرح الاحداث.



ان اعلان تبرئة يسوع الثلاثية على لسان بيلاطس كانت في خدمة اسلوب الدفاع اللوقاوي بتجاه قرائه اليونان-الرومان: كان ممثل السلطة الامبراطورية على اتم اليقين من

ان الجليلي لم يكن قط مذنباً تجاه القانون الروماني. فلقد صرح بذلك علناً، وسيفعل خلفاؤه الشيء ذاته، في سفر الاعمال، بشأن بولس. ذلك ان حركة يسوع لا غبار عليها؛ وعلى السلطات الرومانية ان تعلم بان ذلك هو توجه الكنائس في زمن لوقا.

الا ان هذا لم يمنع لوقا من ان يطرح آلام يسوع، في سفر الاعمال، من زاوية اخرى مكتملة. هوذا بطرس يؤكد بان اهل اورشليم تصرفوا عن جهل، كما تصرف رؤساؤهم من قبل (رسل ٣: ١٧). والجماعة الاولى، في صلاتها، ستضع "في حجة واحدة" المؤسستين القضائيتين اللتين كانتا وراء مقتل البريء: "تحالف حقا في هذه المدينة هيرودس، وبنطوس والوثيون وشعوب اسرائيل على عبدك القدوس يسوع" (رسل ٤: ٢٥-٢٧).

مسيرة العذاب، صلب يسوع وهوته (٢٣: ٢٦-٤٩)

٢٦ وَلَمَّا مَضَوْا بِهِ أَمْسَكُوا سِمْعَانَ، رَجُلًا قَيْرَوَانِيًّا كَانَ آتِيًّا مِنَ الْحَقْلِ، وَوَضَعُوا عَلَيْهِ الصَّلِيبَ لِيَحْمِلَهُ خَلْفَ يَسُوعَ.

٢٧ وَتَبِعَهُ جُمُهورٌ كَثِيرٌ مِنَ الشَّعْبِ، وَالنِّسَاءِ اللَّوَاتِي كُنَّ يَلْطَمْنَ أَيْضًا وَيُبْحَنَ عَلَيْهِ.

٢٨ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِنَّ يَسُوعُ وَقَالَ: «يَا بَنَاتِ أُورُشَلِيمَ، لَا تَبْكِينَ عَلَيَّ بَلِ ابْكِينَ عَلَيَّ أَنفُسِكُنَّ وَعَلَى أَوْلَادِكُنَّ،

٢٩ لِأَنَّهُ هُوَذَا أَيَّامٌ تَأْتِي يَقُولُونَ فِيهَا: طُوبَى لِلْعَوَاقِرِ وَالْبُطُونِ الَّتِي لَمْ تَلِدْ وَالنَّائِدِي الَّتِي لَمْ تُرْضِعْ!

٣٠ حِينئذٍ يَبْتَدِئُونَ يَقُولُونَ لِلْجِبَالِ:

اسْقِطِي عَلَيْنَا! وَلَا لَأَكَامَ: غَطِّينَا!

٣١ لِأَنَّهُ إِنْ كَانُوا بِالْعُودِ الرَّطْبِ يَفْعَلُونَ هَذَا، فَمَاذَا يَكُونُ بِالْيَابِسِ؟».

٣٢ وَجَاءُوا أَيْضًا بِائِثْنَيْنِ آخَرَيْنِ مُذْنِبَيْنِ لِيُقْتَلَ مَعَهُ.

٣٣ وَلَمَّا مَضَوْا بِهِ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يُدْعَى «جُمُجمَة» صَلَّبُوهُ هُنَاكَ مَعَ الْمُذْنِبَيْنِ، وَاحِدًا عَنْ يَمِينِهِ وَالْآخَرَ عَنْ يَسَارِهِ.

٣٤ فَقَالَ يَسُوعُ: «يَا أَبْنَاءَهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ». وَإِذِ اقْتَسَمُوا ثِيَابَهُ اقْتَرَعُوا عَلَيْهَا.

٣٥ وَكَانَ الشَّعْبُ وَأَقْفِينِ يَنْظُرُونَ، وَالرُّؤَسَاءُ أَيْضًا مَعَهُمْ يَسْخَرُونَ بِهِ قَاتِلِينَ: «خَلَّصَ آخَرِينَ، فَلْيَخَلِّصْ نَفْسَهُ إِنْ كَانَ هُوَ الْمَسِيحُ مُخْتَارَ اللَّهِ!».

- ٣٦ وَالْحُنْدُ أَيْضًا اسْتَهْزَأُوا بِهِ وَهُمْ يَأْتُونَ وَيَقْدُمُونَ لَهُ خَلَاً،
- ٣٧ قَائِلِينَ: «إِنْ كُنْتَ أَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ فَخَلِّصْ نَفْسَكَ!».
- ٣٨ وَكَانَ عُنْوَانُ مَكْتُوبٍ فَوْقَهُ بِأَحْرَفٍ يُونَانِيَّةٍ وَرُومَانِيَّةٍ وَعِبْرَانِيَّةٍ: «هَذَا هُوَ مَلِكُ الْيَهُودِ».
- ٣٩ وَكَانَ وَاحِدٌ مِنَ الْمَذْنِبِينَ الْمُعْلَقِينَ يُجَدِّفُ عَلَيْهِ قَائِلًا: «إِنْ كُنْتَ أَنْتَ الْمَسِيحَ، فَخَلِّصْ نَفْسَكَ وَإِيَّانَا!»
- ٤٠ فَاجَابَ الْآخَرَ وَأَنْتَهَرَهُ قَائِلًا: «أَوَلَا أَنْتَ تَخَافُ اللَّهَ، إِذْ أَنْتَ تَحْتَ هَذَا الْحُكْمِ بَعِيْنِهِ؟
- ٤١ أَمَا نَحْنُ فَيَعْدِلُ، لِأَنَّا نَنَالُ اسْتِحْقَاقَ مَا فَعَلْنَا، وَأَمَّا هَذَا فَلَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا لَيْسَ فِي مَحَلِّهِ».
- ٤٢ ثُمَّ قَالَ لِيَسُوعَ: «اذْكُرْنِي يَا رَبُّ مَتَى جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ».
- ٤٣ فَقَالَ لَهُ يَسُوعَ: «الْحَقُّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدُوسِ».
- ٤٤ وَكَانَ نَحْوُ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ، فَكَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى الْأَرْضِ كُلِّهَا إِلَى السَّاعَةِ الثَّاسِعَةِ.
- ٤٥ وَأَظْلَمَتِ الشَّمْسُ، وَأَنْشَقَّ حِجَابُ الْهَيْكَلِ مِنْ وَسْطِهِ.
- ٤٦ وَنَادَى يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَقَالَ: «يَا أَبَتَاهُ، فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي». وَلَمَّا قَالَ هَذَا أَسْلَمَ الرُّوحَ.
- ٤٧ فَلَمَّا رَأَى قَائِدُ الْمِئَةِ مَا كَانَ، مَجَّدَ اللَّهَ قَائِلًا: «بِالْحَقِيقَةِ كَانَ هَذَا الْإِنْسَانُ بَارًّا!»
- ٤٨ وَكُلُّ الْجُمُوعِ الَّذِينَ كَانُوا مُجْتَمِعِينَ لِهَذَا الْمَنْظَرِ، لَمَّا أَبْصَرُوا مَا كَانَ، رَجَعُوا وَهُمْ يَفْرَعُونَ صُدُورَهُمْ.
- ٤٩ وَكَانَ جَمِيعٌ مَعَارِفِهِ، وَنِسَاءً كُنَّ قَدْ تَبِعْنَهُ مِنَ الْجَلِيلِ، وَاقِفِينَ مِنْ بَعِيدٍ يَنْظُرُونَ ذَلِكَ.

الغموض الذي يلف الرواية يجعلنا نعتقد بان المسؤولين اليهود قادوا يسوع الى مكان العذاب (٢٦١). اما تاريخيا، فلم يكن الامر ولا ريب بهذا الشكل؛ الا ان الهدف هو التأكيد على مسؤولية السلطات الكبرى. اما تسخير احد المارة -ويبدو الحدث مبتدلا في حد ذاته- لمساعدة محكوم عليه، منهُك، على حمل الخشبة الوسطى من اداة الصلب، فقد اضفي عليه بُعد هو احدى سمات الكتابة اللوقاوية. فسمعان القيريني، بحمله الصليب خلف يسوع، كان اول من حقق ما ينتظره المعلم من تلاميذه (راجع ٢٣:٩؛ ٢٧:١٤)، لا بل اول من قام بدرب الصليب!

والخطاب الذي وجهه يسوع، في الطريق، الى الباقيات (٢٧٧-٣١) مواز الى حد كبير للانتحاب الذي سبق ان قام به تجاه اورشليم (راجع ٤١:١٩-٤٤)، لا بل يذكر به. وكما كانت اقامته في المدينة قد افتتحت بويل تجاهها، هكذا كانت خاتمة الاقامة مطبوعة بتنبؤ جديد يتحدث عن عقابها. ونجدنا بازاء مقدمة سردية وجيزة تذكر بان جمعا

كثيرا من الشعب تبعه، ومن نساء. وفيما تسكت الرواية عن اولئك الذين هم تلاميذ منذ زمن طويل، وكانت سمتهم "اتباع" المسيح (١١:٥، ٢٧-٢٨)، نرى، بالمقابل، جزءا كبيرا من الشعب، في موقف هو بالتالي ذو مغزى (راجع ٩:٧ و ١١:٩)؛ وهكذا نرى، في الواقع، ان الشعب، بعد تعثره الخشن الذي قاده الى المطالبة بموت يسوع، هو الآن في طريقه الى "النهوض"، وقد ادرك خطيئته.

ويتوجه يسوع الى الباقيات -وتلك مهنتهن- اللواتي يستيقن فيرفعن اصوات الانتحاب الجنائزي على المحكوم عليه بالموت؛ وبدوره يستيق يسوع فيرفع صوت النوح الحزين على اورشليم. انه يوصي بنات اورشليم بان يكنّ هن واولادهن موضوع النوح (آ ٢٨)، مبيّنا السبب (آ ٢٩): عمّا قريب، سوف يقال للنساء اللواتي لن ينجبن: هنيئا! ففي مجتمع كان يعتبر فيه العقر لعنة، لا يمكن ان ننسب انقلاب القيم الذي يؤكّد عليه يسوع الى مجيء الملكوت (قارن مع ٦: ٢٠-٢٦)، وانما الى الكارثة التي سوف تحلّ بالمدينة. وهذه الطوبى يجب ان نضعها في تواز مع الويل المعبر عنه في ٢٣:٢١ الذي يهدد النساء الحوامل واللواتي سيكنّ مرضعات ابان حصار اورشليم. فالى جانب الطوبى، يبدو المرجع الضمني من هوشع ٨:١٠ بمثابة طريقة اخرى للتعبير عن المأساة المهذّدة (٣٠٢): فالأولى ان يكون المرء مدفونا، من ان يعيش الاحداث البشعة التي ستكون نصيب سكان اورشليم. ويختتم يسوع بحكم مصوّر يكشف عن سبب الكارثة المعلن عنها (٣١٢): اذا كان عذاب كعذاب الصلب قد طال مرسل الله البريء الذي ما انفك يعمل ارادة الله، فكم سينال العذاب اولئك المذنبون الذين نبذوه وسلموه للعذاب!

أما صلب يسوع (٣٢٢-٣٤) على صخرة صغيرة في شكل جمجمة، فلم يُذكر الا بكلمة؛ ولا نجد رواية للحدث. لا نعلم، على سبيل المثال، اذا كان الحكوم عليه قد سُمّر او رُبط بحبال. ذلك ان لوقا لا يحتفظ الا بتفاصيل تحتوي معنى خفيا. وان وجود مجرمين يحقق قولاً كتابيا اول كان يسوع قد فاه به بشكل نبوي في نهاية خطابه بعد العشاء (٢٢: ٣٧): "أحصي مع الاثمة" (اش ٥٣: ١٢). وسيذهب لوقا من ثم الى الكلام عن مجرمين آخرين مع يسوع، وقد صُلب بينهما. اما اقتسام الثياب، في مرتبة ثانية، فهو يتم مز ٢٢: ١٩. ويترتب، إذن، على القارئ ان يكتشف في هذا المصلوب، عبد يهوه الذي تحدث عنه اشعيا، والبار المتألم الذي يتحدث عنه الزمور. والتفصيل الاخير، هي صلاة يسوع الى ابيه كي يغفر للسلطات اليهودية؛ وفي ذلك، نجد موقفا يترتب على المؤمن ان يتعلم الاقتداء به، كما هي الحال مع اسطفانس (رسل ٧: ٦٠). ويسوع، حين يشير الى جهل صالبيه، فهو لا يبرؤهم من فعلهم؛ وانما يعلم تلاميذه بان الله، بعد الفصح، سيعمل من خلال كرازتهم كي ينتصر على هذا الجهل ويدعو القتلة الى الاهتداء. وسيقول بطرس

يوم العنصرة: "اني اعلم ايها الاخوة، انكم عملتم ذلك بجهالة وهكذا رؤساؤكم ايضا... توبوا وارجعوا لكي تمحي خطاياكم" (رسل ٣: ١٧-١٩؛ راجع ١٣: ٢٧).

وتأخذ السخريات التي تجري صيغة تجربة ثلاثية (آ ٣٥-٤٣). ولكن هناك، من قبلها، ذكراً للشعب الذي كان ينظر -وتلك اشارة الى اتمام مز ٢٢: ٨، تماماً كما هي السخريات. وهوذا الفصل بين الشعب ومسؤوليه يتم من جديد، مبنياً بشعوره بخطيئته (راجع ٢٣: ٤٨). اما الرؤساء اليهود، ومن ثم الجنود الرومان، فقد وجدوا طريقتهم، هي طريقة الشيطان في التجربة الاولى: "إن كنت ابن الله، فأظهر ذلك بمعجزة!" (٤: ٣، ٩). فالرؤساء ينادونه: **مسيح الله، المختار، والجنود: ملك اليهود** -وهذه القراءة الوثنية والسياسية (راجع ٢٣: ٣)، هي التي أثبتت في الكتابة على الصليب. وكلا الفريقين يفرضان على يسوع ان يبرهن على مسيحيته، مطالبينه بأن يكون هو نفسه المستفيد من الخير المسيحي الاكبر: الخلاص. ألم يشأ ان يوطد مسيحيته بالعمل على **خلاص سائر البشر؟** ولو سقط يسوع في هذه التجربة لكان هدم المخطط الالهي للخلاص الذي يمر عبر آلام ابن الانسان (راجع ٩: ٢٢). وكما كانت الحال سابقا في الصحراء، رفض يسوع ان يستخدم سلطانه لمنفعته الخاصة؛ انه أبعد الجريين بصمته. واخذ احد المجرمين بدوره، يردد القول ذاته، ولكنه اضاف الى "**خلص نفسك**" عبارة "**وخلصنا!**". وهل يمكن للمسيح ان يرفض خلاص أحد؟ الا ان هنا، هذه المرة، مشكلة، إذ ان "يسوع لا يستطيع ان يبين انه المسيح الا بممارسة قدرته على الخلاص" (ج. ديون).

اما المجرم الآخر، فكان له موقف آخر. انه يعترف بجرمه (آ ٤١ أ) معبراً بذلك، بشكل ضمني، عن توبته، فانضمّ من ثم الى لائحة "الشهود" على براءة يسوع (آ ٤١ ب)؛ فهذا المجرم اليهودي، وهو على عتبة الموت، ينضم الى الحاكم الروماني والى امير الجليل. وفيما هو يخاطب يسوع، نراه يصادق على ما تشير اليه الكتابة على الصليب؛ انه يعترف بمسيحيته، ولكنه يعتبر ان قدرته على الخلاص ستتجلى في آخر الازمنة، ابان المحيء (آ ٤٢). وفي الوقت الذي فيه يتقبل يسوع صلاته بشكل احتفالي ("**الحق اقول لك...**"), يصحح له هذه النقطة الاخيرة (آ ٤٣): **اليوم بالذات سوف يفتح موت المسيح الخلاص المسيحي.** ذلك ان المجرم، المؤمن والتائب، سوف يدخل مع يسوع الى الفردوس (راجع تك ٢: ٨)، هذا المكان الموسوم بشجرة الحياة، والتي سيرثها، لدى موتهم، اولئك الذين سيخدمهم الله ابرارا. فالمهم هو ان نكون مع المسيح، إذ حيث يكون المسيح، فهناك الملكوت، على حد تعبير القديس امبروسوس. "وهكذا اجاب يسوع الى التحدي الذي أُطلق بوجهه: فلقد خلص شخصا، لا باعفائه من الموت الزمني، بل يجعل هذا الموت عبورا الى الحياة الحقة والى السعادة الحقة" (ج. ديون).

ولما كانت كلمتا يسوع الاخرين على الصليب نورا للمسيحي الذي يُدعى، ابان موته، إلى ان يقتدي برّبه، اصبح بوسع هذا الحوار ان ينبر ايضا المؤمن الذي، عشية حياته، يعترف بانه خاطئ: فلينادِ يسوع كي يذكره يسوع هو ايضا!

وتذكر رواية موت يسوع (آ ٤٤-٤٩)، اولا، ظاهرتين كارثيتين من شأنهما ان تعطيا المعنى العميق غير المرئي عن هذا الحدث الخارق. فلسنا بازاء كسوف شمس، ابان الفصح، طالما ان العيد يقع لدى اكتمال البدر؛ وبالمقابل، فان الظلام المخيم في قلب الظهيرة، انما هو احدى العلامات الكونية التي تطبع الديونة الالهية في آخر الازمنة (راجع خر ١٠: ٢٢، عا ٨: ٩). ولن نتساءل قط، وبأولى حجة، عن اي حجاب يجري الحديث: هل هو الحجاب عند مدخل المقدس، ام الحجاب الذي يخفي قدس الاقداس. ولكن كيف نفهم الصورة الواردة في آ ٤٤-٤٥؟ المقصود هو ان الازمنة الاخيرة قد اتت مع موت المصلوب، وهي تمكّن البشر من البلوغ مباشرة الى الله، دون المرور بعبادة الهيكل، وهي وقف على اليهود وحدهم (راجع عب ١٠: ١٩-٢٠). ومثل هذه القراءة التي تصح في انجيل كانجيل متى، لا مكان لها هنا: فالتمزيق مرتبط بذكر الظلمات، بحيث أدرج قبل الصرخة الاخيرة. لا سيما وان لوقا لا يهتم كثيرا بالمعنى الخلاصي لموت يسوع؛ لذا فان الظاهرتين تشيران الى ان سيطرة **الظلمة**، اي قوى الشر، بلغت ذروتها (راجع ٢٢: ٥٣)؛ وان تمزيق حجاب الهيكل هو الآخر، علامة نبوية تعلن عن خراب الهيكل (راجع ٢١: ٥-٦).

وتوجه يسوع المنازع، مرة اخرى، الى الآب من خلال مزبور. فليس هو مز ٢٢: ٢ (راجع مر ١٥: ٣٤) الذي يعبر عن تخلّ الهي كان يصعب جدا على مسيحي من اصل وثني ان يرى يسوع يفوه به، سيما وانه لا يعرف نشيد الرجاء الذي يختم المزمور. اما مع المزمور ٣١: ٦، فنرى يسوع يستسلم الى الارادة الالهية: فالذي أُسلم في ايدي الناس (راجع ٩: ٤٤) **يسلم روحه**، اي حياته بين يدي الله. ذلك ان الثقة التي بها وضع المصلوب ذاته، في التجاوب مع الهه، تصبح نموذجا يحتذى. واسطفانس، وهو الشهيد الاول بعد يسوع، سيتبنى هذه الصلاة مع تغيير ذي مغزى: "**ايها الرب يسوع، إقبل روحي**" (رسل ٧: ٥٩).

ويتوقف الظلام؛ انما ساعة **الرؤية والتأمل**. هوذا قائد المئة، الشاهد الجديد على براءة يسوع، يرى في الطريقة التي مات بها يسوع ما يحمله على الاعتراف، بالشكر، بقدره الله، ويبلغ الى الموقف الذي كان للرعاة ابان الميلاد (٢: ٢٠) - فأن يكتب لوقا هنا ان "**هذا الرجل كان باراً**" عوضا عن "**هذا الرجل كان ابن الله**" (راجع مر ١٥: ٣٩)، فذلك يبرهن كثيرا على الاهمية التي يعلقها على موضوع البراءة وعلى الدفاع عن الايمان، يطلقه باتجاه قراء من العالم اليوناني الروماني. ومقابل براءة يسوع تبرز يقظة الضمير لدى

الجموع، وقد أثارها التأمل في ما حدث. فبعد ان ادركت الجموع جيدا انها قامت بفعل جبان حين طالبت، مع السلطات الدينية، بإعدام هذا البار، هيذي تقوم بفعل يفوق شعور الحزن على المصلوب، كما فعلت بنات اورشليم في آ ٢٧؛ ذلك ان حركة الجموع (راجع ١٨: ١٣) افتتحت توبتها وندامتها.

اما اصداقاء يسوع من الذكور، فقد كانوا واقفين عن بُعد، تماما كما كان بطرس ابان تلك الليلة (راجع ٢٢: ٥٤). وهذه اللفظة غامضة عن قصد لتشمل التلاميذ الذين، في الرواية اللوقاوية، لم يهربوا خارجا من اورشليم؛ فلا احد منهم كان مستعدا الى ان يدفع الثمن لقاء تعلمه. وهناك نساء تلميذات، يختلفن بوضوح عن نساء اورشليم (راجع ٢٣: ٢٧-٢٨)، وكان اسمهن ودورهن قد أوضح في رواية الرسالة في الجليل (راجع ٨: ٢-٣)، يلعبن الآن دورا جديدا: فهن اللواتي ينظرن ذلك ويصبحن من ثم شاهدات على موت يسوع وعلى الاحداث التي تلتها.

دفن يسوع: يوسف من الرامة والنساء (٢٣: ٥٠-٥٦)

- ٥٠ وَإِذَا رَجُلٌ اسْمُهُ يُوسُفُ، وَكَانَ مُشِيرًا وَرَجُلًا صَالِحًا بَارًّا .
- ٥١ هَذَا لَمْ يَكُنْ مُوَافِقًا لِأَرْبِهِمْ وَعَمَلِهِمْ، وَهُوَ مِنَ الرَّامَةِ مَدِينَةِ الْيَهُودِ. وَكَانَ هُوَ أَيْضًا يَنْتَظِرُ مَلَكُوتَ اللَّهِ.
- ٥٢ هَذَا تَقَدَّمَ إِلَى بِيلاطُسَ وَطَلَبَ جَسَدَ يَسُوعَ،
- ٥٣ وَأَنْزَلَهُ، وَلَفَّهُ بِكَنَانٍ، وَوَضَعَهُ فِي قَبْرِ مَنَحُوتٍ حَيْثُ لَمْ يَكُنْ أَحَدًا وَضِعَ قَطُّ.
- ٥٤ وَكَانَ يَوْمُ الاسْتِعْدَادِ وَالسَّبْتِ يُلُوحٌ.
- ٥٥ وَتَبِعَتْهُ نِسَاءٌ كُنَّ قَدْ أَتَيْنَ مَعَهُ مِنَ الْجَلِيلِ، وَنَظَرْنَ الْقَبْرَ وَكَيْفَ وَضِعَ جَسَدُهُ.
- ٥٦ فَرَجَعْنَ وَأَعَدَدْنَ حَنُوطًا وَأَطْيَابًا. وَفِي السَّبْتِ اسْتَرَخْنَ حَسَبَ الْوَصِيَّةِ.

تشير ضمناً رواية الدفن (٥٠-٥٤) الى غياب التلاميذ (قارن مع مر ٢٩: ٦ حين عثي تلاميذ المعمدان بجثمانه). والدفن في القبر سوف يكون فعل شخص جديد يدخل في الرواية، هو يوسف من الرامة. فما عدا مكان سكناه الجغرافي، هناك سمتان تميزانه (٥٠ آ-٥١). لقد كان ذاك الذي يحفظ الشريعة صالحا وبارا، وكان ينتظر ملكوت الله يتجلى؛ انه، إذن، يهودي تقى يذكرنا، عبر هذه الصفة، بسمعان الشيخ (راجع ٢: ٢٥) وباولئك

الذين كانت حنة (النبية) تتوجه اليهم (راجع ٣٨:٢). وهو، من جهة اخرى، بالرغم من كونه عضوا في السنهدريم، لم يكن موافقا على قصد زملائه (راجع ٤:٢٢-٥؛ ٢٢:٧١) ولا على افعالهم (راجع ١:٢٣)؛ والرواية ذاتها تضعنا امام "نسبية" ذلك الاجماع الذي تم الحديث عنه آنذاك! ويسجل لوقا فقط الطلب الذي تقدم به الى بيلاطس، دون الجواب (آ ٥٢)، كما لو ان الجواب ينتج منطقيا من موقف الحاكم لصالح يسوع، من دون المبالغة بشأن حسن ارادته...

هوذا جسد يسوع يُتْرَل عن الصليب، ويُلَفّ في كتان؛ ولكن ليس هناك ذكر لغسل جنازتي او تطيب (على النقيض من يو ١٩:٤٠). ويشير لوقا الى انه يوم التهيئة - وكان يوم جمعة - لدى مغيب الشمس، حين "يُسْتَقْبَل" السبت (آ ٥٤)، ليشرح من ثم لماذا أُختصر الطقس الجنائزي، لا بل يُتْر. لا ريب ان الجسد لم يُلقَ في الحفرة الجماعية، وبذلك يكون قد افلت من مصير المجرمين، كما أُنبئ بذلك في ٣٧:٢٢ وتم في ٢٣:٣٢-٣٣. فلقد وُضِع في قبر لم يكن قد وُضِع فيه احد. وهذا التفصيل ليس تكريما، بل فيه شيء من التحقير، إذ لم يكن بوسع مصلوب ان يوضع في قبر يستريح فيه "ابرار": لكان دفنه نجاسة لعظام هؤلاء الابرار! اما نوع القبر الذي نحن بصدده، فقد توضح عبر عبارة "محفور في الصخر"؛ ولوقا، خلافا لـ مر ١٥:٤٦، لم يهيبى موضوع الحجر المدحرج (راجع ٢٤:٢).

في آ ٥٥ يأتي مجددا موضوع النساء الشاهدات، وقد وُصِفن من جديد بانهن تلميذات منذ الرسالة في الجليل (راجع آ ٤٩). فهن اللواتي سيكون بمقدورهن ان يشهدن على نقطة جوهرية: القبر الفارغ هو عين القبر الذي كان قد وُضِع فيه جسد المصلوب. انهن ينظرن ايضا كيف وُضِع فيه جثمانه؛ وان غياب الحنوط سيقودهن الى إعداد ما هو ضروري لمعالجة الموقف (آ ٥٦). وعبر هذه الاشارة، سنكون مسبقا بازاء دافع لحيثهن الى القبر غداة السبت، انهن يحافظن على راحة السبت، إذ ان شعائر التكريم الاخيرة لجثمان يسوع، مع كونها هامة، ليست في مستوى خلاص انسان يوم السبت، كما في روايات الشفاء (راجع ٦:٩؛ ١٣:١٥-١٦؛ ١٤:٣-٥). وكانت التقاليد الرايبنية تسمح ولا شك بغسل الميت وتطيبه (راجع ميشنا، السبت ٢٣، ٥)؛ ويُحتمل ان لوقا كان يجهل هذا التقليد. وهكذا، عبر استخدام الوقت الذي يجري بين موت يسوع وحتى اكتشاف القبر فارغا، صباحا، يبدو هدف الحديث، قبل كل شيء، التأكيد بأن ليس هناك فاصل في استمرارية الرواية: فالمصلوب هو ذاته الذي يقوم.

الثالث: القيامة

(لو ٢٤: ١-٥٣)

سواء كانت كل المقاطع من لو ٢٤ تجري أحداثها في اورشليم او في ضواحيها، فلقد جمعت في يوم واحد (منذ الصباح الباكر، آ ١؛ في اليوم ذاته، آ ١٣، وللحال، آ ٣٣؛ وبينما هما يتكلمان، آ ٣٦؛ ثم، آ ٥٠). **واليوم الاول من الاسبوع هو اليوم الثالث الذي انبأ به المسيح (راجع ٩: ٢٢).** وان وحدة المكان هي مثيرة للدهشة، بينما متى ٢٨ ويو ٢١ يضعان في الجليل تراثي القائم، ويضرب الملاك عند القبر، في مر ١٦: ٧، موعدا في الجليل حيث يجري هذا التراثي (او "كريستوفونيا" = تجلي المسيح، كما حين نتكلم عن "تنوفانيا" = تجلي الله). وان اهمال لوقا لكل تراء في الجليل يُفسَّر بكون اورشليم، في نظره، المكان الاكثر رفعة فيه يجد المخطط الالهي للخلاص ورسالة يسوع اكتمالهما (راجع ٩: ٣١، ٥١). وهكذا فان "وحدة العمل" ليست غائبة. فالجماعات التي هي على مسرح الاحداث (النساء، التلميذان من عماوس، الاحد عشر -وبينهم بطرس- والذين كانوا معهم)، هناك اتصال وثيق في ما بينها. ويبيِّن لو ٢٤ كيف ان الاشخاص، باستذكارهم الاسفار المقدسة وتنبؤات يسوع، بلغوا الى الايمان بضرورة آلام المسيح، وقد تمخضت عن قيامته التي "يختبرونها".

فقيامه يسوع، لدى لوقا، هي، قبل كل شيء، انتصار على الموت (انظر الاطار ادناه: قيامة يسوع وتمجيده). ومنذئذ، وكما هي الحال في سائر الاناجيل القانونية، ليس هناك اية رواية عن هذه القيامة. وحين سيحدد بطرس هوية الاثني عشر بصفتهم **شهود قيامة الرب يسوع** (راجع رسل ١: ٢٢)، فلن يدعي قط اهم رأوا ما لم يكن بوسع العين ان تراه، او يتخيله عقل بشري: انه عمل الآب الذي انقذ المصلوب من سلطان الموت لكي يمنحه حياته ذاتها. وسيوضح الرسول بطرس، بانه واخوته، بفضل تجليات المسيح و"الخبرة" الفصحية، اصبحوا شهودا على ان المسيح حي، لأن الله اقامه. وبكلمة، ليست قيامة المسيح كإحياء ابن ارملة نائين او ابنة يائيرس -وكان بوسع لوقا ان يصفهما (٧):

— في أورشلهم: آرام، نعلم، قبامة

١٥؛ ٨: ٥٤-٥٥)؛ لقد عادا مؤقتا الى الحياة الفانية، اما المسيح، فقد دخل في حياة الله ذاتها، الى الابد، ولن يموت من بعد (روم ٦: ٩).

لقد عرف لوقا برواية مرقس في ما يتعلق برواية النساء حول القبر؛ وما يقوله عن زيارة بطرس للقبر (آ ١٢) له ولا شك قربي مع التقليد اليوحناي. ففي انشاء الترائي (تجلي المسيح) للاحد عشر (آ ٣٦-٤٣)، استخدم لوقا تقليدا كانت له صلة وثيقة بتقليد يو ٢٠: ١٩-٢٠. اما في مشهد تلميذي عماوس، فقد استعار من تقليد خاص به.

قيامه يسوع وتمجيده

كانت ليسوع ولتليارات اليهودية في زمانه طريقتان للتعبير عما يفوق الوصف: دخول ميت في حياة الله بالذات.

الاولى تقوم في التحدث عن قيامه بصفته انتصارا على الموت. والصورة التي محرکہا الزمن (قبل الموت/ بعد الموت) تمتاز بانها تعبّر عن الاستمرارية: ذاك الذي يوقفه الله وينهضه من الاموات، هو عينه ذاك الذي رقد. وعلى هذا الصعيد تكمن فائدتها في التعبير عن الامكانية التي ستكون لناهضين لمعرفة بعضهم بعضا، او في قدرة التلاميذ على التعرف على يسوع القائم. ولكنها، بالمقابل، يكمن نقصها في انها لا تشير الى ان الحياة التي نرثها هي الحياة الجديدة التي يهبها الله؛ فالقارئ غير المستنير قد يتخيل ان قيامه المسيح هي من عين مستوى احياء ابنة يائيرس.

الطريقة الثانية في التعبير تستخدم صورة الرفع، ومحرکہا هو المدى (تحت/ فوق)؛ اي ان ذاك الذي احتقر وأنزل الى اسفل الارض، يعظمه الله، ويرفعه اليه، ويمجده، ويدخله في مجده (راجع ٢٤: ٢٦). وتمتاز بانها توحى جذريا بالحياة الجديدة التي يرثها الميت حين يغادر المدى والزمن البشريين ليدخل في بعد آخر، عالم الله. وهذه الصورة، فيما تعبّر عن الجدة الجذرية، لا تهتم بالحديث عن كيفية التعرف بعد الموت، ولا عن الاستمرارية القائمة بين الذي مات والذي رفع (انه المصوب ذاته الذي مجده الله).

يضاف الى ذلك ميزة خاصة بيسوع المصوب: جعله الله ربا ومسيحا (رسل ٢: ٣٦)؛ انه يرث، اذن، مهمة جديدة، كونية: فهو رب ومخلص. وهذه القيامه - التمجد التي نصبت يسوع ربا، هي لصالح البشر الذين يتلقون بواكير الحياة الجديدة، عربون الروح القدس.

كل هذا يصب في موضوع واحد، هو السر الفصحي. ولوقا، امام غنى قيامه يسوع اللامحدود، اختار ان يبني سيناريو جعل بموجبه الالوجه الثلاثة للحقيقة الواحدة تُعرض بالتتالي: انتصار المسيح على الموت (قيامته)، رفعه وتمجيده (الصعود) حين يتلقى السيادة والملك المسيحاني، وما يخلّفه ذلك من نتائج للمؤمنين (العنصرة). وهكذا كان لدينا درس تربوي في غاية العظمة: انه يمكننا ان نتأمل بالتناوب في معاني "عبور" (انتقال) المسيح الى ابيه.

القبر الفارغ (١:٢٤ - ١٢)

- ١ ثم في أول الأسبوع، أول الفجر، أتينا إلى القبر حاملات الحنوط الذي أعددناه، ومعهن أناس.
- ٢ فوجدن الحجر مَدْحَرَجًا عَنِ الْقَبْرِ،
- ٣ فَدَخَلْنَ وَلَمْ يَجِدْنَ جَسَدَ الرَّبِّ يَسُوعَ.
- ٤ وَفِيمَا هُنَّ مُحْتَارَاتٌ فِي ذَلِكَ، إِذَا رَجُلَانِ وَقَفَا بِهِنَّ بِثِيَابٍ بَرَّاقَةٍ.
- ٥ وَإِذْ كُنَّ خَائِفَاتٍ وَمُنَكِّسَاتٍ وَجُوهَهُنَّ إِلَى الْأَرْضِ، قَالَا لَهُنَّ: «لِمَاذَا تَطْلُبْنَ الْحَيَّ بَيْنَ الْأَمْوَاتِ؟
- ٦ لَيْسَ هُوَ هَهُنَا، لَكِنَّهُ قَامَ! اذْكُرْنَ كَيْفَ كَلَّمَكُنَّ وَهُوَ بَعْدُ فِي الْجَلِيلِ
- ٧ قَاتِلًا؛ إِنَّهُ يَتَّبِعِي أَنْ يُسَلِّمَ ابْنَ الْإِنْسَانِ فِي أَيِّدِي أَنْاسٍ خُطَاةَ، وَيُصَلِّبَ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ يَقُومُ.»
- ٨ فَتَذَكَّرْنَ كَلَامَهُ،
- ٩ وَرَجَعْنَ مِنَ الْقَبْرِ، وَأَخْبَرْنَ الْأَحَدَ عَشَرَ وَجَمِيعَ الْبَاقِينَ بِهَذَا كُلِّهِ.
- ١٠ وَكَانَتْ مَرِيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَيُونَا وَمَرِيَمُ أُمُّ يَعْقُوبَ وَالْبَقِيَّاتُ مَعَهُنَّ، اللَّوَاتِي قُلْنَ هَذَا لِلرُّسُلِ.
- ١١ فَتَرَايَ كَلَامَهُنَّ لَهُمْ كَالْهَذْيَانِ وَلَمْ يُصَدِّقُوهُنَّ.
- ١٢ فَقَامَ بَطْرُسُ وَرَكَضَ إِلَى الْقَبْرِ، فَانْحَنَى وَنَظَرَ الْأَكْفَانَ مَوْضُوعَةً وَحَدَهَا، فَمَضَى مُتَعَجِّبًا فِي نَفْسِهِ مِمَّا كَانَ.

النساء، وقد جئن ليؤدين آخر مشاعر التكريم ليعسوع، وجدن الحجر مَدْحَرَجًا، ولم يجدن الجسد (آ ١-٣). والرواية -وقد ربطت بعناية برواية الدفن- وضعت على المسرح النساء/الخدمات اللواتي هن على استعداد لاداء الخدمة الاخيرة للمعلم: القيام بالدهن الطقسي لجسده، وهذا يفترض الدخول في القبر. لم يذهبن الى القبر في نهاية السبب مباشرة، لان الليل كان قد خيم، بل منذ فجر اليوم التالي. انهن وجدن الحجر مَدْحَرَجًا، والقبر مفتوحا؛ ومن ثم، دخلن، وتحققن من غياب الجسد الذي كن قد راقبن وضعه في القبر (٢٣:٥٥). وهكذا، فالنساء كن الشاهدات الوحيدات الدائميات، من موت يسوع وحتى القبر الفارغ، مروراً بالدفن. والجسد الغائب الذي لا يُعثر عليه، هو جسد الرب يسوع؛ وهكذا نرى ان استخدام اللقب الفصحى، هنا، انما هو ايماءة الى القارئ: هل سيدرك ان جسدا كهذا لا يمكن ان يحتويه قبر؟

وحين يُسَجَّلُ عجزهن عن اعطاء معنى لهذا القبر الفارغ، نجدنا للحال بازاء التراثي والرسالة الفصحية (آ ٤-٧). وتكفي الثياب البراقة (راجع ٩:٢٩) للكشف عن اصل

الرجلين -وهذان الرجلان سوف يُقدَّمان لنا، فيما بعد، بصفة مرسلين ("ملاكين" ٢٤:٢٣). ويقوم دورهما في تفسير حدث غياب الجسد -وكان بالامكان ان تعطى له تفسيرات مختلفة. وسيترتب عليهما، من ثم، ان يعطيا معنى الصعود (راجع رسل ١٠:١؛ راجع ايضا لو ٩: ٣٠). انهما اثنان، وهذا يوحي بالهما يشهدان للقيامة بمصداقية (راجع تث ١٩:١٥). وكالعادة، فان ظهور مثل هؤلاء المرسلين السماويين يثير فرعا دينيا (راجع ١٢:١-١٣)، والنسوة، ما ان نكَّسن وجوههن نحو الارض، واذا بهن يجدن حركة ابراهيم لدى اقترابه من الله (راجع تك ١٧:٣).

لماذا يؤنب المرسلان النساء، وبشكل قاس، على بحثهن عن جسد المعلم حيث لا يمكن له ان يكون (راجع التأييب عينه الذي وجهه يسوع الفتى الى ذويه في ٢:٤٩)؟ ذلك ان الايمان بقيامة المسيح، في الواقع، لا يمكن ان يُستنتج من تقرير صادر عن الشرطة: القبر فارغ، ليست هناك اية آثار خطي... اذن، قد قام! بل يجب ان يُنور القبر بفعل كلمة الهية تعطيه معناه -وهذا ما يفعله بالواقع المرسلان، وعلى الفور. فلماذا كان، اذن، هذا التأنيب؟ ذلك ان الكلمة ذات المعنى هي تلك الكلمة التي سبق ان قالها يسوع نفسه؛ وهكذا يتضح ان "خطأ" النساء يكمن في انهن لم يتذكرن -وسيترتب على الملائكة ان يذكروا بها-، وبالتالي، لانهن في ضوء تلك الكلمة، لم يفهمن معنى القبر الفارغ.

ويقوم المرسلون بشرى ثلاثة لانتصار المسيح على الموت. الاولى -وقد احتواها التأنيب الموجه الى النساء- لا تستعير من لغة الكرازة الرسولية (آ ٥ب)، بينما تتضمن الثانية اعلانا فصحا نموذجا للايمان (آ ٢أ). اما قلب الرواية، فنجدته في البشري الثالثة، وهي بمثابة تذكير بسيط بانبياء الآلام-القيامة التي اطلقها يسوع، وفقا للمخطط الالهي ("يجب"). وهذا ما كان ينبغي ألا يُنسى! وفي المشهد الاخير، سنجد نداء مماثلا الى التذكر بانبياء المعلم المتعلقة بفصحته (راجع ٢٤:٤٤). ويضاف الى ذلك، وعلى دفتين، موضوع ذو صلة وثيقة: فهم الاسفار المقدسة التي كانت قد انبأت عن هذا الفصح (آ ٢٥-٢٧، ٤٤-٤٦). والكل يؤلف شبه خيط احمر يساهم في وحدة الفصل ٢٤ من لوقا. وعوضا عن موعد مقبل في الجليل (راجع مر ١٦:٧)، يدمج التذكير الملائكي معطيات الإبنائين الاولين عن الآلام-القيامة اللذين أُطلقا سابقا في الجليل: ٩:٢٢، حيث استُقي منه بنوع خاص عبارة "يجب" الهامة، وهي تعبر عن المخطط الالهي للخلاص؛ ٩: ٤٤ (وهو إنباء مخفي تلا الملحوظة بصدد سوء فهم التلاميذ). اما الجديد الوحيد في هذا "التكرار"، فهو: يوضح المرسل الطريقة الخاصة التي قُتل بها ابن الانسان: لقد صُلب (راجع ٢٣:٢١). ويشدد لوقا هكذا على ان نبؤات يسوع المتعلقة بالآلام ذاتها وبقيامته قد تحققت.

في الآيات ٨-١٢ نجد النساء اللواتي يشهدن، في تضاد مع الرسل وسائر التلاميذ الذين يُشدّد على عدم إيمانهم المغيّب. ويدهشنا فريق النسوة بعددهن (راجع ٢٣: ٥٥؛ ٢٤: ١٠)؛ وحين سُمّيت ثلاث منهن (راجع ٨: ٢-٣ حيث نجد المرأتين الأوليين)، بدت شهادتهن مصدّقة بشكل قاطع. كلهن يتذكرون كلمات يسوع - ذلك ان اهمية هذا الموضوع بيّنة - وعلى الفور، اذا لم يستطعن، عبر الدهن، ان يقدّمن لجسد يسوع الفاني الاكرام الاخير، فانهن يقدّمن الخدمة الاولى للجماعة المسيحية عبر البشرى الفصحية. لا شك ان المرسلين السماويين لم يفوضاهن بحمل البشرى (على النقيض من مر ١٦: ٧)؛ غير ان سبب عدم ايمان التلاميذ، على العكس من النسوة، لا يكمن هنا، بحسب لوقا. ولكي يُزال الشك من قلوب الاحد عشر (انها عبارة مؤقتة تعكس انسحاب يهوذا) ومن كل الآخرين، يترتب على عملية الاستذكار ان تؤدي فعلها. وبهذا الشكل، لن يصبح هذا المشهد والمشهدان التاليان شهادة فقط عن ان يسوع اصبح الحي؛ وانما ستكون ايضا وصفا "القيامة اخرى، هي قيامة الذاكرة" (ج. ن. آليتي).

ويتمحور الانتباه برهة حول بطرس (آ ١٢). فالرسول يأتي للتحقيق في رواية النسوة، وقد ذهب الى القبر. لقد تحقق من انه فارغ، ما عدا اللفائف، فأخذه العجب؛ وليس لسوء الفهم هذا اية علاقة بالايمان (راجع ٨: ٥؛ ١١: ٣٨؛ ٢٠: ٢٦). فبطرس لم يتذكر كلمات يسوع؛ وليس هناك اي تراء يعوّض له عن غياب الذاكرة لحل لغز القبر الفارغ. انه في الوضع الذي سيصفه تلميذا عماوس (راجع آ ٢٢-٢٤). ومع ذلك، فلقد قام بطرس بمبادرة، وان كانت ناقصة، وسوف يتممها من ثم القائم ذاته حين يتراءى له (آ ٣٤). وهكذا نجد هنا تذكيرا بالدور الخاص الذي يلعبه هذا الرسول، سواء في داخل فريق التلاميذ (راجع ٢٢: ٣٢)، ام خارجه (راجع ٥: ١٠؛ رسل ٢: ١٤).

تلهيدا عماوس (٢٤: ١٣ - ٣٥)

١٣ وَإِذَا اثْنَانِ مِنْهُمَا كَانَا مُنْطَلِقَيْنِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى قَرْيَةٍ بَعِيدَةٍ عَنْ أُورُشَلِيمَ سِتِينَ غَلْوَةً،
اسْمُهَا «عَمَوَاسُ».

١٤ وَكَانَا يَتَكَلَّمَانِ بَعْضُهُمَا مَعَ بَعْضٍ عَنْ جَمِيعِ هَذِهِ الْحَوَادِثِ.

١٥ وَفِيمَا هُمَا يَتَكَلَّمَانِ وَيَتَحَاوِرَانِ، اقْتَرَبَ إِلَيْهِمَا يَسُوعُ نَفْسُهُ وَكَانَ يَمْشِي مَعَهُمَا.

١٦ وَلَكِنْ أَمْسَكَتْ أَعْيُنُهُمَا عَنْ مَعْرِفَتِهِ.

١٧ فَقَالَ لَهُمَا: «مَا هَذَا الْكَلَامُ الَّذِي تَتَطَارَحَانِ بِهِ وَأَنْتُمَا مَا شَيَانِ عَابِسَيْنِ؟»

- ١٨ فَجَابَ أَحَدُهُمَا، الَّذِي اسْمُهُ كَلْيُوبَاسُ وَقَالَ لَهُ: «هَلْ أَنْتِ مُتَغَرَّبٌ وَحَدُكَ فِي أُورُشَلِيمَ وَلَمْ تَعْلَمْ الْأُمُورَ الَّتِي حَدَثَتْ فِيهَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ؟»
- ١٩ فَقَالَ لَهَا: «وَمَا هِيَ؟» فَقَالَا: «الْمُخْتَصَّةُ يَسُوعَ النَّاصِرِيِّ، الَّذِي كَانَ إِنْسَانًا نَبِيًّا مُقْتَدِرًا فِي الْفِعْلِ وَالْقَوْلِ أَمَامَ اللَّهِ وَجَمِيعِ الشَّعْبِ.
- ٢٠ كَيْفَ أَسْلَمَهُ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَحُكَّامُنَا لِقَضَاءِ الْمَوْتِ وَصَلَبُوهُ.
- ٢١ وَنَحْنُ كُنَّا نَرْجُو أَنَّهُ هُوَ الْمُرْمَعُ أَنْ يَفْدِيَ إِسْرَائِيلَ. وَلَكِنْ، مَعَ هَذَا كُلِّهِ، الْيَوْمَ لَهُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ مُنْذُ حَدَثَ ذَلِكَ.
- ٢٢ بَلْ بَعْضُ النِّسَاءِ مِنَّا حَيَّرَتْنَا إِذْ كُنَّا بَاكِرًا عِنْدَ الْقَبْرِ،
- ٢٣ وَلَمَّا لَمْ يَجِدْنَ جَسَدَهُ أَتَيْنَ قَائِلَاتٍ: إِنَّهُنَّ رَأَيْنَ مَنْظَرَ مَلَائِكَةٍ قَالُوا إِنَّهُ حَيٌّ.
- ٢٤ وَمَضَى قَوْمٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَنَا إِلَى الْقَبْرِ، فَوَجَدُوا هَكَذَا كَمَا قَالَتْ أَيْضًا النِّسَاءُ، وَأَمَّا هُوَ فَلَمْ يَرَوْهُ».
- ٢٥ فَقَالَ لَهَا: «أَيُّهَا الْغَبِيَّانِ وَالْبَطِيئَاتِ الْقُلُوبِ فِي الْإِيمَانِ بِجَمِيعِ مَا تَكَلَّمُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ!
- ٢٦ أَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ الْمَسِيحُ يَتَأَلَّمُ بِهِذَا وَيَدْخُلَ إِلَى مَجْدِهِ؟»
- ٢٧ ثُمَّ ابْتَدَأَ مِنْ مُوسَى وَمِنْ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ يُفَسِّرُ لَهُمَا الْأُمُورَ الْمُخْتَصَّةَ بِهِ فِي جَمِيعِ الْكُتُبِ.
- ٢٨ ثُمَّ اقْتَرَبُوا إِلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَا مُنْطَلِقِينَ إِلَيْهَا، وَهُوَ تَظَاهَرَ كَأَنَّهُ مُنْطَلِقٌ إِلَى مَكَانٍ أَبْعَدَ.
- ٢٩ فَأَلْزَمَاهُ قَائِلِينَ: «امْكُثْ مَعَنَا، لِأَنَّهُ نَحْوُ الْمَسَاءِ وَقَدْ مَالَ النَّهَارُ». فَدَخَلَ لِيَمْكُثَ مَعَهُمَا.
- ٣٠ فَلَمَّا أَتَكَأَ مَعَهُمَا، أَخَذَ خُبْزًا وَبَارَكَ وَكَسَّرَ وَنَاوَلَهُمَا،
- ٣١ فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَرَفَاهُ ثُمَّ اخْتَفَى عَنْهُمَا،
- ٣٢ فَقَالَ بَعْضُهُمَا لِبَعْضٍ: «أَلَمْ يَكُنْ قَلْبُنَا مُلْتَهَبًا فِينَا إِذْ كَانَ يَكَلِّمُنَا فِي الطَّرِيقِ وَيُوضِحُ لَنَا الْكُتُبَ؟»
- ٣٣ فَفَإِنَّمَا فِي تِلْكَ السَّاعَةِ وَرَجَعَا إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَوَجَدَا الْأَحَدَ عَشَرَ مُجْتَمِعِينَ، هُمْ وَالَّذِينَ مَعَهُمْ
- ٣٤ وَهُمْ يَقُولُونَ: «إِنَّ الرَّبَّ قَامَ بِالْحَقِيقَةِ وَظَهَرَ لِسِمْعَانَ!»
- ٣٥ وَأَمَّا هُمَا فَكَانَا يُخْبِرَانِ بِمَا حَدَثَ فِي الطَّرِيقِ، وَكَيْفَ عَرَفَاهُ عِنْدَ كَسْرِ الْخُبْزِ.

لم يرو لوقا سوى تجليين (كريستوفانيا)، مع الاشارة إلى تجلٍ ثالث بايجاز كبير (راجع آ ٣٤). وفضلا عن ذلك، فان الترائي الاول الذي حظي به تلميذان لم يلعبا اي دور في لوقا-الاعمال، قد روي بشكل اكثر اتساعا من الترائي الثاني الذي يقيم من

الاحد عشر والذين كانوا معهم شهودا رسميين للقيامة. اما بالنسبة الى بطرس بالتالي، فقد اشار الى التراثي الذي حظي به دون ان يرويه...

لرواية "تلميذي عماوس" هدف يقوم في تبيان كيف انهما، بعد ان تحدثا معه في الطريق (آ ١٣-٢٧) عرفا انه يسوع ابان العشاء (آ ٢٨-٣٥)؛ ولا تتضمن الرواية اي ارسال للتبشير. واذا كان لوقا قد علق اهمية كبرى على هذه الرواية، فلأنها تعني القارئ الى حد كبير، بحيث تصبح بالنسبة له ذات أهمية دائمة وقيمة دائمتين. ذلك ان الحياة الكنسية، مع اجتماعاتها للعبادة حيث يتم تفسير الاسفار المقدسة وكسر الخبز، هي المكان الذي فيه يتاح للمؤمن ان يتعرف اليوم على حضور الرب القائم. "والرفيق غير المسمى لقلوبا يحمل اسم كل واحد من المؤمنين" (ش. بيرو)، اي اسم المسيحي او المسيحية اللذين يقرأ أن هذه الصفحة الرائعة او يصغيان اليها.

ما يجري في الطريق (راجع آ ٣٥ أ) يُفتتح بلقاء تلميذين يسيران (آ ١٣-١٤). جمعية مسافر ثالث لم يعرفاه، وهو يسوع ذاته (آ ١٥-١٦). هوذا يسوع، مرة اخرى في الطريق، ولكن في قرية قريبة من اورشليم، راح يعلم تلاميذه. اما سبب هذا السفر، فهو ضمنا مكشوف في الحوار الذي سيجري: لقد غادر الرجلان فريق الذين كانوا مجتمعين مع الاحد عشر (راجع آ ٩) وتركا المدينة التي فيها حبيب صلب معلمهم آمالهم. انهما يعودان الى بيتهما في ناحية ليست معروفة كثيرا، على بعد ستين غلوة من اورشليم (١١ كيلومترا).

هيندي هوية يسوع قد كشفت للحال للقارئ، بينما لم يكن من قبل، في نظر التلميذين، سوى حاج نظيرهما، جاءوا للاحتفال بالفصح في اورشليم: كانت اعينهما قد حُجبت عن معرفته، وليس عن رؤيته. وفيما يوحى الفعل في صيغة المجهول، بالفعل الالهي، يطلعنا بان عدم فهم الرجلين وبطنهم في الايمان (راجع آ ٢٥) لم يكونا السببين الرئيسيين. فان اعين الجسد عاجزة عن التعرف الى القائم، لانه، بالقيامة، دخل في حالة جديدة بشكل جذري. وكما كانت الحال في التجلي، كان منظره متغيرا (راجع ٩: ٢٩؛ مر ١٦: ١٢)، لانه دخل في مجده (راجع آ ٢٦؛ ٩: ٣٢، اعادة قراءة رؤيا باروك السريانية، ٥١، وقد استشهدنا بها في تفسير ٩: ٢٩، وفي تفسير ٢٠: ٣٦). ذلك ان انسانية يسوع ذاتها اصبحت منذ الآن من "عالم" الله الذي لا يمكن معرفته الا بأعين الايمان. ويترتب على الرب من ثم ان يفتح العيون (آ ٣١) والفهم (راجع ٢٤: ٤٥) والقلب (رسل ١٦: ١٤)؛ وهنا سوف يرفع يسوع الحجاب الذي كان على اعينهما، عبر تفسير الاسفار المقدسة، ومن ثم عبر كسر الخبز.

وحينذاك، وبمبادرة من يسوع، تنطلق محادثة على الطريق (١٧٦-٢٧)، نجد مفرداتها بكثرة في خطابات التبشير في سفر الاعمال (٢-١٣)؛ وبهذه الطريقة، يُقال لنا بان الكرازة الرسولية مرتبطة مباشرة بيسوع القائم. وبعد تبادل قصير (١٧٦-١٩٩)، اوضح فيه قلاوبا الطابع العام لصلب الناصري، انبرى خطاب التلميذين (١٩٩ب-٢٤) يقدم عرضا موجزا لرسالة معلمهم وصلبه (١٩٩ب-٢١). ولا بد من الاشارة الى السخرية المبطنة: فبعد ان اخذ الرجلان -وقد "أعميا"- على محاورهما جهله، نراهما يطلعان يسوع على ما يعرفه هو افضل منهما! فأن يُقدّم يسوع بصفته نبيا مقتدرا على العمل والقول عند الله والشعب كله، فذلك ليس بالتأكيد اعترافا بالايمان الكريستولوجي الكامل، وانما تلك لغة يستخدمها يسوع (٤:٢٤؛ ١٣:٣) والرسل (رسل ٢:٢٢؛ ٣:٢٢-٢٣؛ ١٠:٣٨؛ انظر ايضا ٧:٢٢). وتكمن المشكلة في ان السلطات اليهودية الشرعية، ولا سيما الدينية منها، حكمت بانه نبي كاذب: "أسلمه عظماء كهنتنا ورؤساؤنا (نلاحظ ضمير التملك) ليحكم عليه بالموت وصلبوه"؛ وقد قدّموا وكأثم هم انفسهم اشرفوا على تنفيذ الحكم (راجع من قبل ٢٣:٢٥-٢٦)؛ ألا يعني ذلك ان الله قد انكر يسوع؟

ان مثل هذا الموجز هو بمثابة كرازة تبشيرية... مشوهة؛ فالآلام موجودة، ولكن ليس القيامة. فلقد عرض موت يسوع ورسالته من وجهة نظر تلاميذ مُحِبِّين في آمالهم القومية والمسيحانية. فهم، على مثال الشخصوس على مسرح روايات الطفولة (راجع ١: ٦٨؛ ٢:٣٨)، كانوا ينتظرون فداء اسرائيل، وتلك، في نظرهم، كان ينبغي ان تكون مهمة يسوع -ومثل هذا الرجاء يعتبره لوقا شرعيا؛ شريطة ألا يحدث خطأ بشأن ساعته وطريقة تحقيقه (راجع رسل ١:٦-٧). الا ان رجاء التلميذين كان تمنيًا: كنا نأمل...؛ "الهما خائبان تجاه مسيحانية يلفها الاتضاع والالم"، وإن كانت مطابقة للمخطط الالهي. ويحمل موقفهما، بشكل غير مباشر، اضاءات حول دوافع يهودا، وقد أهملت في الرواية (راجع ٢٢:٣-٤)؛ ذلك ان "الخائن" رفض، بشكل مفارقة مأساوية، ان يُخيَّب رجاءه المسيحاني. وهذان التلميذان، أليسا هما ايضا صورة مسبقة لاولئك "المخيبين" تجاه الايمان المسيحي، الذين يرفضون الصليب؟

وها هما بالتالي يسردان احداث اليوم (٢٢٢-٢٤)، وكأثما يوجزان الرواية الاولى من الفصل ٢٤! فلقد كان هناك كل شيء: زيارة القبر المضاعفة، التحقق المضاعف من غياب الجسد (النساء)، ثم فريق من الرجال: لم يكن بطرس، إذن، لوحده، الترائي والرسالة السماوية. وحتى المناادة الفصحية موجودة ايضا: تقول الملائكة ان يسوع حي.

غير ان فريق الرجال لم يَرَهُ: فما عدا النساء، لا احد يؤمن بهذه البشرى. وفي الوقت ذاته نجد ان اليوم الثالث لم يكن اعلانا عن القيامة، وانما رفضا لشهادة النساء!

وهوذا يسوع يبدأ بالكلام (آ ٢٥-٢٧). انه لا يأخذ على محدثيه كيف لم يعرفاه، وانما يأخذ عليهم بَطْنَهُمْ في الايمان بالمخطط الالهي للخلاص ("كان يجب") المرسوم في الاسفار النبوية. فليست المشكلة في رؤية يسوع (راجع آ ٢٤)، بقدر ما هي في فهم هذا المخطط وقبوله من ثم. ان التلميذين يعرفان جيدا رسالة يسوع وموته، ولكنهما لا يستذكران الاسفار المقدسة -وسيكون الخصي الحبشي في وضع معاكس، هو الذي يقرأ اشعيا ٥٣، ولكنه لا يعلم بحدث الجلجلة (رسل ٨: ٣٠-٣٤). اما طريقة القائم في التعبير الموجز عن فصحه (آ ٢٦)، فهناك اختلافان مميزان عن سائر البشارات السابقة. ذلك ان يسوع قد اتم مسيرته الفصحية، بصفته مسيحا وليس ابن الانسان (راجع ٩: ٢٢). وعوضا عن لفظة "قام"، يقال بان المسيح دخل في مجده: انه، فضلا عن حياة جديدة بالتمام، ورث سلطانا ومجدا الهيا.

ويسوع، لكي يبين ان موته وقيامته يدخلان في المخطط الالهي للخلاص، ينبري في اعطاء درس في التفسير البيبلي، وهذا التفسير يُذكر بايجاز وباسلوب غير مباشر؛ إلا ان لوقا لا يدعنا نستفيد منه، ويترتب علينا ان نتنظر الجزء الثاني من مؤلفه لكي نتلقى هذا التعليم، عبر خدّام الكلمة (راجع بطرس في رسل ٢: ٢٢-٣٦؛ بولس في رسل ١٣: ٣٢-٤١). فما يوحى به إلينا فقط، هو ان المسيح يستخدم التقنية التفسيرية اليهودية، التي تقوم على "الوصل"، وهي تمكن في التقريب بين آيات من التورا والانبياء والمزامير (راجع ٢٤: ٤٤) بهدف تبيان توافقها، وبالتالي وحدة الكتاب المقدس وتماسكه. وهنا، نرى ان حيط "الوصل" يكمن في ما يتعلق بالمسيح يسوع؛ فالاسفار المقدسة، من اولها حتى آخرها، تشهد لذلك الذي هو غايتها ومركزها. لا شك اننا لم نجد اي مرجع كتابي، الا ان ما هو اساسي قد قيل: "التفسير، وبكلمة اخرى البحث وعرض التناغم، ليس من اختراع التلاميذ؛ فان كفاءتهم في قضايا التفسير هي نعمة، وهي ثمرة تعليم، وهو ذاته احدى ثمار القيامة" (ج. ن. آليتي).

اما انفراج القصة (آ ٢٨-٣٥)، فيفتتح بعشاء عماوس (آ ٢٨-٣٢). كان التعرف على القائم قد بدأ بعمق (راجع: قلوبنا متقدة في آ ٣٢) عبر تفسير الاسفار المقدسة التي تعطي معنى لموت المسيح وتوضح صلته بالمجد، ولكن هذا التعرف لن يكتمل الا في كسر الخبز. وفي الكنيسة، يجب ان نعيد حركة العشاء الاخير، وهي تتعلق بشكل وثيق بموت يسوع للبلوغ الى معرفة القائم.

وحيث **تظاهر** يسوع انه يتركهما، فهو انما قادهما الى اتخاذ المبادرة؛ ففيما كان **النهار قد مال** (راجع ٩: ١٢)، قدّما الضيافة لهذا الذي لم يزل، في نظرهما، غريبا. الا ان هذا الضيف نراه يأخذ مكان سيد البيت ويرثس المائدة. وما قام به، يُعبّر عنه باربعة افعال (آ ٣٠ ب جـ)، وهي الافعال ذاتها التي استُخدمت لدى تكثير الخبزات (٩: ١٦)، مع اختلاف طفيف في العشاء الاخير (٢٢: ١٩)؛ ويجري الحديث عن **كسر الخبز** (آ ٣٥)، وهي لفظة تقنية خاصة بلوقا للإشارة الى الافخارستيا (راجع رسل ٢: ٤٢؛ ٢٠: ٧-١١). ولكن ترؤس المائدة والبركة على الخبز وكسره، هي، في الوقت ذاته، حركات مألوفة ليسوع من شأنها ان تدل عليه وتعرّف به. انما حركات تعيدنا الى العشاءات التي تناولها يسوع مع التلاميذ، وحتى العشاء الاخير الذي فيه أُعطي معنى جديد للخبز المكسور؛ انما تستبق ايضا الحركات المتداولة في الجماعات حيث سيكون المسيح غير منظور، ولكنه حاضر. وحينذاك يحدث الانقلاب: **اعين التلميذين تفتحان**... ويسوع الذي كان حتى الآن منظورا دون ان يُعرّف (راجع آ ١٦)، اصبح معروفا، ولكنه لا يدع نفسه منظورا! فليعلم المؤمنون، إذن: "القائم من بين الاموات، حتى وإن كان غير منظور في اعينهم الجسدية، فهو يبقى حاضرا: ذلك ان ما كان غير منظور، لا ولن يساوي الغياب". وحينذاك يكون بوسع التلميذين ان يعيا التغيير الذي سبق ان طرأ عليهما (آ ٣٢)، عبر المحادثة على الطريق وتفسير الاسفار المقدسة. "الكلام الذي كان، في الطريق، يفسّر الاسفار المقدسة" و"حيث كان يظهر التوافق بين حياتهم وحياتة يسوع"... هذا الكلام لن يُمضغ بشكل تام الا حين يتم التعرف، وحين يُستجاب الرجاء" (ج. ن. آليتي).

وهيذي الرحلة تنعكس؛ فالرجلان يرجعان الى اورشليم ليجدا **الاحد عشر والذين معهم** (آ ٣٣-٣٥) مجتمعين. وانه لمن المدهش ان يكون التعرف على يسوع القائم والارسال للتبشير الذي يليه يعينان ايضا التلاميذ الذين هم مع الاحد عشر. وهكذا يجعل لوقا تواملا مع بعثة الاثني والسبعين (١٠: ١+) ويستبق الدور الذي سيلعبه، في سفر الاعمال، مبشرون لا ينتمون الى حلقة الاثني عشر، وبولس في مقدمتهم. ويستند في الواقع مثل هذا التوسع في الخبرة الفصحية الى معطيات قديمة جدا (راجع **خمسمائة اخ** في اقول ١٥: ٦). كما توضح خاتمة الرواية بان الشهادة لا يمكنها ان تبدأ الا مع فريق الاحد عشر (وهم من جديد اثنا عشر في رسل ١: ٢١-٢٦)، كما وان خبرة التلميذين الفصحية لن تسبق خبرة بطرس. ويشير ذكر هذا التحلي (كريستوفونيا) (آ ٣٤) الى ان هذه "الخبرة الفصحية" اقنعت بقية الفريق بصحة شهادة النسوة ("حقا")، وان سمعان، هو

الآخر، بدأ يتم مهمة تثبيت الاخوة التي كان قد تلقاها من الرب (راجع ٢٢ : ٢٢).
وتؤكد الآية ٣٤ ايضا على ان "الجماعة موجودة وهي تنادي ربها، قبل التقرير الذي ادلى
به تلميذا عماوس" (ش. بيرو). فبعد ان ذكر الترائي لبطرس، اصبح يوسع هذين التلميذين
ان يقدموا موجزا لخبرتهما الخاصة، وهي تمنح اهمية مماثلة للاهتمام على الطريق كما لمعرفة
يسوع المرتبطة بكسر الخبز.

الترائي لل احد عشر ورفاقهم (٢٤ : ٣٦ - ٥٣)

- ٣٦ وَفِيمَا هُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِهَذَا وَقَفَ يَسُوعُ نَفْسُهُ فِي وَسْطِهِمْ، وَقَالَ لَهُمْ: «سَلَامٌ لَكُمْ!»
- ٣٧ فَجَرَعُوا وَخَافُوا، وَظَنُوا أَنَّهُمْ نَظَرُوا رُوحًا.
- ٣٨ فَقَالَ لَهُمْ: «مَا بِالْكُمْ مُضْطَرِّبِينَ، وَلِمَاذَا تَخْطُرُ أَفْكَارًا فِي قُلُوبِكُمْ؟
- ٣٩ أَنْظُرُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ: إِنِّي أَنَا هُوَ! جُسُونِي وَأَنْظُرُوا، فَإِنَّ الرُّوحَ لَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَعِظَامٌ
كَمَا تَرَوْنَ لِي.»
- ٤٠ وَحِينَ قَالَ هَذَا أَرَاهُمْ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ.
- ٤١ وَبَيْنَمَا هُمْ غَيْرُ مُصَدِّقِينَ مِنَ الْفَرَحِ، وَمَتَعَجِّبُونَ، قَالَ لَهُمْ: «أَعِنْدَكُمْ هَهُنَا طَعَامٌ؟»
- ٤٢ فَنَاولُوهُ جُزْءًا مِنْ سَمَكٍ مَشْوِيٍّ، وَشَيْئًا مِنْ شَهْدٍ عَسَلٍ.
- ٤٣ فَأَحَذَ وَأَكَلَ قَدَامَهُمْ.
- ٤٤ وَقَالَ لَهُمْ: «هَذَا هُوَ الْكَلَامُ الَّذِي كَلَّمْتُمْ بِهِ وَأَنَا بَعْدُ مَعَكُمْ: أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَتِمَّ جَمِيعُ مَا
هُوَ مَكْتُوبٌ عَنِّي فِي نَامُوسِ مُوسَى وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْمَزَامِيرِ.»
- ٤٥ حِينَئِذٍ فَتَحَ ذِهْنَهُمْ لِيَفْهَمُوا الْكُتُبَ.
- ٤٦ وَقَالَ لَهُمْ: «هَكَذَا هُوَ مَكْتُوبٌ، وَهَكَذَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمَ وَيُقُومَ مِنَ الْأَمْوَاتِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ،
وَأَنْ يُكْرَزَ بِاسْمِهِ بِالتَّوْبَةِ وَمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا لِجَمِيعِ الْأُمَمِ، مُبْتَدَأً مِنْ أُورُشَلِيمَ.
- ٤٨ وَأَنْتُمْ شُهَدَاؤُا لِذَلِكَ.
- ٤٩ وَهَا أَنَا أَرْسِلُ إِلَيْكُمْ مَوْعِدًا أَبِي. فَاقْبِمُوا فِي مَدِينَةِ أُورُشَلِيمَ إِلَى أَنْ تَلْبَسُوا قُوَّةَ مِنَ الْأَعَالِي.»
- ٥٠ وَأَخْرَجَهُمْ خَارِجًا إِلَى بَيْتِ عَنِيَا، وَرَفَعَ يَدَيْهِ وَبَارَكَهُمْ.
- ٥١ وَفِيمَا هُوَ يُبَارِكُهُمْ، انْفَرَدَ عَنْهُمْ وَأَصْعَدَ إِلَى السَّمَاءِ.
- ٥٢ فَسَجَدُوا لَهُ وَرَجَعُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ،
- ٥٣ وَكَانُوا كُلَّ حِينٍ فِي الْهَيْكَلِ يُسَبِّحُونَ وَيُبَارِكُونَ اللَّهَ. آمِينَ.

يبدأ الترائي (الكريستوفانيا) **للاحد عشر والذين معهم** (راجع آ ٣٣) برواية التعرف على القائم المؤجلة (آ ٣٦-٤٣). هناك توتر شديد جدا بين موضوعين: ما دامت القيامة قد غيرت جذريا يسوع الذي **دخل في مجده**، فلن يكون بوسع التلاميذ ان يتلقوها الا عبر فعل ايمان. ومن هنا، كان لديهم الشك، وهو الانتقال الصعب من عدم الايمان الى التعرف: فلما كان يسوع قد تغير، لذا يُخيّل لهم انه روح، تماما على مثال تلميذي عماوس اللذين لم يريا فيه لمدة طويلة سوى حاج غريب. وكان من الضروري ايضا، من جهة اخرى، ان يُصوّر التعرف عليه، وهو الحدث الجوهري في ان القائم هو ذاته ذلك المصلوب: انه هو ذاته الذي عرفه التلاميذ على مدى رسالته. ومن هنا كانت تلك الواقعة الكبرى التي اتسم بها هذا المشهد، وهو يجسد الواقع الذي بموجبه ليس القائم روحا دون جسد، ويرينا اياه وهو يأكل.

في نقطة الانطلاق، هناك مبادرة يسوع الذي يتمنى السلام، وهو احد خيوط ملكة المسيحاني (راجع ٢: ١٤؛ ١٩: ٣٨). وان رد فعل التلاميذ الذين يواجهون المسيح القائم يعتبر مفارقة مطلقة مع قبولهم السابق شهادة بطرس (راجع آ ٣٤). فالخوف وحده بوسعه ان يحمل معنى ايجابيا (راجع ٢: ٩)؛ غير انهم ما زالوا **خائفين** (راجع ٢١: ٩)، **ويظنون انهم يرون روحا**، اي كائنا ليس لطريقة وجوده اية صلة بالبشر. ويقول يسوع بان **افكارهم خاطئة** (راجع ٥: ٢٢). ولكي يقنع احصاءه بهويته، قدّم لهم كلمة (آ ٣٨-٣٩) تبعتها حركة (آ ٤٠). وقد يكون اظهار اليدين والرجلين بمثابة اظهار جروح المصلوب، طالما ان لوقا لم يذكر المسامير ابان الصلب: فالقائم ليس هو سوى المصلوب. ومع ذلك، فان الآية ٣٩ب-د تحوّل النبرة الى الواقع الجسدي (**لحم وعظم!**): ذلك ان القائم ليس، بعد الموت، "جبله هيولية"، وانما هو، بكل وضوح، من جبله البشر.

الا ان هذا لا يكفي: **فمن فرحهم** يرفض هؤلاء التلاميذ ان يؤمنوا بعد، وظلوا **يتعجبون**. فالفريق، بالرغم من "فرحه" يبدي عدم ايمانه، تماما كما كانت الحال لدى بشرى النساء (راجع ٢٤: ١١، ١٢). وهوذا يسوع يقدم لهم كلمة ثانية (آ ٤١ جـ) وحركة ثانية (آ ٤٢-٤٣). واصبح بوسع لوقا ان يقول بان يسوع، بعدما تألم، **اظهر لهم نفسه حيا بكثير من الادلة** (رسل ١: ٣). وهو، حين رسم يسوع **يأكل امامهم**، فهو انما جسد حقيقة القيامة. غير ان هذا "الدليل" الثاني على الوضع البشري لذلك الذي ينتمي كليا، منذ الآن، الى عالم الله، يبدو غير كافٍ: صمت التلاميذ وحده يعطي الجواب.

اما الزمن الثاني من هذه الكريستوفانيا، فيمكن في خطاب للقائم (آ ٤٤-٤٩) يقود ذلك التعرف، المؤجل حتى الآن، الى ذروته (آ ٤٤-٤٥)، ومن ثم يرسل للتبشير

الاحد عشر ورفاقهم (آ ٤٦-٤٩). وللمرة الاخيرة، سوف يذكر لوقا بان التعرّف على القائم، يقترن بالاعتراف بان مخطط الله الخلاصي قد اكتمل في فصح المسيح يسوع.

اما التلاميذ، فلا زالوا عاجزين عن فهم التطابق بين الإنباءات السابقة بشأن الآلام/القيامة وبين المخطط الالهي للخلاص المدوّن في الاسفار المقدسة. ويتطلب رفع شكوكهم المستمر امرا اكثر من ترائي المسيح الحي؛ انهم بحاجة الى درس في التفسير عبر الاسفار المقدسة. وكلام يسوع مزج، في آن واحد، الرسالة السماوية التي كانت قد انتشلت ايمان النساء -وهي تذكير بإنباء المعلم (٢٤: ٦-٧)- والتعليم الذي كان قد الهب قلب التلميذين -الرجوع الى اقسام الكتاب المقدس الثلاثة: شريعة موسى، الانبياء، المزامير (٢٤: ٢٥-٢٧). فالقائم، يذكر اخصاءه، بشكل احتفالي (راجع آ ٤٤ أ ومقاربتها مع تث ١: ١)، بإنبائه التي كانت تشدد على الضرورة "البيلية" لمسيرته (راجع ٩: ٢٢، ٤٤؛ الخ...). وحينئذ تأتي المرحلة المفتاح: **فتح اذهان التلاميذ لفهم الاسفار المقدسة** (راجع فتح الاعين في ٢٤: ٣١، والقلب المتقدم وفهم هذه الاسفار ذاتها في ٢٤: ٣٢). وهكذا يتحقق التعرف على المصلوب القائم حين ندرك بعمق الصلة بين الاحداث وبين مشروع الله الخلاصي.

بعد ان يكون التلاميذ قد **انفتحوا**، حينئذ يصبح بوسع يسوع ان يتحدث معهم عن المستقبل وعن الدور الذي سيلعبونه فيه (آ ٤٦-٤٩). فالتصميم الالهي، المدون في الاسفار المقدسة، لا يتوقف فقط، في الواقع، على الحاضر الذي أُنجز في يسوع، او على عبور المسيح الواجب من خلال الآلام والقيامة في اليوم الثالث (آ ٤٦)، وهو آخر ذكر لهذا الموضوع الاساسي في لو ٢٤؛ الا انه يتواصل ايضا في الشهادة التي تؤديها الكنيسة عبر الكرازة بالتوبة ومغفرة الخطايا؛ وهذه الرسالة التي افتتحها يوحنا المعمدان من اجل اسرائيل (٣: ٣) معدّة لكل الامم، بدءا من اورشليم. ذلك ان فرادة الشهادة الكنسية تكمن في شموليتها. والاعتراف باكتمال التصميم الالهي في المسيح يسفر بالضرورة عن الشهادة وعن الرسالة الشاملة، يضيف عليهما القائم ذاته شرعية وسلطة.

والمدينة التي تم فيها تصميم الله على يسوع ليست سوى نقطة انطلاق للشهادة من اجل كل الامم. وهكذا يفتح الاطار الجغرافي والزمني للفصل ٢٤ على الزمن الذي يلي رحيل يسوع، وعلى المدى الذي ستقطعه الكلمة. فالى الاحد عشر والذين معهم (راجع ٢٤: ٣٣) توجه هذا الامر بالتبشير، وها هم **شهود**. ذلك ان الرسالة واجب على الكنيسة كلها، وليس على الرسل وحدهم. والشهود، إذ يرون عداء العالم لهم (راجع ١٢: ٤-١٢)، ينبغي ان يكونوا **لابسين قوة من العلي**. وهنا يبدو القائم اقل وضوحا مما

سيكون في رسل ١: ٤-٨، حيث ان هذه القوة، على سبيل المثال، ستكون مشخصة بوضوح في "الروح القدس" (راجع رسل ١: ٨؛ لو ١٢: ١٢). ففيما كان لوقا يعني بإعداد جزئه الثاني -ومن هنا كان "الربط" بين الخطاب الحالي وخطاب رسل ١: ٤-٨- لم يشأ ان يشوّه موضوعه! فهذه القوة السماوية التي كانت عاملة في يسوع (راجع ١: ٣٥؛ ٤: ١٤)، ترجع، هي ايضا، الى المخطط الالهي، طالما ان الآب كان قد وعد بها. وفي انتظار مجيئه، يُقفل المدى: فالتلاميذ يبقون في اورشليم مدة من الزمن.

اما رواية انفصال يسوع الذي رُفِع الى السماء، وتلاميذه الذين بقوا في اورشليم، فهي تشكل خاتمة للألام/القيامة ولكل الجزء الاول من انجيل لوقا (آ ٥٠-٥٣)؛ وكما كان الارسال الذي سبق ان رؤي، فان هذا الانفصال سوف يُروى من جديد ولكن بشكل مختلف، في رسل ١: ٩-١٠، ١٢، مع مرسلين يفسرون المشهد (رسل ١: ١٠ب-١١). فهو، فيما يُغلق تاريخ يسوع، يفتتح تاريخ الكنيسة؛ ومن البداية حتى النهاية، هو مخطط الخلاص ذاته الذي يتحقق.

ومبادرة من القائم، قاد تلاميذه الى بيت عنيا في مكان تنصيبه الملوكي (راجع ١٩: ٢٩)، ورفع يديه وباركهم -وهي لفظة تكررت مرتين. وهذه الحركة الاحتفالية تذكر بالبركة التي كان قد منحها عظيم الكهنة لشعب الله (راجع سي ٥٠: ٢٠-٢٢). وبفعله هذا، اتم يسوع ما لم يستطع زكريا ان يتمه لدى خروجه من المقدس (راجع ١: ٢١-٢٢). فالانفصال يعني خاتمة "خبرة" كان الاحد عشر ورفاقهم قد قاموا بها منذ ٢٤: ٣٦، ولن تتكرر من بعد. وهوذا يسوع، من دون اي تعليق، يُرفع الى السماء، بمعنى رفعه الله (راجع ٩: ٥١)، ولكن بكلمة اخرى). وبذلك يشار الى هدف "خروجه": القربى الكاملة مع الله. انه سوف يجلس على عرشه الملوكي، عن يمين ابيه. الا ان لوقا لم يشأ ان ينهي كتابه الاول هنا. لذا سُلط الضوء بالتالي على التلاميذ الذين، للمرة الاولى والاحيرة، يسجدون امام يسوع -وتلك علامة محفوظة لله وحده (راجع ٤: ٨). وهكذا يكون عدم الايمان قد غلب، واصبح الايمان بابن الله كاملا. انهم، سواء بالرغم من الانفصال او بسببه، مغمورون بفرح عظيم: فكلهم ارتضوا بعدم الرغبة في الرؤية، بل بالعيش في الايمان. وهكذا اصبح بوسع الجزء الاول من المؤلف اللوقاوي ان يُختم من حيث كان قد أُفتتح: في هيكل اورشليم (راجع ١: ٨+)؛ وفيه يلقي التلاميذ موقف شخوص انجيل الطفولة: فعلى مثال زكريا او سمعان (راجع ١، ٦٤؛ ٢: ٢٨) كانوا، باستمرار، يباركون الله. وسنجدهم فيه في الجزء الثاني (رسل ٢: ٢٤).

المحتوى

٩	مقدمة العرب: عزيزي لوقا "الطيب الحبيب"!
١١	من اجل اكتشاف لوقا
١٥	لوقا ومؤلفه
١٩	مفتتح (١:١-٤)
٢١	انجيل طفولة يسوع (١:٥-٢:٥٢)
٢٤	بشارة زكريا بيوحنا المعمدان (١:٥-٢:٥)
٢٩	بشارة مريم بيسوع (١:٢٦-٣٨)
٣٢	الزيارة (١:٣٩-٥٦)
٣٦	ولادة يوحنا المعمدان (١:٥٧-٨٠)
٣٩	ولادة يسوع وختانته وتسميته (١:٢-٢١)
٤٢	التقدمة إلى الهيكل: ظهور يسوع (٢:٢-٤٠)
٤٦	يسوع في الهيكل في الثانية عشرة (٢:٤١-٥٢)
٥٢	بداية الانجيل (لو ١:٣-٤:١٣)
٥٢	كراسة يوحنا المعمدان (١:٣-١٨)
٥٧	نهاية رسالة يوحنا المعمدان (٣:١٩-٢٠)
٥٧	تجل الهي عقب عماذ يسوع (٣:٢١-٢٢)
٥٩	نسب يسوع (٣:٢٣-٣٨)
٦١	تجار يسوع (٤:١-١٣)
	رسالة يسوع في الجليل
٦٧	(٤:١٤-٩:٥٠)
٦٧	أولاً: بشرى الملكوت في الناصرة وكفرناحوم (٤:١٤-٥:١٦)
٧٠	الكراسة في الناصرة (٤:١٤-٣٠)
٧٤	يسوع يعمل في كفرناحوم (٤:٣١-٤٤)
٧٨	الصيد العجائبي ودعوة سمعان وبطرس (٥:١-١١)
٨٠	تطهير الابرص (٥:١٢-١٦)
٨٠	ثانياً: مواجهات اولى مع الفريسيين (٥:١٧-٦:١١)
٨٢	غفران لمقعد وشفأؤه (٥:١٧-٢٦)
٨٥	دعوة لاري: عشاء مع الخطاة، جدال حول الصوم (٥:٢٧-٣٩)
٨٩	سنايل مقتلعة وشفاء يد يابسة يوم السبت (٦:١-١١)
٨٩	ثالثاً: العظة في السهل (٦:١٢-٤٩)
٨٩	اختيار الاثني عشر (٦:١٢-١٦)
٩٠	يسوع والجمع (٦:١٧-١٩)
٩١	تطويبات وويلات (٦:٢٠-٢٦)
٩٣	محنة الاعداء وتجنب الادانة. التلميذ الحقيقي (٦:٢٧-٤٩)
٩٨	رابعاً: الاعتراف بيسوع نيبا (٧:١-٥٠)

٩٨	إيمان قائد المئة (١٠:٧-١٠)
١٠٠	احياء ابن ارملة نائين (١٧:٧-١١)
١٠٢	حول العلاقات بين يسوع والمعمذان (١٨:٧-٣٥)
١٠٥	يسوع يغفر لحاطنة (٣٦:٧-٥٠)
١٠٩	خامساً: تقبل كلمة الله (١:٨-٢١)
١٠٩	النساء اللواتي يرافقن يسوع (١:٨-٣)
١١٠	مثل الزارع والسراج. اسرة يسوع الحقيقية (٤:٨-٢١)
١١٥	سادساً: يسوع، بمعجزاته، يدعو إلى الايمان الذي يخلص (٢٢:٨-٥٦)
١١٥	تسكين العاصفة (٢٢:٨-٢٥)
١١٦	ممسوس الجرجسيين (٢٦:٨-٣٩)
١١٨	شفاء امرأة واحياء ابنة يائيرس (٤٠:٨-٥٦)
١٢٢	سابعاً: من انا؟ (١:٩-٥٠)
١٢٢	بعثة الاثني عشر للرسالة (١:٩-٦)
١٢٣	هيرودس يسعى إلى رؤية يسوع (٧:٩-٩)
١٢٤	تكتير او كسر الخبز (١٠:٩-١٧)
١٢٧	اعلان ايمان بطرس والانباء الاول بالآلام (١٨:٩-٢٢)
١٢٨	اتباع يسوع (٢٣:٩-٢٧)
١٣٠	التجلي (٢٨:٩-٣٦)
١٣٢	شفاء الصبي المصروع (٣٧:٩-٤٣أ)
١٣٣	الانباء الثاني بالآلام (٤٣:٩ب-٥٠)

الاصود الى اورشليم

١٣٩	(١٩:٥١-٢٨)
١٣٩	أولاً: المرحلة الأولى نحو اورشليم (١٣:٥١-٢١)
١٣٩	رفض قرية سامرية (٥١:٩-٥٦)
١٤٠	شروط اتباع يسوع (٥٧:٩-٦٢)
١٤٢	بعثة الاثني عشر والسبعين (١:١٠-٢٤)
١٤٤	١. بعثة الاثني عشر والسبعين للرسالة (١:١٠-١٦)
١٤٧	٢. عودة الاثني عشر والسبعين من الرسالة (١٧:١٠-٢٤)
١٤٩	حبة الله والقريب (٢٥:١٠-٤٢)
١٥٠	١. الوصية الكبرى (٢٥:١٠-٢٨)
١٥١	٢. مثل السامري الصالح (٢٩:١٠-٣٧)
١٥٢	٣. مرتا ومريم (٣٨:١٠-٤٢)
١٥٤	تعليم عن الصلاة (١:١١-١٣)
١٥٤	١. صلاة الرب (١:١١-٤)
١٥٦	٢. مثل الصديق اللجوج (٥:١١-١٣)
١٥٦	٣. تطبيق المثل (٩:١١-١٣)

- يسوع ويعلزيبول (١٤:١١-٣٦)
- ١٥٧ ١. معارضة مضاعفة ضد يسوع (١٤:١١-١٦)
- ١٥٩ ٢. الجواب المتعلق ببعلزيبول (١٧:١١-٢٦)
- ١٥٩ ٣. السعادة الحقيقية (٢٧:١١-٢٨)
- ١٦١ ٤. الجواب الثاني: آية يونان (٢٩:١١-٣٦)
- ١٦١ ضد الفريسيين وعلماء الشريعة (٤٥:١١-٥٢)
- ١٦٣ ١. تأيينات تجاه الفريسيين (٣٩:١١-٤٤)
- ١٦٤ ٢. تأيينات تجاه علماء الشريعة (٤٥:١١-٥٢)
- ١٦٥ الاعتراف دون خوف بابن الانسان (١:١٢-١٢)
- ١٦٧ ١. نبذ المراءاة والنيات في الاضطهاد (١:١٢-١٢)
- ١٦٨ ٢. الموقف تجاه خيرات هذا العالم (١٣:١٢-٣٤)
- ١٧٠ أ. للجمع: احذروا كل طمع (١٣:١٢-٢١)
- ١٧٢ ب. للتلاميذ: الثقة بدل القلق (٢٢:١٢-٣٢)
- ١٧٢ ج. خلاصة للتلاميذ (١٢:٣٣-٣٤)
- ١٧٤ ٣. امتلة بشأن السهر (١٢٤٨:٣٥)
- ١٧٥ أ. الخدم الساهرون: الوكيل الساهر (٣٥:١٢-٤٠)
- ١٧٦ ب. الوكيل الامين (٤١:١٢-٤٨)
- ١٧٧ ٤. لماذا جاء يسوع (٤٩:١٢-٥٣)
- ١٧٩ ٥. علامات الازمنة (٥٤:١٢-٥٩)
- ١٨٠ ٦. ضرورة التوبة: مثل التينة العقيمة (١:١٣-٩)
- ١٨١ شفاء عليلية وامثال الملكوت (١٠:١٣-٢١)
- ١٨٥ ثانيًا: المرحلة الثانية نحو اورشليم (٢٢:١٣-١٧:١٠)
- ١٨٥ رفض محدثي يسوع ونداء إلى الوثنيين (٢٢:١٣-٣٠)
- ١٨٧ يسوع امام موته القريب (٣١:١٣-٣٥)
- ١٨٩ تناول طعام في بيت فريسي (١:١٤-٢٤)
- ١٩٤ نداء إلى التجرد (١٤٠٣٥:٢٥)
- ١٩٦ امثال عن الفرح الجماعي بعد اللقيا (١:١٥-٣٢)
- ٢٠١ مثل الوكيل الحاذق، افكار حول المال (١:١٦-١٣)
- ٢٠٤ تمجّم جديد على الفريسيين: مثل لعازر والغني (١٤:١٦-٣١)
- ٢٠٨ الحياة الاخوية (١:١٧-٤)
- ٢٠٩ قوة الايمان: مثل السيد والخدام (٥:١٧-١٠)
- ٢١٢ ثالثًا: المرحلة الثالثة نحو اورشليم (١١:١٧-٢٨:١٩)
- ٢١٢ من عشرة برص، سامري يشكر (١١:١٧-١٩)
- ٢١٣ يوم ابن الانسان. مثل القاضي الظالم (٢٠:١٧-١٨:٨)
- ٢١٥ ١. حضور الملكوت الآتي (٢٠:١٧-٢١)
- ٢١٦ ٢. مجيء ابن الانسان فجأة بشكل مأساوي (٢٢:١٧-٣٧)
- ٢١٨ ٣. مثل القاضي الظالم (١:١٨-٨)
- ٢١٩ الفريسي والعشار (٩:١٨-١٤)
- ٢٢١ يسوع يستقبل الاطفال الرضع (١٥:١٨-١٧)

٢٢٢	الغنى والتجرد (١٨:١٨- ٣٠)
٢٢٤	إنباء ثالث بالآلام (١٨:٣٥- ٤٣)
٢٢٦	شفاء اعمى في اريحا (١٨:٣٥- ٤٣)
٢٢٧	اهتداء زكا (١:١٩- ١٠)
٢٣٠	مثل الملك (١١:١٩- ٢٨)

في اورشليم: تكليم، الآلام، القيامة

٢٣٧	(١٩:٢٩- ٢٤:٥٣)
٢٣٧	أولاً: التعليم في الهيكل (١٩:٢٩- ٢١:٣٨)
٢٣٧	موكب مسيحي ورتاء في اورشليم (١٩:٢٩- ٤٤)
٢٤٢	تطهير الهيكل (١٩:٤٥- ٤٨)
٢٤٤	باية سلطة يعلن يسوع البشرى السارة؟ (١:٢٠- ٨)
٢٤٦	مثل الكرامين القتلة (١٩:٢٠- ٩)
٢٤٨	الله وقيصر (٢٠:٢٠- ٣٦)
٢٥٠	قيامة الاموات (٢٧:٢٠- ٤٠)
٢٥٣	المسيح، ابن داود وربه (١٩:٤١- ٤٤)
٢٥٥	احذروا من الكنيسة؛ الارملة المسكينة (٢٠:٤٥- ٢١:٤)
٢٥٧	خطاب بشأن "مسيرة التحرير الطويلة" (٢١:٥- ٣٨)
٢٦٦	ثانياً: الآلام (١:٢٢- ٢٣:٥٦)
٢٧٠	خيانة يهوذا (١:٢٢- ٦)
٢٧١	الاستعدادات لعشاء الرب (٧:٢٢- ١٣)
٢٧٢	عشاء الرب وخطاب الوداع (١٤:٢٥- ٣٨)
٢٧٩	في جبل الزيتون: صلاة وحزن واعتقال (٢٢:٣٩- ٥٣)
٢٨٢	لدى السلطات الدينية: نكران بطرس ومساءلة يسوع (٢٢:٥٤- ٢٣:١)
٢٨٧	لدى الحاكم الروماني هيروودس: دعوى، حكم، اهانات (٢٣:٢- ٢٥)
٢٩٣	مسيرة العذاب، صلب يسوع وموته (٢٣:٢٦- ٤٩)
٢٩٨	دفن يسوع: يوسف من الرامة والنساء (٢٣:٥٠- ٥٦)
٣٠٠	ثالثاً: القيامة (١:٢٤- ٥٣)
٣٠٢	القبر الفارغ (١:٢٤- ١٢)
٣٠٤	تلميذا عماوس (١٣:٢٤- ٣٥)
٣١٠	التراثي للاحد عشر ورفاقهم (٢٤:٣٦- ٥٣)

الاطارات

١٤٧	• معنى المعجزات	٢٣	• ماذا يعني الاستشهاد بمرجع؟
١٦٦	• كنية وفريسيون: تجربة كل الازمان	٢٨	• حبل مستحيل.. وحبل بتولي
١٧٣	• اي موقف تجاه المال	٣٢	• جدول البشارتين
٢٤١	• المبادرة الالهية وخراب اورشليم	٦٠	• رواية يسوع وبداية الكنيسة
٢٦٨	• موت يسوع: مخطط الله ام جريمة البشر؟	٧٧	• لوقا ينقح مخطط مرقس
٣٠١	• قيامة يسوع وتمجيده	١٣٥	• ابن الانسان بحسب لوقا

ملفات الكتاب المقدس

مجلة ببليية متخصصة مصورة، معربة عن الفرنسية *Les Dossiers de la Bible* تصدر منذ عام ٢٠٠٠

عن دار ببلييا للنشر بوثيرة اربعة ملفات في السنة.

السنة الاولى: ٢٠٠٠

- ١ - الحديث عن القيامة/أيلول
- ٢ - الافخارستيا/ كانون الأول

السنة الثانية ٢٠٠١

- ٣ - ايليا واليشاع/كانون الثاني
- ٤ - امثال يسوع/نيسان
- ٥ - ما وراء الموت/تموز
- ٦ - عجائب يسوع/تشرين الأول

السنة الثالثة ٢٠٠٢

- ٧ - قراءة في انجيل متى/كانون الثاني
- ٨ - اعمال الرسل/نيسان
- ٩ - قراءة في مؤلف لوقا/تموز
- ١٠ - حرقيال النبي/تشرين الأول

السنة الرابعة ٢٠٠٣

- ١١ - اناجيل الطفولة/كانون الثاني
- ١٢ - القديس بولس/نيسان
- ١٣ - سفر يونان/تموز
- ١٤ - كنيسة البدايات/تشرين الأول

السنة الخامسة ٢٠٠٤

- ١٥ - القديس مرقس/كانون الثاني
- ١٦ - سفر الزمير/نيسان
- ١٧ - النبي عاموس/تموز
- ١٨ - صلاة الابانا/تشرين الأول

السنة السادسة ٢٠٠٥

- ١٩ - انجيل يوحنا/كانون الثاني
- ٢٠ - الروح القدس/نيسان
- ٢١ - الاناجيل المنحولة/تموز
- ٢٢ - اشعيا النبي/تشرين الأول

السنة السابعة ٢٠٠٦

- ٢٣ - سفر ايوب/كانون الثاني
- ٢٤ - ارميا النبي/نيسان
- ٢٥ - سفر الرؤيا/تموز
- ٢٦ - الغفران في ك. م. /تشرين الأول

السنة الثامنة ٢٠٠٧

- ٢٧ - اشعيا الثاني وتلاميذه/كانون الثاني
- ٢٨ - أوجه يسوع/نيسان
- ٢٩ - الآلام بحسب يوحنا/تموز
- ٣٠ - سفر الخروج/تشرين الأول

السنة التاسعة ٢٠٠٨

- ٣١ - لا فقراء بعد اليوم!/كانون الثاني
- ٣٢ - الآلام بحسب انجيل لوقا/نيسان
- ٣٣ - روح العنصرة/تموز
- ٣٤ - العهد: من سيناء الى يسوع/تشرين الأول

السنة العاشرة ٢٠٠٩

- ٣٥ - العماد في ك. م. -عدد خاص/كانون الثاني
- ٣٦ - بولس وقورنثس/نيسان
- ٣٧ - حين يتكلم الله/تموز
- ٣٨ - مريم، ام يسوع/تشرين الأول

السنة الحادية عشرة ٢٠١٠

- ٣٩ - اورشليم مدينة السلام/كانون الثاني
- ٤٠ - كما في الكتب/نيسان
- ٤١ - واعطاها اسما (الحيوانات في ك. م.)/نيسان
- ٤٢ - روايات الكتاب المقدس/تشرين الأول

السنة الثانية عشرة ٢٠١١

- ٤٣ - انجيل في الكتاب المقدس/كانون الثاني
- ٤٤ - الحرب والسلام/نيسان
- ٤٥ - ابراهيم خليل الله/تموز
- ٤٦ - طرق لتفسير الكتاب المقدس/تشرين الأول

السنة الثالثة عشرة ٢٠١٢

- ٤٧ - ملانكة الميلاد/كانون الثاني
- ٤٨ - يسوع من الناصرة/نيسان
- ٤٩ - هل املى الله الكتاب المقدس/تموز
- ٥٠ - الله الخالق/تشرين الأول
- (يظهر عدد خاص بمناسبة اليوبيل الفضي مع الملف ٥١)

تتوفر مجموعات من الملفات باسعار مخفضة

مجموعة ٧ اعوام (٢٠٠٦ - ٢٠١٢)	٥٠ -	الملفات ٢٣ - ٢٨	٢٨.٠٠٠ د.
مجموعة عامين (٢٠٠٦ - ٢٠٠٧)	٣٠ -	الملفات ٢٣ - ٣٠	٥.٠٠٠ د.
مجموعة ٣ اعوام (٢٠٠٩ - ٢٠١١)	٤٦ -	الملفات ٣٥ - ٤٦	١٢.٠٠٠ د.
مجموعة ٤ اعوام (٢٠٠٩ - ٢٠١٢)	٥٠ -	الملفات ٣٥ - ٥٠	١٧.٠٠٠ د.

مختارات الفكر المسيحي

سلسلة توثق ما نشرته مجلة الفكر المسيحي بين الاعوام ١٩٧١ - ١٩٩٤، لا سيما في ابوابها الثابتة

صدر منها سابقاً:

(-) تاريخ الكنيسة الشرقية (الموصل ١٩٧٣)، همسات ابو فادي /ج (بغداد ١٩٨٥)، ابت هذه مشكلتي (بغداد ٢٠٠٤) ومنذ عام ٢٠٠٦ عمدت دار بيبيلا للنشر إلى مواصلة إصدار كتب هي بحق "مختارات الفكر المسيحي"

ظهر منها



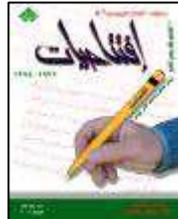
٦

٢٨٤ص/٢٠٠٨ (٠.٢٥٠٠)



٥

١٨٠ص/٢٠٠٧ (٠.٢٥٠٠)



٤

٥٥٠ص/٢٠٠٧ (٠.٢٥٠٠)



٣

٢٩٠ص/٢٠٠٦ (٠.٢٥٠٠)



١٠

٤٨٠ص/٢٠١١ (٠.٢٥٠٠)



٩

٢٩٢ص/٢٠١١ (٠.٢٥٠٠)



٨

٥٠٨ص/٢٠١٠ (٠.٢٥٠٠)



٧

٢١٠ص/٢٠٠٩ (٠.٢٥٠٠)



بيبيلا للنشر ٢٠١٢
٤٥٢ص/ (٠.٥٠٠٠)



الكتابان معا: ٩٠٠٠٠.

بيبيلا للنشر ٢٠١٢
٤٤٠ص/ (٠.٥٠٠٠)

اعلان:

تتوفر اعداد من مجلة الفكر المسيحي للسنوات ١٩٧١ - ١٩٩٤، في شكل مجموعات:

- المجموعة الكاملة (بكمية محدودة) ٢٤ عاماً ٢٥٠٠٠٠.
- المجموعة الكاملة (عدا ١٩٧٥- ١٩٧٧) ٢١ عاماً ١٠٠٠٠٠.
- مجموعة اعداد ١٩٨١ - ١٩٩٤ ١٤ عاماً ٥٠٠٠٠٠.
- الاعداد الخاصة للاعوام ١٩٧٨ - ١٩٩٤ (١٦ اعداداً) ٧٠٠٠٠.

سلسلة أبحاث كتابية

١. قراءة مجددة للعهد الجديد
 ٢. يسوع الذي من الناصرة، بقلم مرقس الانجيلي
 ٣. قراءة في العهد القديم/ج: قبل الجلاء
 ٤. قراءة في العهد القديم/ج٢: من الجلاء الى يسوع
 ٥. قراءة في العهد الجديد/ج١: الاناجيل الاربعة
 ٦. قراءة في العهد الجديد/ج٢: اعمال الرسل، الرسائل، الرؤيا
 - (وتؤلف الاجزاء الاربعة الاخيرة، من تعريب الأب بيوس عفاص [وتضمنها علبة خاصة] مدخلا متكاملا الى الكتاب المقدس بسعر ٨,٠٠٠ دينار)
 - سعر خاص للجزئين من [قراءة في العهد الجديد]: ٣٠٠٠ د. فقط
 ٧. الكنيسة التي ورثناها عن الرسل
 ٨. لوقا - الاعمال / وعد التاريخ
 - ٩-١٠. روايات الآلام والقيامة / بحسب الانجيليين الاربعة
 ١١. يسوع الذي هو المسيح
 ١٢. من اجل ايمان جاد / الايمان بحسب القديس يوحنا
 ١٣. الانجيل بحسب القديس متى / سلسلة تفاسير ١
 ١٤. مذكرات مريم، فتاة الناصرة
 ١٥. الانجيل بحسب القديس يوحنا / سلسلة تفاسير ٤
 ١٦. رسائل القديس بولس / ج١: سلسلة تفاسير ٦
الرسالتان الى القورنثيين
 ١٧. رسائل القديس بولس / ج٢: سلسلة تفاسير ٧
الرسالتان الى روما وغلطية
 ١٨. رسائل القديس بولس / ج٢: سلسلة تفاسير ٨
الرسائل التسع الاخرى
 - (وتؤلف الاجزاء الثلاثة الاخيرة "ثلاثية" تغطي رسائل بولس الثلاث عشرة، بسعر خاص: ٧٠٠٠ د. فقط)
 ١٩. الرسائل الاخيرة / سلسلة تفاسير ٩
 ٢٠. الانجيل بحسب القديس مرقس / سلسلة تفاسير ٢
 ٢١. الانجيل بحسب القديس لوقا / سلسلة تفاسير ٣
 ٢٢. سفر اعمال الرسل / سلسلة تفاسير ٥
 ٢٣. سفر الرؤيا / سلسلة تفاسير ١٠
- تأليف: أ. بيوس عفاص / ص٥٤٠ / ١٩٩٩ (د ٤٠٠٠)
- تعريب: أ. بيوس عفاص / ص٢٢٤ / ٢٠٠٢ (د ١٠٠٠)
- ٢٤٠ / ص٢٠٢ / ٢٠٠٢ (د ١٥٠٠)
- ٢٧٢ / ص٢٠٤ / ٢٠٠٤ (د ٢٠٠٠)
- ٢٥٦ / ص٢٠٤ / ٢٠٠٤ (د ٢٠٠٠)
- ٢٥٦ / ص٢٠٤ / ٢٠٠٤ (د ٢٠٠٠)
- تأليف: أ. ريموند براون
ت: م. جرجس القس موسى / ص٢٠٨ / ٢٠٠٥ (د ٢٠٠٠)
- تأليف: دونالد يونيل
تعريب: أ. البير ابونا / ص٢٠٠ / ٢٠٠٦ (د ٢٠٠٠)
- تأليف: أ. بيير بنوا
تعريب: أ. بيوس عفاص / ص٣٣٦ / ٢٠٠٦ (د ٢٥٠٠)
- تأليف: أ. برنار راي
ت: م. جرجس القس موسى / ص١٣٦ / ٢٠٠٧ (د ٢٠٠٠)
- تأليف: ك. كارلو مارتيني
تعريب: أ. البير ابونا / ص١٧٦ / ٢٠٠٨ (د ٢٠٠٠)
- تأليف: كلود تاسان
تعريب: أ. بيوس عفاص / ص٢٨٨ / ٢٠٠٨ (د ٣٠٠٠)
- تأليف: جاكين سافيريا هوري
ت: م. جرجس القس موسى / ص٢٨٨ / ٢٠٠٩ (د ٣٠٠٠)
- تأليف: آلان مرشور
تعريب: أ. بيوس عفاص / ص٢٨٠ / ٢٠٠٩ (د ٣٠٠٠)
- تأليف: بول دي سيرجي وموريس كاريز
ت: م. جرجس القس موسى / ص٢٣٢ / ٢٠١٠ (د ٣٠٠٠)
- تأليف: جان-بيير ليمونون
تعريب: الاخت باسمة الخوري / ص٢١٦ / ٢٠١٠ (د ٣٠٠٠)
- تأليف: شانثال رينيه وميشيل تريماي
تعريب: أ. البير ابونا / ص٣٤٠ / ٢٠١١ (د ٣٠٠٠)
- تأليف: ادواركوتنيه، ميشيل موركن، البير فانوا
تعريب: أ. فادي مسلم / ص٢٤٨ / ٢٠١١ (د ٣٠٠٠)
- تأليف: جاك هيرفيو
تعريب: الخوري بولس الضفالي / ص٢٤٠ / ٢٠١٢ (د ٣٠٠٠)
- تأليف: هيك كوزان
تعريب: الاب بيوس عفاص / ص٣٢٠ / ٢٠١٢ (د ٣٥٠٠)
- يظهر في أوائل ٢٠١٣
- يظهر في خريف ٢٠١٣

لوقا هو اخونا في الايمان، فعلى مثالنا، لم يعرف يسوع بالجسد، وإنما تلقاه واكتشفه عبر شهود ومن خلال كتابات اخذت تنشر بين الجماعات المسيحية الاولى. وهو ايضا بدوره، شاء ان يبشر به رجالاً ونساء قادمين، مثله، من العالم الوثني، ولكنه يفعل ذلك على طريقته الخاصة، وبشكل فريد لا يقلد! فهو، بصفته فتاناً، ولاهوتياً حقيقياً، ورسولاً بكل معنى الكلمة، برز اوجهاً من شخصية يسوع لا نجدها عند سواه.

لوقا يفتح الانجيل بوجه الجمع. بوجه الخطاة ولا شك، ولكن ايضا بوجه السامريين، كما بوجه العشارين، وبوجه النساء. وفي منطق هذا الانفتاح، نراه يثدد، وبشكل مثير جداً، على رحمة الله الشاملة وحنانه الواسع.

هذا الكتاب بقلم هبك كوزان -وقد ألف اسمه قراء "ملفات الكتاب المقدس"- الاختصاصي الفرنسي الغزير الإنتاج، وعضو الخدمة البيبليّة "انجيل وحياة" التي عنها تُصدر سلسلة "تفاسير"... كفاه يكون تفسيراً يحمل الطابع الراعوي! ومعه يكتمل التفسير الذي شمل الانجيل الاربعة.

بتشري سارة

يسر دار بيبليا للنشر ان تعلن عن عزمها على إصدار سلسلة جديدة بعنوان **"روافد"** تظهر فيها كتب متنوعة لكتاب و مترجمين في شتى حقول المعرفة. وباكورتها كتاب من تعريب املطران جرجس القس موسى في **"بدايات الكنيسة في الشرق"** يظهر قبيل نهاية العام الحالي، ويعتبر الكتاب، على هامش التوقيع على وثيقة "السينودس من اجل الشرق"، مساهمة في تثبيت اقدام مسيحيي الشرق في اوطانهم...

يطلب من مكتبة بيبليا -كنيسة مار توما
الموصل -العراق

سعر النسخة: ٣٥٠٠ دينار

